

قِصَّةُ النِّهَايَة

أحداث نهاية العالم



فضيلة الشيخ محمود المصري
أبو عمار

ضياء سعيدة

مكتبة الصفا

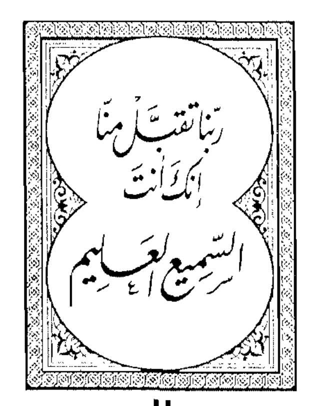

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قصة النهاية

أحداث نهاية العالم





حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٢٢٠٦٦

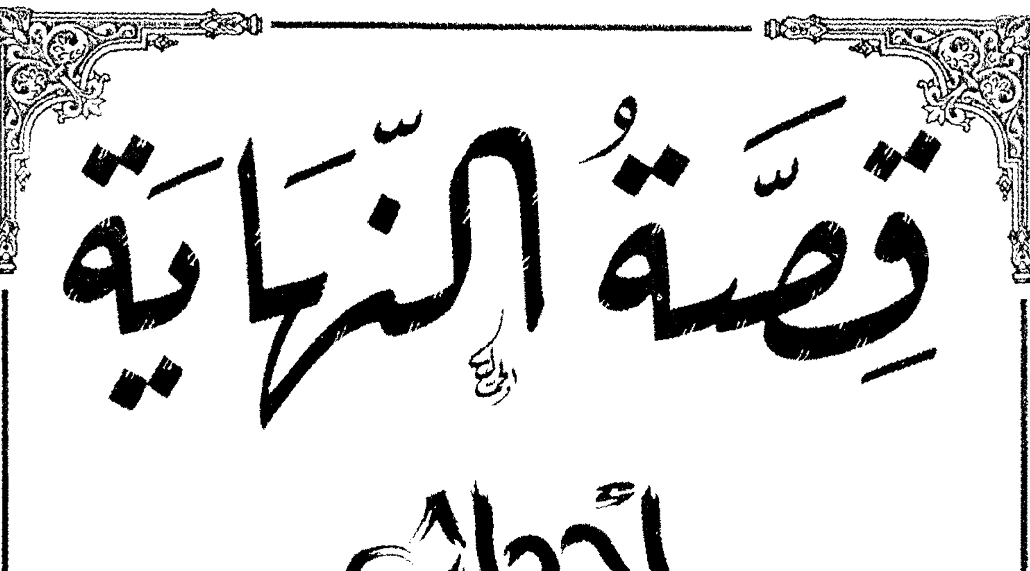
الترقيم الدولي: 978-977-6430-16-7

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع



١٢٧ ميدان الأزهر / أمام الجامع الأزهر / القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك / خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ / فاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

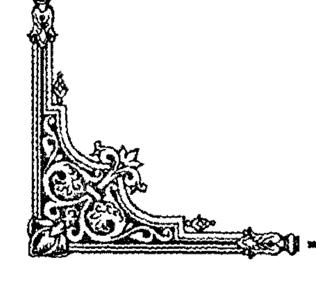
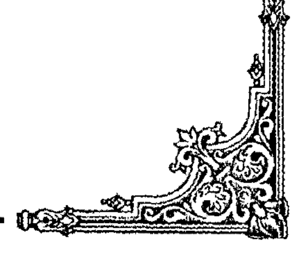
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



قصة النهاية

أحداث نهاية العالم

فضيلة الشيخ
محمود المصري
أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع
تليفون: ٢٥١٤٧٣٢٠ - تليفاكس: ٢٥١٤٧٩٧٤


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، فمازال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب النافعة، المبينة لشرع ربنا ﷻ، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز، سواء كان كاملًا، أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو موضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف، والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله ﷻ لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسنة، قولًا وفعلًا، نصًّا وفَهمًا وعملًا.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب كموطأ الإمام مالك، وصحيحى الإمام البخارى ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية، وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة

بشتى الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله ﷻ فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر- رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم، وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب: «**قصة النهاية (أحداث نهاية العالم)**»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجو من الله ﷻ أن يتقبلها منا قبولًا حسنًا، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ (٣).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أما بعد:

فإن الإنسان فى هذه الحياة الدنيا عابر سبيل يوشك أن تنتهى رحلته وأن يصل إلى دار القرار -إما فى الجنة وإما فى النار- ولكن تزخرفت الدنيا واستقرت فى قلوب أكثر الناس فنسوا أو تناسوا أنهم سيتركون الدنيا لا

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

محالة ويرتحلون عنها إلى دار القرار.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٣].

فلا بد بعد تلك الحياة أن تجتمع الخلائق كلها للفصل والحساب بين يدى الكريم التواب ليجزى الذين أحسنوا بالحسنى ويُذيق المجرمين ألوان العذاب.

يا نَفْسُ قَدْ أزِفَ الرَّحيلُ ... وأظَلَّكِ الْخَطْبُ الْجليلُ
فَتَأهَّبى يا نَفْسِ لا ... يلْعَبْ بِكِ الأمَلُ الطَّويلُ
فَلَتَنْزِلِنَّ بِمَنْزِلٍ ... ينْسى الْخَليلَ بِهِ الْخَليلُ
وَليرْكَبَنَّ عَلَيكِ فيهِ ... مِنَ الثَّرى ثِقْلٌ ثَقيلُ
قُرِنَ الْفَنَاءُ بِنا فَما ... يبْقى الْعَزيزُ ولا الذَّلِيلُ
إنى أُعِيذُكَ أنْ يميلَ ... بِكَ الْهَوى فيمَنْ يمِيلُ
والْمَوتُ آخِرُ عِلَّةٍ ... يعْتَلُّها الْبَدَنُ الْعَليلُ
وَلَرُبَّ باكِيةٍ عَلَىَّ ... غَناؤهُا عَنِّى قَليلُ
ولَرُبَّ جِيلٍ قَدْ مَضى ... يتْلُوهُ بَعْدَ الْجِيلِ جِيلُ

---

(١) سورة الانشقاق: الآية: (٦).

(٢) سورة النجم: الآية: (٤٢).

(٣) سورة القيامة: الآيات: (٣٦ - ٤٠).

إن الإيمان بالرجعة إلى الحياة، ثم الخلود بعد ذلك ضرورى لتقويم مسار الإنسان، فالإنسان مركوز فى أعماق نفسه حبُّ الخلود والبقاء، ولذا فإن إبليس أغرى آدم بالأكل من الشجرة المحرم عليه الأكل منها مُدَّعيًا أن الأكل منها يمنحه وزوجه الخلود: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾[(١)].

والكفر بالبعث والنشور يُحدث شقوة للنفوس البشرية، كما يُحدث انحرافًا فى مسيرة البشر فى الحياة.

ولما كان الارتباط بين حياتنا هذه وحياتنا الأخرى وثيقًا، إذ كانت هذه الحياة بمثابة الحرث والزرع، وكانت تلك بمثابة الجنى والحصاد، كان لا بُدَّ للإنسان من أن يعلم عن حياته الآخرة ما يدعوه للاستعداد لها، وإقامة حياته الدنيا على النمط الذى يحقق له فى الآخرة خيرًا وفضلًا.

ولما كانت الحياة الأخرى غَيبًا لا يستطيع أصحاب العقول الثاقبة، والقلوب المبصرة اختراق حُجبه فضلًا عمَّن هم دونهم، فإن الله تولَّى إخبارهم عن مسارهم فى رحلتهم بعد الحياة، وعن مصيرهم المحتوم، ومزج الحديث عن الحياة الآخرة بالحديث عن هذه الحياة مزجًا يجعلهما متداخلتين، تحقيقًا لإصلاح النفوس وتقويمها، فى عالم تدأب فيه مخلوقات كثيرة بشرية وجنيَّة على العمل لإضلال العباد وإبعادهم عن جادة الصواب[(٢)].

---

(١) سورة طه: الآية: (١٢٠).

(٢) القيامة الصغرى / د. عمر الأشقر (٦-٧) بتصرف.

ولمَّا كانت هذه الأمة هى آخر الأمم، ومحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء؛ خصَّ الله تعالى أمَّته بظهور أشراط الساعة فيها، وبيَّنها لهم على لسان نبيِّه ﷺ أكمل بيان وأتمَّه، وأخبر أنَّ علامات الساعة ستخرج فيهم لا محالة، فليس بعد محمَّد ﷺ نبىٌّ آخر يبيِّنُ للناس هذه العلامات، وما سيكون فى آخر الزمان من أُمورٍ عظامٍ مُؤْذِنَةٍ بخراب هذا العالم، وبداية حياة جديدة؛ يُجازَى فيها كلٌّ بحسب ما قدَّمت يداه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1].

ولمَّا كان من العقائد التى يجب الإيمان بها: الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، ولما كان نظر الإنسان قد لا يعدو هذه الحياة وما فيها من مَتاعٍ، فينسى اليوم الآخر، ولا يعمل له؛ جَعَلَ اللهُ بين يدى الساعة أماراتٍ تدلُّ على تحقُّقها، وأنها ستقع حتمًا، حتى لا يخامر الناس أدنى شَكٍّ فيها، ولا يفتنهم شىءٌ عنها.

فمن المعلوم أنَّ الصادق المصدوق ﷺ إذا ذكر من أشراطها شيئًا، ورأى الناس وقوعَ ذلك الشىء؛ علموا يقينًا أنَّ السَّاعة آتيةٌ لا ريب فيها، فيعملوا لها، ويستعدُّوا لذلك اليوم، ويتزوَّدوا بالصَّالحات قبل فوات الأوان وانقضاء الأجل المحدود ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة الزلزلة: الآيتان: (٧-٨).

(٢) سورة الزمر: الآيات: (٥٦-٥٨).

وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كهاتين»(١).

وقد أشفق الصَّحابة رضي الله عنهم من قيام الساعة عليهم، وظهر ذلك جليًّا عندما وصف لهم النبي ﷺ الدَّجَّال.

وقد ظهر كثيرٌ من أشراط السَّاعة، وتحقَّق ما أخبر به المصطفى ﷺ، فكل يوم يزداد فيه المؤمنون إيمانًا به، وتصديقًا له، إذ يظهر من دلائل نبوَّتِه وآيات صدقِه ما يوجب على المسلمين التمسُّك بهذا الدين الحنيف.

وكيف لا يزدادون إيمانًا وهم يرونَ هذه المغيَّبات التي أخبر بها رسول الله ﷺ تقع كما أخبر؟! فإنَّ كل واحدة من هذه الأشراط التي تحدث لمعجزة بيِّنة لنبي هذه الأمة ﷺ(٢).

يَومُ القِيامَةِ لَو عَلِمْتَ بِهَولِهِ ... لَفَرَرْتَ مِنْ أَهلٍ وَمِنْ أَوْطانِ
يَومٌ تَشَقَّقَتِ السَماءُ لِهَولِهِ ... وَتَشيبُ فيهِ مَفارِقُ الوِلْدانِ
يَومٌ عَبوسٌ قَمْطَريرٌ شَرُّهُ ... في الخَلقِ مُنْتَشِرٌ عَظيمُ الشّانِ
وَالجَنَّةُ العُلْيا وَنارُ جَهَنَّمٍ ... دارانِ لِلخَصْمَينِ دائِمَتانِ
يَومٌ يَجيءُ المُتَّقونَ لِرَبِّهِم ... وَفدًا عَلى نُجُبٍ مِنَ العِقْيانِ
وَيَجيءُ فيهِ المُجرِمونَ إِلى لَظى ... يَتَلَمَّظونَ تَلَمُّظَ العَطْشانِ
وَدُخولُ بَعضِ المُسلمينَ جَهَنَّم ... بِكَبائِرِ الآثامِ وَالطُغيانِ
وَاللَهُ يَرْحَمُهُم بِصِحَّةِ عَقْدِهِم ... وَيُبَدَّلوا مِنْ خَوفِهِم بِأَمانِ
وَشَفيعُهُم عِنْدَ الخُروجِ مُحَمَّدٌ ... وَطُهورُهُمْ في شاطِئِ الحَيَوانِ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٠٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥١) كتاب الفتن.

(٢) أشراط الساعة / د. يوسف الوابل (ص ٨-١٠) بتصرف.

حَتّـى إِذا طَهَـروا هُنالِـكَ أُدْخِلـوا جَنّـاتِ عَـدنٍ وَهـى خَيـرُ جِنـانِ
فَاللَـــهُ يَجْمَعُنـــا وَإِيّـــاهُمْ بِهـــا مِـن غَيـرِ تَعْـذيبٍ وَغَيـرِ هَـوانِ[1]

۞ إنَّ مجرد معرفة الإنسان بأنَّ هذه الدنيا دار ابتلاءٍ وامتحان؛ وأنها قنطرة للآخرة، وأنَّ الحياة الحقيقيَّة وأنَّ النَّعيم الحقيقى لن يكون إلا فى جنَّة الرَّحمن (جل وعلا) فإنَّ ذلك يجعله لا يحزن على فوات لذة فضلًا عن أن يضيع عمره فى تحصيلها ... إنَّه إذا علم ذلك فإنه لا يطمع فى أن تكتمل لذَّته ويكتمل نعيمه فى هذه الحياة؛ لأنَّه يعلم أن كمال النعيم وخلوده فى الجنَّة .. إنَّـه بـذلك يكـون راضيًا عـن قـضاء الله؛ لأنـه يعلـم أنَّ الله سيعوضـه فى جنته بأنواعٍ من النعيم لا تخطر على قلب بشر ... فلماذا يحزن فى هذه الحياة؟

۞ **أيها المسلم الحبيب الغالي:**

إنْ جُعتَ فى هذه الدارِ أو افتقرتَ أو حزنتَ أو مرضتَ أو بُخستَ حقًّا أو ذُقت ظلمًا فذكِّر نفسك بالنعيمِ المقيم في جنات رب العالمين، إنك إن اعتقدت هذه العقيدةَ وعملتَ لهذا المصيرِ، تحولتْ خسائرُك إلى أرباحِ، وبلاياك إلى عطايا .... إن أعقلَ الناسِ همُ الذين يعملون للآخرةِ لأنها خيرٌ وأبقى، وإنَّ أحمقهم هم الذين يرون أنَّ هذه الدنيا هى قرارُهم ودارُهم ومنتهى أمانيهم، فتجدَهم أجزعَ الناسِ عند المصائبِ، وأندمهم عندَ الحوادثِ، لأنهمْ لا يرون إلاَّ حياتهم الزهيدة الحقيرة، لا ينظرون إلاَّ إلى هذهِ الفانيةِ، لا يتفكرون فى غيرِها ولا يعملون لسواها، فلا يريدون أن يُعكِّر لهم سرورُهم ولا يُكدِّر عليهم فرحُهم، ولو أنهمْ خلعوا حجاب الرانِ عن

(١) نونية القحطاني، ص (١٩-٢٠).

قلوبهمْ، وغطاء الجهلِ عن عيونهمْ لحدَّثوا أنفسهم بدارِ الخُلدِ ونعيمِها ودورِها وقصورِها، ولسمعوا وأنصتوا لخطابِ الوحيِ فى وصفِها، إنها واللهِ الدارُ التى تستحقُّ الاهتمام والكدَّ والجهْدَ.

وهل تأملنا طويلًا وصف أهلِ الجنة بأنهم لا يمرضون ولا يحزنون ولا يموتون، ولا يفنى شبابُهم، ولا تبلى ثيابُهم، فى غرفٍ يُرى ظاهرُها من باطنِها، وباطِنُها من ظاهرِها، فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرٍ، يسيرُ الراكبُ فى شجرةٍ من أشجارِها مائة عامٍ لا يقطعُها، طول الخيمَةِ فيها ستون ميلًا، أنهارُها مُطَّرِدةٌ قصورُها منيفةٌ، قطوفُها دانيةٌ، عيونُها جاريةٌ، سُرُرُها مرفوعةٌ، أكوابُها موضوعةٌ، نمارقُها مصفوفَةٌ، زرابيُّها مبثوثةٌ ... تَمَّ سرورها، عَظُم حُبورُها، فاح عَرْفُها (ريحها)، عظُم وصْفُها، منتهى الأمانى فيها، فأين عقولُنا لا تفكرْ؟!

ما لنا لا نتدبَّرْ؟!

إذا كان المصيرُ إلى هذه الدارِ؛ فلتُخفَّ المصائبُ على المصابين، ولتَقَرَّ عيون المنكوبين، ولتفرح قلوبُ المُعدَمين[١].

وليعمل لرضى رب العالمين العاملون المخلصون، أيها القارئ الكريم: إنَّ مما يثبتُ السعادة وينمِّيها ويعمقُها: أنْ لا تهتمَّ بتوافهِ الأمورِ، فصاحبُ الهمةِ العاليةِ هَمُّه طلبُ الآخرةُ. فيتسامى عن بُنيات الطريق فاجعل الهم همًّا واحدًا، همّ لقاء الله ﷻ، همّ الوقوف بين يديه[٢]: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[٣].

---

(١) لا تحزن/ د. عائض القرني (ص ٤٧).

(٢) المصدر نفسه (ص ٧٩).

(٣) سورة الحاقة: الآية: (١٨).

النَّفسُ تَبكى عَلى الدُنيا وَقَد عَلِمَت ... أَنَّ السَلامَةَ فيها تَركُ ما فيها
لا دارَ لِلمَرءِ بَعدَ المَوتِ يسكُنُها ... إِلّا الَّتى كانَ قَبلَ المَوتِ يبنيها
فَإِن بَناها بِخَيرٍ طابَ مَسكَنُه ... وَإِن بَناها بَشَرٍّ خابَ بانيها
أين الملوك التى كانت مُسلطَنة ... حتى سَقَاها بِكأسِ المَوْتِ سَاقِيها
أَموالُنا لِذَوى الميراثِ نَجمَعُها ... وَدورُنا لِخرابِ الدَهرِ نَبنيها
كَم مِن مَدائِن فى الآفاقِ قَد بُنِيت ... أمسَت خَرابًا وأَفْنَى المَوتُ أهليها
إن المكارم أخلاق مُطهرة ... فَالدِّينُ أَوَّلُها والعَقْلُ ثَانِيها
وَالعِلْمُ ثالِثُها وَالحِلْمُ رابِعُها ... والجود خامِسُها والفضل سادِيها
والبرُّ سابعُها والشكرُ ثامنُها ... والصبرُ تاسعها واللينُ باقيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يُفنينا ويفنيها
ومن تكن هَمُّه الدنيا ليجمعها ... فسوف يومًا على رغَمٍ يُخليها
فاعمل لدار غدًا رضوانُ خازنُها ... والجارُ أحمدُ والرحمنُ ناشيها
قصورُها ذهبٌ والمسكُ طينتُها ... والزعفران حشيشٌ نابت فيها
أنهارها لبنٌ مُصفًّى ومن عسلٍ ... والخمرُ يجرى رحيقًا فى مجاريها
والطيرُ تجرى على الأغصان عاكفةً ... تُسبّحُ اللّه جهرًا فى مغانيها
فمن يشترى الدَّار فى الفردوس يَعْمُرها ... بركعةٍ فى ظلام الليل يخفيها
أو سدِّ جوعة مسكين بشبعته ... فى يوم مسغبة عَمَّ الغلا فيها
فاغرس أصول التُّقى ما دُمت مقتدرًا ... واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

۞ ومن أجل ذلك فقد سطَّرت بقلمى قبل ذلك كتاب «رحلة إلى الدار الآخرة» وكنت قد ذكرت فيه أشراط الساعة الصغرى والكبرى ولكن بصورة مختصرة جدًّا.

فرأيت أن من تمام الفائدة أن أُفرد هذا المصنف «قصة النهاية (أحداث نهاية العالم)» لشرح أشراط الساعة الصُّغرى والكبرى بصورة مستفيضة ... من أجل أن نتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع كل مرحلة من مراحل قيام الساعة فتحيا قلوبنا بالطاعة وتنأى عن الذنوب والمعاصى، ومن أجل أن نتحلل من المظالم قبل أن نلقى الله ﷻ ... فَذِكْرُ الآخرة يحدو النفوس إلى طاعة الملك القدوس (جلَّ وعلا).

فهيا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع أحداث نهاية العالم .. راجين من الله ﷻ أن يُحسن ختامنا وأن يجعل نهاية رحلتنا فى صحبة الحبيب المصطفى ﷺ فى الفردوس الأعلى .. إنَّه ولىُّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



ما المراد باليوم الآخر؟

۞ إن المراد من اليوم الآخر أمران:

الأول: فناء هذه العوالم كلها، وانتهاء هذه الحياة بكاملها.

والثانى: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها، فدلَّ لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يومٌ واحد لا ثانى له فيها ألبتة.

فالإيمان باليوم الآخر مُقتضٍ للتصديق بأخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا، وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أهوال، واختلاف أحوال كما هو مقتضٍ كذلك لتصديق الله تعالى فى إخباره عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وعذاب، وما يجرى فيها من أمورٍ عظام، كبعث الخلائق، وحشرهم وحسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الإرادية الاختيارية التى قاموا بها فى هذه الحياة الدنيا(١).

---

(١) عقيدة المؤمن/ الشيخ أبو بكر الجزائرى (ص: ٣٢١).

أهمية الإيمان باليوم الآخر وأثره على سلوك الإنسان

إن الإيمان باليوم الآخر هو عبارة عن التصديق الجازم بانقلابٍ هائل يتم فى الكون، ويكون انتهاء هذه الحياة الدنيا بكاملها، وابتداء حياة أخرى وهى الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مدهشة، من بعث الخلائق وحشرهم، وحسابهم، ومجازاتهم.

هذا الإيمان ليس واجبًا فحسب بل هو أحد أركانٍ ستة عليها تُبنى عقيدة المؤمن، فلا تتم إذًا عقيدته إلا به، ولا تصح إلا عليه.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾(١).

ولأهمية هذا المعتقد فى حياة المؤمن، ولآثاره الكبرى فى استقامة الفرد وصلاحه عنى القرآن الكريم به عناية لا تقل عن العناية بالإيمان بالله ﷻ، فقد ذكره فى عشرات السور منه، وفى مئات الآيات ..مرة بوصفه، والحديث عنه كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾(٢).

ومرة بتقريره، وتأكيد مجيئه، كقوله تعالى من سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا

(١) سورة البقرة: الآية: (١٧٧).

(٢) سورة الحاقة: الآيات: (١٣-١٨).

وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾(١).

وقوله تعالى من سورة التغابن: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۗ ﴾(٣).

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ﴾(٤).

فى عدة آيات من كتاب الله تعالى.

فدلَّت هذه العناية القرآنية بهذين الركنين من أركان الإيمان على أنهما قوام حياة الروح، وعليهما مدار استقامة المرء فى هذه الحياة، وأن الإيمان بدونهما ليس شيئًا، وأن مَن عدمهما قد عَدِم كل خير، وأن مَن افتقدهما فقد افتقد كل عناصر الخير والفضيلة فى نفسه وأصبح من شر البرية.

وبالجملة فإن معتقد الإيمان بالله واليوم الآخر هو رأس كل عقيدة، وأساس كل إيمان، وعليه مدار استقامة الإنسان، وصلاح خُلقه، وطهارة روحه... وبدونه فالإنسان مخلوق لا خير فيه لا لنفسه، ولا لغيره، وهو شَرٌّ كله، لا يؤمَن جانبه، ولا يُطمأن إليه، ولا تسكن النفوس عنده، وذلك لما انعدم عنده من أصول الخير، وينابيع الفضيلة والكمال البشرى(٥).

۞ إن الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب هو الموجِّه

---

(١) سورة الحج: الآيتان: (٦-٧).

(٢) سورة التغابن: الآية: (٧).

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٨).

(٤) سورة النساء: الآية: (٥٩).

(٥) بتصرف من عقيدة المؤمن.

الحقيقى لسلوك الإنسان سبيلَ الخير، وليس هناك أى قانون من قوانين البشر يستطيع أن يجعل سلوك الإنسان سويًّا مستقيمًا كما يصنعه الإيمان باليوم الآخر.

ولهذا؛ فإنَّ هُناك فرقًا كبيرًا وبَونًا شاسعًا بين سلوك مَن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعلم أن الدُّنيا مزرعة الآخرة، وأن الأعمال الصالحة زاد الآخرة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[١]، وكما قال الصَّحابىُّ الجليل عُمير بن الحمام[٢]:

رَكْضًا إِلَى اللهِ بِغَيْرِ زَادِ ... إِلاَّ التُّقَى وَ عَمَلَ المَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِى اللهِ عَلَى الجِهَادِ ... وَ كُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرَ التُّقَى وَ البِرَّ وَ الرَّشَادِ[٣]

هناك فرقٌ بين سلوك مَن هذا حاله، وبين سلوك آخر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، «فالمصدِّق بيوم الدين يعمل وهو ناظرٌ لميزان السَّماء لا لميزان الأرض، ولحساب الآخرة لا لحساب الدنيا»[٤].

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

(٢) عُمير بن الحمام بن الجموح بن زيد الأنصارى رضي الله عنه: استُشهد يوم بدر، وهو الذى رمى التَّمرات عندما قال النَّبىُّ ﷺ: «**قوموا إلى جنَّةٍ عرضها السماوات والأرض**»، وقال: بخٍ بخٍ. فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قول: بخٍ بخٍ؟**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «**فإنَّك من أهلها**». فقال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه؛ إنَّها لحياة طويلة. ثم رمى بها وقاتل حتى قُتل.
انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، (١٣/ ٤٥-٤٦- مع شرح النووى).

(٣) «فقه السيرة» (ص ٢٤٤) للغزالى.

(٤) «اليوم الآخر فى ظلال القرآن» (ص ٢٠).

له سلوكٌ فريدٌ فى الحياة، نرى فيه الاستقامة، وسعة التَّصور، وقوة الإيمان، والثَّبات فى الشَّدائد، والصَّبر على المصائب؛ ابتغاءً للأجر والثَّواب، فهو يعلم أن ما عند الله خيرٌ وأبقى.

والمسلم لا يقتصر نَفعُه على البشرية، بل يمتدُّ إلى الحيوان؛ كما فى القول المشهور عن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «لو عَثَرت بغلةٌ فى العراق؛ لظننتُ أن الله سيسألنى عنها: لِمَ لَمْ تُصلح لها الطريق يا عمر»[1].

هذا الشعور هو من آثار الإيمان بالله واليوم الآخر، والإحساس بثقل التَّبعة، وعِظَم الأمانة، التى تحمَّلها الإنسان وأشفقت منها السموات والأرض والجبال، إذ يعلم أنَّ كُلَّ كبيرةٍ وصغيرةٍ مسؤولٌ عنها، ومحاسَب بها، ومجازَى عليها، إن خيرًا؛ فخير، وإن شرًّا؛ فشر:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[2].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3].

وأما الذى لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء؛ فهو يحاول جاهدًا أن يحقِّق مآربه فى الحياة الدُّنيا؛ لاهثًا وراء مُتَعها، متكالبًا على جَمعها، منَّاعًا للخير أن يصل الناس عن طريقه، قد جعل الدُّنيا

(١) رواه أبو نُعيم بلفظ: «لو ماتت شاة على شط الفُرات ضائعة؛ لظننت أنَّ الله سائلى عنها يوم القيامة». «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١/ ٥٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٢٩).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٤٩).

أكبر همه، ومَبلغ علمه، فهو يقيس الأمور بمنفعته الخاصة، لا يهمه غيره، ولا يلتفت إلى بنى جنسه؛ إلا فى حدود ما يحقِّق النفع له فى هذه الحياة القصيرة المحدودة، يتحرَّك وحدوده هى حدود الأرض وحدود هذا العمر، ومن ثَمَّ يتغير حسابه، وتختلف موازينه، وينتهى إلى نتائج خاطئة[1]؛ لأنَّه مُستبعدٌ للبعث: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2].

هذا التصوُّر الجاهلى المحدود الضيِّق جعل أهل الجاهلية يسفكون الدِّماء، وينهبون الأموال، ويقطعون الطريق؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث والجزاء؛ كما صوَّر الله حالهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[3]، وكما قال قائلهم: «إنما هى أرحامٌ تدفع، وأرضٌ تبلع».

من أجل هذا اهتمَّ الإسلام وجاء التَّأكيدُ فى القرآن على قضيَّة الإيمان باليوم الآخر، وإثبات البعث والحساب والجزاء، فأنكر على الجاهلين استبعادهم له، وأمر نبيَّه أن يُقسم على أنه حقٌّ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[4]، وذكر من أحوال يوم القيامة، وما أعدَّه لعباده المتَّقين من ثواب، وما أعدَّه للعاصين من عقاب، ولَفَتَ نظر الجاحدين له إلى دلائل حقيَّتِه؛ استئصالًا للشَّكِّ مِن النُّفوس، وحتى يضع الناس نُصْبَ أعينهم هذا اليوم وما فيه من أهوالٍ تقشعرُّ لها الأبدان؛ ليستقيم سلوكهم فى هذه الحياة؛ باتباع الدين الحق الذى جاءهم به رسولهم ﷺ[5].

---

(١) انظر: «اليوم الآخر فى ظلال القرآن» (ص ٢٠).

(٢) سورة القيامة: الآيتان: (٥-٦).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٣٩).

(٤) سورة التغابن: الآية: (٧).

(٥) أشراط الساعة / د. يوسف الوابل (ص ٢٨-٣٣) بتصرف.

الاستعداد ليوم الرحيل

۞ يقول الإمام ابن الجوزى رَحِمَهُ اللَّهُ: يجب على مَن لا يدرى متى يبغته الموت أن يكون مستعدًا، ولا يغتر بالشباب والصحة، فإن أقل مَن يموت الأشياخ، وأكثر مَن يموت الشبان، ولهذا يندر مَن يكبر، فالحذر الحذر من المعاصى. فإن عواقبها سيئة، فكم من معصية لا يزال صاحبها فى هبوط أبدًا من تعثير أقدامه، وشدة فقره وحسراته على ما يفوته من الدنيا(١).

ولقد قال ﷺ: «**اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(٢).

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزَن عليكم، وتجهزوا للعرض على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾(٣).

ولذلك فإن على كل مسلمٍ أن يقف مع نفسه وقفة يحاسبها فى الدنيا على كل فعلة فعلها وعلى كل كلمة قالها، فإن مَن حاسب نفسه فى الدنيا خَفَّ عليه الحساب فى الآخرة.

كلمات على فراش الموت

ولقد كان سلفنا الصالح يحاسبون أنفسهم حتى عند سكرات الموت!!!... فلنتأمل سويًا تلك الكلمات.

---

(١) صيد الخاطر للإمام ابن الجوزى (ص: ٢٠٥ ـ ٢٠٦) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى عن ابن عباس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٣) سورة الحاقة: الآية: (١٨).

قيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدنى كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[1] ثم مات.

ولما حضرت معاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلق الذكر.

ولما حضرت بلالًا الوفاة قالت امرأته: واحزناه. فقال: بل واطرباه غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

وحُكى أن هارون الرشيد انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[2].

هكذا كانوا يرون الحقيقة الكبرى (الموت) واضحة جلية جلاء الشمس فى رابعة النهار.

- بل هذا الإمام ابن الجوزى يبكى عند الموت فيقول له تلاميذه: يا إمام ألست قد فعلت كذا وكذا؟! فقال: والله إننى أخشى أن أكون فرّطت ونافقت فيحقّ علىَّ قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٤).

(٢) سورة الحاقة: الآيتان: (٢٨-٢٩).

(٣) سورة الزمر: الآيتان: (٤٧-٤٨).

ثم قال: ولقد تاب على يدىّ فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف. وأسلم على يدىّ أكثر من مائتى نفس.

وكم سالت عين متجبرٍ بوعظى لم تكن تسيل. ويحقُّ لمن تلمَّح هذا الإنعام أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظرى إلى تقصيرى وزللى.

ولقد جلست يومًا فرأيت حولى أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا مَن قَدْ رَقَّ قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسى: كيف بك إن نَجَوْا وهلكت: فصِحتُ بلسان وجدى: إلهى وسيدى إن قضيت علىَّ بالعذاب غدًا فلا تُعلمهم بعذابى، صيانة لكرمك لا لأجلى، لئلا يقولوا عذّب الله مَن دَلَّ عليه[1].

سلفنا الصالح والاستعداد للآخرة

لقد ضرب سلفنا الصالح المثل الأعظم فى الاستعداد للآخرة بالعمل الصالح بكل أنواعه، سواءً كان من أعمال القلوب أو الألسنة أو الجوارح.. فلم يتركوا بابًا من أبواب الخير إلا وكانوا يتسابقون إلى الدخول منه، ولم يتركوا بابًا من أبواب الشر إلا وكانوا يحذرون منه ومن الدخول فيه.. وكل ذلك لأنهم امتثلوا قول الحق (جل وعلا):

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً

(١) صيد الخاطر: (ص: ٢٤٩).

أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(١).

۞ وكان استعدادهم للقاء الله لا يتوقف عند بعض الكلمات التى تخرج من الأفواه وليس لها رصيد من العبودية فى القلوب، بل كانت جوانحهم وجوارحهم تنقاد طوعًا أو كرهًا لطاعة الله ولسان حال كل واحدٍ منهم: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾(٢).

۞ فتجد أنهم يُخلصون العمل لله؛ لأنهم قرأوا قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾(٣).

وقول النبى ﷺ: **«إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتُغى به وجهه»**(٤).

وكان إبراهيم التيمى يقول: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته... وكان الشعبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من أدب العلماء أنَّهم إذا علموا أن يعملوا، فإذا عملوا شُغلوا بذلك عن الناس، فإذا شُغلوا فُقدوا، وإذا فُقدوا طُلِبوا، وإذا طُلبوا هربوا، خوفًا على دينهم من الفتن.

۞ وكانوا دائمًا يؤثرون ويقدمون أعمال الآخرة على كل مصالحهم الدنيوية؛ لأن قلوبهم أيقنت وأذعنت لقول الله (جل وعلا): ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣-١٣٦).

(٢) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٣).

(٤) حسن: رواه النسائى (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٥٦).

ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[1].

قال ﷺ: «من كانت الآخرة هَمَّه جعل الله غِناهُ في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»[2].

وكان مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ يقول: «من خطب الدنيا طلبت منه دينه كله في صَداقها، لا يُرضيها منه إلا ذلك».

وقال عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ارتحلت الآخرة مقبلة، وارتحلت الدنيا مدبرة، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

۞ ومع ذلك كانوا يخافون من التقصير.. وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[4].

۞ وكانوا يشعرون مع كل هذا بأن أعمالهم ضئيلة لا تصلح أن يقفوا

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان: (١٨-١٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٤) سورة الحشر: الآية: (١٨).

بها بين يدى الله (جلَّ وعلا) وذلك لأنهم يعلمون أن النبى ﷺ قال: «**لو أن رجلًا يُجرُّ على وجهه من يوم وُلد إلى يوم يموت هرمًا فى مرصاة الله ﷻ لحَقره يوم القيامة**»(١).

۞ وكل ذلك جعل قلوبهم رقيقة ودموعهم غزيرة من خشية الله تعالى.

كان لعمر بن الخطاب فى وجهه خطان أسودان من كثرة الدموع. وكان ابن عباس رضي الله عنهما أسفل عينيه مثل الشراك البالى من كثرة البكاء.

وقال رسول الله ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين(٢).

وقال علىّ رضي الله عنه: رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فلم أرَ اليوم شيئًا يُشبههم، كانوا يصبحون شُعثًا صُفرًا غُبرًا، بين أعينهم أمثال رُكَبِ الماعز، قد باتوا سُجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا تمادوا كما يميد الشجر يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع، فو الله لكأنى بالقوم باتوا غافلين.

۞ وكان الواحد منهم إذا وقع فى ذنب فإنه يسارع بالتوبة والعودة إلى الله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٣).

سُئل سفيان بن عيينة رحمه الله: ما علامة التوبة النصوح؟ فقال: أربعة أشياء:

---

(١) حسن: رواه أحمد، والطبرانى، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٤٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٦٢١) كتاب تفسير القرآن.

(٣) سورة النور: الآية: (٣١).

قلة الدنيا وذلة النفس، وكثرة التقرب إلى الله تعالى بالطاعات ورؤية القِلة والنقص فى ذلك.

وكان عمر رضي الله عنه يقول: جالسوا التوابين فإنهم أرقّ أفئدة.

۞ وكانوا يخافون من الرياء وغيره من الآفات التى تُبطل الأعمال، فكان الواحد منهم يُخفى عمله عن أخيه، بل عن زوجته وأولاده خشية أن يحبط عمله بالرياء وغيره.

كان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول: قد رضى علماء زماننا هذا بالكلام وتركوا العمل. وقد كان السلف رضي الله عنهم يفعلون ولا يقولون، ثم صار الذين بعدهم يفعلون ويقولون، ثم صار الذين بعدهم يقولون ولا يفعلون، وسيأتى زمانٌ أهله لا يقولون ولا يفعلون.

بل لقد طلب الناس من سفيان بن عُيينة رحمه الله تعالى أن يجلس يُحدثهم فَأَبَى وقال: ما أنا بأهل أن أُحدث ولا أنتم بأهل أن تسمعوا، وما مثلى ومثلكم إلا كما قال القائل: افتضحوا فاصطلحوا.

۞ وكانوا يخافون من مظالم العباد خوفًا شديدًا؛ لأنهم يعلمون أن النبى ﷺ قال: «**من كانت لأخيه عنده مظلمة من عِرضٍ أو مالٍ فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل أُخذ من سيئات صاحبه فجُعلت عليه**»(١).

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة؛ ويأتى قد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا،**

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

فَيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح فى النار»[١].

۞ وكانوا يخافون من التقصير فى شكرهم لله (جل وعلا) قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٢].

وكان مجاهد ومكحول (رحمهما الله تعالى) يقولان فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٣] إنه الشراب البارد وظل المساكن، وشبع البطن، واعتدال الخلق، ولذة النوم.

وكان **سهل التسترى** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول: أداء الشكر لله تعالى أنك لا تعصيه بنعمه عليك، فإن جوارحك كلها من نعمه عليك فلا تعصِه بشىءٍ منها.

۞ ولذلك امتنَّ الله عليهم ورزقهم نعمة التقوى التى لا توازيها الدنيا بما فيها.

كان **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللهُ يقول: «لا يبلغ أحدٌ مقام التقوى حتى لا يكون له فعل ولا قول يفتضح به فى الدنيا والآخرة، وقد قال له رجل مَرة: متى يبلغ العبد سنام التقوى؟ فقال: إذ وضع جميع ما فى قلبه من الخواطر فى طبق، وطاف به فى السوق لم يستحِ من شىءٍ فيه.

وقال رجل **للفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أى البلاد تحب لى أن أقيم فيه؟

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).
(٣) سورة التكاثر: الآية: (٨).

فقال: ليس بينك وبين بلدٍ نسب، بل خير البلاد ما حملك على التقوى.

۞ وكانوا يخافون ربهم خوفًا عظيمًا ويرجون ثواب هذا الخوف، فقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2].

وقال ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»[3].

وقد قيل للشعبى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مرة: أَفْتِنَا أيها العالم، فقال: لا تقولوا لمثلى عالم، فإن العالم هو الذى تقطعت مفاصله من خشية الله.

وكان علىّ بن الحسين إذا توضأ اصفرَّ، فيقال له: ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدى مَن أريد أن أقوم.

۞ وكانوا يخافون من سوء الخاتمة ويهتمون بأمر الموت اهتمامًا عظيمًا.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال:** «كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول: «**يا مُقلب القلوب ثبِّت قلبى على دينك**»، فقلت: يا نبى الله آمنَّا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**»[4].

وقال ﷺ: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا**

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٤٦).

(٢) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠-٤١).

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٨٠١).

ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[١].

وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا رأى أحدًا يحمل جنازة يقول لها: امضِ إلى ربك فَإنَّا على إثرك مَاضُون.

وكان مكحول الدمشقي يقول إذا رأى جنازة: اغدوا فإنَّا رائِحوُن، موعظة بليغة قليلة، وغفلة شنيعة، يذهب الأول والآخر لا يعتبر.

وكان ثابت يقول: كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متلفعًا باكيًا. وذلك لأنهم كانوا يتذكرون جنازة أنفسهم، فلا يبكون على الميت، ولكن على أنفسهم.

فجدير بمن الموت مصرعه، والقبر مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، ألا يكون له فكر إلا في ذلك، ولا استعداد إلا له.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾[٢].

قال بعض السلف: إنما تقول الملائكة ذلك لمن طال خوفه من الله عز وجل وحزنه مما فرط منه، أما من لم يخف الله عز وجل ولم يحزن على ما فاته من الخير فلا يقال له شيء من ذلك[٣].

أخي الكريم.. أختي الفاضلة: كانت تلك بعض أحوال سلفنا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٠).

(٣) مستفاد من رسالة (من أخلاق السلف) للدكتور/ أحمد فريد (حفظه الله).

الصالح رضي الله عنهم مع الاستعداد للقاء الله بالطاعة والحب والخوف والرجاء ومحاسبة النفس، فتلك هى مؤهلات النجاة فى ذلك اليوم الذى يشيب لهوله الولدان.

فنسأل الله أن يتغمدنا بعفوه ومغفرته ورحمته

عِلْم السَّاعة غيبٌ لا يعلمه إلا الله

علم الساعة غيبٌ لا يعلمهُ إلا الله تعالى؛ كما دلَّت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوَّية؛ فإنَّ علم الساعة مما استأثر الله به، فلم يُطلع عليه مَلكاً مقرَّبًا ولا نبيًا مرسلاً[١]، فلا يعلم أحدٌ متى تقوم الساعة؛ إلا الله تعالى.

وكان النبى ﷺ يُكثِر من ذكر الساعة وأهوالها، فكان الناس يسألونه عن وقت قيام الساعة، فكان يخبرهم أن ذلك غيبٌ لا يعلمه إلا الله، وكانت الآيات القرآنية تتنزَّل مبيِّنةً أن علم الساعة مما اختصّ الله تعالى به نفسه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

فالله تعالى يأمر نبيه محمدًا ﷺ أن يخبر الناس أن علم الساعة عند الله وحده، فهو الذى يعلم جَليَّة أمرها، ومتى يكون قيامها؛ لا يعلم ذلك أحدٌ من أهل السماوات والأرض:

كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾[٣]. وكما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا

---

(١) ذهب البرزنجى فى الإشاعة إلى أن النبى ﷺ علم وقت الساعة، ونهى عن الإخبار بها، وهذا غلطٌ فاحشٌ منه.

انظر: «الإشاعة لأشراط الساعة» (ص ٣).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٨٧).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٦٣).

﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾(١).

فمنتهى علم الساعة إلى الله وحده.

ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن وقت الساعة - كما فى حديث جبريل الطويل - قال النبى ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»(٢).

فجبريل عليه السلام لا يعلم متى تقوم السَّاعة، وكذلك نبينا محمَّدٌ ﷺ.

وأيضًا؛ فإن عيسى عليه السلام لا يعلم متى تقوم السَّاعة، مع أنه ينزل قرب قيامها، وهو من علامات السَّاعة الكبرى؛ كما سيأتى.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ؛ قال: «لقيتُ ليلة أُسْرى بى إبراهيم وموسى وعيسى».

قال: «**فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لا عِلْمَ لِى بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لا عِلْمَ لِى بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ: أَمَّا وَجْبَتُهَا، فَلا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، ذَلِكَ وَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّى عز وجل أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، قَالَ: وَمَعِى قَضِيبَانِ، فَإِذَا رَآنِى، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُ اللهُ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ، وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ، إِنَّ تَحْتِى كَافِرًا، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُمُ اللهُ**»(٣).

فهؤلاء أولوا العزم من الرسل لا يعلمون متى تقوم السَّاعة.

---

(١) سورة النازعات: الآيات: (٤٢-٤٤).

(٢) «صحيح البخارى»، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبى ﷺ له، (١/ ١١٤ ـ مع الفتح).

(٣) «مسند أحمد» (٥/ ١٨٩) (ح٣٥٥٦)، تحقيق أحمد شاكر، وقال: «إسناده صحيح».

وروى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: «**تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ**»[١].

فهذا الحديث ينفى احتمال أن يكون عَلِمَها النبى ﷺ بعد سؤال جبريل عنها.

قال ابن كثير: «فَهَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ سَيِّدُ الرُّسُلِ وَخَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ، نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ، وَالْعَاقِبُ، وَالْمُقَفَّى، وَالْحَاشِرُ الَّذِي تُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيْهِ، مَعَ قَوْلِهِ فِيمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنهما: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»[٢] وَقَرَنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالَّتِي تَلِيهَا، وَمَعَ هَذَا كله قد أمره الله أَنْ يَرُدَّ عِلْمَ وَقْتِ السَّاعَةِ إِلَيْهِ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣][٤].

ومن زعم أن النبى ﷺ يعلم متى تقوم السَّاعة؛ فهو جاهلٌ؛ لأنَّ الآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة السَّابقة ترد عليه[٥].

والساعة إحدى مفاتح الغيب الخمسة التى هى من مكنونات علم الله:

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب بيان معنى قوله ﷺ: «**على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة**» (١٦/ ٩٠-٩١-مع شرح النووى).

(٢) صحيح البخارى»، كتاب الرقاق، باب قول النبى ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**» (١١/ ٣٤٧).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٨٧).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٢٦).

(٥) أشراط الساعة (ص ٥٨-٦٠) بتصرف.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[1].

وفى صحيح البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلّا اللهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾»[2][3].

---

(١) سورة لقمان: الآية (٣٤).

(٢) صحيح: رواه البُخارى (٤٦٢٧).

(٣) الفوائد (ص: ١٧٢-١٧٣).

اقتربت الساعة

قال ﷺ: «اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصًا ولا يزدادون من الله إلا بُعدًا»[١].

تدلُّ الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة على قُرب الساعة ودُنوِّها؛ فإن ظهور أكثر أشراط الساعة دليلٌ على قُربها وعلى أننا فى آخر أيام الدُّنيا:

قال الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[٥].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالَّة على قرب نهاية هذا العالم الدنيوى، والانتقال إلى دار أخرى، ينالُ فيها كل عاملٍ عملَه، إن خيرًا؛ فخير، وإن شرًا؛ فشرّ.

قال ﷺ: «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين»، ويشير بأصبعيه، فيمدهما[٦].

وقال ﷺ: «بُعثْتُ فى نَسَم الساعة»[٧].

---

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٤٦).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٦٣).

(٤) سورة المعارج: الآيتان: (٦-٧).

(٥) سورة القمر: الآية: (١).

(٦) أخرجه البخارى (١١/ ٣٤٧) الرقاق/ باب بُعثت أنا والساعة كهاتين.

(٧) رواه الدولابى فى (الكُنى) (١/ ٢٣) وابن منده فى (المعرفة) (٢/ ٢٣٤/ ٢) وأورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٠٨).

وقال ﷺ: «**إنما أجلكم - فى أجل مَن خلا من الأمم - ما بين صلاة العصر ومغرب الشمس**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ **قال**: كنا جُلوسًا عند النبى ﷺ، والشمس على قُعيقِعان(٢) بعد العصر فقال: «**ما أعماركم فى أعمار مَن مضى إلا كما بقى من النهار وفيما مضى منه**»(٣).

وهذا يدلُّ على أن ما بقى بالنسبة إلى ما مضى شيءٌ يسير، لكن لا يعلم مقدار ما مضى إلا الله تعالى، ولم يجىء فيه تحديدٌ يصحُّ سنده عن المعصوم حتى يُصارَ إليه، ويُعْلَم نسبة ما بقى بالنسبة إليه، ولكنه قليلٌ جدًا بالنسبة إلى الماضى»(٤).

وليس هناك أبلغ من قوله ﷺ **فى تقريب الساعة**: «**بُعثْتُ أنا والساعة جميعًا، إن كادت لتسبقنى**»(٥). فهذا إشارة إلى شدَّة قُربها من بعثته ﷺ، حتى خشى سبقها له لعِظَم القُرب.

۞ **قد يُقال**: كيف يكون قريبًا ما مضى على الإخبار بقرب وقوعه ألف وأربعمائة عام؟ والجواب أنه قريب فى علم الله وتقديره، وإن كانت

---

(١) «صحيح البخارى»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بنى إسرائيل، (٦/ ٤٩٥ ـ مع الفتح).

(٢) (قُعيقِعان)؛ بضم القاف الأولى، وكسر الثانية، بلفظ التصغير: جبل بمكة فى جنوبها بنحو اثنى عشر ميلًا وسُمى قعيقعان؛ لأن جُرهمًا لما تحاربوا كثرت قعقعة السلاح هناك. ويظهر أن كلام النبى ﷺ هذا كان فى حجة الوداع أو فى غزوة فتح مكة، وكان ابن عمر شهدهما مع الصحابة. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٨٨)، و«شرح مسند أحمد» (٨/ ١٧٦) لأحمد شاكر.

(٣) رواه أحمد (٨/ ١٧٦) وصحح إسناده أحمد شاكر.

(٤) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ١٩٥).

(٥) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد والطبرانى وسنده حسن (فتح البارى) (١١/ ٣٤٨).

المقاييس البشرية تراه بعيدًا ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[١].

والأمر الذى ينبغى أن يُنتبه إليه أن الباقى من الدنيا قليل بالنسبة لما مضى منها، فإنك إذا وضعت لمن لك عليه دَين أجلًا طويلًا، كأن توجله خمسين عامًا مثلًا، فإذا انقضى من الخمسين خمسة وأربعون، فيكون موعد السداد قد اقترب بالنسبة لما مضى من الموعد المضروب[٢].

أقول: ومن المعلوم أن أيام الآخرة لا تُقاس بأيام الدنيا فقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٣].

(١) سورة المعارج: الآيتان: (٦-٧).

(٢) القيامة الصغرى / د. عمر الأشقر (ص ١٢١-١٢٢).

(٣) سورة الحج: الآية: (٤٧).

الساعة تأتي بغتة

والساعة تأتى بغتة لأنه لا يعلم موعدها ولا وقتها على الحقيقة إلا الله ﷻ.

قال ﷺ: «... ولتقومن الساعةُ وقد نشرَ الرجلانِ ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانِهِ ولا يطويانه، ولتقومنَّ الساعةُ وقد انصرفَ الرجلُ بلبن لقحته فلا يطعمهُ، ولتقومن الساعةُ وهو يَليط حوضهُ فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعةُ وقد رفعَ أكلته إلى فيه فلا يَطعمها»(١).

وقال ﷺ: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه - أى: فمه - حتى تقوم والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم. والرجل يَلطُ فى حوضه(٢) فما يصدر حتى تقوم»(٣).

لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»(٤).

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يُقال فى الأرض: الله الله»(٥).

۞ بل لقد أخبر الحبيب ﷺ عن حال هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة بكل ما فيها من شدائد وأهوال... فبعد أن ذكر النبى ﷺ هلاك المسيح الدجال على يدى عيسى عليه السلام قال: «ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبعَ سِنِين. لَيْس بَيْنَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٤١)، ومسلم (١٥٧).

(٢) يلط فى حوضه: أى يُطينه ويُصلحه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٤).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٤٨).

اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ. ثُمَّ يُرْسِلُ الله ريحًا بَاردَةً مِنْ قِبلِ الشَّام. فَلا يَبْقى على وَجْه الأَرْضِ أحَدٌ فى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرةٍ مَنْ خَيْرٍ أَوْ إيمانٍ إلا قبَضتْهُ. حَتَّى لوْ أَنَّ أحَدَكُمْ دَخَلَ فى كَبد جَبَل لَدَخَلَتْهُ عَلَيْه، حَتَّى تَقبضهُ»... ثم قال ﷺ: «فَيَبْقى شِرارُ الناسِ فِى خِفَّة الطَّيْر وَأَحْلام السِّباعِ. لا يَعْرفُونَ مَعْرُوفًا ولا يُنكِرونَ مُنكرًا. فيَتمثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: ألا تَسْتجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تأمرُنا؟ فيَأمُرُهُمْ بِعبَادَةِ الأوثَانِ. وَهُمْ فِى ذَلِكَ دَارٌ رِزقُهُمْ، حَسَنٌ عَيشُهُمْ. ثُمَّ يُنفَخُ فى الصُّورِ...»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦) (٢٩٤٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة.



ما الحكمة من وراء إخفاء وقت وقوع الساعة؟

۞ قد يتساءل البشر قائلين:

ما الحكمة من وراء إخفاء الوقت الذى تحل فيه الساعة، وتقوم فيه القيامة؟ والجواب: أن إخفاءها له تعلُّق بصلاح النفس الإنسانية، فوقوعها غيب، والأمر العظيم الذى يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدرى متى يفجؤه، ويحل فيه بساحته - يجعل المرء مترقبًا له باستمرار.

۞ يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى: «والمجهول عنصر أساسى فى حياة البشر وفى تكوينهم النفسى. فلا بد من مجهول فى حياتهم يتطلعون إليه.

ولو كان كل شىء مكشوفًا لهم- وهم بهذه الفطرة- لوقف نشاطهم وأَسِنت حياتهم. فوراء المجهول يجرون. فيحذرون ويأملون، ويجربون ويتعلمون. ويكشفون المخبوء من طاقاتهم وطاقات الكون من حولهم ويرون آيات الله فى أنفسهم وفى الآفاق ويُبدعون فى الأرض بما شاء لهم الله أن يبدعوا.. وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد، يحفظهم من الشرود، فهم لا يدرون متى تأتى الساعة، فهم من موعدها على حذرٍ دائم وعلى استعدادٍ دائم. ذلك لمن صحَّت فطرته واستقام. فأما من فسدت فطرته واتبع هواه فيغفل ويجهل، فيسقط ومصيره إلى الردى»[1].

---

(١) اليوم الآخر فى ظلال القرآن، جمع وإعداد أحمد فائز (ص ٩٨).

إخبار النبي ﷺ عن بعض الغيوب المستقبلية

۞ لقد أخبر النبى ﷺ بما يكون إلى قيام الساعة، وذلك مما أطلعه الله عليه من الغُيوب المستقْبَلة ... والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جدًّا، حتى بلغت حَدَّ التواتر المعنوى(١).

فمنها ما رواه **حُذَيْفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ(٢).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَخْبَرَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّى لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ(٣).

ولم يكن ذلك خاصًّا بحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل لقد خطب النبى ﷺ يومًا كاملًا؛ ليبيِّن للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة.

فقد روى **أَبُو زَيْدٍ عَمْرو بْنَ أَخْطَبَ الأَنْصَارِىّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَت الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَت الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ» فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا(٤).

---

(١) «الشفا بتعريف أحوال المصطفى» (١/ ٦٥٠) للقاضى عياض.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠٤) كتاب القدر، ومسلم (٢٨٩١) كتاب الفتن.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩١) كتاب الفتن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٢) كتاب الفتن.

وقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ﷺ: وَاللهِ إِنِّى لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِىَ كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِى إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسَرَّ إِلَيَّ فِى ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِى، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «**مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ**» قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِى(١).

فهذه أدلة صحيحة على أنَّ النبى ﷺ قد أخبر أمَّته بكل ما هو كائنٌ إلى قيام الساعة ممَّا يخصُّهم.

ولا شكَّ أن أشراط الساعة قد نالت من الإخبار بالغيب النصيب الأوفر، ولهذا جاءت أحاديث أشراط الساعة كثيرة جدًّا، ورُويَت بألفاظ مختلفة؛ لكثرة مَن نقلها من الصحابة ﷺ(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩١) كتاب الفتن.

(٢) أشراط الساعة / د. يوسف الوابل (ص ٥٣-٥٥).

معنى أشراط الساعة(١)

۞ الشَرَطُ - بفتحتين-: هو العلامة، جمعه: أشراط، وأشراط الشيء: أوائله، ومنه: شُرَط السلطان، وهم نُخْبَةُ أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده، ومنه: الاشتراط الذى يشترطه النَّاس بعضهم على بعض، فالشرط علامة على المشروط(٢).

۞ **الساعة لغة:**

جزءٌ من أجزاء الليل والنهار، جمعها: ساعات، وساع، والليل والنهار معًا أربع وعشرون ساعة.

وأشراط الساعة: علاماتها(٣)، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾(٤).

قال الحافظ ابن حجر: «هى العلامات التى يعقبها قيام الساعة»(٥).

وقد أطلق بعض العلماء على «الأشراط» اسم «الآيات»؛ و«الآيات» هى الأمارات الدالة على الشيء، كالأمارات التى تُنصَبُ فى الصحراء؛ دالة على الطريق، أو توضع على الشاطئ؛ لتهدىَ السفن، أو توضع فى طريق المسافرين؛ لتدلهم على ما يقصدون من الأماكن.

---

(١) من كتاب (فقه أشراط الساعة)/ د. محمد إسماعيل المقدم (حفظه الله).

(٢) انظر: «لسان العرب» (٧/ ٣٢٩)، و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٦٠).

(٣) «مختار الصحاح» (ص ٣٢٤).

(٤) سورة محمد: الآية: (١٨).

(٥) «فتح البارى» (١٣/ ٧٩).

قال الطيبى: «الآيات: أماراتٌ للساعة، إمَّا على قُربها، وإمَّا على حصولها، فمن الأول: الدَّجَّال، ونُزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف، ومن الثانى: الدُّخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابة، والنَّار التى تحشر الناس»[١].

۞ معنى الساعة اصطلاحًا:

الوقت الذى تقوم فيه القيامة، وسُمِّيَتْ بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنَّها تفجأ النَّاس فى ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحةٍ واحدةٍ[٢].

وقال الراغب فى «المفردات»: [الساعة: جزء من أجزاء الزَّمان، ويُعبَّر به عن القيامة، قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾[٤]، وقال ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٥].

تشبيهًا بذلك لسرعة حسابه، كما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾[٦]. أو لِما نبَّه عليه بقوله تبارك وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾[٧]. وقوله سبحانه: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾[٨]. وقوله ﷻ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٍ﴾[٩]. فالأولى: هى القيامة، والثانية:

(١) «فتح البارى» (١٣/ ٣٥٢).

(٢) انظر: «لسان العرب» (٨/ ١٦٩)، «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٢٢).

(٣) سورة القمر: الآية: (١).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٨٧).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٨٥).

(٦) سورة الأنعام: الآية: (٦٢).

(٧) سورة النازعات: الآية: (٤٦).

(٨) سورة الأحقاف: الآية: (٣٥).

(٩) سورة الروم: الآية: (٥٥).

الوقت القليل من الزمان.

وقيل: الساعات - التي هي القيامة - ثلاث:

السَّاعة الكُبرى[١]: هي بعث الناس للمحاسبة، وهي التي أشار إليها بقوله عليه السلام: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ**»[٢].

إلى غير ذلك، وذكر أمورًا لم تحدث في زمانه ولا بعده.

والسَّاعة الوُسطى: وهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو ما رُوِيَ أنَّه رأى عبد الله بن أُنيس[٣]، فقال: «**إِنْ يَطُلْ عُمرُ هَذَا الغُلَامِ لَمْ يَمُتْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[٤].

والسَّاعة الصغرى: وهي موت الإنسان، فساعةُ كلِّ إنسانٍ موتُه، وهي المشارُ إليها بقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾[٥]،

---

(١) وإذا أُطلقت الساعة في القرآن الكريم، فالمراد بها القيامة الكبرى: قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، أي: عن القيامة، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، أي: اقتربت القيامة.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٦٢) رقم (٦٥١٤)، من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بلفظ: «**لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة**» الحديث، وقال الشيخ: أحمد شاكر: «إسناده صحيح» (١٠/ ٢٠).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «إن ما ذكره عن عبد الله بن أُنَيس لم نقف عليه، ولا هو آخر من مات من الصحابة هَرِمًا». اهـ. من «فتح الباري» (١١/ ٣٦٤).

(٤) وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: «**إن يعش هذا لم يدركه الهرم؛ قامت عليكم ساعتكم**»، رواه البخاري (١١/ ٣٦١- الفتح)، ومسلم (١٨/ ٩٠- النووي).

والمراد بساعتهم: موتهم، فهو ساعة المخاطبين، كما في «الفتح» (١١/ ٣٦٣)، وانظر: «تفسير المنار» (٩/ ٣٨٧).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (٣١).

ومعلوم أن هذه الحسرة تنال الإنسان عند موته، لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[1]، وعلى هذا قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾[2].

وعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله إِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفت ذَلِكَ عَائِشَة: فَسَأَلْتهُ، فقَالَ: «**لَعَلَّهُ، يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ**: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[3][4][5].

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: «قال علماؤنا: واعلم أنَّ كُلَّ ميت مات فقد قامت قيامته[6]، ولكنها قيامة صغرى وكبرى، فالصُّغرى: هي ما يقوم بكل إنسان في خاصته من خروج روحه، وفراق أهله، وانقطاع سعيه، وحصوله على عمله إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر، والقيامة الكبرى هي التي تعم النَّاس وتأخذهم أخذة واحدة»[7].

وقد ذكر الله تعالى القيامتين الصُّغرى والكُبرى في القرآن الكريم، فتجده يذكر القيامتين في السورة الواحدة؛ كما في سورة الواقعة؛ فإنَّه ذكر في أولها القيامة الكبرى، فقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ

---

(١) سورة المنافقون: الآية: (١٠).
(٢) سورة الأنعام: الآية: (٤٠).
(٣) سورة الأحقاف: الآية: (٢٤).
(٤) رواه مسلم: (١٤/ ٨٩٩).
(٥) «المفردات» (ص ٤٣٤، ٤٣٥) بتصرف.
(٦) أي: من مات فقد دخل في حكم الآخرة.
(٧) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، نقلًا عن «القيامة الصغرى» للأشقر، (ص ٢).

﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[1].

ثم فى آخرها ذكر القيامة الصُّغرى، وهى الموت، فقال: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[2].

وذكر القيامتين -أيضًا- فى سورة القيامة، فقال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[3]، وهذه القيامة الكبرى.

ثم ذكر الموت، فقال: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾[4]، وهو القيامة الصُّغرى.

---

(١) سورة الواقعة: الآيات: (١-٧).

(٢) سورة الواقعة: الآيات: (٨٣-٨٥).

(٣) سورة القيامة: الآية: (١).

(٤) سورة القيامة: الآية: (٢٦).

أقسام أشراط الساعة

۞ تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

(١) أشراط صُغرى:

وهى التى تتقدَّم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد؛ كقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول فى البنيان ... ونحوها، وقد يظهر بعضها مصاحبًا للأشراط الكُبرى، أو بعدها.

(٢) أشراط كبرى:

وهى الأمور العِظام التى تظهر قُرب قيام السَّاعة، وتكون غير معتادة الوقوع؛ كظهور الدَّجَّال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها[١].

۞ وقسَّم بعض العلماء أشراط الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام[٢]:

١- قسم ظهر وانقضى.

٢- قسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر.

٣- قسم لم يظهر إلى الآن.

فأما القسمان الأولان؛ فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأما القسم الثالث؛ فيشترط فيه الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى[٣].

---

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبى (ص ٦٢٤)، و«فتح البارى» (١٣/ ٤٨٥).

(٢) انظر: «فتح البارى» (١٣/ ٨٣-٨٤)، و«الإشاعة لأشراط الساعة» (ص ٣) للبرزنجى، و«لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية» (٢/ ٦٦) للعلامة محمد بن أحمد السفارينى الحنبلى.

(٣) «أشراط الساعة» (ص ٧٧-٧٨).

لماذا نتكلم عن أشراط الساعة؟

۞ كل أمر يبحثه الإنسان ويتحدث عنه لا بدّ أن يكون له ثمرات يجنيها من بحثه وعمله.

فهل البحث فى أشراط السّاعة ومعرفتها له ثمرات نعيشها فى حياتنا؟

أم هو مجرد معلومات يضيفها المرء إلى رصيده الثقافى دون أن يكون له تأثير فى الواقع؟

۞ **الجواب:**

أنه قد ورد فى القرآن والسنة ذكر أشراط الساعة؛ ولهذا فوائد عديدة يجدها الإنسان فى حياته، من ذلك:

(١) **تحقيق الإيمان بالغيب**، وهو ركن من أركان الإيمان الستة.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١].

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»[٢].

والإيمان بالغيب يعنى الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ، أو أخبر به رسوله ﷺ وصَحَّ به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنَّا، نعلم أنه حق، وصدق.

ومن ذلك أشراط السَّاعة، مثل خروج الدَّجَّال ، ونزول عيسى ابن مريم

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان.

عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدَّابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صحَّ به النقل.

(٢) **وفي معرفة أشراط الساعة حثُّ النفس على طاعة الله والاستعداد ليوم القيامة**، ففيه إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة، وعدم الركون إلى الدنيا، وهذا ما فعله المصطفى ﷺ مع مَن حوله حينما علم بقرب أحد أشراط الساعة،.... ففى الصحيحين أن النبى قام من الليل، وقال: «**ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من سدِّ يأجوج ومأجوج...**» الحديث، وفيه: «**أيقظوا صواحب الحُجر يُصلين فَرُبَّ كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة**».

(٣) **أن فيها بيانًا لأحكام شرعية ومسائل فقهية:**

ففى قصة مكوث الدَّجَّال فى الأرض، يوم كسنة ويوم كشهر، سأل الصَّحابة النبى ﷺ عن أيَّام الدَّجَّال الطويلة التى يمكث فيها على الأرض، فقالوا: «**أتكفى فى اليوم الواحد منها صلاة يوم؟!**» فقال النبى ﷺ: «**لا .. اقدروا له قدره**». فاستفدنا من ذلك كيف يصلى المسلمون المقيمون فى بلدان يستمر فيها النهار أو الليل أشهرًا.

(٤) **معرفة النبي ﷺ بأشراط الساعة، وهي أمور غيبية لا تُدرَك بالظن والتخمين**، فيه دلالة على صدق رسالته وأنه رسول من عند الله عز وجل فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة.. قال عز وجل: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[1].

(٥) **أن معرفتنا لأشراط الساعة يفيدنا في التعامل معها بالطريقة الشرعية**، حتى لا يلتبس علينا أمرها، مثل إخبارنا عن الدجال بالتفصيل، ووصف

---

(١) سورة الجن: الآيتان: (٢٦-٢٧).

عينه وجبينه والأشياء التى معه؛ حتى لا نقع فى فتنته بل نعرف أنه دجال.

(٦) **التهيؤ النفسي لما سيكون مستقبلاً**، بخلاف ما إذا كان الأمر مفاجئًا.

(٧) **فتح باب الأمل**؛ لأن من أشراط الساعة ما فيه نصر للإسلام، ونشره فى الأرض، وأن دين اليهود والنصارى سيزول؛ وذلك بناء على البشارات النبوية بالتمكين للإسلام، وظهوره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

(٨) **إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان**، التى تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه ومعرفة ما يحدث فى المستقبل من وقائع وأحداث، مع تحقيق الشارع ﷻ للأخبار الصادقة فى شأن هذه المغيبات.

وإذا كان الإسلام سَدَّ طُرق الدجالين الذين يدَّعون الاطلاع عليها، كالمنجمين، والعرافين، والكُهَّان ونحوهم، إلا أنه أطلعنا من خلال الوحى على كثير من هذه الأحداث المستقبلية وهى أشراط الساعة.

(٩) **أن الإيمان بأشراط الساعة يقوي الإيمان ويزيده**:

فوقوع مثل هذه العلامات يوكِّد صدق الدين الذى أنت عليه.

إلى غير ذلك من الثمرات التى لها تأثير فى حياتنا[1].

---

(١) نهاية العالم / د. محمد العريفى (ص ٣-٦).

لا يجوز الاشتغال بتحديد وقت الساعة

تساءل الناس عن وقت الساعة كثيرًا، ووجَّهوا أسئلتهم للرسول ﷺ، وجاء الجواب من مُنزل الكتاب، إن الساعة غيب، ومعرفة الزمن الذى تقع فيه من خصائص علم الله، ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[1] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ (٤٤) إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[2].

إن هذا العلم لم يُطلع الله عليه مَلَكًا مُقربًا، ولا نبيًّا مرسلًا، ولذلك قال الرسول ﷺ لجبريل حينما سأله عن الساعة «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[3].

فالبحث فى هذا الأمر، والزعم أن الساعة ستقع فى عام بعينه تَقَوُّل على الله بغير علم ... والخائضون فى ذلك مخالفون للمنهج القرآنى النبوى الذى وجَّه الناس إلى ترك البحث فى هذا الموضوع، ودعاهم إلى الاستعداد لهذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح.

والذين يبحثون فى هذا المجال يظنون أنه يمكنهم أن يعلموا ما لم يعلمه الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام، وكفى بذلك واعظًا ورادعًا لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، ونحن نقول لهم: ينبغى أن يسعكم ما وسع الرسول ﷺ وأصحابه وأئمة هذه الأمة على مدار التاريخ.

ولو كان فى معرفة الوقت صلاح وخير للبشر، لأخبر الله به البشر، ولكنه

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦٣).

(٢) سورة النازعات: الآيات: (٤٢-٤٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

حجب ذلك عنهم، وفى ذلك صلاحهم.»[١].

ولذلك لما جاء الرجل يسأل النبى ﷺ ويقول: متى الساعة؟ وإذا بالنبى ﷺ يصرفه عن المهم إلى الأهم فقال له ﷺ: «**وماذا أعددت لها؟**»[٢] .... أى: ليس من المهم أن تعلم متى الساعة ولكن الأهم أن تكون أنت مستعدًّا لتلك اللحظة الحاسمة التى تقف فيها بين يدى الله ﷻ ليسألك عن كل صغيرة وكبيرة.

---

(١) القيامة الصغرى (ص ١٢٧-١٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة.

قواعد في التعامل مع أشراط الساعة

وهناك قواعد لابُدَّ أن نتعامل من خلالها عندما نتحدث عن أشراط الساعة... ومنها:

(١) الاقتصار على نصوص القرآن والسنة الصحيحة في الاستدلال:

وذلك لأنهما المصدر الذى يمكن منه معرفة الغيبيات ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[(١)]، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[(٢)]، فقد يخبر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ ببعض المغيبات لمصالح دينية، ومنها أشراط الساعة، وهى غيب مستقبلى.

أما معرفة أشراط الساعة من خلال الإسرائيليات، أو الرؤى والمنامات، أو تنزيل الأحداث السياسية على أنها من أشراط الساعة من غير دليل على ذلك، فلا يصح.

وكذلك لابُدّ أن يكون النصّ المستدل به صحيحًا، سواء كان منسوبًا إلى النبى المعصوم ﷺ، أو أحد من الصحابة الكرام.

(٢) مراجعة العلماء الثقات في هذا الباب:

الواجب على من وقع فى نفسه شيء فى هذا الباب ألا يتعجل فى إظهاره قبل عرضه على أهل العلم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)]، وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ

---

(١) سورة النمل: الآية: (٦٥).

(٢) سورة الجن: الآيتان: (٢٦-٢٧).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٧).

مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١).

وقد كانت هذه طريقة السلف الصالح، ومن ذلك ما جاء فى خبر أبى الطفيل رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ بِالْكُوفَةِ، فَقِيلَ: خَرَجَ الدَّجَّالُ، قَالَ: فَأَتَيْنَا عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ وَهُوَ يُحَدِّثُ، فَقُلْتُ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَأَتَى عَلَىَّ الْعَرِّيفُ(٢)، فَقَالَ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يُطَاعِنُونَهُ، قَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَنُودِىَ إِنَّهَا كَذِبَةٌ صَبَاغٌ، قَالَ: فَقُلْنَا يَا أَبَا سَرِيحَةَ مَا أَجْلَسْتَنَا إِلَّا لِأَمْرٍ فَحَدِّثْنَا، قَالَ: «إِنَّ الدَّجَّالَ لَوْ خَرَجَ فِى زَمَانِكُمْ لَرَمَتْهُ الصِّبْيَانُ بِالْخَذْفِ، وَلَكِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ فِى بُغْضٍ مِنَ النَّاسِ(٣)، وَخِفَّةٍ مِنَ الدِّينِ، وَسُوءِ ذَاتِ بَيْنٍ، فَيَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ، فَتُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ طَىَّ فَرْوَةِ الْكَبْشِ...» الحديث(٤).

(٣) حدِّثوا الناس بما يعقلون:

يتساهل عدد من المتحدثين فى أشراط الساعة، بسرد الأحاديث والكلام عن الأشراط مع عامة الناس، أو حديثى الإسلام ممن قد لا

(١) سورة النساء: الآية: (٨٣).

(٢) العريف: هو القيّم بأمور الجماعة من الناس، والمسؤول عن شؤونهم. انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

(٣) أى: تباغض وحسد ينتشر بينهم.

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك (٨٦٥٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال الشيخ مصطفى العدوى: «وفى بعض رجاله كلام يسير، ففى إسناده معاذ بن هشام فيه كلام ينزل بحديثه إلى درجة الحسن، وفيه قتادة مدلس وقد عنعن، إلا أنَّ الرَّاوى عنه هو هشام بن أبى عبد الله الدستوائى، وهو من أروى الناس عنه ومن أثبت الناس فيه» انظر: الصحيح المسند من الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٥٠٧)، ورواه عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر عن قتادة مرسلًا، وهو الصواب

تستوعب عقولهم ما يسمعون.

ومن المقرر أنه ليس كل ما يُعلَمُ يُقال، ولا كل صحيح صالح للنشر، لقصور العقول أحيانًا عن تحمُّله، أو لسوء التعامل معه، أو لعدم تنزيل الكلام منازله الصحيحة .... فعن على رضي الله عنه قال: «حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبُّون أن يُكذَّب الله ورسوله؟»(١).

وفى رواية: «أيها الناس، تحبون أن يكذب الله ورسوله؟ حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون»(٢).

وقال ابن مسعود: «ما أنت بمُحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(٣)(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٢٧) كتاب العلم.

(٢) رواه مسلم فى مقدمة الصحيح.

(٣) رواه مسلم فى مقدمة الصحيح.

(٤) نهاية العالم (٨-١١) بتصرف.



قواعد تنزيل نصوص وأشراط الساعة على الواقع[1]

ظهرت فى أزمانٍ من الفتور سابقة ولاحقة محاولات متعددة فى تنزيل أحاديث أشراط الساعة على الواقع، والجزم بذلك كما تقدم.

لذا رأيت أن أسوق عددًا من القواعد فى تنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع:

۞ القاعدة الأولى: لسنا مُطالَبين بتنزيل أحاديث أشراط الساعة على الواقع:

لما كان الإنسان بفطرته حاضرًا بجميع حواسه ليومه وساعته، تشدُّه الأحداث بما لا تشدّ غيره من اللاحقين له، الذين لا تحضر حواسّهم ومداركهم جميعها لأحداث ماضيهم، يعظم الحاضر أحداث زمانه ويهولها، وصغائر المصائب الحاضرة أعظم من كبائرها الغابرة، كما قيل:

يا زمانًا بكيت منه ... فلما صرت فى غيره بكيت عليه

لذا فالشاهد يُنزل أشراط الساعة، ومقدماتها على يومه وليله وما يشاهده، وإن مضى فى التاريخ ما هو أعظم منها، لقلة أثرها عليه، أو للجهل بها أصلًا.

ويسوغ الاجتهاد لأهل العلم والمعرفة والورع فى أشراط الساعة وتنزيلها، كما اجتهد عمر رضي الله عنه بأن ابن صياد هو الدّجّال، مع شهود النبى ﷺ ولم ينكر عليه.

ولكن إن لزم من هذا الاجتهاد انشقاق الصف المسلم، أو كان لهذا

(١) بتصرُّف من نهاية العالم / د. محمد العريفى.

الاجتهاد تبعات شرعية ولوازم مردُّها الدليل، مُنع الإنسان من ذلك وزُجر إلا ببينة، كلزوم القتال والفتنة أو استباحة العرض أو شق الصف، فهذا لا يجوز إلا بدليل مستقل من الوحى.

۞ القاعدة الثانية: ليس شرطًا أن يكون وقوع أشراط الساعة قريبًا من قيامها فقد تتقدم عليها بزمن طويل:

أشراط الساعة هى علامات تدل على تقارب وقوعها، سواء كانت هذه العلامة قريبة من ساعة وقوعها، أو بعيدة عنها.

فمثلًا قال ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»، وَيَقْرِنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[1]، وهذا يدل على أن بعثته ﷺ وموته هى علامات لقرب قيام الساعة، وإن كانت غيرها من العلامات التى وقعت بعدها أقرب زمنًا إلى الساعة منها.

ويمكن أن نقسم أشراط الساعة من حيث وقت وقوعها إلى أقسام:

منها: ما وقع واضحًا تمامًا كما أخبر النبى ﷺ كما فى بعثته وموته، وظهور مُدَّعى النبوة ...

ومنها: ما وقعت أوائله، ولا يزال يزداد، كما فى تقارب الأسواق، وانتشار الكتابة، وكثرة الهرج (القتل).

ومنها: ما لم يقع بعد، وسوف يقع، كخروج الدابة، والدجال.

۞ القاعدة الثالثة: خطورة التنزيل الخاطئ لأحاديث أشراط الساعة على الواقع:

(١) **أنه قول بغير علم ورجم بالغيب:**

لأنك إذا جزمت بأنَّ العلامة الواردة فى الحديث وقعت فى كذا وكذا ..

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٠٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥١) كتاب الفتن.

افتقر هذا إلى بيّنة أو قرينة من الشرع أو النظر، ولا بينة فيه، ولا قرينة، ولا يليق بمؤمن صادق أُمر بالتحرى أن يُطلق لسانه فى أمور الشريعة وأخبارها بما لا علم له به.

(٢) القيام بعمل غير مشروع أو ترك العمل المشروع:

فبعض الناس قرأ كتبًا تكلَّمت عن خروج المهدى، وجزم مؤلفوها بأن المهدى هو فلان؛ فصار بعض القراء ينتظرون المهدى، ويرتبون أمورهم على ظهوره؛ فمنهم من اشترى فرسًا وسيفًا استعدادًا للملاحم والسنوات القادمة.

ومنهم من ترك الزواج وبناء البيت؛ بناءً على أن خروج الدجال قاب قوسين أو أدنى .. إلى غير ذلك.

(٣) أن يؤول إلى مفاسد كبرى كتكذيب الله ورسوله ﷺ:

كما لو جُزم مثلًا أن المقصود بالمهدى هو فلان، ثم تبيّن خلاف ذلك، فقد يؤدى هذا بالناس إلى التكذيب بأحاديث المهدى، ومثل ذلك الجزم بغيرها من العلامات دون يقين تامٍّ بصحّة تنزيلها على الواقع.

ثمرات الإيمان بأشراط الساعة(١)

إنَّ قيام الساعةِ الذى يعنى نِهَايَةَ نِظَام هذا العالم، هو من أعظم الأحداث بعد خلق العالم، بل إن تغيير النظام الكونى وإيجاد نظام آخر حَدَثٌ يَعْدِلُ خلق العالم أول مرة؛ ولذلك تسبقه أحداثٌ كبرى خارقةٌ للعادة، تكون كالمقدمة له.

والإيمان بأشراط الساعة داخلٌ ضمن الإيمان باليوم الآخر؛ فهو من الإيمان بالغيب؛ ولهذا الإيمان ثمراتٌ وفوائدُ نحاول أن نُجْمِلَهَا فيما يلى:

أولًا: تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر، باعتبار أن أشراط الساعة من مقدماته، كما أنه من الإيمان بالغيب الذى قال فيه ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيُؤْمِنُوا بِى، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(٣).

وفى الصحيح أنَّ جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة، وأن النبى ﷺ قال فى آخره: «**فإنَّهُ جبريل أتاكم يُعلمكم دينكم**»(٤)، والشاهد أنه عدَّ ما يتعلق بأمارات الساعة من الدين.

ثانيًا: إشباع الرغبة الفطرية(٥) فى الإنسان التى تتطلع لاستكشاف ما

---

(١) بتصرف من كتاب (فقه أشراط الساعة) / د. محمد إسماعيل المقدم (حفظه الله).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

(٥) وهذا ما يعبر عنه «علم النفس» بحب الاستطلاع Curiosity، ويقولون فى تعريفه: «ميلٍ

غاب عنه [(١)]، واستطلاع ما يحدث فى المستقبل من وقائع وكائنات، وإذا كان الإسلام سَدَّ طُرُقَ الدَّجَّالين الذين يدَّعون الاطلاع عليها؛ كالمُنجِّمين، والعرَّافين، والكُهَّان، ونحوهم، إلا أنَّه - استجابة لأشواق الفطرة - أطلعنا - من خلال نافذة الوحى - على كثير من هذه الأحداث [(٢)].

إن إخفاء وقت الساعة له أثر بليغ فى إصلاح النفس البشرية، فالأمر العظيم الذى يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدرى متى يفجئه؛ يجعل المرء مترقبًا له، متشوقًا إليه؛ لأن المجهول عنصر أساسٌ فى حياة البشر، وفى تكوينهم النفسى، فلا بُدَّ من مجهول فى حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل شىء مكشوفًا لهم - وهم بهذه الفطرة - لَوَقَفَ نشاطهم، وأَسِنتْ حياتهم.

ثالثًا: إن الإخبار عن الغيوب المستقبلية - باعتبار ما فيها من خَرقٍ للعادة - من أهم دلائل النبوة؛ حيث إنها تتضمن تَحَدِّيًا لعقول البشر أجمعين، فهذه أمور غيبية لا تُدْرَكُ بالعقل، ولا يمكن معرفة كُنْهِها على الحقيقة إلا من خلال الوحى الصادق من الله تعالى إلى رسوله ﷺ

وقد صدرت منه لا على أنها توقعات تعتمد على مقدمات تؤدى إلى

= يدفع الفرد إلى المعرفة، وخاصة معرفة الجديد من الأمور والأشياء، وإلى استطلاع كل غريب، ومعرفة المزيد عنه بالبحث والتقصِّى، واكتشاف المجهول، وفض غموضه».

(١) ونحن نرى الجهود الهائلة التى يبذلها العلماء المعاصرون؛ للكشف عن الغيب المجهول فى الماضى البعيد، والغيب المجهول فى الحادثات المقبلة، والغيب المجهول فى الفضاء المحيط بنا؛ فيصنعون المناظير المكبرة، والمراصد الهائلة، ويطلقون سفن الفضاء، والأقمار الصناعية؛ كى يعلموا ما لا يعلمون؛ فلا شك أن الاطلاع على حقائق هذا الغيب من الجهة المعصومة التى لا تخطئ، ولا تكذب أبدًا، وهى الوحى الصادق، أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

(٢) انظر: «المقدمة» لابن خلدون، (ص ٥٨٧، ٥٨٨).

نتائجها، وإنما هى حديثٌ دقيقٌ قاطعٌ عن تفاصيل المستقبل المجهولِ، حديثٌ لا يَخْرِمُهُ المستقبل، ولا فى جزء من أجزائه، وحينئذٍ فلا شَكَّ أنَّها النُّبُوة، وأنَّ صاحبها مُتَّصِلٌ بالله تعالى عالم الغيب والشهادة، كما قال ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[١].

وقال ﷻ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢].

ومن ثمرات وقوع تلك المُغَيَّباتِ - على كثرتها -مُطَابِقَةً لخبر الصَّادق المصدوق ﷺ أن يثبت إيمان المؤمن، ويطمئن قلبه، ويزداد يقينه، ويقول كما قصَّ الله عن المؤمنين: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[٣].

ومن ثمرات ذلك أيضًا: إقامة الحجة على الكافرين، وإقناعهم بصدق نبوة ورسالة محمد ﷺ إلى العالمين.

رابعًا: تَعَلُّمُ الكيفية الصحيحة التى دَلَّنا عليها رسول الله ﷺ كى نتعامل بها مع بعض الأحداث المقبلة التى قد يلتبس علينا وجه الحق فيها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِى سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا

(١) سورة الجن: الآيتان: (٢٦-٢٧).

(٢) سورة المؤمنون: الآية: (٩٢).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٢٢).

(٤) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

مَنْزِلًا... الحديث، وفيه: إِذْ نَادَى مُنَادِى رَسُولِ اللهِ ﷺ: الصَّلَاة جَامِعَة، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِىٌّ قَبْلِى إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِى أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِىءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِىءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِى، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِىءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِى يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ...» الحديث(١).

۞ لقد نصح رسولُ الله ﷺ أصحابه الذين عاصروه نصائحَ انتفعوا بها كثيرًا:

فقد بَشَّر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالجنة، على بلوَى تصيبه.

وأخبر عمَّارًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه تقتله الفئة الباغية.

وأمر أبا ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأن يعتزلَ الفتنة، وأن لا يقاتل، ولو قُتِلَ.

وكان حذيفةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يسأله عن الشرِّ؛ مخافَةَ أن يدرِكَهُ... ودلَّه كيف يفعل فى الفتن.

ونهى المسلمين عن أخذ شىء من جبل الذَّهب الذى سوف ينحسر عنه الفرات.

وبصَّر أمته بفتنة الدَّجَّال، وأفاض فى وصفها، وبَيَّن لهم ما يعصمهم منها؛ ومن ثَمَّ قال عبد الرحمن المحاربى: «ينبغى أن يُدْفَعَ هذا الحديث(٢)،

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٤).

(٢) يعنى حديث أبى أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في شأن الدجال.

إلى المؤدِّب حتى يُعلِّمه الصبيانَ في الكُتَّاب»(١).

وقال السفاريني رحمه الله تعالى: «مِمَّا يَنْبَغِي لِكُلِّ عَالِمٍ أَنْ يَبُثَّ أَحَادِيثَ الدَّجَّالِ بَيْنَ الْأَوْلَادِ وَالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَلَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي اشْرَأَبَّتْ فِيهِ الْفِتَنُ وَكَثُرَتْ فِيهِ الْمِحَنُ وَانْدَرَسَتْ فِيهِ مَعَالِمُ السُّنَنِ»(٢). اهـ.

وامتدت شفقته ﷺ لتشمل إخوانه الذين يأتون من بعده، ولم يروه؛ فبذل لهم النصحَ، ودلَّهم على ما فيه نجاتهم، وحسنُ عاقبتهم.

فمن ذلك قوله ﷺ: «**اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ**»(٣) الحديث.

فمن ثَم أمسك المسلمون عن استفزاز واستثارة الترك، فسَلِمُوا من غائلتهم، إلى أن خالفوا التوجيه النبوي، ...

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «وَقَدْ قَتَلَ جَنْكِيز خَان مِنَ الْخَلَائِقِ مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَلَكِنْ كَانَ الْبَدَاءَةُ مِنْ خُوَارِزْمَ شَاهْ، فَإِنَّهُ لما أرسل جنكيزخان تُجَّارًا مِنْ جِهَتِهِ مَعَهُمْ بَضَائِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ بِلَادِهِ، فَانْتَهَوْا إِلَى إِيرَانَ، فَقَتَلَهُمْ نَائِبُهَا مِنْ جهة خوارزم شاه، وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُمْ، فأرسل جنكيزخان إِلَى خُوَارِزْمَ شَاهْ يَسْتَعْلِمُهُ هَلْ وَقَعَ هَذَا الأمر عن رضى منه أو أنه لا يَعْلَم بِهِ، فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ لَهُ فِيمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ: مِنَ الْمَعْهُودِ مِنَ الْمُلُوكِ أَنَّ التُّجَّارَ لَا يُقْتَلُونَ لِأَنَّهُمْ عِمَارَةُ الْأَقَالِيمِ، وَهُمُ الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التُّحَفَ وَالْأَشْيَاءَ النَّفِيسَةَ، ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ التُّجَّارَ كَانُوا عَلَى دِينِكَ فَقَتَلَهُمْ نَائِبُكَ، فَإِنْ كَانَ أمرًا أمرت به طلبنا بدمائهم، وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ٥١٦).

(٢) «لومع الأنوار البهية» (٢/ ١٠٦، ١٠٧).

(٣) شَطْر حديثٍ راه أبو داود، رقم (٤٣٠٢) كتاب الملاحم، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦١٥)، والسلسلة الصحيحة (٧٧٢).

فَلَمَّا سَمِعَ خَوَارِزْمُ شَاهْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ جنكيزخان لَمْ يَكُنْ لَهُ جَوَابٌ سِوَى أَنَّهُ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَأَسَاءَ التَّدْبِيرَ، وَقَدْ كَانَ خَرِفَ وَكَبُرَتْ سِنُّهُ، وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ: «اتْرُكُوا التُّرْكَ ما تركوكم...» فلما بلغ ذلك جنكيزخان تَجَهَّزَ لِقِتَالِهِ وَأَخْذِ بِلَادِهِ، فَكَانَ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يُسْمَعْ بِأَغْرَبَ مِنْهَا وَلَا أَبْشَعَ[١].

فهنا نرى أن المسلمين لما خالفوا أمر النبى ﷺ بترك التُّرك؛ جاءت العاقبةُ عنيفةً مريرةً، حيث اجتاح التتار ديار الإسلام فى كارثة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ[٢].

وفى أكثر من موضع ذكر الحافظ ابن كثير وقائع القتال بين المسلمين والتتار، وبيَّن أن المسلمين لم يكونوا يتعقبون التتار إذا فرُّوا هاربين أمامهم، ولو كانت الرماحُ تنالهم، ومثال ذلك ما ذكره فى حوادث سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائة: «وَفِى هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ جَيْشِ الْخَلِيفَةِ وَبَيْنَ التَّتَارِ - لَعَنَهُمُ اللهُ- فَكَسَرَهُمُ المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم، وهُزموا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، فَلَمْ يَلْحَقُوهُمْ وَلَمْ يَتْبَعُوهُمْ، خَوْفًا مِنْ غَائِلَةِ مَكْرِهِمْ وَعَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: «اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ...»[٣]. اهـ.

خامسًا: فتح باب الأمل، والاستبشار بحسن العاقبة لأهل الإيمان، إذا ادْلَهَمَّتِ الخطوب، وضاقت الصدور، مما يعطى المسلمين طاقة

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ١١٩).

(٢) انظر تفصيل ذلك فى «البداية والنهاية» (١٣/ ٨٦-٩١)، وصدق عمرو بن العاص الذى قال لابنه عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «الخَرَقُ: معاداةُ إمامك، ومناوأة من يقدر على ضررك»، كما فى «الإحياء» (٣/ ١٨٨).

(٣) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٦٨).

يصارعون بها ما يسميه المتخاذلون «الأمر الواقع»؛ ليصبح عزّهم ومجدهم هو الأمر الواقع؛ وذلك بناءً على البشارات النبوية بالتمكين للدين، وظهوره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

سادسًا: قد تمرُّ بالمسلمين وقائع فى مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعى فيها، ولو تُرِكَ المسلمون إلى اجتهادهم؛ فإنهم قد يختلفون، وربما يكون بيان الحكم الشرعى فى تلك الأحداث واجبًا لابُدَّ منه، وعدم البيان يكون نقصًا تُنَزَّهُ الشريعة عنه.

فمن ذلك: أن رسول الله ﷺ أخبر أن الدَّجَّال يمكث فى الأرض أربعين يومًا؛ يومٌ من أيامه كسَنَة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ عن تلك الأيام الطويلة: أتكفى فى الواحد منها صلاةُ يوم؟ فقال ﷺ: «**لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»، ولو وُكِّل العباد إلى اجتهادهم؛ لاقتصروا على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة فى غير هذه الأيام.

وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنَّصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان، وهذا البيان من الرسول ﷺ ضرورى؛ لأن عيسى يحكم بهذا الشرع، وهذا الشرع فيه قبولُ الجزية ممن بَذَلَها إلى حين نزول عيسى ابن مريم، وحين ذاك تُوضَعُ الجزية، ويُقتل كل من رفض الإيمان، ولو بَذَلَ الجزيةَ(١).

كما أن نصَّ رسول الله ﷺ على صفاتٍ معينةٍ لأشخاصٍ معينين، كالمهدى مثلًا، يمدنا بالمعيار اللازم للحكم على الدَّجَّالين المدعين المهديةَ؛ حتى لا نتورَّطَ فى فِتَنِهِمْ.

---

(١) انظر: «القيامة الصغرى» للدكتور عمر الأشقر حفظه الله (ص ١٣٢).

لا يعلم متى الساعة إلا الله وحده

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣].

فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ ﴾، وقوله ﷻ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾[٤]، (فِيهِ إِيذَانٌ بِأَنَّ مَا هُوَ مِنْ شَأْنِ الرَّبِّ، لَا يَكُونُ لِلْعَبْدِ، فَهُوَ تَعَالَى قَدْ رَبَّاهُ لِيَكُونَ مُنْذِرًا وَمُبَشِّرًا لَا لِلْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ بِأَعْيَانِهَا وَأَوْقَاتِهَا، وَالْإِنْذَارُ إِنَّمَا يُنَاطُ بِالْإِعْلَامِ بِالسَّاعَةِ وَأَهْوَالِهَا، وَالنَّارِ وَسَلَاسِلِهَا وَأَغْلَالِهَا، وَلَا تَتِمُّ الْفَائِدَةُ مِنْهُ إِلَّا بِإِبْهَامِ وَقْتِهَا؛ لِيَخْشَى أَهْلُ كُلِّ زَمَنٍ إِتْيَانَهَا فِيهِ، وَالْإِعْلَامُ بِوَقْتِ إِتْيَانِهَا وَتَحْدِيدِ تَارِيخِهَا يُنَافِي هَذِهِ الْفَائِدَةَ بَلْ فِيهِ مَفَاسِدُ أُخْرَى، فَلَوْ قَالَ الرَّسُولُ لِلنَّاسِ: إِنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي بَعْدَ أَلْفَيْ سَنَةٍ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا، مَثَلًا - وَأَلْفَا سَنَةٍ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ وَآلَافُ السِّنِينَ تُعَدُّ أَجَلًا قَرِيبًا - لَرَأَى الْمُكَذِّبِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِهَذَا الْخَبَرِ، وَيُلِحُّونَ فِي تَكْذِيبِهِ، وَالْمُرْتَابِينَ يَزْدَادُونَ ارْتِيَابًا، حَتَّى إِذَا مَا قَرُبَ الْأَجَلُ وَقَعَ الْمُؤْمِنُونَ فِي رُعْبٍ عَظِيمٍ يُنَغِّصُ عَلَيْهِمْ

---

(١) سورة لقمان: الآية: (٣٤).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٦٣).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٨٧).

(٤) سورة النازعات: الآية: (٤٤).

حَيَاتَهُمْ، وَيُوقِعُ الشَّلَلَ فِى أَعْضَائِهِمْ، وَالتَّشَنُّجَ فِى أَعْصَابِهِمْ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُونَ عَمَلًا وَلَا يَسِيغُونَ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ مَالِهِ وَمَا يَمْلِكُهُ، مِنْ حَيْثُ يَكُونُ الْكَافِرُونَ آمِنِينَ، يَسْخَرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَالْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ إِذًا فِى إِبْهَامِ أَمْرِ السَّاعَةِ الْعَامَّةِ لِلْعَالَمِ، وَكَذَا السَّاعَةِ الْخَاصَّةِ بِأَفْرَادِ النَّاسِ، أَوْ بِالْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ، وَجَعْلِهَا مِنَ الْغَيْبِ الَّذِى اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ)[١]. اهـ.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ مَعْنَاهُ لَا يُكْشَفُ حِجَابُ الْخَفَاءِ عَنْهَا، وَلَا يُظْهِرُهَا فِى وَقْتِهَا الْمَحْدُودِ عِنْدَ الرَّبِّ تَعَالَى إِلَّا هُوَ، فَلَا وَسَاطَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ فِى إِظْهَارِهَا، وَلَا الْإِعْلَامِ بِمِيقَاتِهَا، وَإِنَّمَا وَسَاطَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِى الْإِنْذَارِ بِهَا[٢]؛ فمن ثَمَّ قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[٣].

ونقل الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى عن الألوسى رحمه الله تعالى قوله: «وَإِنَّمَا أَخْفَى سُبْحَانَهُ أَمْرَ السَّاعَةِ لِاقْتِضَاءِ الْحِكْمَةِ التَّشْرِيعِيَّةِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى الطَّاعَةِ، وَأَزْجَرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، كَمَا أَنَّ إِخْفَاءَ الْأَجَلِ الْخَاصِّ لِلْإِنْسَانِ كَذَلِكَ. وَلَوْ قِيلَ بِأَنَّ الْحِكْمَةَ التَّكْوِينِيَّةَ تَقْتَضِى ذَلِكَ أَيْضًا لَمْ يَبْعُدْ، وَظَاهِرُ الْآيَاتِ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَعْلَمْ وَقْتَ قِيَامِهَا ... نَعَمْ عَلِمَ ﷺ قُرْبَهَا عَلَى الْإِجْمَالِ، وَأَخْبَرَ ﷺ بِهِ»[٤].

---

(١) «تفسير المنار» (٩/ ٣٨٩، ٣٩٠).

(٢) «تفسير المنار» (٩/ ٣٩٠).

(٣) سورة النازعات: الآيات: (٤٢-٤٥).

(٤) «تفسير المنار» (٩/ ٣٩٣) بتصرف.

۞ وقال صاحب المنار رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أيضًا:

«فَيَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَخَافُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَأَنْ يَحْمِلَهُمُ الْخَوْفُ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِهِمْ فَيَلْتَزِمُوا فِيهَا الْحَقَّ، وَيَتَحَرَّوُا الْخَيْرَ، وَيَتَّقُوا الشُّرُورَ وَالْمَعَاصِيَ، وَلَا يَجْعَلُوا حَظَّهُمْ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ الْجِدَالَ، وَالْقِيلَ وَالْقَالَ. وَإِنَّنَا نَرَى بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ قَدْ شَغَلُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ ذَلِكَ بِبَحْثٍ افْتَجَرَهُ بَعْضُ الْغُلَاةِ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَبْقَ طُولَ عُمْرِهِ لَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْكَثِيرَةُ بَلْ أَعْلَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ بَلْ زَعَمَ أَنَّهُ أَطْلَعَهُ عَلَى كُلِّ مَا فِي عِلْمِهِ، فَصَارَ عِلْمُهُ كَعِلْمِ رَبِّهِ(١)، أَيْ صَارَ نِدًّا وَشَرِيكًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْعِلْمِ الْمُحِيطِ بِالْغُيُوبِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ... وَمِنْ أُصُولِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ تَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، وَالرَّسُولُ عَبْدُ اللهِ لَا يَعْلَمُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا مَا أَوْحَاهُ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ لِأَدَاءِ وَظِيفَةِ التَّبْلِيغِ.

وَلَكِنَّ الْغُلَاةَ يَرَوْنَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَعْظِيمِهِ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ دُونَ صِفَاتِ رَبِّهِ وَإِلَهِهِ وَخَالِقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، فَكَذَّبُوا كَلَامَ اللهِ تَعَالَى، وَشَبَّهُوا بِهِ بَعْضَ عَبِيدِهِ إِرْضَاءً لِغُلُوِّهِمْ، وَمِثْلُ هَذَا الْغُلُوِّ لَمْ يُعْرَفْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَوْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُعْلِمَ رَسُولَهُ ﷺ بِوَقْتِ السَّاعَةِ، بَعْدَ كُلِّ مَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ فِي إِخْفَائِهَا وَاسْتِئْثَارِهِ بِعِلْمِهِ، لَمَا أَكَّدَ كُلَّ هَذَا التَّأْكِيدِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾»(٢).

---

(١) راجع: «المهدى» للمؤلف (ص ٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) «تفسير المنار» (٩/ ٣٩١-٣٩٢).

الحكمة في تقديم أشراط الساعة ودلالة النَّاس عليها

ثبت في حديث جبريل المشهور أنه قال لرسول الله ﷺ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ»، فقال ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قال: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا»(١)، وفي رواية قال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا...» الحديث(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظُ الغافلين، وحثُّهم على التوبةِ والاستعداد»(٣).

ونقل القرطبي رحمه الله تعالى عن العلماء قولهم: «والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم وحثِّهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها والله أعلم.

وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) كتاب الإيمان.

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٣٥٠).

(٤) «التذكرة» (ص ٦٢٤).

المكذبون بالبعث والنشور

ويخبرنا الحق (جل وعلا) عن الذين يكذبون بالبعث والنشور فيقول: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[1].

ولقد توعدهم الحق (جل وعلا) على ذلك التكذيب بالعذاب الشديد فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3].

وضرب لنا مثلاً ونسي خَلقه

قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ

---

(١) سورة الإسراء: الآيات: (٤٩-٥١).

(٢) سورة الأنعام: الآيتان: (٣٠-٣١).

(٣) سورة الرعد: الآية: (٥).

أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(١).

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدى وقتادة: جاء أُبى بن خلف لعنه الله إلى رسول الله ﷺ وفى يده عظم رميم وهو يفتُّه ويذروه فى الهواء وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ: «**نعم يُميتك الله تعالى، ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار**» ونزلت هذه الآيات من آخر يس ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ ... ﴾ إلى آخرهن.

وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن العاصى بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء... وذكر الحديث - وسواء كانت هذه الآيات قد نزلت فى أُبى بن خلف أو العاصى بن وائل أو فيهما فهى عامة فى كل من أنكر البعث... ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ أى أَوَ لم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماءٍ مهين. كما قال عز وجل ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(٢) فالذى خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته.

وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ أى استبعد إعادة الله تعالى ذى القدرة العظيمة التى خلقتِ السمواتِ

(١) سورة يس: الآية: (٧٧-٨٣).

(٢) سورة المرسلات: الآيات: (٢٠-٢٢).

والأرض للأجساد والعظام الرميمة، ونسى نفسه، وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده ولهذا قال ﷻ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أى يعلم العظام فى سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت(١).

أنَّى تُعجزنى وقد خلقتك من مثل هذا

وتدبر معى (أخى الحبيب) هذا الحديث جيدًا.

«تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، ثم بزق رسول الله ﷺ على كفه فقال:

«يقول الله تعالى: يا ابن آدم! أنَّى تُعجزنى وقد خلقتُك من مثل هذا؟ حتى إذا سوَّيتُك وعَدَّلتُكَ، مشَيتَ بين بُردين وللأرض منك وئيدٌ، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغَتِ التَّراقىَ قلت: أتصدَّق، وأنَّى أوانُ الصدقة؟!»(٣).

❁ وقال ﷺ: **«قالَ اللهُ تعالى: شَتمَى ابنُ آدمَ؛ وما يَنبغى لهُ أنْ يَشتمنى، وكذَّبنى؛ وما يَنبَغى لهُ أنْ يُكذِّبَنى، أمَّا شَتْمُه إيَّاى فقولهُ: إنَّ لى ولَدًا، وأنَا اللهُ الأحدُ الصَّمدُ لم أَلِدْ ولم أُولَدْ ولم يكنْ لى كُفُوًا أحدٌ، وأما تكذيبُهُ إيَّاىَ، فقولهُ: ليس يُعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون علىَّ من إعادته»(٤).**

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩).

(٢) سورة المعارج: الآيات: (٣٦-٣٩).

(٣) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٤٤).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٤٨٢).

۞ وقال ﷺ: «أسرف رجلٌ على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقالَ: إذا أنا مِتُّ فأحرقونِى، ثمَّ اسحقُونى، ثم اذْرونى[1] فى البحر، فوالله لئنْ قدرَ علىَّ ربى ليُعذبنى عذابًا ما عذَّبهُ أحدًا، ففعلوا ذلكَ بِه، فقالَ الله للأرض: أدِّى ما أخذتِ، فإذا هو قائمٌ، فقَال: ما حملَكَ على ما صنَعتَ؟ قالَ خشيتُك ياربِّ، فغفرَ لهُ بِذَلِكَ»[2].

الحكمة من البعث والمعاد

إن الحكمة من المعاد الأُخروى الذى هو بعث الخلائق أحياء بعد موتهم وفنائهم، أحياء كما كانوا يوم بدأ الله تعالى خلقهم، هو مجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادى الاختيارى الذى كسبوه فى هذه الدنيا، لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء ... قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[3].

فالناس يعيشون فى هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتًا كبيرًا فى أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وفى سعادتهم، وشقائهم، فمنهم الظالم الغشوم، ومنهم المظلوم المهضوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم، ومنهم الغنى الثرى، ومنهم الفقير الشقى ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، ومنهم المحسن، ومنهم المسىء، إلى غير هذا من التفاوت والاختلاف فلو أنهم يموتون بانقضاء آجالهم، ولا يُبعثون لكان ذلك منافيًا

(١) أى: طيِّروا رمادى فى الجو.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٧٥٦).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

للحكمة، مجانبًا للعدل والرحمة، ومن هنا قضى الله تبارك وتعالى بالبعث والجزاء، وحكم بهما. فهما كائنان لا محالة، فقد أمر رسوله محمدًا ﷺ أن يُقسم عليهما فى قوله من سورة التغابن: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1].

وقال تعالى فى سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2][3].

أدلة البعث والنشور[4]

لقد سلك القرآن الكريم فى إثبات المعاد والحياة الثانية مسالك عقلية هى غاية فى الوضوح والسهولة منها:

أولاً: إعادة خلق الشىء أيسر من خلقه أول مرة:

۞ أن الشىء إذا لم يكن ثم كان وأُعدم كانت إعادته أيسر وأهون على مَن بدأه أول مرة ثم أعدمه، وأفناه. فالذى بنى دارًا، ثم هدمها لا يستحيل عليه ولا فى حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيرًا مما كانت.

والذى يصنع آلة من الآلات مخترعًا لها لا يستصعب عليه أن يعيدها

(١) سورة التغابن: الآية: (٧).

(٢) سورة النحل: الآيات: (٣٨-٤٠).

(٣) عقيدة المؤمن (ص: ٣٢٩-٣٣٠).

(٤) بتصرف من عقيدة المؤمن/ للشيخ أبو بكر الجزائرى - والقيامة الكبرى/ د. عمر الأشقر.

كما كانت إذا هو كسرها بإرادته وإختياره ليحولها إلى آلة أفضل منها.

وَرَدَ هذا المسلك من الاستدلال فى سورة الروم إذ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

كما ورد فى سورة يس فى قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

ثانيًا: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة:

أعظم الأدلة الدالة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمن آمن بالله، وصدَّق برسوله الذى أرسل، وكتابه الذى أنزل فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنَّة والنار.

وقد نوَّع تبارك وتعالى أساليب الإخبار ليكون أوقع فى النفوس وآكد فى القلوب.

(١) ففى بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخبارًا مؤكدًا «بإن»، أو «بإنَّ واللام» كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[٣] وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[٤].

(٢) وفى مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه كقوله

---

(١) سورة الروم: الآية: (٢٧).

(٢) سورة يس: الآية: (٧٩).

(٣) سورة طه: الآية: (١٥).

(٤) سورة الحجر: الآية: (٨٥).

تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ﴾(١) ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته كقوله: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾(٢).

(٣) وفى بعض المواضع يأمر رسوله بالإقسام على وقوع البعث وتحقُّقه، وذلك فى معرض الردّ على المكذبين به المنكرين له، كقوله: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ﴾(٣).

(٤) وفى مواضع أخرى يذمُّ المكذبين بالمعاد، كقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾(٤).

(٥) وأحيانًا يمدح المؤمنين بالمعاد ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(٥).

(٦) وأحيانًا يخبر أنه وعد الصادق وخبرٌ لازم وأجلٌ لا شك فيه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾(٦).

---

(١) سورة النساء: الآية: (٨٧).

(٢) سورة الطور: الآيات: (١-٨).

(٣) سورة التغابن: الآية: (٧).

(٤) سورة يونس: الآية: (٤٥).

(٥) سورة آل عمران: الآيات: (٧-٩).

(٦) سورة هود: الآيتان: (١٠٣-١٠٤).

(٧) وفى بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه كقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[(١)]، وقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[(٣)].

(٨) وفى مواضع أخرى يمدح نفسه تبارك وتعالى بإعادة الخلق بعد موتهم، ويذم الآلهة التى يعبدها المشركون بعدم قدرتها على الخلق وإعادته كقوله: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[(٤)].

(٩) وبيَّن فى مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث الذى يُعجز العباد ويذهلهم سهلٌ يسير عليه، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ﴾[(٥)].

وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾[(٦)].

ثالثًا: الاستدلال بإحياء الأرض بالنبات:

۞ الاستدلال بالأرض الميتة بسبب المَحْل، والجدب، والقحط، حيث تنعدم فيها الحياة تمامًا، ثم ينزل بها الغيث، أو تُسقَى بالماء فتعود إليها كما كانت وخيرًا مما كانت نماءً وازدهارًا.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ

---

(١) سورة المعارج: الآيتان: (٦-٧).

(٢) سورة النحل: الآية: (١).

(٣) سورة القمر: الآية: (١).

(٤) سورة النمل: الآية: (٦٤).

(٥) سورة لقمان: الآية: (٢٨).

(٦) سورة القيامة: الآيتان: (٣-٤).

وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[1].

رابعًا: الاستدلال على النشأه الأخرى بالنشأة الأولى:

استدلَّ القرآن على الخلق الثانى بالخلق الأول، فنحن نشاهد فى كلِّ يوم حياة جديدة تُخلق: أطفال يولدون، وطيور تخرج من بيضها، وحيوانات تلدها أمهاتها، وأسماك تملأ البحر والنهر، يرى الإنسان ذلك كله بأم عينيه، ثم ينكر أن يقع مثل ذلك مرة أخرى بعد أن يُبيد الله هذه الحياة.

إن الذين يطلبون دليلًا على البعث بعد الموت يغفلون عن أن خلقهم على هذا النحو أعظم دليل، فالقادر على خلقهم، قادر على إعادة خلقهم، وقد أكثر القرآن من الاستدلال على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وتذكير العباد المستبعدين لذلك بهذه الحقيقة ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴾[2].

خامسًا: الاستدلال بنوم الإنسان والحيوان واستيقاظهما:

۞ الاستدلال بنوم الإنسان والحيوان واستيقاظهما، فالنوم يعتبر موتًا مُصغرًا، والاستيقاظ يُعتبر حياة مصغرة أيضًا. فكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان، وعملية الاستيقاظ لهما تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما.

جاء هذا الاستدلال فى قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ

---

(١) سورة الحج: الآيتان: (٥-٦).

(٢) سورة مريم: الآيتان: (٦٦-٦٧).

وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

سادسًا: الاستدلال بضرورة الجزاء فى الآخرة:

۞ الاستدلال باختلاف سلوك الناس فى هذه الحياة بالخير والشر والصلاح والفساد على وجود حياة أخرى يُجزَى فيها كل عامل بما عمل من خير وشر، لعدم استكمال المجازاة فى هذه الحياة ... قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾(٣).

سابعًا: إحياء بعض الأموات فى هذه الحياة:

شاهد بعض البشر فى فترات مختلفة من التاريخ عودة الحياة إلى الجثث الهامدة، والعظام البالية، بل شاهدوا الحياة تدب فى بعض الجماد، وقد حدثنا الله تبارك وتعالى عن شىء من هذه المعجزات الباهرة، فمن ذلك أن قوم موسى قالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾(٤). فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، ثم بعثهم بعد موتهم ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٦٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٣) سورة يونس: الآية: (٤).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٥٥).

تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١).

وقتل بنو إسرائيل قتيلًا واتهم كل قبيل القبيل الآخر بقتله، فأمرهم نبيهم أن يذبحوا بقرة، فذبحوها بعد أن تعنتوا في طلب صفاتها، ثم أمرهم نبيهم بعد ذبحها أن يضربوا القتيل بجزءٍ منها، فأحياه الله وهم ينظرون، فأخبر عمَّن قتله، ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٢).

وأخبرنا عن الذين فرُّوا من ديارهم وهم أُلوفٌ خشية الموت، فأماتهم الله ثم أحياها ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾(٣).

وحدَّثنا عن الذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها، فتعجب من إحياء الله لها بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، فلما سُئل كم لبثت ظنَّ أنه لم يلبث إلا يومًا أو بعض يوم، وبعد إحيائه أحيا الله له حماره وهو ينظر إلى قدرة الله كيف تعيد الخلق: العظام تتشكل وتتكون أولًا ثم تُكسَى باللحم، ثم تُنفخ الروح، أما طعامه الذى كان معه قبل أن يموت فقد بقى تلك الأزمان الطويلة سليمًا، لم يفسد، ولم يتعفَّن، وتلك آية أخرى تدل على قدرة الله الباهرة: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ

---

(١) سورة البقرة: الآيتان: (٥٥-٥٦).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٧٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٤٣).

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

وإبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يريه كيف يحيى الموتى، فكان هذا المشهد الذى حدثنا الحق تبارك وتعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢).

أمره الله أن يأخذ أربعة من الطيور فيذبحها، ثم يفرق أجزاءها على عدة جبال، ثم ناداها آمرًا إياها بالاجتماع، فكان كل عضو يأتى ويقع فى مكانه، فلما تكامل اجتماعها نفخ الله فيها الروح، وانطلقت مُحلقة فى الفضاء.

وعيسى عليه السلام كان يصنع من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وكان يُحيى الموتى بإذن الله، فقد قال لقومه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(٣).

وأصحاب الكهف ضرب الله على آذانهم فى الكهف ثلاثمائة وتسع

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٦٠).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٤٩).

سنين ثم قاموا من رقدتهم بعد تلك الأزمان المتطاولة، ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾[1]. ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾[2] ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾[3].

وكانت آية موسى الكبرى عصا جامدة يلقيها على الأرض فتتحول - بقدرة الله - إلى ثعبانٍ مُبين ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾[4]، وعندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم ألقى موسى عصاه فإذا هي تبتلع تلك العِصى والحبال على كثرتها ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة الكهف: الآية: (١٢).

(٢) سورة الكهف: الآية: (١٩).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٢٥).

(٤) سورة الشعراء: الآية: (٣٢).

(٥) سورة الشعراء: الآية: (٤٥).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أشراط الساعة
الصغرى

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أشراط الساعة الصغرى

۞ وها نحن الآن على موعد مع أشراط الساعة الصغرى ولكن قبل أن أستعرض تلك الأشراط والعلامات فإنه لابُدَّ من توضيح بعض النقاط حتى نستطيع فهم تلك الأشراط والعلامات فى ضوء الكتاب والسنة.

(١) فلا بُدَّ أولًا أن نعلم أن أشراط الساعة الصُّغرى لا تكون فى زمنٍ بعينه ثم تنتهى ثم تبدأ أشراط الساعة الكبرى فى الظهور ... كلا ... بل إن بعض علامات الساعة الصغرى قد ظهرت وانتهت .. والدليل على ذلك أن بعثة النبى ﷺ وموته ﷺ من علامات الساعة الصغرى ... وهناك علامات قد ظهرت وما زالت مستمرة ... وهناك علامات ستظهر بعد ظهور بعض علامات الساعة الكبرى .. مثل هدم الكعبة ورفع القرآن وظهور الريح التى تقبض أرواح المؤمنين .... وغيرها.

(٢) أشراط الساعة الصغرى التى ذكرها العلماء كثيرة جدًّا، وقد ذكرتُ هنا منها ما ثبت بالسُّنَّة أنه من أشراط الساعة الصغرى، وتركتُ ما لم يثبت - فى حدود علمى القاصر -، وذلك بعد النظر فى هذه الأحاديث، ومعرفة كلام العلماء عليها؛ من حيث الصحة والضعف، أو قد يكون هناك من الأشراط ما هو ثابتٌ، ولم أطَّلع على حديثٍ ثابتٍ فيه.

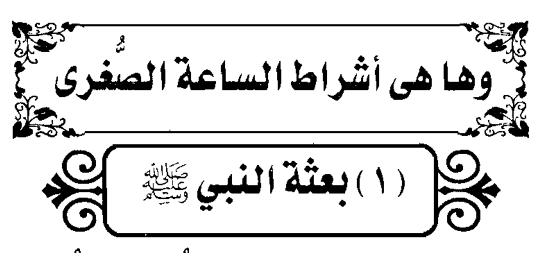
(٣) وقد سردتُ هذه الأشراط بدون ترتيب؛ لأنَّنى لم أطَّلع على حديث أو أحاديث تنصُّ على ترتيبها، فذكرتُ أوَّلًا ما نصَّ العلماء على أنه ظهر وانتهى، ثم تحريتُ فى ذكرى لباقى الأشراط بتقديم ما تقتضى الحوادث تقديمه على غيره، فمثلًا؛ ظهور الفتن مُقدَّم على قبض العلم؛ لأن الفتن ظهرت فى عصر الصحابة ... وقدَّمتُ قتال الروم على فتح

القسطنطينية؛ لأن الخبر جاء بذلك، وجعلتُ فتح القسطنطينية مُقدَّمًا على قتال اليهود فى زمن عيسى عليه السلام؛ لأن فتحها قبل ظهور الدَّجَّال، ونزول عيسى عليه السلام يكون بعد ظهور الدَّجَّال وهكذا ... وبعض الأشراط يقتضى ذكره فى الأخير؛ لأنه لا يظهر إلا بعد الأشراط الكبرى؛ مثل هدم الكعبة على يدى الحبشة، وظهور الريح التى تقبض أرواح المؤمنين.

(٤) ومما ينبغى أن يُعْلَمَ أنَّ كثيرًا من أشراط السَّاعة قد ظهرت مباديها من عهد الصَّحَابة رضي الله عنهم وهى فى ازدياد، ثم صارت تكثر فى بعض الأماكن دون بعض، والذى يعقبه قيام الساعة هو استحكام ذلك، فيكون مثلًا قبض العلم لا يقابله إلا الجهل الصرف، ولا يمنع ذلك من وجود طائفة من أهل العلم؛ لأنهم يكونون حينئذٍ مغمورين فى أهل الجهل ... وقِسْ عليه غيره من أشراط الساعة[1].

(٥) وممَّا ينبغى التنبيه عليه أيضًا أن بعض الناس يفهم من كون الشىء من أشراط الساعة أنه محذورٌ وممنوعٌ، وهذه القاعدة غير مُسلَّمة؛ فإنه ليس كلُّ ما أخبر صلى الله عليه وسلم بكونه من علامات الساعة يكون مُحرَّمًا أو مذمومًا، فإن تطاوُلَ الرعاء فى البنيان، وفُشوَّ المال، وكثرة التجارة، وكثرة الكتابة ليس حرامًا بلا شك وإنما هذه علامات والعلامة لا يُشترط فيها شىء من ذلك، بل تكون بالخير والشر، والمباح، والمحرَّم، والواجب، وغيره، والله أعلم[2][3].

(١) انظر: «فتح البارى» (١٣/ ١٦).
وسيأتى بيان ذلك مفصَّلًا فى الكلام على قبض العلم وظهور الجهل.
(٢) «شرح النووى لمسلم» (١/ ١٥٩).
(٣) «أشراط الساعة» (ص ٧٩-٨٠) بتصرف.



فلقد أخبر النبى ﷺ أن بعثته علامة ودليلٌ على قُرب قيام الساعة.

ففى الحديث عن سهل رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا» ، وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّهُمَا [١].

وعن أنس رضي الله عنه؛ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» . قَالَ: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى [٢].

وَعَنْ قَيْسِ بن أبى حازم، عَنْ أَبِى جَبِيرَةَ، مرفوعًا: «بُعِثْتُ فِى نَسَمِ [٣] السَّاعَةِ» [٤].

قال القرطبى: « أولها النبى ﷺ لأنه نبى آخر الزمان، وقد بُعث وليس بينه وبين القيامة نبى » [٥].

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [٦].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٣٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٩٥٠) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥١) كتاب الفتن.

(٣) نسم الساعة: قال ابن الأثير: «هو من النسيم، أول هبوب الريح الضعيفة؛ أى: بُعِثْتُ فى أول أشراط الساعة، وضعف مجيئها. وقيل: هو جمع نسمة؛ أى: بُعثت فى ذوى أرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة؛ كأنه قال: فى آخر النشء فى بنى آدم». «النهاية فى غريب الحديث» (٥/٤٩-٥٠).

(٤) صحيح: رواه الحاكم فى الكُنى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٣٢).

(٥) «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ٦٢٦).

(٦) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

۞ فلقد كان الكون كله فى جاهلية وشر .. وشاء الله ﷻ أن يبعث حبيبه محمدًا ﷺ لينقل الكون كله من أدران الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان فجاء ليملأ القلب إيمانًا والعقل حكمة والنفس يقينًا والكون عدلًا والدنيا رحمة والأيام سلامًا والليالى أمنا .. واستطاع - بإذن الله - أن يحوّل هذا المجتمع الجاهلى إلى دولة تدين لله (جل وعلا) وأن يصنع رجالًا كان الواحد منهم يساوى أمة بأكملها.

۞ **ولذا قال صاحب الظلال** رحمه الله:

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ، يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا، وحوَّل إيمانهم بالإسلام عملًا، وطبع من الصحف عشراتٍ من النسخ بل مئاتٍ وألوفًا ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطى، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذى جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله)[1].

۞ فالنبى ﷺ هو خاتم الأنبياء وليس بعده نبى .. وإنما تكون بعده القيامة.

۞ وأما عن نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان فإنه لا ينزل إلى الأرض مرة أخرى كنبىٍّ وإنما ينزل ليحكم الأرض بشريعة النبى ﷺ (شريعة الإسلام) .. كما سيأتى.

۞ ومن هنا نعلم أن أول علامة من علامات الساعة الصغرى: بعثة النبى ﷺ الذى أرسله الله ﷻ رحمة للعالمين.

---

(١) سيرة الرسول ﷺ/ للمصنف (ص ٧-٨).

(٢) انشقاق القمر

ومن علامات الساعة الصُّغرى (انشقاق القمر).

قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ﴾[(١)].

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية؛ فأراهم انشقاق القمر»[(٢)].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنىٰ إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»[(٣)].

۞ ولقد اتفق أهل العلم علىٰ أن القمر قد انشقَّ في عهد رسول الله ﷺ وأن انشقاقه كان من المعجزات الباهرات التى أيّد الله بها نبيه ﷺ.

۞ **قال الحافظ** ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَدْ كَانَ هَذَا فِى زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِى الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ. وَهَذَا أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَيِ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ قَدْ وَقَعَ فِى زَمَانِ النَّبِىِّ ﷺ وَأَنَّهُ كَانَ إِحْدَى الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ[(٤)].

۞ وقال النووى رَحِمَهُ اللَّهُ:

«انْشِقَاقُ الْقَمَرِ مِنْ أُمَّهَاتِ مُعْجِزَاتِ نَبِيِّنَا ﷺ وَقَدْ رَوَاهَا عِدَّةٌ مِنَ

(١) سورة القمر: الآيات: (١-٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٢) كتاب صفة القيامة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٠) كتاب صفة القيامة.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٢).

الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَعَ ظَاهِرِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَسِيَاقِهَا ... قَالَ الزَّجَّاجُ: وَقَدْ أَنْكَرَهَا بَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ الْمُضَاهِينَ الْمُخَالِفِي الْمِلَّةِ وَذَلِكَ لَمَّا أَعْمَى اللهُ قَلْبَهُ وَلَا إِنْكَارَ لِلْعَقْلِ فِيهَا لِأَنَّ الْقَمَرَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ كَمَا يُفْنِيهِ وَيُكَوِّرُهُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ...»[١].

وقد حَطَّ علماء الفضاء فى هذا العصر رِحالهم على القمر، فوجدوا أثر انشقاق القمر باقيًا إلى اليوم، وقد نقل عالم الجيولوجيا المسلم د. زغلول النجار عن داود موسى بيتكوك رئيس الحزب الإسلامى البريطانى أنه شاهد ندوة تلفزيونية بين معلق بريطانى وثلاثة علماء فضاء أمريكيين أنهم شاهدوا أثر انشقاق القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه الآخر، أخبروا بذلك، وهم لا يعلمون أن الله تحدث بهذه الآية فى قرآننا، وقد كانت هذه الآية سببًا فى إيمان ناقل الخبر داود موسى[٢].

(٣) موت النبي ﷺ

فموت النبى ﷺ من علامات الساعة الصُّغرى.

فقد قال عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ[٣]، فَقَالَ ﷺ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ...**»[٤].

ولقد كانت وفاته ﷺ من أعظم المصائب التى أُصيب بها المسلمون.

وكان موته **كما قال القرطبى:** «أول أمر دهم الإسلام ... ثم بعده موت

(١) شرح النووى على مسلم (١٧/ ١٤٣).

(٢) نقلًا عن مجلة العالمية الكويتية - العدد (١٥٦).

(٣) قبة من أدم: أى خيمة من جلد.

(٤) رواه البخارى (٣٦٣٦) كتاب الجزية والموادعة.

عمر. فبموت النبى ﷺ انقطع الوحى وماتت النبوءة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه».

قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه:

فلتحـدُثنَّ حـوادثٌ مـن بعـده ... تُعنَى بهـن جـوانحٌ وصـدورٌ

وقالت صفية بنت عبد المطلب فى أبيات ترثى بها النبى ﷺ:

لَعمْـرُك مـا أبكِـى النبـى لفقـده ... ولكن ما أخشى من الهرج[1] آتيا[2]

۞ إن الأحداث العظيمة تسبقها بعض العلامات التى تشير إلى قُرب وقوعها.

وقد تم للمسلمين فتح مكة أم القرى فى السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وفى السنة التاسعة أقبلت الوفود تُقر بالإسلام أو تعطى الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وأرهب جيشُ العسرة الذى خرج به النبى ﷺ جحافل الروم حتى فرّوا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبى ﷺ المتواصل وصحابته الكرام رضي الله عنهم، فكل العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله ﷺ فقد بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[3].

۞ ويا لها من لحظات عصيبة عندما أحمل قلمى لأُسطِّر به تلك

---

(١) الهرج: هو القتل.

(٢) «التذكرة» للقرطبى، (ص٦٢٩-٦٣٠) بتصرف بسيط، وانظر: «الإذاعة» لصديق حسن، (ص ٦٧-٦٩).

(٣) وقفات تربوية (ص: ٤٠٣).

الصفحات التى تحكى قصة مرض وموت النبى ﷺ.

فموت النبى ﷺ من أعظم المصائب التى أصيب بها المسلمون ولذلك قال ﷺ: «**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها من أعظم المصائب**»(١).

۞ العلامات التى أشارت إلى قرب انتهاء أجله ﷺ:

ولقد سبق موت النبى ﷺ علامات تشير إلى قُرب انتهاء أجله ﷺ فمن بين ذلك: أنه ﷺ كان يعتكف كل سنة عشرًا فى رمضان فاعتكف فى السنة الأخيرة عشرين ليلة وكان جبريل يعارضه القرآن مرة فى رمضان فعارضه فى السنة الأخيرة مرتين.

۞ ومن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشى تحت راحلته، فلما فرغ قال: «**يا معاذ إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولَى الناس بى المتقون مَن كانوا وحيث كانوا**»(٢).

۞ وخرج النبى ﷺ للحج فى السنة العاشرة وقال: «**خذوا عنى مناسككم لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وطفق يودع الناس**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه الدارمى (٨٤) فى المقدمة، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١١٠٦).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٣٥) قال الهيثمى: رواه أحمد بإسنادين ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان - مجمع الزوائد (٩/ ٢٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٢٩٧) كتاب الحج، بنحوه.

ونزل عليه بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١).

۞ وفى ثانى أيام التشريق نزل عليه قوله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾(٢).

- فكانت هذه السورة تخبر بانتهاء أجل النبى ﷺ وتنعى إليه نفسه.

۞ ومن هذه العلامات أنه ﷺ خرج إلى أُحد فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات.

۞ ومن هذه العلامات كثرة تتابع الوحى على رسول الله ﷺ.

۞ ومن هذه العلامات أنه ﷺ كان يُرغبهم فى كثرة ملازمته والجلوس إليه قبل أن يُحرَموا ذلك، ويتمنى أحدهم لو رآه بأهله وماله.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولا يرانى، ثم لأن يرانى أحب إليه من أهله وماله معهم**»(٣).

فأولوه على أنه نعى نفسه إليهم وعرَّفهم ما يحدث لهم بعده من تمنى لقائه عند فقدهم ما كانوا يشاهدون من بركاته عليه السلام.

۞ ومن هذه الإشارات زيارته لأهل البقيع واستغفاره لهم:

۞ عن أبى مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: «بعثنى رسول الله ﷺ من

(١) سورة المائدة: الآية: (٣).

(٢) سورة النصر: الآيات: (١-٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٤) كتاب الفضائل.

جوف الليل، فقال: «يا أبا مويهبة، إنى قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معى»، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم، قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى، ثم أقبل علىَّ». فقال: «يا أبا مويهبة، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخُيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة».

قال: فقلت: بأبى أنت وأمى، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، قال: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربى والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذى قبضه الله فيه» [1].

(٤) فتح بيت المقدس

ومن أشراط الساعة الصُّغرى (فتح بيت المقدس).

قال ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: -وذكر منها- فَتحُ بيتِ المَقْدِسِ» [2].

فإنه عندما بُعث النبى ﷺ كان بيت المقدس تحت وطأة النصارى (الروم) .. وكانت الروم فى ذلك الوقت دولة قوية .. ومع ذلك بشَّر النبى ﷺ بفتح بيت المقدس .

وكان ذلك فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

۞ ففى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تَمَّ فتح بيت المقدس سنة ست

(١) رواه أحمد (١٥٥٦٧) والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٦٣٦) (٣٦٦٨) كتاب الجزية والموادعة.

عشرة من الهجرة؛ كما ذهب إلى ذلك أئمة السِّيَر،... فقد ذهب عمر رضي الله عنه بنفسه، وصالَح أهلها، وفتحها، وطهَّرها من اليهود والنصارى، وبنى بها مسجدًا فى قبلة بيت المقدس(١).

۞ وروى الإمام أحمدُ من طريق عُبيد بن آدم؛ قال: «سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِكَعْبِ الأَحْبَارِ(٢): أَيْنَ تُرَى أَنْ أُصَلِّيَ؟ فَقَالَ: إِنْ أَخَذْتَ عَنِّى صَلَّيْتَ خَلْفَ الصَّخْرَةِ، فَكَانَتِ الْقُدْسُ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ عُمَرُ: ضَاهَيْتَ الْيَهُودِيَّةَ، لَا، وَلَكِنْ أُصَلِّى حَيْثُ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِبْلَةِ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَبَسَطَ رِدَاءَهُ فَكَنَسَ الْكُنَاسَةَ فِى رِدَائِهِ، وَكَنَسَ النَّاسُ»(٣).

وقد تم فتح بيت المقدس مرتين: المرة الأولى فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه والمرة الثانية فى زمن الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبى رحمه الله (عام ٥٨٣ هـ -١١٨٧م) وسيُفتح فى آخر الزمان - بإذن الله- على يد ثُلَّة من الرجال الأطهار حتى إن الله عز وجل سيُنطق لهم الشجر والحجر فيقول: «**يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى ورائى تعالَ فاقتله**»(٤).

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٥٥-٥٧).

(٢) هو كعب بن ماتع الحميرى، من أوعية العلم، ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم فى زمن أبى بكر الصديق، وقَدِم المدينة زمن عمر، ثم سكن الشام، ومات فى خلافة عثمان رضي الله عنه وقد جاوز المائة، وكان كثير الرواية للإسرائيليات، وقسمٌ كبيرٌ منها لا يصحُّ السند به إليه، وليس له فى البخارى رواية، وفى مسلم رواية لأبى هريرة عنه.
انظر: «تقريب التهذيب» (٢/ ١٣٥)، و«تهذيب التهذيب» (٨/ ٤٣٨-٤٤٠)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٥٢).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٦٨-٢٦٩) (ح٢٦١)، تحقيق أحمد شاكر، وقال: إسناده حسن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣١) كتاب الفتن.

(٥) طاعون عمواس[١]

قال ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَينَ يَدَى السَّاعَة - وذكر منها- ثُمَّ موتان[٢] يَأخُذُ فِيكُمْ كقُعاص[٣] الغَنَم»[٤].

وقد قال أهل العلم أن (الموتان) وهو لفظ مبالغة من الموت .. أى: يقع فيكم موتٌ كثيرٌ جدًّا (وهو أشبه ما يكون بالوباء) الذى يقضى على الناس .. وبالفعل فقد وقع هذا فى طاعون عمواس وهى قرية بفلسطين قُرب بيت المقدس.

قال ابن حجر: «يُقال: إن هذه الآية ظهرت فى طاعون عمواس فى خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس»[٥].

ففى سنة ثمان عشرة للهجرة على المشهور الذى عليه الجمهور[٦] وقع طاعون فى كورة عمواس، ثم انتشر فى أرض الشام، فمات فيه خلقٌ كثير من الصَّحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم؛ قيل: بلغ عدد مَن مات فيه خمسةٌ وعشرونَ

---

(١) عمواس: بلدة فى فلسطين، على ستة أميال من الرملة، على طريق بيت المقدس.
انظر: «معجم البلدان» (٤/ ١٥٧).

(٢) (مُوتان)؛ بضم الميم وسكون الواو: هو الموت الكثير الوقوع.
انظر: «فتح البارى» (٦/ ٢٧٨).

(٣) (قُعاص)؛ بالضم، ويقال فيه: عقاس؛ بضم العين المهملة، وتخفيف القاف، وآخره مهملة: داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شىء، فتموت فجأة.
انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٤/ ٨٨)، و«فتح البارى» (٦/ ٢٧٨).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣١٧٦).

(٥) «فتح البارى» (٦/ ٢٧٨).

(٦) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٩٠).

ألفًا من المسلمين، ومات فيه من المشهورين: أبو عُبيدة عامر بن الجرَّاح، أمين هذه الأمة، رضي الله عنه[١].

(٦) ظهور الفتن

ولقد أخبر النبى ﷺ أنَّ ظهور الفتن علامة من علامات الساعة ولقد ظهرت الفتن وكثرت ولا زالت الفتن تملأ الأرض إلى يومنا هذا .. أسأل الله أن يحفظنى وإياكم من الفتن.

❁ قال ابن منظور فى لسان العرب:

الفتن: جمع فتنة، وهى الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم كَثُرَ استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم أُطلقت على كلِّ مكروهٍ أو آيل إليه؛ كالإثم، والكفر والقتل، والتَّحريق، وغير ذلك من الأمور المكروهة[٢].

وقد أخبر النبى ﷺ أن من أشراط الساعة ظهور الفتن العظيمة التى يلتبس فيها الحق بالباطل، فتُزلزل الإيمان، حتى يصبح الرجل مؤمنًا ويُمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، ... كلما ظهرت فتنةٌ؛ قال المؤمن: هذه مُهْلِكَتِى. ثم تنكشف، ويظهر غيرها، فيقول: هذه، هذه. ولا تزال الفتن تظهرُ فى الناس إلى أن تقومَ السَّاعة.

روى الإمام مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا، وَيُمْسِى مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»**[٣].

---

(١) انظر: «معجم البلدان» (٤/ ١٥٧-١٥٨)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٩٤).

(٢) انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٣١٧-٣٢١)، و«النهاية» (٣/ ٤١٠-٤١١)، و«فتح البارى» (١٣/ ٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

وعَنْ أَبِى مُوسَى الْأَشْعَرِىِّ، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِى كَافِرًا، وَيُمْسِى مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِى فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ - يَعْنِى عَلَى أَحَدِكُمْ- فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَىْ آدَمَ»(١).

والمراد بالحديث: الْحَثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ تَعَذُّرِهَا وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِمَا يَحْدُثُ مِنَ الْفِتَنِ الشَّاغِلَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ الْمُتَرَاكِمَةِ كَتَرَاكُمِ ظَلَام اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا الْمُقْمِرِ ... وَوَصَفَ ﷺ نَوْعًا مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِى مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا أَوْ عَكْسُهُ وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَنِ يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ فِى الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَابَ(٢).

وكم رأينا فى زماننا هذا من يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا قليل ... يبيع دينه من أجل حفنة دراهم أو كرسىٍّ زائلٍ أو شهرةٍ زائفةٍ .. إلى غير ذلك من متاع الدنيا الزائل.

ومن أجل ذلك حذرنا النبى ﷺ من فتنة الدنيا.

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال: «فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّى أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(٣).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٦٨٢).

(٢) شرح مسلم للنووى.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٥٨) كتاب الجزية والموادعة، ومسلم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.

شدة الفتن

وقد أطلع الله رسوله عليه السلام على كثير من البلايا والفتن التى ستُبتلى بها الأمة الإسلامية فى مقبل الزَّمَان، ولذلك فإنَّ الرَّسول ﷺ أطال فى تحديث الصَّحابة عن تلك الفتن، وبيان المَخرج منها، ... يقول أَبُو زَيْدٍ عَمْرَو بْنَ أَخْطَبَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ» فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[١].

ولعل هذا المقام هو الذى ذكره حذيفة بن اليمان، فقد ثبت عنه أنه قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِى مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ»، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِى هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ»[٢].

وبعض هذه الفتن شديدة مظلمة ومنها خفيف، ... ففى حديث حذيفة فى صحيح مسلم عن الفتن: «**منهم** (أى: من الفتن) **ثلاث لا يكدن يذرن شيئًا، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار**»[٣].

ويبلغ ثقل هذه الفتن وشدتها على المسلم أن يتمنَّى الموت ويرجوه كى يتخلص من البلاء... فعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ**

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٢) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٢) كتاب الفتن.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩١) كتاب الفتن.

حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَكَ»، وفي رواية عند مسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: الصَّلَاة جَامِعَة، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»(٢).

وإنَّ من أعظم الأسباب التى توقع فى الفتن والبلاء قلة العلم، وكثرة الجهل، وترك الإسلام، وارتكاب الذنوب والمعاصى، وانتهاك الحرمات، فعن عبد الله بن مسعود وأبى موسى الأشعرى رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ»(٣).

وقد كثُرَ في الأحاديث إخبار الرسول ﷺ بكثرة القتل فى آخر الزمان، وليس المراد به قتل المسلمين للكفار، وإنما هو قتل بعض المسلمين

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (٢٢٣١) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٦٣) كتاب الفتن، ومسلم (٢٦٧٢) كتاب العلم.

لبعض، وفي كثير من الأحيان لا تعرف أسباب ذلك القتل ولا أهدافه.

ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إن بين يدي الساعة الهرج**، قالوا: وما الهرج؟ قال: **القتل، إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا، حتى يقتل الرجل جاره، ويقتل أخاه، ويقتل عمه، ويقتل ابن عمه** ، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: **إنه لتُنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء**»[(١)][(٢)].

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٣٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٨٢).

(٢) القيامة الصُغرى/ د. عمر الأشقر (١٧١-١٧٤) بتصرف.

ظهور الفتن من المشرق

ونحن نعلم أن أكثر الفتن التى ظهرت فى المسلمين كان منبعها من المشرق حيث يطلع قرنُ الشيطان .. كما أخبر النبى العدنان ﷺ.

❁ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: دَعَا النَّبِىُّ ﷺ، فَقَالَ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى صَاعِنَا، وَمُدِّنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِى مَكَّتِنَا وَمَدِينَتِنَا، وبَارِكْ لَنَا فِى شَامِنَا وَيَمَنِنَا» ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِىَّ اللهِ وَفِى عِرَاقِنَا، فَقَالَ: «إِنَّ بِهَا قَرْنَ الشَّيْطَانِ، وَنَبْحَ الْفِتَنِ، وَإِنَّ الْجَفَاءَ بِالْمَشْرِقِ»(١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ، يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»(٢)(٣).

وفى رواية لمسلم أنه قال: «رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» يَعْنِى الْمَشْرِقَ(٤).

قال ابن حجر: «وأول الفتن كان منبعها من قِبَلِ المشرق، فكان ذلك سببًا للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبُّه الشيطان ويفرحُ به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة»(٥).

---

(١) رواه الطبرانى، ورواته ثقات. «مختصر الترغيب والترهيب» (ص ٨٧) للحافظ ابن حجر.

(٢) (قرن الشيطان): قوة الشيطان وأتباعه، أو أن للشمس قرن على الحقيقة. وقيل: إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها ليقع سجود عَبَدتها له. انظر: «فتح البارى» (١٣/ ٤٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٣٧) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٩٠٥) كتاب الفتن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٥) كتاب الفتن.

(٥) «فتح البارى» (١٣/ ٤٧).

فمن العراق ظهر الخوارج، والشيعة، والروافض، والباطنية، والقَدَرية، والجهميَّة، والمُعتزلة، وأكثر مقالات الكفر كان منشؤها من المشرق؛ من جهة الفرس المجوس؛ كالزردشتية(١)، والمانويّة(٢)، والمزدكية(٣)، والهندوسية(٤)، والبوذيَّة(٥)، وأخيرًا وليس آخرًا: القاديانية(٦)،

(١) (الزردشتية): هم أصحاب زردشت بن يورشب، وأبوه من أذربيجان، ومن عقيدتهم أن النور والظلمة أصلان متضادان، وهما مبدأ موجودات العالم، وزردشت يقول: إن البارى تعالى هو خالق النور والظلمة ومبدعهما، والزردشتية جماعة منظمة، ولها درجات ومراتب، وموطنهم فارس. انظر «الملل والنحل» (١/ ٢٣٦-٢٣٧) للشهرستانى، وكتاب «وجاء دور المجوس» (ص ٢٤) للدكتور عبد الله الغريب.

(٢) (المانوية): هم أصحاب مانى بن فاتك المجوسى، وعقيدتهم أن العالم مخلوق من أصلين قديمين هما النور والظلمة. انظر «الملل والنحل» (١/ ٢٤٤).

(٣) (المزدكية): أصحاب مزدك بن بافداد، الذى دعا إلى الإباحية واشتراك الناس فى النساء والأموال، وليست الشيوعية الحديثة إلا امتدادًا للمزدكية. انظر: «الملل والنحل» (١/ ٢٤٩)، وكتاب «وجاء دور المجوس» (ص ٢٧-٢٩).

(٤) (الهندوسية): ديانة الجمهرة العظمى فى الهند الآن، وقد جاء بها الآريون عندما فتحوا الهند، وليس لها مؤسس معيَّن، وهى مجموعة عقائد، ولهم آلهة كثيرة، ويقسمون الناس إلى أربع طبقات، أعلاها البراهمة، وأدناها المنبوذون، ولهم كتاب مقدس اسمه «الويدا» وهو عبارة عن تاريخ للآريين، وهم طبقة البراهمة، وفيه مجموعة تعاليم. انظر: «مقارنة الأديان / أديان الهند الكبرى» (٤/ ٤٦-٤٩) لأحمد شلبى.

(٥) (البوذية): مؤسس هذه النحلة اسمه (سيد هارتا)، ثم تَسمَّى بـ«بوذا»، ودعوته تقوم على التقشف، والزهد، والرياضات، ويقول بالتناسخ - والتناسخ أساس أديان الهند - وبوذا لا يؤمن بوجود إله. وقد امتزجت البوذية بالهندوسية، وذابت فيها، وأصبح بوذا من آلهة الهندوس. انظر: «مقارنة الأديان / أديان الهند الكبرى» (٤/ ١٣٧-١٧٠).

(٦) (القاديانية): نسبة إلى مؤسسها الميرزا غلام أحمد القاديانى، وكان ظهور هذه النحلة فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى فى الهند، فى إقليم (بنجاب) بباكستان، وادَّعى النبوة، وأنه المسيح الموعود، وساعده الإنكليز فى نشر دعوته، ومن أباطيله نسخ الجهاد، وفرض طاعة الحكومة البريطانية، وأنَّ نزول عيسى من نسج النصارى، ومَن قال إن عيسى ما مات؛ فقد =

والبهائية[1] .. إلى غير ذلك من المذاهب الهدَّامة.

وأيضًا؛ فإن ظهور التتار فى القرن السابع الهجرى كان من المشرق، وقد حدث على أيديهم من الدَّمار والقتل والشرِّ العظيم ما هو مُدوَّنٌ فى كتب التاريخ.

وإلى اليوم لا يزال المشرق منبعًا للفتن والشرور والبدع والخرافات، والإلحاد، ... فالشيوعية الملحدة مركزها روسيا والصين الشيوعية، وهما فى المشرق، وسيكون ظهور الدَّجَّال ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن[2].

❁ قال الدكتور عمر الأشقر رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن استقرأ التاريخ علم أن الفتن كانت تهب على الأمة الإسلامية والعالم الإسلامى من جهة المشرق، فمنها ثارت الفتنة التى أدت إلى مقتل

= أشرك، وكان هلاكه سنة (١٩٠٨م). انظر: «القاديانى ومعتقداته» للشيخ منظور أحمد الباكستانى، و«القاديانية ثورة على النبوة والإسلام»، و«القاديانى والقاديانية دراسة وتحليل»؛ كلاهما لأبى الحسن الندوى.

(١) (البهائية): مؤسس هذه النحلة رجل من فارس، اسمه الميرزا على محمد الشيرازى، الذى لقَّب نفسه بـ(الباب)، وقد سجنته حكومة فارس، ثم قتلته، وخلفه أحد أتباعه، وهو بهاء الله ميرزا حسين على، ومن عقائده نسخ القرآن، وهدم الكعبة، وإبطال الحج، وادَّعى النبوة، وله كتاب سماه «الكتاب الأقدس».

وقد تطوَّر مذهب البهائيين حتى ادَّعوا أن البهاء إله، فقد كان نقش (إكليشة) نشراتهم: «بهاء يا إلهى».

انظر: كتاب «دراسات عن البهائية والبابية»، مجموعة رسائل لجماعة من الكتاب المسلمين، طبع المكتب الإسلامى، ط. الثانية، (١٣٩٧ هـ)، دمشق.

(٢) بتصرف من أشراط الساعة.

الخليفة الراشد عثمان، ومنها خرجت فرقة الحرورية المارقة: الخوارج، وبقيت رياح الخوارج تعصف بالأمة فى العهد الأموى، وبها قامت ثورة الزنج فى عام ٢٥٥هـ بالبصرة، وفى عام ٢٧٨هـ انبعثت منها حركة القرامطة، ومن اطلع على ما أحدثه الزنج والقرامطة فى الأمة الإسلامية يذهل مما ارتكبوه من فظائع.

وليس المشرق قصرًا على العراق، فمن الشرق هبَّت رياح التتار، وسيبقى الأمر كذلك إلى أن تأتى رايات الدجال، من خُراسان كما أخبر الرسول ﷺ.

ولا تعارِضُ هذه الأحاديث - التى تحدد البؤرة التى تنبعث منها الفتن على الأمة الإسلامية - حديث الرسول ﷺ الذى يرويه عنه أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: «أشرف النبى ﷺ على أُطم من آطام المدينة، فقال: **«هل ترون ما أرى؟»** قالوا: لا. قال: **«فإنى أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر»**[1][2].

يقول ابن حجر فى شرح الحديث: «اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن فى البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصِفِّين كان بسبب مقتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفِّين، وكل قتال وقع فى ذلك العصر إنما تولَّد عن شىء من ذلك، أو عن شىء تولَّد عنه، ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه، ثم

(١) أشار الرسول ﷺ فى هذا الحديث إلى كثرة الفتن وعمومها لناس لا تختص بها طائفة دون أخرى، كما يعم المطر النواحى التى ينزل فيها، ومن قرأ التاريخ وما جرى بعد مقتل عثمان ومقتل الحسين علم صدق مقالة الرسول ﷺ.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٦٠) كتاب الفتن، ومسلم (٢٨٨٥) كتاب الفتن.

عليه بتولِّيه لهم، وأول ما نشأ ذلك من العراق، وهى من جهة المشرق، فلا منافاة بين حديث الباب، وبين الحديث الآتى أن الفتنة من جهة المشرق»[(١)(٢)].

---

(١) «فتح البارى» (١٣/ ١٣).

(٢) القيامة الصغرى (ص ١٨٣-١٨٤).

فضل العبادة في أيام الفتن

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس فى الفتن رجل آخذٌ بعنان فرسه خلف أعداء الله يخيفهم ويخيفونه أو رجل معتزل فى بادية يؤدى حق الله الذى عليه»(١).

وعن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «عبادة فى الهرج كهجرة إلىَّ»(٢).

وعن أبى ثعلبة الخشنى قال: قال رسول الله ﷺ: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله»(٣).

---

(١) صحيح: رواه الحاكم والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٩٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) صحيح لغيره: رواه ابن ماجه، والترمذى، وأبو داود وزاد «قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلًا منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣١٧٢).

فضل العزلة لمن يخشى على نفسه من الفتن

قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلَةً؟ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنانِ فَرَسِهِ فِى سَبِيلِ الله حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُقْتَلَ ؛ أَلا أُخْبِرُكُمْ بالَّذِى يَتْلوهُ؟ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِى شِعْبٍ يُقِيمُ الصَّلاةَ ويُؤْتِى الزَّكَاةَ ويَعْتَزِلُ شرُورَ النّاسِ ؛أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النّاسِ؟ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِالله وَلا يُعْطِى»(٢).

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رجل: أى الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله» قال: ثم من؟ قال: «ثم رجل معتزل فى شِعبٍ من الشعاب يعبد ربه» وفى رواية: «يتقى الله ويدع الناس من شره»(٣).

وعن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من خير معاش الناس لهم: رجل مُمسك عنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغى القتل أو الموتَ مظانَّه ورجل فى غُنيمة فى رأس شعفة من هذه الشَّعف أو بطن وادٍ من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا فى خير»(٤).

عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من جاهد فى سبيل الله كان

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٠٠) كتاب بدء الخلق.

(٢) صحيح: رواه أحمد والنسائى والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٠١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٨٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٨٨) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٩) كتاب الإمارة.

ضامنًا على الله ومن عاد مريضًا كان ضامنًا على الله ومن دخل على إمامه يُعزره كان ضامنًا على الله ومن جلس فى بيته لم يغتب إنسانًا كان ضامنًا على الله»(١).

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبى لمن مَلَك لسانه ووسِعه بيته وبكى على خطيئته»(٢).

وعن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبى وقاص فى بيته فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب فنزل فقال له: أنزلت فى إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون المُلك بينهم فضرب سعد فى صدره وقال: اسكت.. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى»(٣).

وعن أبى موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ بَيْنَ يَدَى السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللّيْلِ المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا وَيُمْسِى مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كافِرًا القاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ من القائم والقائم فيها خير من الماشى والمَاشِى فِيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى فَكَسِّرُوا قِسيَّكُمْ وَقَطِّعُوا أوْتارَكُمْ واضْرِبوا سُيُوفَكُمْ بالحِجارَةِ فإنْ دُخِلَ على أحَدٍ مِنْكُمْ بَيْتُهُ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَى آدَمَ»(٤).

وعن ابن عمرو رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبرانى وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٣١٦) (٢٧٣٨).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الصغير وأبو نعيم فى الحلية، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٢٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٥) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٤٩).

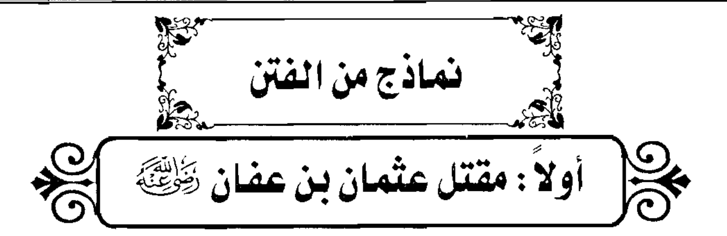
فقال: «**إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفَّت أماناتهم وكانوا هكذا**» وشبك بين أصابعه قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك - جعلني الله تبارك وتعالى فداك -؟ قال: «**الزم بيتك وابكِ على نفسك واملك عليك لسانك وخُذ ما تعرف ودَعْ ما تُنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودَعْ عنك أمر العامة**»[(١)].

وعن المقداد بن الأسود قال: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن السعيد لمَنْ جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، ولمن ابتُلى فصبر**»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٣٧).



نماذج من الفتن

أولاً : مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

لقد كان المسلمون فى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ينعمون بالأمن والاستقرار حتى أصبح فى زمانه لكل نفس مسلمة راتب من بيت مال المسلمين إلى أن ظهرت مجموعة من المنافقين والحاقدين على دولة الإسلام فتآمرت على هدمه وتشويه مبادئه وإثارة الخلافات، وبدأت الفتنة بقيادة رجل يهودى تظاهر بالإسلام يُسمَّى عبد الله بن سبأ الذى بدأ هو وأتباعه الكيد للإسلام وأهله، فأخذوا يعيبون على خليفة المسلمين عثمان أنه استعان بأقربائه من بنى أمية مع أن أقرباءه الذين استعان بهم كان قد استعملهم النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وقد أظهروا كفاءة فى الحكم مثل: معاوية والى الشام وهو من كُتَّاب الوحى للنبى ﷺ، وعبد الله بن أبى سرح والى مصر، وعبد الله بن عامر والى البصرة ثم قام هؤلاء المتآمرون بنشر دعوى كاذبة وهى أن عثمان اغتصب الخلافة من الصحابى الجليل على بن أبى طالب مع أن عليًّا كان من أول من بايع عثمان بالخلافة.

أخذ عبد الله بن سبأ ينتقل فى الجزيرة العربية لنشر سمومه وأكاذيبه فلم يجد أُذنًا مُصغية؛ فانتقل إلى الشام فطُرد منها، فانتقل إلى الكوفة، وهى معروفة بعصيان أهلها وكثرة شكواهم من ولاتهم، فوجد له فيها أتباعًا، وانطلقت منها شرارة الفتنة وتحققت نبوءة النبى ﷺ حينما أشار إلى شرق المدينة وقال: «**ألا إن الفتنة ها هنا**».

ثم استقر ابن سبأ فى مصر وأخذ ينظم مؤامراته ضد عثمان ويذيع ما زعمه من المظالم فى البلدان المختلفة، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة المنورة لخلع عثمان رضي الله عنه وطلبوا منه أن يعتزل الخلافة؛ فأبى عثمان رضي الله عنه فقد عَهِد النبى إليه أن لا يخلع نفسه عن الخلافة؛ إذ قال له ﷺ يومًا: «**يا عثمان عسى الله أن يُقمِّصك قميصًا من بعدى (يقصد الخلافة)؛ فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه**»[1] قال ذلك ثلاثًا.

واستمر حصار دار عثمان أكثر من أربعين يومًا، وكان عثمان خلالها شجاعًا هادئًا صابرًا، وعندما جاءه الصحابة ليحاربوا لرفع الحصار عن داره؛ أمرهم بعدم الحرب وطلب منهم لزوم بيوتهم، واشتد الحصار عليه ومنع عنه المتآمرون الزيارة وحرموه وأهل بيته من الطعام والشراب وكان على رضي الله عنه يزاحمهم حتى تقع عمامته ليوصل الماء إليه وإلى أهله ثم جاءه زيد بن ثابت قائلًا: هذه الأنصار كلها بالباب إن شئت نكون أنصار الله مرتين فقال رضي الله عنه: أما قتال فلا.

وأرسل علىٌّ إليه: إن معى خمسمائة دارع (فارس) فائذن لى فأمنعك من القوم، فإنك لم تفعل شيئًا يُستحَلُّ به دمك. فأجابه عثمان: جُزيت خيرًا ما أحب أن يهراق دم فى سبيلى.

وألحَّ عليه الصحابة بعد أن تجمع المهاجرون والأنصار وأبناؤهم أن يأذن لهم فى جهاد المتآمرين، فقال رضي الله عنه: أعزم (أقسم) على من كانت لى عليه طاعة ألا يقاتل.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٠٥) كتاب المناقب، وابن ماجه (١١٢) فى المقدمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (١١٧٢).

وضرب عثمان رضي الله عنه المثل فى تضحيته بنفسه فداءً للأمة الإسلامية ومن أجل حقن دماء المسلمين وكبار الصحابة، ولحفظ كيان الأمة وعدم تفرقها.

ويطل عثمان يومًا من داره على المحاصرين يخطبهم ويُذكرهم بمواقفه ويقول: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على جبل أُحد ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فقال ﷺ: «**اثبت أُحد فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان**»[1] قالوا: اللهم نعم، قال: الله أكبر، شهدوا لى ورب الكعبة أنى شهيد.

ثم قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله نظر فى وجوه القوم فقال: «**من يجهز هؤلاء غفر الله له**» يعنى جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالًا ولا خطامًا؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد».

ثم قال: «أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبى ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفر رومة (البئر) فله الجنة**» فحفرتُها؟ ألستُم تعلمون أنه قال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**» فجهزته؟ قال: فصدَّقوه بما قال[2].

ويخبر عثمان من حوله أنه رأى النبى ﷺ فى النوم ورأى أبا بكر وعمر وأنهم قالوا له: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، وكان عثمان رضي الله عنه صائمًا فترة حصاره ثم دعا رضي الله عنه بمصحف ففتحه وأخذ يقرأ فيه.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٥) كتاب المناقب.

(٢) الخلفاء الراشدون (ص ٥٧ - ٦٠) بتصرف.

ويتسلق المتآمرون سور الدار، ويتكاثرون على عثمان وتحاول زوجه الدفاع عنه فتُقطع أصابعها، ويضربونه بسيوفهم وهو يقول: «بسم الله توكلت على الله سبحان الله».

وتتساقط قطرات دمه الشريف على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣٧)﴾.

وفى اليوم الثالث لاستشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حمله المسلمون بعد صلاة المغرب ليُدفن بالبقيع وقد ناهز الثمانين عامًا من عمره[(١)].

۞ وبعدما ذكرنا قصة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلا بُدَّ أن نعلم أن من أعظم الفتن التى أخبر بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الفتنة التى أدت إلى مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان وفرقة الأمة الإسلامية، ومن ثَمَّ جُعل بأسها بينها، فقد سَلَّ بعضها السيوف على بعض، وسالت الدماء الطاهرة الطيبة من الفريقين المسلمين المتخاصمين، وأصدق وصف لتلك الفتنة أنها كانت تموج كموج البحر[(٢)].

ولا بُدَّ أن نعلم أيضًا أنه كان ظهور الفتن في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه كان بابًا مغلقًا دون الفتن، فلما قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ظهرت الفتن العظيمة، وظهر دُعاتُها ممَّن لم يتمكَّن الإيمان من قلبه، وممَّن كان من المنافقين الذين يُظهرون للناس الخير، ويُبطِنون الشر والكيد لهذا الدين.

ففى «الصحيحين» عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَيُّكُمْ

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٦٠- ٦١).

(٢) القيامة الصغرى (ص ١٧٥).

يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِى الفِتْنَةِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَاتِ، إِنَّكَ لَجَرِىءٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ**»، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ، وَلَكِنِ الَّتِى تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: يُفْتَحُ البَابُ أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لاَ يُغْلَقَ،... قُلْنَا: عَلِمَ عُمَرُ البَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّى حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ. فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ، وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنِ البَابُ؟، قَالَ: عُمَرُ[١].

وكان ما أخبر به الصَّادق المصدوق ﷺ، فقد قُتِلَ عمر، وكُسِرَ الباب، وظهرتِ الفتن، ووقع البلاء، فكان أول فتنة ظهرت هى قتل الخليفة الرَّاشد ذى النورين عثمان بن عفَّان على يد طائفة من دُعاة الشر، الذين تألَّبوا عليه من العراق ومصر، ودَخلُوا المدينة، وقتلوه وهو فى داره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٢].

وقد ذكر النبى ﷺ لعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سيصيبُه بلاءٌ، ولهذا صبر ونهىٰ الصَّحابة عن قتال الخارجين عليه؛ كي لا يُراقَ دَمٌ مِن أجله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٣].

ففى الحديث عن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ النَّبِىُّ ﷺ يَوْمًا إِلَى حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ المَدِينَةِ ... (فذكر الحديث إلى أن قال:) جَاءَ عُثْمَانُ فَقُلْتُ: كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ لَكَ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، مَعَهَا بَلاَءٌ يُصِيبُهُ**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٥، ٣٥٨٦)، ومسلم (٢٧٩٨) كتاب الفتن.

(٢) انظر تفصيل ذلك فى «البداية والنهاية» (٧/ ١٧٠-١٩١).

(٣) انظر: «العواصم من القواصم» (ص ١٣٢-١٣٧)، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧٢٦٢) كتاب الفتن، ومسلم (٢٤٠٣) كتاب فضائل الصحابة.

«وَخصَّ النَّبىّ عُثْمَانُ بِذِكْرِ الْبَلَاءِ مَعَ أَنَّ عُمَرَ قُتِلَ أَيْضًا؛ لِكَوْنِ عُمَرَ لَمْ يُمْتَحَنْ بِمِثْلِ مَا امْتُحِنَ بِهِ عُثْمَانُ؛ مِنْ تَسَلُّطِ الْقَوْم الَّذِينَ أَرَادُوا مِنْهُ أَنْ يَنْخَلِعَ مِنَ الْإِمَامَةِ بِسَبَبِ مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوْرِ وَالظُّلْم، بَعدَ إِقْنَاعِهِ لَهُمْ، ورَدِّه عليهم»[١].

وبمقتل عثمان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ انقسم المسلمون، ووقع القتال بين الصحابة، وانتشرت الفتن والأهواء، وكَثُر الاختلاف، وتشعَّبت الآراء، ودارت المعارك الطاحنة فى عهد الصحابة رَضِوَاللَّهُعَنْهُم، وكان النبى ﷺ يعلم ما سيقع من الفتن فى زمنهم؛ فإنه أشرف على أُطم[٢] من آطام المدينة، فقال: «**هل ترونَ ما أرى؟ قالوا: لا. قال: فإنى أرى الفتن تقع خلال بيوتكُم كوقع القطر**»[٣].

قال النووى: «وَالتَّشْبِيهُ بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ فِى الْكَثْرَةِ وَالْعُمُومِ أَىْ إِنَّهَا كَثِيرَةٌ، وَتَعُمُّ الناس، لاتختص بِهَا طَائِفَةٌ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْحُرُوبِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهُمْ؛ كَوَقْعَةِ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ وَالْحَرَّةِ وَمَقْتَلِ عُثْمَانَ وَمَقْتَلِ الْحُسَيْنِ رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا ... وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِيهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُ ﷺ»[٤][٥].

۞ وقد حدد الرسول ﷺ العام الذى تقع فيه الفتنة،... ففى حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامُ بَعْدَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلِكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ بَقَوْا بَقِىَ لَهُمْ دِينُهُمْ -يَقُمْ لَهُمْ**

---

(١) انظر: «فتح البارى» (١٣/ ٥١).

(٢) (أُطم): بالضم: بناء مرتفع، وجمعه: آطام، وهى الأبنية المرتفعة؛ كالحصون.
انظر: «النهاية» (١/ ٥٤) لابن الأثير.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٥) كتاب الفتن.

(٤) «شرح النووى لمسلم» (٨/ ١٨).

(٥) «أشراط الساعة» (ص ٩٦-٩٨).

سَبْعِينَ عَامًا -قُلْتُ (وفى رواية قال عمر: يا نبى الله): مِمَّا بَقِىَ أَوْ مِمَّا مَضَى؟ قَالَ: «مِمَّا مَضَى»(١)، وقد سمَّاها رحى الإسلام تشبيهًا للحرب بالرَّحى، لأنها تطحن المقاتلين، كما يطحن الرحى الحَبَّ، وأشار الرسول ﷺ فى بقية الحديث إلى مدة حكم بنى أمية، فقد كانت مدته سبعين عامًا.

وقد صرح فى بعض الروايات بما يكون من حال الأمة فى تلك الفتنة، ففى حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»**(٢).

۞ كَيْفَ قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه وَلَمْ يدفع عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ؟

- والجواب على ذلك يكمن فى الآتى:

۞ التَّعليلُ الأوَّلُ:

أَنَّ عُثْمَانَ هُوَ الَّذِى عَزَمَ عَلَيْهِمْ بِهَذَا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُغْمِدُوا سُيُوفَهُمْ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْقِتَالِ، وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللهِ تبارك وتعالى وَقَدَرِهِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:

الأَوَّلُ: شَجَاعَةُ عُثْمَانَ.

وَالثَّانِى: رَحْمَتُهُ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّ أُولَئِكَ أَعْرَابٌ أَجْلَافٌ وَأَنَّهُم مُفْسِدُونَ، فَرَأَى أَنَّهُ لَوْ قَاتَلَهُمُ الصَّحَابَةُ لَكَانَتِ الْمَفْسَدَةُ أَعْظَمَ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَلَرُبَّمَا انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى قَتْلِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ يَتَعَدَّوْنَ إِلَى انْتِهَاكِ الْأَعْرَاضِ، وَانْتِهَابِ الْأَمْوَالِ، فَرَأَى أَنَّ الْمَصْلَحَةَ أَن يُقْتَلَ هُوَ وَلَا يُقْتَلَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا تُهْتَكَ حُرْمَةُ

(١) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٧٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٠٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٢١٤) كتاب الفتنة.

مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

التَّعْلِيلُ الثَّانِي:

أَنَّ عَدَدَ الصَّحَابَةِ كَانَ أَقَلَّ بِكَثِيرٍ مِنْ عَدَدِ أُولَئِكَ الْخَوَارِجِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا عَلَى أَرْبَعَةِ أَمَاكِنَ:

الْمَكَانُ الْأَوَّلُ: مَكَّةُ؛ لِأَنَّ الْمَوْسِمَ كَانَ مَوْسِمَ حَجٍّ، وَقَدْ خَرَجَ الْكَثِيرُونَ لِلْحَجِّ، وَلَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ.

الثَّانِي: بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ تَمَصَّرُوا الْأَمْصَارَ، عَاشُوا فِي الْكُوفَةِ، وَالْبَصْرَةِ، وَمِصْرَ، وَالشَّامِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ.

الثَّالِثُ: فِي الْجِهَادِ.

الْمَكَانُ الرَّابِعُ: هُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَكُن عَدَدُهُمْ مُكَافِئًا لِعَدَدِ أُولَئِكَ الْخَوَارِجِ.

التَّعْلِيلُ الثَّالِثُ:

أَنَّ الصَّحَابَةَ بَعَثُوا أَوْلَادَهُمْ لِلدِّفَاعِ عَنْ عُثْمَانَ وَمَا كَانُوا يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ الْأَمْرَ يَصِلُ إِلَى الْقَتْلِ، وَإِنَّمَا حِصَارٌ وَعِنَادٌ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَرْجِعُونَ، أَمَّا أَنَّهُمْ يَتَجَرَّءُونَ وَيَقْتُلُونَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لَا يَرَى أَنَّ الْأَمْرَ يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ. وَأَرْجَحُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي مَنَعَهُم مِنْ قِتَالِ أُولَئِكَ الْخَوَارِجِ[١].

(١) حقبة من التاريخ / عثمان الخميس (ص ٩٣-٩٤).

ثانيًا: موقعة الجمل

ومن الفتن التى وقعت بعد قتل عثمان رضي الله عنه ما وقع فى معركة الجمل المشهورة بين على رضي الله عنه وعائشة وطلحة والزُّبير رضي الله عنهم؛ فإنه لما قُتل عثمان؛ أتى الناس عليًّا وهو فى المدينة، فقالوا له: ابْسطْ يَدَكَ نُبَايِعْكَ. فقالَ: حتى يتشاوَرَ الناس. فقال بعضهم: لئن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يقم بعده قائمٌ؛ لم يُؤمَن الاختلاف وفساد الأمة، فَألَحُّوا على عليٍّ رضي الله عنه فى قبول البيعة، فبايعوه، وكان ممَّن بايعه طلحة والزُّبير رضي الله عنهما، ثم ذهبا إلى مكَّة للعمرة، فلقيتهم عائشة رضي الله عنها، وبعد حديثٍ جرى بينهم فى مقتل عثمان توجَّهوا إلى البصرة، وطلبوا من عليٍّ أن يُسلِّم لهم قَتَلة عثمان[1]، فلم يُجبهم؛ لأنه كان ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبت على أحدٍ بعينه أنَّه ممَّن قتل عثمان؛ اقتصَّ منه، فاختلفوا بسبب ذلك، وخشى مَن نُسِب إليهم القتل - وهم الخارجون على عثمان- أن يصطلحوا على قتلهم، فأنشبوا الحرب بين الطائفتين[2].

وممَّا يدلُّ على أنَّ عائشة وطلحة والزُّبير لم يخرجوا للقتال، وإنما للصُّلح بين المسلمين ما رواه الحاكم من طريق قيس بن أبى حازم؛ قال: لَمَّا بَلَغَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها بَعْضَ دِيَارِ بَنِى عَامِرٍ نَبَحَتْ عَلَيْهَا الْكِلَابُ، فَقَالَتْ:

---

(١) يرى أبو بكر بن العربى فى كتابه «العواصم من القواصم» أنَّ خروجهم إلى البصرة إنَّما كان للصُّلح بين المسلمين، وقال: «هذا هو الصحيح، لا شىء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار».

انظر: «العواصم» (ص ١٥١).

(٢) انظر تفصيل ذلك فى «فتح البارى» (١٣/ ٥٤-٥٩).

أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: الْحَوْأَبُ[١]، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِى إِلَّا رَاجِعَةً، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: لَا بَعْدُ، تَقَدَّمِي وَيَرَاكِ النَّاسُ، وَيُصْلِحُ اللهُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِى إِلَّا رَاجِعَةً .. سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ إِذْ نَبَحَتْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ**»[٢].

وفى رواية للبزار عن ابن عباس أن رسول الله قَالَ لِنِسَائِهِ: «**أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ**[٣]، **تَخْرُجُ حَتَّى تَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرة، ثُمَّ تَنْجُو مِنْ بَعْدَمَا قَدْ كَادَتْ**»[٤].

قال ابن تيمية: «إن عائشة لم تخرج للقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنَّت أن فى خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبيَّن لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أَولى، فكانت إذا ذكرتْ خُروجها؛ تبكى حتى تَبُلَّ خِمارَها، وهكذا عامَّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزُّبير وعلىٌّ رضي الله عنهم أجمعين»[٥].

---

(١) (الحوأب): موضع قريب من البصرة، وهو من مياه العرب فى الجاهلية، ويقع على طريق القادم من مكة إلى البصرة، وسُمى بـ(الحوأب) نسبة لأبى بكر بن كلاب الحوأب، أو نسبة للحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية.

انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣١٤)، وحاشية محب الدين الخطيب على «العواصم من القواصم» (ص١٤٨).

(٢) «مستدرك الحاكم» (٣/ ١٢٠).

قال ابن حجر: «سنده على شرط الصحيح». انظر: «فتح البارى» (١٣/ ٥٥).

(٣) (الأدبب)؛ أى: الأدب، وهو كثير وبر الوجه. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٩٦).

(٤) «فتح البارى» (١٣/ ٥٥)، وقال ابن حجر: «رجاله ثقات»، وصححه الألبانى فى «السلسلة الصحيحة» (٤٧٥).

(٥) أشراط الساعة (ص ٩٨-١٠١) بتصرف.

وكان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة وكان عثمان بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واليًا على البصرة من قِبل عليّ بن أبي طالب فلما وصلوا إلى البصرة أرسل إليهم عثمان بن حنيف: ماذا تريدون؟

قالوا: نريد قتلة عثمان.

فقال لهم: حتى يأتي عليٌّ،... ومنعهم من الدخول.

ثُمَّ خرج إليهم (جَبَلة) وهو أحد الذين شاركوا في قتل عثمان فقاتلهم في سبعمائة رجل فانتصروا عليه وقتلوا كثيرًا ممن كان معه، وانضم كثير من أهل البصرة إلى جيش طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

عند ذلك خرج عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المدينة إلى الكوفة وذلك لما سمع أنه وقع هناك قتال بين عثمان بن حنيف وهو والي (عليّ) على البصرة وطلحة والزبير وعائشة ومن معهم فخرج عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الكوفة وجهز جيشًا قوامه عشرة آلاف وخرج لمقاتلة طلحة والزبير، وهنا يظهر لنا جليًّا أن علي بن أبي طالب هو الذي خرج إليهم ولم يخرجوا عليه ولم يقصدوا قتاله كما يدَّعي الشيعة وبعض من تأثَّر بهم.

وأرسل (عليٌّ) المقداد بن الأسود والقعقاع بن عمرو ليتكلما مع طلحة والزُّبير واتفق المقداد والقعقاع من جهة وطلحة والزبير من جهة أخرى على عدم القتال وبيَّن كل فريق وجهة نظره.

فطلحة والزبير يريان أنَّه لا يجوز ترك قتلة عثمان، وعليٌّ يرى أنه ليس الآن بل حتى تستتب الأمور، فقَتْلُ قتلة عثمان متفق عليه والاختلاف إنما هو في متى يكون ذلك.

وبعد الاتفاق نام الجيشان بخير ليلة وبات السبئية «وهم قَتَلةُ عثمان»

بشرٍّ ليلة لأنه تم الاتفاق عليهم وهذا ما ذكره المؤرخون الذين أرَّخوا لهذه المعركة أمثال الطبرى[١]، وابن كثير[٢]، وابن الأثير[٣]، وابن حزم[٤]، وغيرهم.

عند ذلك أجمع السبئيون رأيهم على أن لا يتم هذا الاتفاق ... وفى السَّحَر والقوم نائمون هاجم مجموعة من السبئيين جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض أفراد الجيش وفرُّوا فظنَّ جيش طلحة أنَّ عليًّا غدر بهم فناوشوا جيش علىٍّ فى الصباح فظنَّ جيش علىٍّ أن جيش طلحة والزُّبير قد غدروا فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى كانت الظَّهيرة فاشتعلت المعركة.

وقد حاول الكبار من الجيشين وقف القتال ولكن لم يفلحوا فكان طلحة يقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فأصبحوا لا يُنصِّتونه، فقال: أُفٍّ أُفٍّ فراش نار وذبان طمع[٥].

وعلىٌّ يمنعهم ولا يردون عليه وأرسلت عائشة كعب بن سور بالمصحف لوقف المعركة فرشقه السبئيون بالنِّبال حتى أردوه قتيلًا، وذلك أن الحرب والعياذ بالله إذا اشتعلت لا يستطيع أحد أن يوقفها.

قُتل فى هذا اليوم كثير من المسلمين وهى فتنة سلم الله تبارك وتعالى منها سيوفنا ونسأل الله لهم الرضوان والمغفرة.

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/ ٥١٧).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠).

(٣) الكامل فى التاريخ (٣/ ١٢٠).

(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنِّحَل (٤/ ٢٣٨).

(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٢).

وقُتل طلحة والزبير ومحمد بن طلحة، أمَّا الزُّبير فلم يشارك فى هذه المعركة ولا طلحة، وذلك أن الزُّبيرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما جاء إلى المعركة يُروى أنه لقىَ علىّ بن أبى طالب فقال له علىّ: أتذكر أنَّ الرسول ﷺ قال: «تقاتلنى وأنت لى ظالم»، فرجع الزبير فى ذلك اليوم ولم يقاتل.

وقُتل طلحة بسهم غرب «سهم غير مقصود» أصابه فى قدمه مكان إصابة قديمة فمات منها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يحاول منع الناس من القتال،... ولما انتهت هذه المعركة وقتل الكثير خاصة فى الدفاع عن جمل عائشة؛ لأنها كانت تمثل رمزًا لهم فكانوا يستبسلون فى الدفاع عن عائشة ولذلك بمجرد أن سقط الجمل هدأت المعركة وانتهت وانتصر علىٌّ بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وإن كان الصحيح أنه لم ينتصر أحد ولكن خسر الإسلام وخسر المسلمون فى تلك المعركة، فلما انتهت المعركة صار علىّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يمر بين القتلى فوجد طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال بعد أن أجلسه ومسح التراب عن وجهه: عزيزٌ علىَّ أن أراك مُجدَّلًا تحت نجوم السماء أبا محمد وبكى علىّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: وددت أنى مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة(١).

وَكُلُّ الصَّحَابَةِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ الَّذِينَ شَارَكُوا فِى هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ نَدِمُوا عَلَى مَا وَقَعَ. وَكَذَلِكَ رَأَى (عَلِيٌّ) مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ فَبَكَى، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ يُلَقَّبُ بِـ«السَّجَّادِ» مِنْ كَثْرَةِ عِبَادَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر المختصر (١١/ ٢٠٧)، أسد الغابة (٣/ ٨٨)، وقال البوصيرى: رجاله ثقات، نقله عنه الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية (٤/ ٣٠٢) مع اختلاف يسير فى ألفاظه.

۞ وَابْنُ جُرْمُوزٍ هَذَا دَخَلَ عَلَى (عَلِيٍّ) وَمَعَهُ سَيْفُ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: قَتَلْتُ الزُّبَيْرَ، قَتَلْتُ الزُّبَيْرَ، فَلَمَّا سَمِعَهُ عَلِيٌّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا السَّيْفَ طَالَمَا فَرَّجَ الْكَرْبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، ثُمَّ قَالَ: «بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ»، وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ[1][2].

(١) «طبقات ابن سَعْدٍ» (٣/ ١٠٥) بِسَنَد حسن.

(٢) حقبة من التاريخ (ص ٩٧-١٠١) بتصرف.

ثالثًا: موقعة صِفِّين

الصحابة رضي الله عنهم بَشرٌ ليسوا أنبياء فيقع من الصحابة ما يقع من بقية الناس من اجتهادات وأخطاء وخصومات بل .. ومعارك .. وقد أجمع أهل السنة قاطبة على أنَّ الصحابة أبرُّ الناس وأصلحهم وأقربهم إلى هدى النبى ﷺ ووجوب الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم والسكوت عما حصل بينهم من خلافات، وعدم البحث والتنقيب عن خلافاتهم، أو نشرها بين العامة، لما لها من أثرٍ سيئ فى إثارة الفتنة وإيغار الصدور عليهم، وسوء الظن بهم.

ومسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، هو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم(١).

ومن الفتن التى وقعت بين الصَّحابة رضي الله عنهم غير حرب الجمل ما أشار إليه النبى ﷺ بقوله: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»(٢).

فالفئتان هما طائفة علىٍّ ومَن معه، وطائفة معاوية ومَن معه، على ما ذكر الحافظ ابن حجر فى «الفتح»(٣).

أخرج البزَّار بسند جيِّد عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ؛ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ وَقَدْ خَرَجَ أَهْلُ دِينِكُمْ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ وُجُوهَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ؟ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: انْظُرُوا الْفِرْقَةَ الَّتِى تَدْعُو إِلَى أَمْرِ عَلِيٍّ؛ فَالْزَمُوهَا؛

---

(١) نهاية العالم (ص ٤٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٠٩) كتاب المناقب، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن.

(٣) «فتح البارى» (١٣/ ٨٥).

فَإِنَّهَا عَلَى الْحَقِّ[(١)].

وقد وقعت الحرب بين الطائفتين فى الموقعة المشهور بـ(صِفِّين)[(٢)] فى ذى الحجة سنة سِتٍّ وثلاثين من الهجرة، وكان بين الفريقين أكثر من سبعين زحفًا، قُتِل فيها نحو سبعين ألفًا من الفريقين[(٣)].

وما حصل من قتال بين علىٍّ ومُعاوية لم يكن يريده واحدٌ منهما، بل كان فى الجيشين من أهل الأهواء متغلِّبون يحرِّضون على القتال، الأمر الذى أدَّى إلى نُشوب تلك المعارك الطاحنة، وخروج الأمر من يد علىٍّ ومُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليًّا ولا معاوية، وكان على ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أطلَبُ لكفِّ الدماء من أكثر المقتتلين، لكن غُلبا فيما وقع. والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها.

وكان فى العسكرين مثل الأشتر النخعى، وهاشم بن عتبة المرقال، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبى الأعور السُّلَمى، ونحوهم من المُحرِّضين على القتال ... قومٌ ينتصرون لعثمان غاية الانتصار، وقوم ينفرون عنه، وقوم ينتصرون لعلىٍّ، وقوم ينفرون عنه، ثم قتال أصحاب

---

(١) «فتح البارى» (١٣/ ٨٥).

(٢) (صفين): موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربى، بقرب الرقة، آخر تخوم العراق، وأول أرض الشام.
انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٤١٤)، وتعليق الشيخ محب الدين الخطيب على «العواصم» (ص١٦٢).

(٣) انظر: «فتح البارى» (١٣/ ٨٦)، و«معجم البلدان» (٣/ ٤١٤-٤١٥).

معاوية معه لم يكن لخصوص معاوية، بل كان لأسبابٍ أخرى.

وقتال الفتنة مثل قتال الجاهلية، لا تنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم، كما قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فإنه هدر: أنزلوهم منزلة الجاهلية»[١].

(١) «منهاج السنة» لابن تيمية (٢/ ٢٢٤) نقلًا عن أشراط الساعة.

رابعًا: فتنة الخوارج

ومن الفتن التى وقعت أيضًا: ظهور الخوارج على (علىٍّ) رضي الله عنه.

ولقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بخروج هذه الطائفة المخالفة لمنهج النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام.

فقد تواترت الأحاديث بذلك، ذكر منها الحافظ ابن كثير أكثر من ثلاثين حديثًا وردت فى الصحاح والسنن والمسانيد[١].

منها ما رواه أبو سعيد الخُدرى رضي الله عنه؛ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»[٢].

وعنه رضي الله عنه أَنَّهُ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الحَرورِيَّةِ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِى مَا الحَرُورِيَّةُ؟ سَمِعْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**يَخْرُجُ فِى هَذِهِ الأُمَّةِ - وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا - قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، - أَوْ حَنَاجِرَهُمْ - يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[٣].

وكان بداية ظهورهم بعد انتهاء معركة (صِفِّين)، واتفاق أهل العراق والشام على التحكيم بين الطائفتين، وفى أثناء رجوع علىٍّ رضي الله عنه إلى الكوفة فارقه الخوارج - وقد كانوا فى جيشه -، ونزلوا مكانًا يُقال له: (حَرُورَاء)[٤]، ويبلغ عددهم ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفًا، فأرسل علىٌّ إليهم ابن

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٩٠-٣٠٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٦٤).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٩٣١).

(٤) (حروراء): قرية على ميلين من الكوفة، وإليها نُسبت الخوارج، فيقال: حرورية.
انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٤٥).

عباس رضي الله عنهما، فناظرهم، ورجع معه بعضهم، ودخلوا فى طاعة علىٍّ.

وأشاع الخوارج أن عليًّا تاب من الحكومة، ولذلك رجع بعضهم إلى طاعته، فخطبهم علىٌّ رضي الله عنه فى مسجد الكوفة، فتنادوا من جوانب المسجد: لا حكم إلا لله. وقالوا: أشركتَ وحكَّمتَ الرِّجال ولم تُحكِّم كتاب الله.

فقال لهم علىٌّ: لكم علينا ثلاث: أن لا نمنَعَكُم من المساجد، ولا من رزقكم فى الفىء، ولا نبدؤكم بقتال ما لم تُحْدِثوا فسادًا.

ثم إنهم تجمَّعوا وقتلوا مَن اجتاز بهم من المسلِمين ومرَّ بهم عبد الله بن خبَّاب بن الأرت[1] ومعه زوجته، فقتلوه، وبقروا بطن زوجته عن ولدها، فلما علم بذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه، وسألهم مَن قتله؟ فقالوا: كلُّنا قتله.

فتجهَّز علىٌّ للقتال، والتقى بهم فى الموقعة المشهورة بـ(النهروان)[2]، فهزمهم شرَّ هزيمة، ولم ينجُ منهم إلا القليل.

وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتال الخوارج، وبيَّن أن فى قتلهم أجرًا لمن قتلهم،

---

(١) عبد الله بن خباب بن الأرت التميمى، صحابى جليل، وُلد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم، فسمَّاه عبد الله، وكان هو وعبد الله بن الزبير أول من ولد فى الإسلام، قتله الخوارج سنة (٣٧ هـ).
انظر: «الإصابة فى تمييز الصحابة» (٢/ ٣٠٢)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٨)، و«تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٣٠٧).

(٢) (النهروان): هى ثلاثة نهروانات، وهى بلاد واسعة قريبة من بغداد بالعراق، أصلها وادى جرار، بدايته من أذربيجان، ويسقى قرى كثيرة ثم يصب باقيه فى دجلة أسفل المدائن، ويقال له بالفارسية: جوروان، فعرب الإسلام، فقيل: نهروان؛ بفتح النون.
انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣٢٤-٣٢٥).

وهذا دليلٌ على فساد هذه الطائفة، وبُعدها عن الإسلام، وضررها العظيم على الأمة؛ بما تُثيره من فتن وقلاقل.

۞ ففى «الصحيحين» عن علىٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِى آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِى قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

۞ قال الإمام البُخاريُّ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ، وَقَالَ: «إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤْمِنِينَ»(٢).

۞ وقال الحافظ ابن حجر: «وَعَظُمَ الْبَلاَءُ بِهِمْ وَتَوَسَّعُوا فِى مُعْتَقَدِهِمُ الْفَاسِدِ فَأَبْطَلُوا رَجْمَ الْمُحْصَنِ وَقَطَعُوا يَدَ السَّارِقِ مِنَ الإِبِطِ وَأَوْجَبُوا الصَّلاَةَ عَلَى الْحَائِضِ فِى حَالِ حَيْضِهَا وَكَفَّرُوا مَنْ تَرَكَ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِنْ كَانَ قَادِرًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا فَقَدِ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً وَحُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ الْكَافِرِ وَكَفُّوا عَنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَعَنِ التَّعَرُّضِ لَهُمْ مُطْلَقًا وَفَتَكُوا فِيمَنْ يُنْسَبُ إِلَى الإِسْلاَمِ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ»(٣).

۞ ولا يزال الخوارج يَظْهرون حتى يدرك آخرهم الدَّجَّال.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٣٠) كتاب استتابة المرتدين، ومسلم (١٠٦٦) كتاب الزكاة.

(٢) علقه البخاري (١٢/ ٣٥٠)، ووصله ابن عبد البر في التمهيد (فتح البر ١/ ٤٦٩)، قال ابن حجر: «وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار ... وسنده صحيح».

(٣) «فتح البارى» (١٢/ ٢٨٥).

ففى الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ (أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً) حَتَّى يَخْرُجَ فِى عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ» (١)(٢).

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه (١٧٤)، وحسنه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٤٥٥)، وصحيح الجامع (٨١٧١).

(٢) بتصرف من أشراط الساعة.

خامسًا: موقعة الحَرَّة[1]

ثم تتابع وقوع الفتن بعد ذلك، ومن هذه الفتن موقعة الحرَّة المشهورة فى عهد يزيد بن معاوية، والتى استُبيحَت فيها مدينة رسول الله ﷺ، وقُتِل فيها كثيرٌ من الصحابة رضي الله عنهم.

قال سعيد بن المسيب: «ثارت الفتنة الأولى، فلم يبقَ ممَّن شهد بدرًا أحدٌ، ثم كانت الثانية، فلم يبق ممَّن شهد الحديبية أحدٌ».

قال: «وأظن لو كانت الثالثة؛ لم ترتفع وفى الناس طباخ»[2].

قال البغوى: «أراد بالفتنة الأولى مقتل عثمان، وبالثانية الحرَّة»[3].

---

(١) (الحرَّة): هى الحرة الشرقية، إحدى حرَّتى المدينة، وفيها كانت المعركة بين أهل المدينة وجيش يزيد بن معاوية سنة (٦٣ هـ)، وسببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد، فأرسل إليهم جيشًا بقيادة مسلم بن عقبة المرى، فاستباح المدينة، وقتل نحو سبع مائة من الصحابة والمهاجرين والأنصار ومن غيرهم عشرة آلاف، فسمَّاه السلف: مُسرف. وقد أخذه الله وهو فى طريقه إلى مكة متوجهًا من المدينة.

انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ٢١٧-٢٢٤)، و«معجم البلدان» (٢/ ٢٤٩).

(٢) (طباخ)؛ أى: خير ونفع؛ يقال: فلان لا طباخ له؛ أى: لا عقل له.

انظر: «شرح السنة» للبغوى (١٤/ ٣٩٦)، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٣) «شرح السنة» (١٤/ ٣٩٥).

سادسًا: فتنة القول بخلق القرآن

ثم ظهر بعد ذلك فى عهد العباسيِّين فتنة القول بخلق القرآن، وقد تزعَّم هذه المقالة الخليفة العباسى المأمون، وناصَرَهَا، وتَبِعَ فى ذلك الجهميَّة والمعتزلة الذين روَّجوها عنده، حتى امتُحِنَ بسببها علماء الإسلام، ووقع على المسلمين بذلك بلاءٌ عظيمٌ، فقد شغلتهم ردحًا طويلًا من الزَّمن، وأُدخل بسببها فى عقيدة المسلمين ما ليس منها.

هذا؛ والفتن التى وقعت كثيرة لا حصر لها، ولا تزال الفتن تظهر وتتابع وتزداد.

وبسبب هذه الفتن وغيرها من الفتن افترق المسلمون إلى فرقٍ كثيرةٍ، كل فرقةٍ تدعو إلى نفسها، وتدَّعى أنها على الحق، وأن غيرَها على الباطل.

وقد أخبر الهادى البشيرُ ﷺ بافتراق هذه الأمة كما افترقت الأمم قبلها.

ففى الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِى عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»(١).

۞ وَعَنْ أَبِى عَامِرٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ لُحَىٍّ، قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَامَ حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِى دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِى: الْأَهْوَاءَ -، كُلُّهَا فِى النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِىَ الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِى أُمَّتِى أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٠٣).

كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ» وَاللهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، لَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أَحْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ(١).

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٠٤).

كيف ننجو من الفتن

اجتهد كثير من الصحابة فى التعرف على الفتن التى ستعصف بالأمة وتبيين طريق النجاة والخلاص منها، ومن هؤلاء بل فى مقدمتهم حذيفة بن اليمان فقد صَحَّ عنه أنه قال: «إنى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة، فيما بينى وبين الساعة»(١) .

وقد كان حذيفة يُكثر من سؤال الرسول ﷺ عن الفتن حتى لا يقع فيها، ففى صحيح البخارى عن حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنا فى جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَن**»، قلت: ما دَخَنُه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديى، تعرف منهم وتنكر**»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دُعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها**». قلت: يا رسول الله: صِفْهُم لنا. قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**». قلت: فما تأمرنى إن أدركنى ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»(٢) .

وفى حديث العرباض بن سارية أمر الرسول ﷺ بالتمسك بالإسلام، وطاعة الإمام، والتزام سنة الرسول ﷺ وسنة خلفائه الراشدين المهديين

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩١) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠٨٤) كتاب الفتن.

من بعده، ... فقد روى عبد الرحمن بن عمرو السُّلَمى أنه سمع العرباض ابن سارية يقول: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، كأنَّها موعظة مُودِّع فأوصنا. فقال ﷺ: «**أوصِيكم بتَقْوَى الله والسَّمعِ والطَّاعَةِ وَإن أُمِّرَ علَيْكم عَبْدٌ حَبْشِيٌّ فإنهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكمْ بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكوا بِها وَعَضُّوا عَلَيْها بالنَّوَاجِذِ وإيَّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأمُورِ فإنّ كلَّ مُحْدثَة بِدْعَةٌ وكلَّ بِدعَةٍ ضلالَةٌ**»(١).

۞ كيف يتصرف المسلم في الحروب التي تثور بين المسلمين:

أرشد الرسول ﷺ أمته إلى كيفية التصرف فى مثل هذه الفتن التى تثور بين المسلمين، حيث يخفى الحق، وتضطرب الأمور، فقد دعا الرسول ﷺ إلى اجتناب الصراع والقتال فى مثل هذه الحال، والاعتزال فى مكانٍ ناءٍ، يرعى الرجل الغنم فى قمم الجبال، أو يجاهد الأعداء على حدود الدولة المسلمة، فإن وصلت إليه سيوف المتحاربين، فقد أُمر بأن يمتنع عن الدفاع عن نفسه، ولو كان فى هذا هلاكه، ... فقد روى لنا أبو بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن، ألا ثَمَّ ستكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشى فيها، والماشى خير من الساعى إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه**». قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدق على حَدِّه بحجر، ثم لينجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟**» فقال رجل: يا

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٤٩).

رسول الله، أرأيت إن أُكرهت حتى يُنطلق بى إلى أحد الصفين، أو إلى إحدى الفئتين؟ فضربنى رجل بسيفه، أو يجىء سهم فيقتلنى؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**»(١).

وعن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**»(٢).

وفى حديث أبى هريرة عند الحاكم أن رسول الله ﷺ قال: «**أظلتكم فتن كقطع الليل المظلم، أنجى الناس منها صاحب شاهقة، يأكل من رَسل غنمه (اللبن) أو رجل من وراء الدروب، آخذٌ بعنان فرسه، يأكل من فَىء رُمحه**»(٣).

وقد بيَّن الرسول ﷺ لأبى ذر كيف يتصرف فى الفتنة، فقال له: «**أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضًا حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء**(٤)، كيف تصنع؟ قال: **اقعد فى بيتك، وأغلق عليك بابك**»، قال: فإن لم أترك؟ قال: «**فأتِ مَن كنت معه، فكن فيهم**». قال: فآخذ سلاحى؟ قال: «**إذًا تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألقِ من طرف ردائك على وجهك، كى يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٧) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠٨٨) كتاب الفتنة.

(٣) صحيح: رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤/٦٤٢).

(٤) حجارة الزيت: موضع فى المدينة المنورة.

(٥) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨١٩).

وقد احتج بالأحاديث التى سُقناها وما أشبهها من لم يرَ القتال فى الفتنة من الصحابة، «وهم كل من ترك القتال مع على بن أبى طالب فى حروبه، كسعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبى بكرة، وغيرهم، وقالوا: يجب الكف حتى لو أراد أحد قتله لم يدفعه عن نفسه، ومنهم من قال: لا يدخل فى الفتنة، فإن أراد أحد قتله دفع عن نفسه، وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين، وحَمَل هؤلاء الأحاديث الواردة فى ذلك على من ضعف على القتال، أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق»[1] .

وقال **الطبرى**: «الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أُشكل الأمر فهى الحالة التى ورد النهى عن القتال فيها»[2].

ولا شك أن تبين الحق والصواب فى مثل هذه الظروف التى تقع فيها الفتن، وتظهر فيها الأهواء صعب جدًّا، والأقرب إلى السلامة هو البعد والاعتزال، كيلا يصيب المسلمُ دمًا حرامًا، ولا يؤذى مسلمًا، والله أعلم بالصواب[3].

---

(١) فتح البارى: (١٣/ ٣٣) .

(٢) فتح البارى: (١٣/ ٣١) .

(٣) القيامة الصُّغرى د/ عمر الأشقر (ص ١٧٨-١٨١).

(٧) قتال الترك[1]

❁ وها هي علامة من علامات الساعة الصُّغرى.

ونحن نعلم أن النبى ﷺ قد أخبر أنَّ من علامات الساعة حروب ومعارك تدور بين المسلمين وغيرهم من الأمم الكافرة.

ومن ذلك معركة بين المسلمين والترك.

وقد حدث ذلك فى عصر الصَّحابة فى أول خلافة بنى أمية، فى خلافة معاوية رضي الله عنه فهزموا الترك وغنموا منهم.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ[2]، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ**

---

(١) كان الترك ثنتين وعشرين قبيلة وقد بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وبقيت واحدة وهى الترك ... سُمُّوا بذلك؛ لأنهم تُرِكُوا خارجين عن السدِّ لم يُغلق عليهم مع بقية القبائل. انظر مرقاة المفاتيح (١٥/ ٣٩٢).

❁ الترك: للعلماء عدة أقوال فى أصلهم؛ منها:

أ- أنهم من نسل يافث بن نوح، الذى من نسله يأجوج ومأجوج، فهو بنو عمهم.

ب- أنهم من بنى قنطوراء، اسم جارية كانت لإبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه، ولدت له أولادًا جاء من نسلهم الترك والصين.

ج- وقيل: إنهم من نسل تُبَّع.

د- وقيل: من نسل أفريدون بن سام بن نوح.

وبلادهم يقال لها: تركستان، وهى ما بين مشارق خراسان إلى مغارب الصين، وشمال الهند إلى أقصى المعمور.

انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٤/ ١١٣)، و«ترتيب القاموس المحيط» (٣/ ٧٠٠)، و«معالم السنن» (٦/ ٦٨)، و«معجم البلدان» (٢/ ٢٣)، و«النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ١٥٣) تحقيق. د. طه زينى، و«فتح البارى» (٦/ ١٠٤، ٦٠٨).

(٢) أى: انخفاض قصبة الأنف وانفراشه.

الْمُطْرَقَةُ[١]**، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ**[٢]»[٣].

والمراد بهم والله أعلم التتار (المغول) الذين اجتاحوا البلاد الإسلامية عام (٦٥٦هـ-١٢٥٨م)، وسفكوا الدماء، لكنهم أخيرًا دخلوا فى الإسلام.

۞ نُقل عن القرطبى ما ذكره فى خروج الترك، وأنهم خرجوا ثلاث مرات على المسلمين، وكان خروجهم الأخير: تدميرهم بغداد، وقتلهم للخليفة والعلماء والأمراء والفضلاء والعُبَّاد، وأنهم أوغلوا فى البلاد حتى ملكوا الشام مدة يسيرة، ودخل رعبهم الدِّيَار المصرية، إلى أن تصدَّى لهم الملك المُظَفَّر الملقب بـ(قطز) فى معركة (عين جالوت)، فكان له النصر والظفر عليهم كما كان النصر لطالوت، وتفرَّقت جموعهم، وكفى الله المسلمين شرورهم[٤].

وللبُخارى عن أبى هريرة ﵁ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ، قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ**»[٥].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِب، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا عِرَاضَ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ**»[٦].

---

(١) المجان: الترس، شبَّه وجوههم بالتّرس (وهو ما يحمله المقاتل فى يده يتقى به ضربات السيوف): أى: مستديرة، وبالمطرقة؛ لغلظها وكثرة لحمها.

(٢) أى: من جلود فيها شعر الحيوانات غير مدبوغة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٢٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٩١٢) كتاب الفتن.

(٤) انظر: «التذكرة» للقرطبى (ص ٥٩٢-٥٩٥)، و«عون المعبود» (١١/ ٤١٥-٤١٦).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٩٢٨) كتاب الجهاد.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٢٩٢٧) كتاب الجهاد.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أُمَّتِي يَسُوقُهَا قَوْمٌ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْأَعْيُنِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْحَجَفُ**[١] (ثَلَاثَ مِرَارٍ) **حَتَّى يُلْحِقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، أَمَّا السَّائِقَةُ الْأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ. وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَيَهْلِكُ بَعْضٌ، وَيَنْجُو بَعْضٌ. وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَيُصْطَلَمُونَ**[٢] **كُلُّهُمْ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ**». قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمُ التُّرْكُ**». قَالَ: «**أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَرْبِطُنَّ خُيُولَهُمْ إِلَى سَوَارِي مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ**».

قَالَ: وَكَانَ بُرَيْدَةُ لَا يُفَارِقُهُ بَعِيرَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، وَمَتَاعُ السَّفَرِ وَالْأَسْقِيَةُ يُعِدُّ ذَلِكَ لِلْهَرَبِ مِمَّا سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْبَلَاءِ مِنْ أَمْرِ التُّرْكِ[٣].

۞ قال ابن حجر رحمه الله:

«وَكَانَ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَسْدُودًا إِلَى أَنْ فُتِحَ ذَلِكَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَكَثُرَ السَّبْيُ مِنْهُمْ وَتَنَافَسَ الْمُلُوكُ فِيهِمْ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْبَأْسِ حَتَّى كَانَ أَكْثَرُ عَسْكَرِ الْمُعْتَصِمِ مِنْهُمْ ثُمَّ غَلَبَ الْأَتْرَاكُ عَلَى الْمُلْكِ فَقَتَلُوا ابْنَهُ الْمُتَوَكِّلَ ثُمَّ أَوْلَادَهُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى أَنْ خَالَطَ الْمَمْلَكَةَ الدَّيْلَمُ ثُمَّ كَانَ الْمُلُوكُ السَّامَانِيَّةُ مِنَ التُّرْكِ أَيْضًا فَمَلَكُوا بِلَادَ الْعَجَمِ ثُمَّ غَلَبَ عَلَى تِلْكَ الْمَمَالِكِ آلُ سُبُكْتِكِينَ ثُمَّ آلُ سُلْجُوقَ وَامْتَدَّتْ مَمْلَكَتُهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَالرُّومِ ثُمَّ كَانَ بَقَايَا أَتْبَاعِهِمْ بِالشَّامِ وَهُمْ آلُ زَنْكِي وَأَتْبَاعُ هَؤُلَاءِ وَهُمْ بَيْتُ

---

(١) الحجف: قال ابن الأثير: «الحجفة: الترس». «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٣٤٥).

(٢) يصطلمون: الاصطلام: افتعال من الصلم، وهو القطع؛ أي: يحصدون.

انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤٩)، و«عون المعبود» (١١/ ٤١٣).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٤٨-٣٤٩)، قال أبو الخطاب عمر بن دحية: «هذا سند صحيح». «التذكرة» للقرطبي، (ص ٥٩٣).

أَيُّوبَ وَاسْتَكْثَرَ هَؤُلَاءِ أَيْضًا مِنَ التُّرْكِ فَغَلَبُوهُمْ عَلَى الْمَمْلَكَةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ وَالْحِجَازِيَّةِ.

وَخَرَجَ عَلَى آلِ سُلْجُوقَ فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ الْغُزُّ فَخَرَّبُوا الْبِلَادَ وَفَتَكُوا فِي الْعِبَادِ.

ثُمَّ جَاءَتِ الطامة الْكُبْرَى بالططر (التتار) فَكَانَ خُرُوج جنكيزخان بَعْدَ السِّتِّمِائَةِ فَأُسْعِرَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا نَارًا خُصُوصًا الْمَشْرِقَ بِأَسْرِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بَلَدٌ مِنْهُ حَتَّى دَخَلَهُ شَرُّهُمْ ثُمَّ كَانَ خَرَابُ بَغْدَادَ وَقَتْلُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ آخِرِ خُلَفَائِهِمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ بَقَايَاهُمْ يُخَرِّبُونَ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهُمُ (اللنك) وَمَعْنَاهُ الْأَعْرَج واسمه (تَمُرُ)، فَطَرَقَ الدِّيَارَ الشَّامِيَّةَ وَعَاثَ فِيهَا وَحَرَقَ دِمَشْقَ حَتَّى صَارَتْ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا وَدَخَلَ الرُّومَ وَالْهِنْدَ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَطَالَتْ مُدَّتُهُ إِلَى أَنْ أَخَذَهُ اللهُ وَتَفَرَّقَ بَنُوهُ الْبِلَادَ[1].

وعلى هذا يكون التتار الذين ظهروا فى القرن السابع الهجرى هم من الترك؛ فإنَّ الصِّفات التى جاءت فى وصف الترك تنطبق على التَّتار (المغول)، وقد كان ظهورهم فى زمن الإمام النَّووىّ رَحِمَهُ اللهُ[2]، فقال فيهم: «قَدْ وُجِدَ قِتَالُ هَؤُلَاءِ التُّرْكِ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِمُ الَّتِى ذَكَرَهَا ﷺ صِغَارُ الْأَعْيُنِ حُمْرُ الْوُجُوهِ ذُلْفُ الْأُنوف عِرَاضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ فَوُجِدُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا فِى زَمَانِنَا وَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ

---

(١) «فتح البارى» (٦/ ٦٠٩-٦١٠).

(٢) كانت ولادة الإمام النووى سنة (٦٣١ هـ)، ووفاته سنة (٦٧٦ هـ)، وهى الفترة التى ظهر فيها التَّتار، وقضوا على الخلافة العباسية. انظر: «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٤٧١-١٤٧٣).

مَرَّاتٍ وَقِتَالُهُمُ الْآنَ»(١).

وقد دخل كثيرٌ من التُّرك فى الإسلام، ووقع على أيديهم خيرٌ كثيرٌ للإسلام والمسلمين، وكوَّنوا دولة إسلاميَّة قويَّة، عزَّ بها الإسلام، وحصل فى عهدهم كثيرٌ من الفتوحات العظيمة، ومنها: فتح القسطنطينية عاصمة الروم، وهو تهيئة للفتح العظيم فى آخر الزمان قبل ظهور الدَّجَّال؛ كما سيأتى، ودخل الإسلام إلى أوروبا وكثيرٍ من البلدان فى الشرق والغرب.

وهذا مِصداق لما قاله المصطفى ﷺ كما جاء فى حديث أبى هريرة رضي الله عنه بعد ذكره ﷺ لقتال التُّرك؛ قال: «**وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ، وَالنَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِى الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِى الإِسْلاَمِ**»(٢)(٣).

---

(١) «شرح النووى لمسلم» (١٨/ ٣٧-٣٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٥٨٩) كتاب المناقب .

(٣) أشراط الساعة / د. يوسف الوابل (ص ١٢١-١٢٦) بتصرف.

(٨) قتال خوزا وكرمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا[١] وَكَرْمَانَ[٢] - قَوْمٌ مِنَ الأَعَاجِمِ -، حُمْرَ الْوُجُوهِ، فُطْسَ الأُنُوفِ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ»[٣].

مضى في الكلام على قتال الترك ذكر صفاتهم التي جاء ذكرها في أحاديث قتالهم. وذكر هنا في هذا الحديث قتال خوزا وكرمان، وهما ليسا من بلاد الترك، بل من بلاد العجم، ومع هذا جاء وصفهم كوصف الترك.

قال ابن حجر: «يُمْكِنُ أَنْ يُجَابَ بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ غَيْرُ حَدِيثِ قِتَالِ التُّرْكِ وَيَجْتَمِعُ مِنْهُمَا الإِنْذَارُ بِخُرُوجِ الطَّائِفَتَيْنِ»[٤].

قلت: ويؤيِّد هذا ما رواه سَمُرَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَمْلأَ اللهُ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الْعَجَمِ، ثُمَّ يَكُونُونَ أُسْدًا لا يَفِرُّونَ، فَيَقْتُلُونَ مُقَاتِلَتَكُمْ،

---

(١) (خوز): بضم أوله، وتسكين ثانيه، وآخره زاي. بلاد خوزستان؛ يقال لها: الخوز، وهي من بلاد الأهواز من عراق العجم، وقيل: الخوز، صنف من الأعاجم.
انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٤٠٤)، و«فتح الباري» (٦/ ٦٠٧).

(٢) (كرمان): بالفتح، ثم السكون، وآخره نون، وربما كُسرت الكاف، والفتح أشهر، وهي بلاد واسعة مشهورة ذات قرى ومدن، يحدها من الغرب بلاد فارس، ومن الشمال خراسان، وجنوبها بحر فارس.
قال ياقوت: «وأهلها أهل سنة وجماعة، وخير وصلاح، وذلك بعد فتح المسلمين لها».
انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٥٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٥٩٠) كتاب المناقب.

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٦٠٧).

وَيَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ»[(١)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكْثُرَ فِيكُمُ الْعَجَمُ، أُسْدٌ لا يَفِرُّونَ، فَيَقْتُلُونَ مُقَاتِلَتَكُمْ وَيَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ»[(٢)].

وعلى هذا فقتالُ العجم من أشراط الساعة[(٣)].

---

(١) «مسند أحمد» (٥/ ١١ - بهامشه منتخب الكنز).
قال الهيثمى: «رواه أحمد والبزار والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح» «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٠).

(٢) رواه الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١١).

(٣) أشراط الساعة (ص ١٢٦-١٢٨) بتصرف.

(٩) ظهور مُدَّعي النبوة

ومن علامات الساعة الصُّغرى: ظهور الكذَّابين والدَّجَّالين الذين يدَّعون النبوة .. وهم قريبٌ من ثلاثين كذَّابًا .. خرج بعضهم فى زمن النبوة، وفى عهد الصحابة ولا يزالون يظهرون حتى يومنا هذا.

ففى «الصحيحين» عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**»(١).

وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِى بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِى أُمَّتِى ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِىٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِىَّ بَعْدِى**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وَلَيْسَ التَّحْدِيدُ فِى الْأَحَادِيثِ مُرَادًا بِهِ كُل مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ مُطْلَقًا؛ فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَنْ قَامَتْ لَهُ شَوْكَةٌ، وكَثُر أَتباعه، واشتُهرَ بين الناس(٣).

❁ **وقال أيضًا:**

والأحاديث فى ظهور هؤلاء الدَّجاجلة كثيرة، وفى بعضها وقع أنهم ثلاثون بالجزم؛ كما فى حديث ثوبان، وفى بعضها أنه قريبٌ من الثلاثين؛ كما فى حديث «الصحيحين» ولعل رواية ثوبان على طريقة جَبر الكسر(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٠٩) كتاب المناقب، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه الترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤١٨).

(٣) «فتح البارى» (٦/ ٦١٧).

(٤) «فتح البارى» (١٣/ ٨٧).

۞ ولقد ظهر عدد كبير من مُدَّعي النبوة في الماضي:

(١) وممَّن ظهر من هؤلاء الثلاثين مسيلمة الكذَّاب، فادَّعى النبوَّة فى آخر زمن النبى ﷺ، وكاتبه رسول الله ﷺ، وسمَّاه مسيلمة الكذَّاب، وقد كثر أتباعه، وعَظُم شرُّه على المسلمين، حتى قضى عليه الصحابة فى عهد أبى بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فى معركة اليمامة المشهورة.

هذا الكذَّاب الذى كذب على الله ورسوله، فشانه الله وفضحه بكذبه، فما يُسمَّى إلا مسيلمة الكذاب، وكفى به جزاءً فى الدنيا، فكيف بالقتل وقد قتله وحشى العبد؟... فكيف بيوم القيامة، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٢).

۞ روى البخارى أَنَّ مُسَيلَمَةَ، كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم:

مِنْ مُسَيلِمَةَ رَسُولِ اللهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، سَلَامٌ عَلَيكَ.

أَمَّا بَعْدُ .. فَإِنِّى قَدْ أُشْرِكْتُ فِى الْأَمْرِ مَعَكَ، وَإِنَّ لَنَا نِصْفَ الْأَرْضِ وَلِقُرَيشٍ نِصْفَهَا، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ يعْدِلُونَ. فَكَتَبَ إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

« بسم الله الرحمن الرحيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى مُسَيلِمَةَ الْكَذَّابِ، سَلَّامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يورِثُهَا مَنْ يشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

(٢) سورة هود: الآية: (١٨).

قَدِم هذا اللعين المدينة وافدًا إلى رسول الله ﷺ، وقد وقف عليه رسول الله ﷺ، فسمعه وهو يقول: إن جعل لى محمدٌ الأمر من بعده اتبعته. فقال له: «**لو سألتنى هذا العود - لعرجون فى يده - ما أعطيتكه، ولئن أدبرت ليعقرنَّك الله، إنى لأراك الذى أُريت فيه ما أُريت**». وكان رسول الله ﷺ قد رأى فى المنام كأن فى يديه سوارين من ذهب، فأهمَّه شأنهما، فأوحى الله إليه فى المنام: انفخهما، فنفخهما فطارا، فأوَّلهما بكذابين يخرجان، وهما صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة، وهكذا وقع فإنهما ذهبا وذهب أمرهما، أما الأسود فذُبح فى داره، وأما مسيلمة فعقره الله على يدى وحشى بن حرب، رماه بالحربة فأنفذه كما تُعقر الإبل، وضربه أبو دجانة على رأسه ففلقه، وذلك بعقر داره فى حديقة الموت، وقد قُتل قبله وزيراه: محكم بن الطفيل، والرَّجَّال بن عنفوة.

۞ وفد عمرو بن العاص فى أيام جاهليته على مسيلمة، فقال له مسيلمة: ماذا أُنزل على صاحبكم فى هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أُنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هى؟ قال: أُنزل عليه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [1]، قال: ففكر مسيلمة ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: ولقد أُنزل علىَّ مثلها، فقال له عمرو: وما هى؟ فقال مسيلمة: يا وبر يا وبر، إنما أنت إيراد وصدر، وسائرك حفر نقر.

ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله، إنك لتعلم أنى أعلم أنك تكذب.

۞ وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبى ﷺ... فقد بلغه أن رسول

---

(١) سورة العصر: الآيتان: (١-٢).

الله ﷺ بصق فى بئر فَغَزُر ماؤه، فبصق فى بئرٍ فغاض ماؤه بالكلية، وفى أخرى فصار ماؤه أُجاجًا.

وتوضأ وسقى بوضوئه نخلًا فيبست وهلكت.

وأُتى بولدان يُبرّك عليهم فجعل يمسح رؤوسهم، فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من لثغ لسانه.

والجزاء من جنس العمل، فضوح الدنيا قبل الآخرة وتكذيب الناس له.

ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع فى عينيه فمسحهما فعمى.

وجاء فى قرآن مسيلمة الكذاب مما يثير الضحك والعجب العجاب: يا ضفدع بنت الضفدعين، نَقِّى لكم تُنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك فى الماء، وذَنَبُك فى الطين.

وكان يقول:

«والمبذرات ذرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا، إهالةً وسمنًا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والناعى فواسوه».

لما مات رسول الله ﷺ زعم أنه استقلَّ بالأمر من بعده واستخف قومه فأطاعوه وكان يقول:

خذى الدف يا هذه والعبى ... وبُثِّى محاسن هذا النبى
تولَّى نبى بنى هاشم ... وقام نبى بنى يَعْرُبِ

فلم يمهله الله بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا قليلًا حتى سلط الله عليه سيفًا من سيوفه، وحتفًا من حتوفه فعَجَّ بطنه، وفلق رأسه وعجَّل الله بروحه إلى

النار فبئس القرار ... قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

فمسيلمة والأسود وأمثالهما لعنهم الله أحق الناس دخولًا في هذه الآية الكريمة، وأولاهم بهذه العقوبة العظيمة. اهـ[2].

(٢) ومنهم سجاح بنت الحارث التغلبية، كانت من نصارى العرب، وقد ادَّعت النبوة بعد موت الرسول ﷺ فالتفَّ حولها أُناس كثير من قومها وغيرهم، وغزت بهم القبائل المجاورة، وسارت حتى وصلت اليمامة، والتقت بمسيلمة وصدقته، وتزوجها، ولما قُتل مسيلمة رجعت إلى بلادها، وأقامت في قومها بني تغلب ثم أسلمت وحسن إسلامها، وانتقلت بعد ذلك إلى البصرة وماتت بها.

(٣) ومنهم الأسود العنسيّ الذى ادَّعى النبوة فقتله الصحابة قبل موت النبى ﷺ.

طارت الأخبار فى أرض الجزيرة أن رسول الله ﷺ قد مرض مرضًا شديدًا وذلك بعد عودته من حجة الوداع.

فما كان من الأسود العنسى إلا أن ارتد عن الإسلام وعاد إلى الكفر مرة أخرى... وفوق ذلك سوَّل له الشيطان أن يزعم بين قومه فى اليمن أنه نبى مُرسَل من عند الله (جل وعلا).

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٣).

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٥-٣٤٦).

وكان يزعم أن ملكًا من السماء يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب.

وفى سبيل تحقيق ادِّعائه وكذبه ادعَّى الرجل معرفة الغيب، واحترف السحر والشعوذة ليُغرر بالناس وينال من عقيدتهم، وقد كان من نِعم الله عليه، أن الله مَنَّ عليه بالقوة والسلطان، فسخَّر قوته للشر بدلًا من الخير، ورزقه ربه فصاحة اللسان، وروعة البيان، مما جعله يُسخِّر كل هذا فى سبيل تحقيق مآربه الشريرة، وبدأ يستميل أشراف قومه بعطايا المال الذى مَنَّ الله به عليه.

وساعد جهل الناس وبساطتهم على انتشار دعوة هذا الرجل الهدامة وكان على رأس أتباعه قبيلته التى كانت أكثر قبائل اليمن عددًا، وبالتالى فهى صاحبة نفوذ، وبأسٍ شديد على من حولها من القبائل، وكانت قبيلته تُسمَّى «بنى مَذحج».

۞ وكان يبث العيون بين الناس ليعرف أسرارهم ومشاكلهم فإذا جاءوه أخبرهم بأسرارهم وزعم أنه يعلم ذلك عن طريق الوحى وكان يختلق الأساطير والأكاذيب من أجل أن يؤمن الناس بنبوته فساعده ذلك كله على توسيع مكانته ومُلكه وسلطانه.

وبالفعل فقد اتسع مُلكه وتكاثر أتباعه الذين استطاع أن يخدعهم بالحيل والأكاذيب.

فاستطاع أن ينشر نفوذه على صنعاء وغيرها من البلاد الأخرى حتى دانت له كل البلاد التى بين البحرين وعدن وكذلك التى بين حضرموت والطائف.

۞ ولما اطمأن إلى أنه قد بسط نفوذه على تلك البلاد بدأ يتتبع

مُعارضيه لينتقم منهم ويُذيقهم من العذاب ألوانًا.

وفى خضم هذه الأحداث كان التابعى الجليل أبو مسلم الخولانى من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فثبت إيمانه، وقَوِى ولاؤه لدينه؛ فلم يرجع قيد أنملة عن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، ولم يُكذب ما جاء به نبى الله ورسوله محمد ﷺ.

وكان بالطبع معارضًا عنيفًا لدعوة هذا الرجل الأسود العنسى، فاشتد الصدام بينهما، وكان صدامًا بين الشرك والإيمان، وبين الردة والثبات على دين الله، فقد كان أبو مسلم رجلًا صلبًا قويًّا، تقيًّا، جَهورًا بالحق، زاهدًا فى دنياهم، مُقبلًا على الحياة الباقية، لا يشغله إلا طاعة الله والسعى لرضاه.

۞ فأراد الأسود العنسى أن ينتقم من أبى مسلم انتقامًا شديدًا وأن يجعله عبرة لمن يعتبر حتى لا يتجرأ أحدٌ على معارضته بعد ذلك.

فأمر أتباعه أن يجمعوا كميات هائلة من الحطب فى ساحة من ساحات صنعاء وأن يُشعلوا النار فى الحطب.

وجاء رجاله بأكوام من الحطب، وجعلوه أكداسًا عالية كثيفة، وأمرهم أن يشعلوا النار فيها، وجاء الناسُ ليشهدوا هذا الموقف الكبير... إنه يوم مشهود، أراد فيه الأسود العنسى أن يحرق أبا مسلم الخولانى بالنار.

وجاء فى موكب مهيب، يحفُّ به رجاله وأتباعه يتقدمهم جنده وحرسه، وجلس فى صدر هذا الحشد وجىء بأبى مسلم الخولانى مقيدًا أمامه.

فلما صار بين يديه نظر إليه الأسود العنسى بكل عجب وتكبر ثم نظر إلى تلك النار المشتعلة أمامه وقال له:

أتشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ.

قال أبو مسلم: نعم أشهد أن محمدًا رسول الله وأنه سيد ولد آدم (ﷺ)... فاستشاط الأسود غضبًا وقال له: وتشهد أني رسول الله.

فقال أبو مسلم: إن فى أُذنيَّ صممًا عن سماع ما تقول.

فقال «الأسود»: إذن أقذفك فى هذه النار.

فقال أبو مسلم: إن فعلت اتقيت بهذه النار التى وقودها الحطب نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

فقال «الأسود»: إن كان داعيتكم على حق فسيُنجيه الحق وإن كان على غير ذلك فسترون، ثم أمر بنار عظيمة فأُضرمت ثم جاء بأبى مسلم الخولانى - عليه رحمة الله - فربط يديه وربط رجليه ووضعوه فى مقلاة ثم نسفوه فى لهيب النار ولظاها، ... إن هذه النار كما يقولون كان يمر الطير من فوقها من عِظَم ألسنة لهبها فتسقط الطيور فى وسطها.

وهو بين السماء والأرض لم يذكر إلا الله - جل وعلا - كان يقول: حسبى الله ونعم الوكيل،... كادت قلوب الموحدين أن تنخلع وكادت أن تنفطر، انتظروا والنار تخبو شيئًا فشيئًا، وإذا بأبى مسلم قد فكَّت النار وثاقه، ... ثيابه لم تحترق، رجلاه حافيتان يمشى بهما على الجمر ويتبسم،... ذُهل الطاغية وخاف أن يُسلم مَن بقى من الناس فقام يتهددهم ويتوعدهم.

فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا فى بلدك أفسدها عليك، فأمره بالرحيل، فقَدِم المدينة.

وهنا توجَّه أبو مسلم الخولانى مباشرة إلى مدينة الرسول ﷺ.. وكان يتمنى من أعماق قلبه أن يرى الرسول ﷺ وأن يسعد بصحبته فهو الذى

آمن به قبل أن يراه.

ووصل إلى مشارفها فلقى بعض الرعاة وقد أطرقوا صامتين، ومنهم من بدت على وجهه علامات حزن وتسليم لقضاء الله وقدره، فلما تحدث إليهم أبو مسلم عن رسول الله، جاء صمتهم مُجيبًا عن الحدث الجلل الذى أصاب قلوبهم برحيل رسول الله ﷺ إلا أنهم رددوا له قول أبى بكر الصديق فى أعقاب وفاة الرسول ﷺ: «من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حى لا يموت».

وأضاف أحدهم يقرأ الآية الكريمة: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1].

استرجع أبو مسلم الخولانى وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وانطلق يُكْمِل مشواره إلى داخل المدينة حتى توارى خلف جذوع نخيلها عن أعين الراعى وصاحبه، وهناك أمام مسجد رسول الله فى وسط المدينة جلس أبو مسلم الخولانى تحت ساقَى بعيره يعقل عقالها، وما أن فرغ من عقاله حتى دخل إلى صحن المسجد، فسعى إلى الماء وتوضأ وسلم على رسول الله، وصلى ركعتين فى الروضة الشريفة، وجلس يسترجع ويستغفر الله العظيم، ويحمده أن نجَّاه من رِدَّة الأسود العنسى، وبينما هو فى استغفاره، وتسبيحه هذا، إذا برجل يربت على كتفيه ويقول: من أى بلد أنت؟

وقد كان السائل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

فقال أبو مسلم: من اليمن.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

فقال عمر: أتدرى ما فعل الله بصاحبنا الذى ألقاه الأسود العنسى فى النار وأنجاه الله منها؟

فقال: هو بخير والحمد لله.

فقال عمر: نشدتك الله ألست أنت أبو مسلم؟

فقال: بلى.

فبكى عمر بن الخطاب ﵁ وقبَّله بين عينيه ثم قال له: أتدرى ما فعل الله بعدو الله الأسود العنسى.

فقال أبو مسلم: لا أدرى فقد انقطعت أخباره عنى منذ أن تركت بلاد اليمن.

فقال عمر: لقد قتله الله على أيدى بعض المؤمنين الصادقين وأزال الله مُلكه ودولته وردَّ أتباعه إلى الإسلام مرة أخرى.

فقال أبو مسلم: الحمد لله الذى لم يُمتنى حتى أقرَّ عينى بمصرع هذا الظالم وعودة الناس إلى الإسلام مرة أخرى.

فقال له عمر: وأنا أحمد الله الذى أرانى فى أمة محمد من فُعل به كما فُعل بخليل الرحمن أبينا إبراهيم ﵇.

(٤) ومنهم طليحة بن خويلد الأسدى، وقد قاتله المسلمون مرارًا، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، ولحق بجيش المسلمين، وأبلى فى الجهاد فى سبيل الله بلاءً حسنًا، واستشهد بنهاوند ﵁.

(٥) وأما فى عصر التابعين وما بعده، فظهر المختار بن أبى عُبيد الثقفى، الذى تظاهر بالتشيع أولًا، فالتفَّ حوله جماعة كثيرة من الشيعة، وزعم أن جبريل ﵇ ينزل عليه، وقد دارت بينه وبين مصعب بن الزبير عدة معارك

قُتِلَ فيها المختار.

(٦) ومنهم الحارث بن سعيد الكذاب، الذى أظهر التعبد فى دمشق، ثم زعم أنه نبى، ولما علم أن الخبر وصل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان اختفى، فاستطاع رجل من أهل البصرة أن يعرف مكانه، وتظاهر له بالتصديق فأمر الحارث ألا يُحْجب منه هذا الرجل متى ما أراد الدخول عليه، فأوصل هذا الرجل الخبر إلى عبد الملك، فأرسل معه جنودًا وقبضوا عليه، وجىء به إلى عبد الملك، فأمر عبد الملك رجالًا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويُعلِموه أن هذا من الشيطان؛ فأبى أن يقبل منهم ويتوب؛ فقتله.

(٧) وفى العصر الحديث قبل أكثر من قرن، ظهر بالهند رجل يُدْعى (ميرزا غلام أحمد القاديانى)، ادَّعى النبوة، وكان يزعم أنه يتلقى الوحى من السماء كما زعم أن الله ﷻ أخبره بأنه سيعيش ثمانين سنة وصار له أتباع؛ فانبرى له العلماء وردُّوا عليه، وبيَّنوا أنه دَجَّال، منهم العالم الكبير ثناء الله الآمر تسرى، وكان أشد العلماء عليه.

حتى إنه فى عام (١٣٢٦هـ-١٩٠٨م) تحدى القاديانى الشيخ ثناء الله، بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت، ودعا الله أن يقبض المُبْطِل فى حياة صاحبه، ويسلط عليه داء الطاعون، يكون فيه حتفه، وبعد سنة أصيب القاديانى بدعوته. وقد ذكر أبو زوجته نهايته بقوله: لما اشتد مرضه أيقظنى؛ فذهبت إليه ورأيت ما يعانيه من الألم، فخاطبنى قائلًا: أُصبت بالكوليرا، ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات.

وهكذا يستمر خروج الكذَّابين واحدًا بعد الآخر، حتى تستوفى عدتهم

التى أخبرنا الصادق المصدوق نبينا محمد ﷺ، حتى يكون آخرهم المسيح الدجال، الذى يخرج فى آخر الزمان - نعوذ بالله من فتنته- وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام للقضاء عليه وعلى فتنته[١].

(١) نهاية العالم (ص ٥٥-٥٦).

(١٠) ظهور نار الحجاز

ومن علامات الساعة الصُّغرى: ظهور نار الحجاز التى أضاءت أعناق الإبل ببُصرى.

عَن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ؛ تُضِىءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى**[١]»[٢].

وقد ظهرت هذه النار فى منتصف القرن السابع الهجرى فى عام أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة، أفاض العلماء ممَّن عاصر ظهورها ومَن بعدَهم فى وصفها.

قال النووى: «خَرَجَتْ فِى زَمَانِنَا نَارٌ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَكَانَتْ نَارًا عَظِيمَةً جِدًّا، مِنْ جَنْبِ الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيِّ وَرَاءَ الْحَرَّةِ، وَتَوَاتَرَ الْعِلْمُ بِهَا عِنْدَ جَمِيعِ الشَّامِ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ، وَأَخْبَرَنِى مَنْ حَضَرَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»[٣].

❁ وقد تحدَّث العلامة المؤرخ ابن كثير فى أحداث سنة (٦٥٤) عن هذه النار فقال:

«فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التى أضاءت لها أعناق الإبل

---

(١) (بصرى)؛ بضم الباء، آخرها ألف مقصورة: مدينة معروفة بالشام، ويقال لها: حوران، وبينها وبين دمشق ثلاث مراحل.
انظر: «معجم البلدان» (١/ ٤٤١)، و«شرح النووى لمسلم» (١٨/ ٣٠)، و«فتح البارى» (١٣/ ٨٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٨) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩٠٢) كتاب الفتن.

(٣) شرح النووى لمسلم (١٨/ ٢٨).

ببصرى، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه، وقد بسط القول فى ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسى فى كتابه «الذيل وشرحه»، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التى شوهدت معاينة، وكيفية خروجها وأمرها.

وملخص ما أورده أبو شامة(١) أنه قال: وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بخروج نار عندهم فى خامس جمادى الآخرة من هذه السنة، وكتبت الكتب فى خامس رجب، والنار بحالها، ووصلت الكتب إلينا فى عاشر شعبان ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، ورد إلى مدينة دمشق فى أوائل شعبان من سنة أربعٍ وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول الله ﷺ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها تصديق لما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء لها أعناق الإبل ببصرى**» فأخبرنى من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب. قال: وكنا فى بيوتنا تلك الليالى، وكأن فى دار كل واحد منا سراج، ولم يكن لها حَرٌّ ولفح على عظمها، إنما كانت آية من آيات الله ﷻ».

قال أبو شامة: وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها:

«لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة النبوية دوىٌّ عظيم، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكورة، ثم ظهرت نار عظيمة فى الحَرة قريبة

---

(١) كان أبو شامة معاصرًا لخروجها.

من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا، وهى نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات، وقد سالت أودية بالنار إلى وادى شظا مسيل الماء، وقد سدت مسيل شظا وما عاد يسيل، والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيرانًا، وقد سدَّت الحَرة طريق الحاج العراقى، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة، فوقفت بعدما أشفقنا أن تجىء إلينا، ورجعت تسيل فى الشرق، فخرج من وسطها سهود وجبال نيران تأكل الحجارة، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى فى كتابه ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾[1].

وقد أكلت الأرض، وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمائة والنار فى زيادة ما تغيرت، وقد عادت إلى الحرار فى قريظة طريق عير الحاج العراقى إلى الحرة كلها نيران تشتعل نبصرها فى الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج. وأما أم النار الكبيرة فهى جبال نيران حمر، والأم الكبيرة التى سالت النيران منها من عند قريظة، وقد زادت وما عاد الناس يدرون أى شىء يتم بعد ذلك، والله يجعل العاقبة إلى خير، فما أقدر أن أصف هذه النار»[2].

۞ ثم قال أبو شامة لأحد إخوانه:

«والله يا أخى إن عيشتنا اليوم مكدرة والمدينة قد تاب جميع أهلها، ولا بقى يسمع فيها رباب ولا دُفٌّ ولا شُرب، وتمت النار تسيل إلى أن سَدَّت بعض طريق الحاج وبعض بحرة الحاج، وجاء فى الوادى إلينا منهم يسير، وخفنا أنه يجيئنا فاجتمع الناس ودخلوا على النبى ﷺ (أي: عند قبره)

(١) سورة المرسلات: الآيتان: (٣٢-٣٣).

(٢) القيامة الصغرى / د. عمر الأشقر (ص ١٤٩-١٥١).

وتابوا عنده جميعهم ليلة الجمعة، وأما قتيرها الذى مما يلينا فقد طُفِئ بقدرة الله، وأنها إلى الساعة وما نقصت إلا ترى مثل الجمال حجارة، ولها دوى، ما يدعنا نرقد، ولا نأكل، ولا نشرب، وما أقدر أصف لك عظمها ولا ما فيها من الأهوال.

وأبصرها أهل ينبع وندبوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعدا إليها، وما أصبح يقدر يصفها من عظمها، وكتب الكتاب يوم خامس رجب، وهى على حالها، والناس منها خائفون، والشمس والقمر من يوم ما طلعت ما يطلعان إلا كاسفين، فنسأل الله العافية».

قال أبو شامة: وبان عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورها على الحيطان، وكنا حيارى من ذلك إيش هو؟ إلى أن جاءنا هذا الخبر عن هذه النار.

ومن العلماء الكبار الذين كانوا أحياء عند خروج هذه النار الإمام النووى رحمه الله تعالى، وقد ذكرها فى شرحه لصحيح مسلم فقال: «وقد خرجت فى زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة جدًّا من جنب المدينة الشرقى، وراء الحرة، تواتر العلم بخروجها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرنى من حضرها من أهل المدينة»(١). وواضح من وصف المشاهدين لهذه النار أنها كانت بركانًا هائلًا، صاحَبه زلازل عظيمة، والشاهد أن هذه النار خرجت على النحو الذى أخبرنا به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه»(٢).

---

(١) شرح النووى على مسلم: (١٨/ ٢٨).

(٢) القيامة الصغرى (ص ١٥٩).

(١١) اتباع سنن الأمم الماضية

إن الله ﷻ جعل لنا الخير كل الخير فى اتباع النبى محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾(٢).

۞ «عَنْ أَبِى نَجِيحِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٣).

وَعَنْ عَابِسِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يُقَبِّلُ الْحَجَرَ - يعنى: الأسود- وَيَقُولُ: «أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، مَا تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»(٤).

۞ ومع ذلك فقد رأينا بعض من ينتسبون إلى الإسلام عندهم شغفٌ عجيب باتباع الشرق الملحد والغرب الكافر.

وهذا من أعظم الفتن .. أن يترك المسلم هدى النبى ﷺ وينشغل بتقليد

(١) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٣٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠) كتاب الحج.

الكفار ويتشبه بهم فى أخلاقهم وطبائعهم وحياتهم وطريقة كلامهم ولبسهم ومشيتهم .... إلخ.

۞ وقد أخبر النبى ﷺ أن ذلك سيحدث واعتبر ذلك علامة من علامات الساعة.

۞ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِى بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «**وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ**»(١).

وفى رواية عن أبى سعيد: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ؟**»(٢).

۞ قال النووى: وَالْمُرَادُ بِالشِّبْرِ وَالذِّرَاعِ وَجُحْرِ الضَّبِّ التَّمْثِيلُ بِشِدَّةِ الْمُوَافَقَةِ لَهُمْ وَالْمُرَادُ الْمُوَافَقَةُ فِى الْمَعَاصِى وَالْمُخَالَفَاتِ لَا فِى الْكُفْرِ.

وَفِى هَذَا مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ(٣).

قال ابن بطّال: «أعْلَمَ ﷺ أن أمّته ستتّبع المُحدثات من الأمور والبدع والأهواء؛ كما وقع للأمم قبلَهم، وقد أنذر فى أحاديث كثيرة بأن الآخر شرٌّ، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائمًا عند خاصَّةٍ من الناس»(٤).

وقال ابن حجر: «وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ، وسيقع بقيَّة ذلك»(٥).

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٣١٩) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٥٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٦٦٩) كتاب العلم.

(٣) «شرح النووى لمسلم» (١٦/ ٢١٩-٢٢٠).

(٤، ٥) «فتح البارى» (١٣/ ٣٠١- مع الفتح).

وفى هـذا الـزمن كَثُـر فى المـسلمين مَـن يتـشبَّه بالكفـار؛ مـن شـرقيين وغربيين، فتشبَّه رجالنا برجالهم، ونساؤنا بنسائهم، وافتتنوا بهـم، حتـى أدى الأمر ببعض الناس أن خرجوا عن الإسلام، واعتقدوا أنـه لا يـتمُّ لهـم تقـدُّم وحضارة إلا بنبذ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ... ومن عرف الإسلام الـصحيح؛ عـرف مـا وصـل إليـه المـسلمون فى القـرون الأخيرة؛ مـن بُعْـدٍ عـن تعـاليم الإسلام، وانحرافٍ عن عقيدته، فلم يبقَ عندَ بعضهم من الإسلام إلا اسمه، فقد حكَّموا قوانين الكُفَّار، وابتعدوا عن شريعة الله، ولـيس هنـاك أبلـغ ممـا وصف به النبى ﷺ المسلمين فى اتِّباعهم ومحاكـاتهم للكُفَّـار، فقـال: «**شِـبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**»[(١)(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٣١٩) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) أشراط الساعة (ص ١١٢-١١٣) بتصرف.

(١٢) رفع العلم وظهور الجهل

ولقد أخبر النبى ﷺ أن من علامات الساعة: رفع العلم وظهور الجهل ... ومن تأمل فى أحوال كثيرٍ من الناس يجد أنهم يعلمون الكثير والكثير عن أمر دُنياهم ولا يعلمون إلا القليل عن دينهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ**»(١).

وروى البُخَارِيُّ عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ، وَأَبِى مُوسَى، فَقَالاَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ**»(٢) وَالهَرْجُ: القَتْلُ.

وَفِى رِوَايَةٍ لِمُسْلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ**»(٣).

قال ابن بطال: «وجميع ما تضمَّنَهُ هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عيانًا، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وأُلْقِىَ الشُّحُّ فى القلوب، وعمَّت الفتن، وكَثُرَ القتل»(٤).

وقبض العلم يكون بقبض العلماء، ففى الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠٦٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥٧) كتاب العلم.

(٤) «فتح البارى» (١٣/ ١٦).

عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[(١)].

قال النَّوَوِيُّ: «هَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَبْضِ الْعِلْمِ فِي الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ الْمُطْلَقَةِ لَيْسَ هُوَ مَحْوُهُ مِنْ صُدُورِ حُفَّاظِهِ وَلَكِنْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَمُوتُ حَمَلَتُهُ وَيَتَّخِذُ النَّاسُ جُهَّالًا يَحْكُمُونَ بِجَهَالَاتِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»[(٢)].

والمراد بالعلم هنا علم الكتاب والسنة، وهو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام؛ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وبذهابهم يذهب العلم، وتموت السُّنن، وتظهر البدع، ويعمُّ الجهل.

وأمَّا علم الدُّنيا؛ فإنَّه فى زيادة، وليس هو المُرادُ فى الأحاديث؛ بدليل قوله ﷺ: «**فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»، والضلال إنما يكون عند الجهل بالدين، والعلماء الحقيقيون هم الذين يعملون بعلمهم، ويوجِّهون الأمة، ويدلُّونها على طريق الحق والهدى؛ فإنَّ العلم بدون عملٍ لا فائدة فيه، بل يكون وبالًا على صاحبه، وقد جاء فى روايةٍ للبُخارى: «**وَيَنقصُ العَمَلُ**»[(٣)].

قال الإمام مؤرِّخ الإسلام الذهبى بعد ذكره لطائفه من العلماء: «وما أُوتوا من العلم إلا قليلًا، وأما اليوم؛ فما بقى من العلوم القليلة إلا القليل، فى أناس قليل، ما أقلّ مَن يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل»[(٤)].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧٣) كتاب العلم.
(٢) «شرح النووى لمسلم» (١٦/ ٢٢٣-٢٢٤).
(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٠٣٧) كتاب الأدب.
(٤) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٣١).

وإذا كان هذا في عصر الذهبيِّ؛ فما بالُكَ بزماننا هذا؟ فإنه كلما بَعُدَ الزَّمان من عهد النبوَّةِ؛ قلَّ العلم، وكَثُر الجهل؛ فإنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أعلمُ هذه الأُمَّة، ثُمَّ التَّابعين، ثُمَّ تابعيهم، وهم خير القرون؛ كما قال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).

ولا يزال العلم ينقُص، والجهل يَكثُر، حتى لا يعرف الناس فرائض الإسلام،... فقد روى حُذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَنَحْنُ نَقُولُهَا**» فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «**يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ**» ثَلَاثًا(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَيُنْزَعَنَّ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؛ يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا فَيُذْهَبُ بِهِ مِنْ أَجْوَافِ الرِّجَالِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ**»(٣).

قال ابن تيممة: «يُسرى به في آخر الزَّمان من المصاحف والصُّدور، فلا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٥٢) كتاب الشهادات، ومسلم (٢٥٣٣) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٧٧).

(٣) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح؛ غير شدَّاد بن معقل، وهو ثقة. «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٢٩-٣٣٠)، وقال ابن حجر: «سنده صحيح، ولكنه موقوف». «فتح الباري» (١٣/ ١٦)، قلت: مثله لا يقال بالرأي، فحكمه حكم المرفوع.

يبقى فى الصُّدور منه كلمة، ولا فى المصاحف منه حرف»(١).

وأعظم من هذا أن لا يُذْكَرَ اسمُ الله تعالى فى الأرض؛ كما فى الحديث عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لا يُقَالَ فِى الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ**»(٢).

۞ قال ابن كثير: «فى معنى هذا الحديث قولان:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ أَحَدًا لَا ينكر منكرًا، يعنى لا يَزْجُرُ أَحَدٌ أَحَدًا إِذَا رَآهُ قَدْ تَعَاطَى مُنْكَرًا، وعبَّر عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «**حَتَّى لا يُقَالَ اللهُ اللهُ**» كَمَا تَقَدَّمَ فِى حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو. «فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ(٣) لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا».

وَالْقَوْلُ الثَّانِى: حَتَّى لَا يُذْكَرَ اللهُ فِى الْأَرْضِ، وَلَا يُعْرَفَ اسْمُهُ فِيهَا، وَذَلِكَ عِنْدَ فَسَادِ الزمان، ودمار نوع الإنسان، وكثرة الكفر، والفسوق والعصيان»(٤)(٥).

۞ ولقد حضَّنا النبى ﷺ على الانشغال بطلب العلم الدينى الذى يُقربنا من الله (جل وعلا) والذي يُعلمنا كيف نعبد الله عَزَّ وَجَلَّ عبادةً صحيحةً.

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ

(١) «مجموع الفتاوى/ ابن تيمية» (٣/ ١٩٨-١٩٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٨) كتاب الإيمان.

(٣) العجاجة والعجاج طغام الناس ورعاعهم.

(٤) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ١٨٦).

(٥) من أشراط الساعة / يوسف الوابل.

(٦) سورة طه: الآية: (١١٤).

(٧) سورة الزمر: الآية: (٩).

وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[١]، وقـــال تعـــالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[٢].

۞ وعن مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يُرد الله به خيرًا يُفقهـهُ فى الدين**»[٣].

۞ وعـن ابـن مـسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**لا حـسد إلا فى اثنتين: رجُلٌ آتاهُ الله مالًا فسلَّطهُ على هلكته فى الحق، ورجُلٌ آتـاهُ الله الحكمـة فهُو يقضى بها، ويُعلمُها**»[٤].

والمرادُ بالحسد: الغبطةُ، وهُو أن يتمنى مثلهُ.

۞ وعن أبى هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**... ومن سـلك طريقـا يلتمسُ فيه علمًا، سهَّل الله لهُ به طريقًا إلى الجنة**»[٥].

۞ وعن أبى الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**من سلك طريقًـا يبتغـى فيـه علمًـا سـهَّل الله لـه طريقًـا إلـى الجنـة، وإن الملائكـة لتـضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنعُ، وإن العالم ليستغفرُ لهُ من فى الـسموات ومن فى الأرض حتى الحيتانُ فى الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العُلماء ورثةُ الأنبياء وإن الأنبيـاء لـم يُورثُـوا دينـارًا ولا درهمًا وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذهُ أخذ بحظٍّ وافرٍ**»[٦].

---

(١) سورة المجادلة: الآية: (١١).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) صحيح: رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٧).

۞ وعن أبى أمامة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «فضلُ العالم على العابد كفضلى على أدناكُم» ثُم قال رسُولُ الله ﷺ: «إن الله وملائكتهُ وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جُحرها وحتى الحُوت ليُصلُّون على مُعلِّم الناس الخير»(١).

۞ وقال رسُولُ الله ﷺ: «إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُهُ إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولد صالحٍ يدعُو لهُ»(٢).

۞ وقال رسُول الله ﷺ: «الدنيا ملعونةٌ، ملعُونٌ ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاهُ، وعالمًا، أو مُتعلمًا»(٣).

۞ وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناسُ! إنما العلم بالتعلُّم، والفقهُ بالتفقه، ومن يُرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾(٤)(٥).

۞ وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلُ العلم أحبُّ إلىَّ من فضل العبادة، وخيرُ دينكم الورعُ»(٦).

۞ وعن صفوان بن عسَّال المُرادى ﷺ قال: أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد مُتكئٌ على بُردٍ له أحمر؛ فقلت له: يا رسول الله! إنى جئتُ أطلب

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٣) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٤) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٥) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٦٧).

(٦) صحيح: رواه البزار، والطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٦٨)، وصحيح الجامع (٤٢١٤).

العلم. فقال: «مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تَحفُّه الملائكة وتُظله بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعٌ يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته: مَن علَّم علمًا، أو كرى(٢) نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»(٣).

۞ وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مثل ما بعثنى الله به من الهُدى(٤) والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفةٌ طيبة قَبِلت الماء، وأنبتت الكلأ(٥) والعُشب الكثير، وكان منها أجادبُ(٦) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسَقَوا وزرعوا(٧)، وأصاب طائفةً أخرى منها، إنما هى قِيعان(٨)، لا تُمسك ماءً، ولا تُنبتُ كلأً، فذلك مَثلُ مَن فَقُه فى

(١) حسن: رواه أحمد والطبرانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٧١).

(٢) أى: حفره وأخرج طينه. جاء فى «المصباح»: وكَريت النهر كريًا، من باب (رمى): حفرتُ فيه حفرة جديدة، ولبعضه شاهد كما قال المصنف.

(٣) حسن: رواه البزار وسمويه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٢).

(٤) هو الدلالة الموصلة إلى المطلوب. والمراد بالعلم: معرفة الأدلة الشرعية: لا الفروع المذهبية. و(الغيث): المطر.

(٥) بالهمز بلا مد: النبتُ يابسًا كان أو رطبًا و(العشب): النبت الرطب، فعطفه عليه من باب عطف الخاص على العام.

(٦) جمع (جَدَب) بفتح الدال المهملة على غير قياس: وهى الأرض الصلبة التى تمسك بالماء فلا تشربه سريعًا. وقيل: هى الأرض التى لا نبات بها، مأخوذة من الجدب، وهو القحط.

(٧) هذا اللفظ للبخارى، ولفظ مسلم، «ورعوا»، وجمع بينهما أحمد بلفظ: «فشربوا، فرعوا، وسَقَوا، وزرعوا وأسقَوا».

(٨) بكسر القاف: جمع (قاع): وهو الأرض المستوية الملساء التى لا تنبت.

دين الله تعالى، ونفعه ما بعثنى الله به فعَلِم وعلَّم؛ ومثلُ من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدى الله الذى أُرسلتُ به»[١].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحقُ المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته علمًا علَّمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، أو مُصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله فى صحته وحياته، تلحقُه من بعد موته»[٢].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه: أنه مَرَّ بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق! ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراثُ رسول الله ﷺ يُقسَّم، وأنتم ها هنا؛ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: فى المسجد، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نَرَ فيه شيئًا يُقسَّم! فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم فى المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى؛ رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراثُ محمد ﷺ[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٩) كتاب العلم، ومسلم (٢٢٨٢) كتاب الفضائل.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٣) حسن موقوف: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٨٣).

(١٣) التماس العلم عند الأصاغر

۞ ومن أشراط الساعة التى أخبر عنها النبى ﷺ: التماس العلم عند الأصاغر.

روى الإمام عبد الله بن المبارك بسنده عن أبى أُمِيَّة الجُمَحِى رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ**»(١).

وَسُئِلَ الإِمَام عبد الله بْن الْمُبَارَكِ: عَنِ الْأَصَاغِرُ؟ فَقَالَ: «الَّذِينَ يَقُولُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَأَمَّا صَغِيرٌ يَرْوِى عَنْهُ كَبِيرٌ فَلَيْسَ بِصَغِيرٍ».

۞ ومن هنا نعلم أنه ليس المراد بالأصاغر: صغار السن.

فمن المعلوم أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما كان يُدخله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أشياخ بدر فى مجلس الشورى الذى اختاره فاروق الأمة عمر، وهو لم يبلغ السابعة عشرة من عمره، وكان الصَّحابَة ومَن لقيهم من التابعين يعرفون قدر ابن عباس على الرغم من صغر سنِّه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : «نِعم ترجمان القرآن ابن عباس»(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : «لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل»(٣).

---

(١) كتاب الزهد لابن المبارك (ص ٢٠-٢١) (ح٦١).

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٢٢٦٩) والحاكم(٣/ ٥٣٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه ووافقه الذهبى- وهو موقوف صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٣٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه ووافقه الذهبى.

وعن مجاهد قال: كان ابن عباس إذا فسَّر الشيء رأيت عليه نورًا[١].

وعن يزيد بن الأصم قال: خرج معاوية حاجًّا وخرج معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه[٢].

وعن طاووس قال: ما رأيتُ أورع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس[٣].

وقال مجاهد: ما رأيت أحدًا قطُّ مثل ابن عباس. لقد مات يوم مات وإنه لحَبْرُ هذه الأمة[٤].

وعن مجاهد، قال: كان ابن عباسُ يُسمى البحر لكثرة علمه[٥].

وعن مسروق قال: كنت إذا رأيتُ ابن عباس، قلت: أجملُ الناس. فإذا نطق، قلتُ: أفصحُ الناس. فإذا تحدث قلت: أعلمُ الناس[٦].

۞ فالمراد بالأصاغر هنا: هم الجهلة الذين يتكلمون في دين الله بغير علم ولا يرجعون إلى النبعين الصافيين: الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة.

۞ قال ابن المبارك: «أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ أَصَاغِرِهِمْ؛ يعنى: أهل البدع»[٧].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد فضائل الصحابة (١٩٣٥) وقال العدوى: صحيح إلى مجاهد.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد فى الزوائد على فضائل الصحابة (١٩٣٤) وقال العدوى: صحيح.

(٣) تاريخ الفسوى (١/ ٤٩٦)، وابن سعد (٢/ ٣٦٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٣٥).

(٥) أنساب الأشراف (٣/ ٣٣)، والمستدرك (٣/ ٥٣٥)، والحلية (١/ ٣١٦).

(٦) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٣٧) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ووافقه الذهبى.

(٧) حاشية كتاب «الزهد» (ص ٣١)، تحقيق وتعليق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى.

وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِن أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ أَصَاغِرِهِمْ، وَتَفَرَّقَتْ أهواؤهم هَلَكُوا»(١).

لكن فى زمننا لا زال العلم وأهله بخير والحمد لله، وإن كان المتأمل يجد أن الإعلام أظهر وأشهر عددًا من طلبة العلم الصغار الذين يعرفون عموميات الإسلام ويُتقنون المسائل المشهورة، لكنهم ليسوا حُفاظًا ولا فقهاء، ولكن ظهروا بين الناس، فأقبل الناس يستفتونهم ويلتمسون العلم منهم، ولو أن العلماء الكبار ظهروا للناس فى وسائل الإعلام من فضائيات وإذاعات ومواقع إنترنت لعرفهم الناس واستفتوهم وأقبلوا عليهم.

وهذا على الأغلب، فكما أن الكبر والهرم ليس أمارة على العلم، كذا فالصِّغر ليس أمارة على الجهل، ... قال الإمام أحمد بن حنبل «إن العلم ليس بالسنّ» وروى عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ العلم ليس عن حداثة السِّن أو قدمه ولكن الله يضعه حيث يشاء».

لذلك فالواجب على من تصدَّر للناس واشتهر أن يسعى لتحويل نفسه من أصاغر إلى أكابر بطلب العلم وإتقانه وفهمه والارتباط بالعلماء الكبار(٢).

---

(١) كتاب «الزهد» لابن المبارك، (ص ٢٨١) (ح ٨١٥).

(٢) نهاية العالم (ص ١٠٢-١٠٣).

(١٤) ضياع الأمانة ورفعها من القلوب

۞ وها هو النبى ﷺ يُخبر أنَّ من علامات الساعة الصُّغرى: ضياع الأمانة ورفعها من القلوب.

۞ روى حُذَيْفَةُ رضي الله عنه، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ**(١) **قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**» وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ**(٢)**، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ**(٣)**، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ**(٤)**، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا**(٥) **وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحدهم يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**» وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلاَنًا وَفُلاَنًا(٦).

---

(١) (جذر): الجذر: الأصل من كل شيء، انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (١/ ٢٥٠).

(٢) (الوكت): جمع وكتة، وهى الأثر فى الشيء كالنقطة من غير لونه، ومنه قيل للبسر إذا وقعت فيه نقطة من الأرطاب: قد وكت. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٥/ ٢١٨).

(٣) (المجل): هو ما يكون فى الكف من أثر العمل بالأشياء الصلبة الخشنة، كهيئة البثر. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٤/ ٣٠٠)، و«صحيح البخارى» (٦٤٩٧)، كتاب الرقاق.

(٤) (نفط): بفتح النون وكسر الفاء؛ يقال: نفطت يده؛ أى: قرحت من العمل، والنفطة: بثرة تخرج فى اليد من العمل ملأى ماء. انظر: «لسان العرب» (٧/ ٤١٦-٤١٧).

(٥) (منتبرًا): المنتبر كل مرتفع، ومنه اشتق المنبر، يقال: انتبر الجرح إذا ورم وامتلأ ماء. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٥/ ٧-٨)، و«فتح البارى» (١٣/ ٣٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٩٧) كتاب الرقاق، ومسلم (١٤٣) كتاب الإيمان.

ففى هذا الحديث بيانُ أنَّ الأمانة ستُرفع من القلوب، حتى يصير الرجل خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنما يقعُ لمَن ذهبتْ خشيتُه لله، وضعُفَ إيمانُه، وخالَطَ أهلَ الخيانَةِ، فيصيرُ خائنًا؛ لأنَّ القرين يقتدى بقرينه.



ما هى الأمانة؟

ولقد اختلف سلفنا الصالح فى تفسير الأمانة... وهذا ليس من باب اختلاف التضاد وإنما من باب اختلاف التنوع... فمنهم من قال: إنها ودائع الناس ومنهم من قال: الأمانة فى السمع والبصر واللسان واليد والرجل والبطن والفرج.

وقال القرطبى: وهذه اللفظة تعم كل وظائف الشرع..

وقال ابن عباس: هى التكليف... وهذا هو قول الجمهور.

- فالأمانة أن يحمل العبد أمانة التكليف فيقوم بذلك ممتثلًا قول الحق -جل وعلا-: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾(١).

(١) سورة البقرة: الآية: (٦٣).

النبى ﷺ يحض الأمة على حمل الأمانة

لقد كان النبى ﷺ يُلقَّب قبل البعثة بالصادق الأمين. وهل كان النبى ﷺ لا يمتلك إلا هاتين الصفتين؟ .. بل كان النبى ﷺ يجمع كل الصفات الحسنة ولكن لما كانت صفة الصدق وصفة الأمانة من أعظم الصفات لُقب النبى ﷺ بالصادق الأمين.

۞ ففى الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أخبرنى أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمرك فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبى»(١).

- وكان النبى ﷺ يحض الأمة على الأمانة دائمًا وكان يرتقى بأرواحهم إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

قال ﷺ: «**اضمنوا لى ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة** -وكان من بينها- **وأدُّوا إذا ائتُمنتم...** »(٢).

وكان النبى ﷺ يأمرنا بأداء الأمانة حتى لو كان الناس من حولنا غير أمناء فقال ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تَخُن مَن خانك**»(٣).

۞ وحذر النبى ﷺ من إضاعة الأمانة... وجعل خيانة الأمانة من

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٨١) كتاب الشهادات، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

(٢) حسن: رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وحسنه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠١٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري في التاريخ، وأبو داود، والترمذي، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٠).

علامات النفاق فقال ﷺ كما فى الصحيحين -: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**»(١).

- وقال ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له**»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣) كتاب الإيمان، ومواضع، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١١٩٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٧٩).

أمنية عمرية

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمنى تلك الأمنية الغالية وقد امتلأ قلبه حزنًا على فراق إخوانه وأحبابه، فقال يومًا لمن حوله: تمنوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا فأنفقه في سبيل الله ثم قال: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا أو زبرجدًا أو جوهرًا، فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، قال عمر: أتمنى، لو أنها مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة بن اليمان[1].

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(١٥) إسناد الأمر لغير أهله

۞ ومن مظاهر تضييع الأمانة إسناد أمور الناس من إمارة وخلافة وقضاء ووظائف على اختلافها إلى غير أهلها القادرين على تسييرها والمحافظة عليها؛ لأنَّ في ذلك تضييعًا لحقوق الناس، واستخفافًا بمصالحهم، وإيغارًا لصدورهم، وإثارة للفتن بينهم[١].

۞ قال الدكتور عمر الأشقر رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب أحد القواعد الهامة التي لا تصلح حياة البشر بدونها، ولذلك فإن الفترات التي تولى فيها الحكم أصحاب الكفاءات العالية من أصحاب الصلاح والتُّقى فترات مضيئة مشرقة في تاريخ الأمة الإسلامية، وأكبر مقتل يفسد نظام الحياة أن يتولى الحكم والولايات والمناصب أقوام غير أكفاء يقودون الحياة بأهوائهم، ويُترك الأخيار القادرون على تسيير الأمور على النحو الأمثل والأفضل.

وقد أخبر الرسول ﷺ أن من أشراط الساعة أن يوسَّد الأمر إلى من لا يستحقه، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «بينما رسول الله ﷺ في مجلس - يُحَدّث القوم، إذ جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قاله، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه: قال: «**أين السائل عن الساعة؟**» قال: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: «**إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة**، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[٢].

---

(١) انظر: «قبسات من هدى الرسول الأعظم ﷺ / في العقائد» (ص ٦٦) لعلي الشربجي.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٩) كتاب العلم.

ومن نظر فى تاريخ الأمة الإسلامية علم أن هذا المرض الذى أشار إليه الرسول ﷺ هو أحد البلايا الكبار التى أصابت المسلمين إصابات كبيرة، لقد تولى أمر هذه الأمة رجال مستبدون، لا يطيقون سماع رأى مخالف لما يرونه،... ففى الحديث عن معاوية أن الرسول ﷺ قال: «**ستكون أئمة من بعدى، يقولون فلا يرد عليهم، يتقاحمون فى النار كما تقاحم القردة**»(١) .

وبعض هؤلاء الحكام تشغلهم الشهوات والمتع عن رعاية أمور المسلمين، وبعضهم لا يعرف الحق، فإذا به يحمل الناس على ما لا يعرفون، وينشر بينهم البدع والمنكرات، كما فى الحديث الذى يرويه عبادة ابن الصامت عن رسول الله ﷺ: «**ستكون أمراء تشغلهم أشياء، يؤخرون الصلاة عن وقتها، فاجعلوا صلاتكم معهم تطوُّعًا**»(٢) .

وفى حديث أم سلمة عند مسلم وأبى داود: «**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره برئ، ومن أنكر سَلِم، ولكن من رضى وتابع لم يبرأ**»(٣) .

وعن ابن مسعود عن الرسول ﷺ قال: «**سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، ويُحدثون البدع، قال ابن مسعود: فكيف أصنع؟ قال: تسألنى يا ابن أم عبد كيف تصنع؟ لا طاعة لمن عصى الله**»(٤) .

ونلاحظ أن الرسول ﷺ لم يأذن بالخروج على عصاة الحكام، لما يترتب على الخروج عليهم من الفتن وسفك الدماء، هذا إذا كانوا آخذين

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى، والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦١٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦١٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٥٤) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه، والبيهقى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٦٤).

بشريعة الله على وجه العموم.

عن عرفجة: «**ستكون بعدى هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائنًا من كان فاقتلوه، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض**»[(١)][(٢)].

---

(١) صحيح: رواه النسائى، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٢١).

(٢) القيامة الصُّغرى (ص ١٨٥-١٨٧).

(١٦) ترك الحُكم بما أنزل الله

إننا أمة رسالة ولا ينبغى أبدًا أن نتخلى عن تلك الرسالة فلقد أخرج الله أمة الإسلام لتكون بمثابة المشعل الذى يضىء الطريق لكل الأمم كى تسير على النهج الذى اختاره الله للبشرية جميعًا. ففى الوقت الذى كلف الله فيه الأمم السابقة بأن تستقيم فى ذاتها لله (جلَّ وعلا) امتثالًا لقوله تعالى:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[١]، كلف الله أمة الإسلام بتكليفين عظيمين:

(١) كلَّفها بعبوديتها لله (جلَّ وعلا) ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[٢].

(٢) ثم كلَّفها بأن تكون أمة هادية لكل البشرية وشاهدة على كل البشرية فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[٣]، وهذا هو السر فى خيرية تلك الأمة المسلمة ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[٤][٥].

وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «**يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلَّغت؟** - أى: الرسالة - **فيقول:**

---

(١) سورة البينة: الآية: (٥).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٥) كتاب (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) للمصنف (ص: ٦).

نعم، فيقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله (جل وعلا): ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]»[2].

وعن أُبيِّ بن كعب في هذه الآية قال: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ﴾ وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود،وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلَّغتهم وأنهم كذَّبوا رسلهم، قال أبو العالية: وهي قراءة أُبي: (لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة)... ومن حديث جابر عن النبي ﷺ: «ما من رجل من الأمم إلا وَدَّ أنه منَّا أيتها الأمة، ما من نبيٍّ كذبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة، أن قد بلغ رسالة الله ونصح لهم»[3].

بل قال ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض والملائكة شهداء الله في السماء»[4].

۞ ولن تقوم لهذه الأمة قائمة ولن تبلغ مجدها إلا إذا حكمت بما أنزل الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[5]،

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٤٨٧) كتاب التفسير.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢١٨) أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية عن أُبي بن كعب.

(٤) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٩٠).

(٥) سورة النساء: الآية: (٦٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الآية[2] اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثُم بركُوا على الرُّكب فقالُوا: أى رسول الله كُلفنا من الأعمال ما نُطيقُ: الصلاة والجهاد والصيام والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآيةُ ولا نُطيقُها. قال رسول الله ﷺ: «**أتُريدُون أن تقُولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكُم: سمعنا وعصينا؟ بل قُولوا: سمعنا وأطعنا غُفرانك ربنا وإليك المصيرُ**» فلما اقترأها القومُ، وذلَّت بها ألسنتهُم، أنزل الله تعالى فى إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فلما فعلُوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ «**قال: نعم**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ «**قال: نعم**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ «**قال: نعم**» ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[3] «**قال: نعم**»[4].

۞ ومع ذلك فقد أخبر النبى ﷺ أنَّ من أشراط الساعة أن يترك أكثر

(١) سورة النور: الآية: (٥١).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٤).

(٣) سورة البقرة: الآيتان: (٢٨٥-٢٨٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٢٥) كتاب الإيمان.

المسلمين الحكم بما أنزل الله، وأن تُنقض عُرى الإسلام عُروة عُروة.

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِى تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ**»[١].

وهذه العلامة ظاهرة اليوم - مع الأسف - فى أكثر بلدان الإسلام فلم يعودوا يحكمون بالإسلام إلَّا فيما يتعلق بأمور الزواج، والطلاق، والميراث، ونحوها، أما المعاملات التجارية والعقوبات الجنائية، والحدود الشرعية فالكثير يحكم بالقوانين الفرنسية والبريطانية وغيرها.. وهذا حكم بغير ما أنزل الله .. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢][٣].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٧٥).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٥٠).

(٣) نهاية العالم (ص ٨٣).

(١٧) ظهور الشرك في هذه الأمة

ومن أخطر علامات الساعة التى أخبر عنها النبى ﷺ: ظهور الشرك فى بعض القبائل من أمة النبى محمد ﷺ.

والمشرك شركًا أكبر هو الذى يجعل مع الله ربًّا آخر كشرك النصارى الذى جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة، وكشرك الصابئة الذين ينسبون إلى الكواكب العلوية تدبير أمر العالم، ومثل هؤلاء كثير من عُبّاد القبور الذين يزعمون بأن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرّجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم، ولاذ بحماهم. ومن الشرك الأكبر أن يجعل مع الله إلهًا آخر: مَلَكًا، أو رسولًا، أو وليًّا، أو شمسًا، أو قمرًا، أو حجرًا، أو بشرًا، يُعبد كما يُعبد الله، وذلك بدعائه والاستعانة به، والذبح له والنذر له، وغير ذلك من أنواع العبادة.

والشرك الأكبر فى غاية الخطورة فهو يحبط العمل،... قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(١).

وقال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾(٢).

وصاحبه خالد مخلّد فى نار جهنم لا يغفر الله له، ولا يُدخله الجنّة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٣)، ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٨٨).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٦٥).

(٣) سورة النساء: الآية: (٤٨).

قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[1][2].

۞ وها هو النبى ﷺ يخبر أن ظهور الشرك فى بعض قبائل الأمة المحمدية من علامات الساعة.

عَنْ ثوبَان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِى أُمَّتِى لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِى بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِى الْأَوْثَانَ**»[3].

وروى الشيخان عن أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ**[4] **نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِى الْخَلَصَةِ**»[5].

وَذُو الخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِى كَانُوا يَعْبُدُونَ فِى الجَاهِلِيَّةِ[6].

وقد وقع ما أخبر به النبىُّ ﷺ فى هذا الحديث؛ فإنَّ قبيلة دوسٍ وما حولها من العرب قد افتتنوا بذى الخَلَصة عندما عاد الجهل إلى تلك البلاد، فأعادوا سيرتها الأولى، وعبدوها من دون الله، حتى قام الشيخ محمد بن سعود رَحِمَهُ اللهُ، وبعث جماعة من الدُّعاة إلى ذى الخَلَصة،

(١) سورة المائدة: الآية: (٧٢).

(٢) العقيدة فى الله/ د. عمر الأشقر (ص ٢٨٦-٢٨٧) بتصرف.

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٢٨).

(٤) (أليات): جمع الألية، والمراد بها هنا أعجازهن؛ أى: أن أعجازهن تضطرب فى أطرافهن كما كنَّ يفعلن فى الجاهلية. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (١/ ٦٤).

(٥) (ذو الخَلَصة)؛ اسم لصنمين كل منهما يدعى ذا الخلصة، أحدهما لدوس، والثانى لخثعم وغيرهم من العرب.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٦) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩٠٦) كتاب الفتن.

فخربوها، وهدموا بعض بنائها، ولما انتهى حكم آل سعود على الحجاز في تلك الفترة، عاد الجُهال إلى عبادتها مرة أخرى، ثم لما استولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله على الحجاز؛ أمر عامله عليها، فأرسل جماعة من جيشه، فهدموها، وأزالوا أثرها، ولله الحمد والمنة[١].

ولا يزال هناك صورٌ من الشرك في بعض البلدان، وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى**» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[٢] أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**»[٣].

ومظاهر الشِّرك كثيرةٌ، فليست محصورةً في عبادة الأحجار والأشجار والقبور، بل تتعدَّى ذلك إلى اتِّخاذ الطَّواغيت أندادًا مع الله تعالى، يَشْرَعون للناس من عند أنفسهم، ويُلزمون النَّاس بالتَّحاكم إلى شريعتهم، وترك شريعة الله، فينصبون أنفسهم آلهة مع الله ﷻ؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٤]؛ أي: جعلوا علماءهم وعُبادهم آلهة يشرعون لهم؛ فإنهم اتَّبعوهم فيما حلَّلوا وحرَّموا[٥].

---

(١) انظر: «إتحاف الجماعة» (١/ ٥٢٢-٥٣٣)، و«سراة غامد وزهران» (ص ٣٤٧-٣٤٩).

(٢) سورة الصف: الآية: (٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٧) كتاب الفتن.

(٤) سورة التوبة: الآية: (٣١).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٧٧).

وإذا كان هذا فى التَّحليل والتَّحريم؛ فكيف بمن نبذوا الإسلام وراءهم ظِهْرِيًّا، واعتنقوا المذاهب الإلحادية؛ من علمانيَّة، وشيوعيَّة، واشتراكية، وقوميَّة، ثم يزعمون أنهم مسلمون[(١)].

۞ ولقد حذرنا الحق (جل وعلا) من الشرك .. وكذلك حذرنا النبى ﷺ من الوقوع فى الشرك.

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[(٢)] أى: لا يغفر الشرك، ويغفر ما سوى ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده[(٣)] وهو يخص عموم[(٤)] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٥)].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[(٦)] أى إن الشرك قبيح، وظلم صارخ، لأنه وضع للشىء فى غير موضعه، فمن سوَّى بين الخالق والمخلوق، وبين الإله والصنم فهو - بلا شك - أحمق الناس، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة، وحَرِىٌّ به أن يوصف بالظلم والجهل، ويُجعل فى عداد البهائم[(٧)].

- ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ أى من يعتقد بألوهية

---

(١) أشراط الساعة/ يوسف الوابل (١٦٠-١٦٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٣) صفوة التفاسير (٢٦٥).

(٤) قاله الهيتمى فى الزواجر (٤٠).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٦) سورة لقمان: الآية: (١٣).

(٧) صفوة التفاسير (١٠٧٦).

غير الله ، فلن يدخل الجنة أبدًا ، لأنها دار الموحدين ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ أى مصيره نار جهنم ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1] أى فلا ناصر ولا منقذ له من عذاب الله[2].

والآيات فى ذلك كثيرة.

فمن أشرك بالله ثم مات مشركًا، فهو من أصحاب النار قطعًا كما أن من آمن بالله، ومات مؤمنًا، فهو من أصحاب الجنة وإن عُذِّب بالنَّار.

۞ وها هو النبى ﷺ يحذرنا من الوقوع فى الشرك.

فقال ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**»[3].

فبدأ النبى ﷺ بأكبر الكبائر ألا وهى الإشراك بالله (جل وعلا).

قال ابن الجوزى: «لتعظمن على أهل المخالفات الآفات ولتقطعن أفئدة المفرطين بالزَّفرات وليشتهرن الفاجر فى الخلوات بالجلوات ولتمورن السُّوق يوم السَوق إلى سُوق المحاسبات ولتسيلن الدِّماء بعد الدُّموع على الوجنات وليتحسرن أهل المعاصى إذا لاحت درجات الجنات ولينادين منادى الجزاء يخبر بتفاوت العطاء ووقوع السيئات ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾»[4].

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٧٢).

(٢) صفوة التفاسير (٣٤٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٤) سورة الجاثية: الآية: (٢١).

وقال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثلاثًا، قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ** - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: - **أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[(١)].

وقال ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» فذكر منها: «**الشِّرْكُ بِاللهِ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**»[(٤)(٥)].

۞ ثُمَّ تكون الحسرة على من عاش على الشرك ومات على ذلك ... فإنَّه يعيش فى تلك الحياة وقد انسلخ من ثوب الإيمان وارتدى ثوب الجحود والكُفران فيُحرم من نعيم القرب من الرحمن ويعيش عيشة الذُّلّ والحرمان .... إنَّها الحسرة عندما يخرج أهل الشرك على تلك الهيئة التى يصورها القرآن لنا، حيث يقول جل وعلا: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾[(٦)].

وقال ﷺ: «**يُجْمَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَطْلُعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: أَلَا تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَتَمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٥٤) كتاب الشهادات، ومسلم (٨٧) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٢٢) كتاب استتابة المرتدين، ومسلم (١٤٥٨) كتاب الحدود.

(٤) متفق عليه: رواه مسلم (١١٤) كتاب الإيمان.

(٥) الكبائر / للإمام الذهبى (ص ٧-٨).

(٦) سورة المعارج: الآيتان: (٤٣-٤٤).

صَلِيبُهُ، وَلِصَاحِبِ الصُّوَرِ صُوَرُهُ، وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ، فَيَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ، فَيَطْلُعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ »[١].

ثم بعد ذلك ينادى المشركون على آلهتهم فلا تستجيب لهم: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾[٢].

وفى النهاية فالنار تجمع المشركين وآلهتهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾[٣][٤].

(١) صحيح: رواه الترمذى، عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٢٥).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٥٢).

(٣) سورة الأنبياء: الآيات: (٩٨-١٠٠).

(٤) وأنذرهم يوم الحسرة/ للمصنف (ص ١٤٧-١٤٨).

(١٨) (١٩) (٢٠) ظهور الفُحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ[(١)] وَالتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ الْمُجَاوَرَةِ»[(٢)].

وروى الطبرانيُّ فى «الأوسط» عن أنس؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِم وَتَخْوِينُ الأَمِينِ وَائْتِمَانُ الخَائِنِ»[(٣)].

وللإِمَام أحمد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ أَنَّهُ قال: «إنَّ بينَ يَدى السَّاعَة .. قَطْعُ الأَرْحَام»[(٤)].

۞ وبالفعل فقد ظهر ما أخبر عنه النبى ﷺ.

فظهر الفُحش والتفاحش بين كثيرٍ من الناس ... والفُحش قد يكون بالألفاظ القبيحة التى يتبادلونها فيما بينهم .. وقد يكون بالتحدُّث بما يرتكبون من المعاصى وما يترتب على ذلك من عقابٍ شديدٍ ... وقد يكون بالتساهل باللباس العارى ولذا قال ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا

---

(١) (الفحش): قال ابن الأثير: «هو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصى، وكثيرًا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا، وكل خصلة قبيحة فهى فاحشة فى الأقوال والأفعال» «النهاية» (٣/ ٤١٥).

(٢) صحيح: رواه الحاكم فى «المستدرك» (٤/ ٥٥٨) وصححه، وانظر الصحيحة (٣٢١١).

(٣) صحيح: أخرجه الطبرانى في الأوسط، والبزار، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٩٤).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٧).

اللَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيءِ»(١).

قال ابن منظور فى «لسان العرب»(٢): «الفحش هو البذىء، والقبيح من الأقوال والأفعال؛ فقد أضاف القول الفاحش إلى الفحش مع الفعل».

وقال ابن الأثير(٣): هو كلُّ ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصى.

وكثيرًا ما يُراد بالفُحش أو بالفاحشة الزنا؛ كما فى قوله ﷻ: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾(٤).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنَّ النَّبىَّ ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْغُضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ**»(٥).

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «**مَا مِنْ شَىْءٍ أَثْقَلُ فِى مِيزَانِ الْمُؤمِنِ يَومَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللهَ يَبْغُضُ الْفَاحِشَ الْبَذِىءَ**»(٦).

۞ وأمَّا بالنِّسبة لقطيعة الرحم فحدِّث ولا حرج.

فلقد حصل التدابر والتقاطع بين أكثر الأقارب فتمر الشهور والسنون ولا يتزاورون (وهم فى بلدٍ واحدٍ) مع أنَّ الله ﷻ أمرنا بصلة الرحم وحذرنا من القطيعة .. وكذلك النبى ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والبخارى فى الأدب المفرد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٨١).

(٢) لسان العرب (٦/ ٣٢٥).

(٣) النهاية فى غريب الحديث (٣/ ٤١٥).

(٤) سورة النساء: الآية: (١٩).

(٥) صحيح: رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٧٧).

(٦) صحيح: رواه الترمذى، والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣٢).

۞ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليصل رحمه، ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت»[(١)].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك».

ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[(٢)] »[(٣)].

۞ وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأُحسنُ إليهم ويُسيئون إليَّ، وأحلُمُ عنهم ويجهلُون عليَّ، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تُسفهم الملَّ، ولا يزالُ معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[(٤)].

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»[(٥)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٢) سورة محمد: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٨٧) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٤) كتاب الأدب والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٦٧) كتاب البيوع، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة.

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصلُ بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها»[١].

۞ وأما عن سوء الجار فحدِّث ولا حرج .. فكم من جارٍ يؤذي جاره ويكيد له المكائد ليل نهار..وكم من جارٍ لا يعرف جاره ولا يتفقد أحواله.. وكم من جارٍ يبيت شبعانًا وجاره جائع ... مع أنَّ الله ﷻ أمرنا بحُسن الجوار ونهانا عن سوء الجوار ... وكذلك النبي ﷺ.

۞ قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾[٢].

۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيُورثُهُ»[٣].

۞ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه مَن أُعطي حظه من الرفق، فقد أُعطي من خير الدنيا والآخرة،.. وصلةُ الرحم، وحُسنُ الخُلق، وحُسنُ الجوار، يُعمرن الديار، ويَزِدن في الأعمار»[٤].

۞ وعن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعت أُذناي، وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال: «من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليكرم جارهُ»[٥].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٩٩١) كتاب الأدب.

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٥) كتاب البر والصلة.

(٤) رواه أحمد والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٦٧).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٩) كتاب الأدب.

۞ **وعن عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ الأصحاب عند الله خيرُهُم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله خيرُهُم لجاره**»(١).

۞ **قال الحسن البصري**: ليس حسن الجوار كفُّ الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار: الصبر على الأذى من الجار(٢).

۞ باع أبو الجهم العدوى داره بمائة ألف درهم، ثم قال: فبكم تشترون جوار سعيد بن العاص؟ قالوا: وهل يُشترى جوارٌ قط؟! قال: رُدُّوا علىَّ دارى، ثُم خذوا مالكم، لا أدع جوار رجل؛ إن قعدت، سأل عنى، وإن رآنى، رحَّب بى، وإن غبتُ، حفظنى، وإنً شهدت قرَّبنى، وإن سألته، قضى حاجتى، وإن لم أسأله بدأنى، وإن نابتنى جائحةٌ فرج عنى.

فبلغ ذلك سعيد بن العاص، فبعث إليه بمائة ألف درهم(٣).

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِى شُرَيْحٍ رضي الله عنهما، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ**» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِى لَا يَأْمَنُ جَارُه بَوَائِقَهُ**»(٤). أى: من لا يأمن جاره شروره، وأخلاقه السيئة والفاسدة.

وقال ﷺ: «**لَا يَدخُلُ الجَنَّة مَنْ لَا يأمَن جَاره بَوائِقَهُ**»(٥).

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٧٠).

(٢) تنبيه الغافلين، السمرقندى (١/ ١٥٣).

(٣) وفيات الأعيان، ابن خلكان (٢/ ٥٣٥).

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ - أي: القطعة من الأقط وهو شيء يُتخذ من مخيض لبن الغنم - وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»[1].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٦٠).

(٢١) كثرة الكذب وعدم التثبُّت في نقل الأخبار

لاشكَّ أنَّ الكذب آفة سيئة ... ومع ذلك فقد انتشر الكذب فى هذا الزَّمان انتشارًا لا يخطر على قلب بشر.

۞ ولقد أخبر النبى ﷺ أن كثرة الكذب وعدم التثبُّت فى نقل الأخبار (من علامات الساعة).

عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ»[(١)].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «سَيَكُونُ فِى آخِرِ أُمَّتِى أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»[(٢)].

وفى رواية: «يَكُونُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لا يُضِلُّونكُمْ، وَلا يَفْتِنُونَكُمْ»[(٣)].

وعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسْعُود: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَتَمَثَّلُ فِى صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيَأْتِى الْقَوْمَ، فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ، فَيَتَفَرَّقُونَ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرِفُ وَجْهَهُ، وَلَا أَدْرِى مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ»[(٤)].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: «إِنَّ فِى الْبَحْرِ شَيَاطِينَ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم فى المقدمة (١/ ٧٨) باب النهى عن الرواية عن الضعفاء.

(٣) صحيح: رواه مسلم فى المقدمة (١/ ٧٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم فى المقدمة (١/ ٧٩).

مَسْجُونَةً، أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا»(١).

قال النووى: «معناه: تقرأ شيئًا ليس بقرآن، وتقول إنه قرآن؛ لتُغرَّ به عوامَّ الناس، فلا يغترُّون»(٢).

۞ ولقد أوصانا النبى ﷺ بالصدق وحذرنا أشد التحذير من الكذب فقال ﷺ:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذابًا»(٣).

وعن أبى أمامة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «أنا زعيم ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب ولو كان مازحًا»(٤).

وعن الحسن بن على رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»(٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «أربعٌ من كُن

---

(١) صحيح: رواه مسلم فى المقدمة (١/ ٧٩).

(٢) «شرح النووى لمسلم» (١/ ٨٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٧٨١٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٧٨).

فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[(٢)].

ومن الناس من يكذب ليُضحك الناس، وإذا نهيته عن ذلك قال لك: إنى أمزح، فهذا أو أمثاله قال فيهم رسول الله ﷺ: «**ويل للذى يحدث بالحديث ليُضحك به القوم فيكذب ويلٌ له، ويلٌ له**»[(٣)].

وأعظم الكذابين إثمًا، وأكبرهم جرمًا أولئك الذى يكذبون على الله ورسوله، وأما الكذب على الله كتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[(٤)].

ويدخل فى ذلك أيضًا أولئك الذين يتجرؤون على الفتوى بدون علم، فتجد أحدهم يفتى فى مسألة ما، فإذا سألته عن الدليل من آية أو حديث تحيَّر وتوقف.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٨) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٧) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٩٤٤).

(٤) سورة النحل: الآية: (١١٦).

وسيجنى هؤلاء الذين يكذبون على الله ورسوله ﷺ الحسرة في الدنيا والآخرة.

فأمَّا فى الدنيا فحسبه أن يُكتب عند الله كذَّابًا كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ: «**وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١).

وكذلك فإنه يدخل فى دائرة المُنافقين كما قال ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا**، وذكر منهم: **وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**»(٢). بل لقد دعا النبى ﷺ على أهل الكذب فقال: «**وَيْلٌ لِمَنْ يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ؛ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**»(٣).

وأما عن حسرة أهل الكذب فى قبورهم فلقد أخبر ﷺ بعذابهم فى قبورهم.

قال ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِى فَأَخَذَا بِيَدِى، فَأَخْرَجَانِى إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ فَيُدْخِلُهُ فِى شِدْقِهِ، فَيَشُقُّهُ، حَتَّى يُخرجه مِنْ قَفَاهُ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ فَيُدْخِلُهُ فِى شِدْقِهِ الآخَرِ، وَيَلْتَئِمُ هَذَا الشِّدْقُ، فَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟**».

(فقالا فى آخر الحديث ردًّا على السؤال): «**أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِى رَأَيْتَ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَذَّابٌ، يَكْذِبُ الْكَذِبَةَ فَتُحْمَلُ عَنْهُ فِى الآفَاقِ، فَهُوَ يُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَصْنَعُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مَا شَاءَ**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٨) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه أحمد، والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٣٦).

(٤) صحيح: رواه البخاري (١٣٨٦) ومواضع.

وأما عن حسرتهم يوم القيامة قال ﷺ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»(١). وقال ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢).

بل تأمل معى هذا الوعيد من الله (جل وعلا) للمكذبين حيث يقول:

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾(٣).

بل إنَّ الفضيحة تأتيهم يوم القيامة من كل حدب وصوب كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(٤).

بل إن الذين كذبوا بيوم الدين يدخلون وادى سقر الذى جعل الله فيه من العذاب والنكال ما يناسب كل من كذب بيوم الدين، ... بل إن من كذب بيوم الدين، فإنه لا تنفعه شفاعة الشافعين .... قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٧) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٠٧) كتاب العلم.

(٣) سورة المزمل: الآيات: (١١-١٤).

(٤) سورة هود: الآية: (١٨).

ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[1].

وأخيـــــرًا: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[2][3].

❊ ❊ ❊

(١) سورة المدثر: الآيات: (٣٨-٤٨).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

(٣) وأنذرهم يوم الحسرة/ للمصنف (ص ١٩٣-١٩٤).

(٢٢) شهادة الزور

❁ لقد وصف الله عباد الرحمن بصفاتٍ جليلةٍ كان من بينها:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾(١).

أى: لا يشهدون الشهادة الباطلة (شهادة الزور) التى تُضيِّع حقوق الناس.

❁ ومع ذلك فقد ظهرت وانتشرت شهادة الزور فى زماننا هذا حتى إنك تستطيع أن تستأجر أُناسًا يقفون أمام المحاكم ليس لهم أى عمل سوى أنهم يشهدون الزور مقابل مبلغٍ من المال.

بل وهناك من يشهد الزور لأحد أقاربه مقابل أن يشهد هو أيضًا فى قضيته وذلك على غِرار (اشهد لى وأشهد لك).

ولذلك أخبر النبى ﷺ أنَّ شهادة الزور من علامات الساعة فقال ﷺ: «**إنَّ بَينَ يدى السَاعة ... شَهادة الزُّور**»(٢).

❁ **بل اعتبرها النبى ﷺ من أكبر الكبائر:**

عن أَبِى بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» ثَلَاثًا «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ -**» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئًا، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»(٣).

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٦٥٤) كتاب الشهادات، ومسلم (٨٧) كتاب الإيمان.

وما أكثر شهادة الزُّور وكتمان شهادة الحق فى هذا الزمن!

ولعظم خطرها قرنها النبى ﷺ بالشرك وعقوق الوالدين؛ فإنَّ شهادة الزُّور سبب للظُّلم والجور وضياع حقوق الناس فى الأموال والأعراض، وظهورها دليلٌ على ضعف الإيمان، وعدم الخوف من الرحمن(١).

وشهادة الزور ليست خاصة بالشهادة عند القاضى أو الحاكم، بل هى عامة فى كل شهادة، كشهادة الناس بين بعضهم بعضًا، كالموظفين فى الشركات والمؤسسات عند مسئوليهم، وشهادة الطلاب فى المدارس والجامعات، وشهادة الأولاد عند والديهم.

وقد حذر النبى ﷺ من شهادة الزور أو أكل حقوق الناس بالحلف كذبًا أو بهتانًا، فقال: «مَنِ اقْتَطَعَ حَق مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِىَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» ثُمَّ قَرَأَ ﷺ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾(٢)(٣).

وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ البَاهِلِىِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»(٤).

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الإِشْرَاكَ بِاللهِ ثَلَاثَ

---

(١) أشراط الساعة (ص ١٩٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٧٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٣٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٣٧).

مرَّاتٍ بِاللهِ» ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾(١)(٢).

❁ قال الإمام الذهبى فى الكبائر:

شاهد الزور قد ارتكب عظائم:

❁ أحدها: الكذب والافتراء.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٣).

❁ وثانيها: أنه ظلم الذى شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله أو عرضه أو روحه.

❁ وثالثها: أنه ظلم الذى شهد له؛ بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار.

وقال ﷺ: «فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»(٤).

---

(١) سورة الحج: الآية: (٣٠).

(٢) حسن موقوف: رواه الطبرانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٣٠١).

(٣) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٥٨) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٧١٣) كتاب الأقضية.

(٢٣) كتمان شهادة الحق

وإذا كنا قد تكلمنا عن إثم من يشهد شهادة الزور وهو الكذب المتعمد فى الشهادة وهو اليمين الغموس الذى يغمس صاحبه فى نار جهنم.

فهناك فى المقابل من يرى أخاه مظلومًا وهو يعرف الحقيقة ومع ذلك فإنه يسكت ويكتم شهادة الحق مع أن الله ﷻ نهانا عن ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ﴾ أى: إذا دُعيتم إلى أداء شهادة فلا تكتموها فإن كتمانها إثم كبير، يجعل القلب آثمًا وصاحبه فاجرًا، وخُص القلب بالذكر؛ لأنه سلطان الأعضاء، إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أى: لا يخفى عليه شىء من أعمال وأفعال العباد[1].

۞ ولذا أخبر النبى ﷺ أنَّ كتمان شهادة الحق من علامات الساعة فقال ﷺ: «**إنَّ بَينَ يدى السَاعة ... شَهادة الزُّور وَكِتمَان شَهَادَة الحق**»[2].

مع أنَّ النبى ﷺ قد أمرنا بنُصرة المظلوم فقال ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ**»[3].

قال النووى رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا نَصْرُ الْمَظْلُوم فَمِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِنَّمَا يَتَوَجَّهُ الْأَمْرُ بِهِ عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخَفْ ضَرَرًا»[4].

---

(١) صفوة التفاسير (١/ ١٦١).

(٢) صحيح: رواه أحمد والحاكم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٤) كتاب المظالم والغصب.

(٤) شرح النووى على مسلم (١٤/ ٣٢).

(٢٤) كثرة الشُّح

۞ ولقد أخبر النبى ﷺ أنَّ كثرة الشُّحِّ من علامات الساعة.

والشُّحُّ: هو البُخل والحرص .. فهو أشد البُخل وهو أبلغ فى المنع من البُخل .. وقيل: هو البُخل مع الحرص(١).

عن أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَظْهَرَ الشُّحُّ»(٢).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ»(٣).

والشُّحُّ خُلُقٌ مذمومٌ، نهى عنه الإسلام، وبيَّن أنَّ مَن وُقِىَ شُحَّ نفسه؛ فقد فاز وأفلح؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٥).

قال القاضى عياض: «يُحتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْهَلَاكَ هُوَ الهلاك الذى أخبر عنهم بِهِ فِى الدُّنْيَا بِأَنَّهُمْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ هَلَاكُ الْآخِرَةِ وَهَذَا

(١) بتصرف من (النهاية فى غريب الحديث) (٢/ ٤٨٨).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط (١/ ٢٢٨)، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٢١١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٦١) كتاب الفتن، ومسلم (١٥٧) كتاب العلم.

(٤) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٨).

الثَّانِي أَظْهَرُ وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[١].

۞ والإنسان الشَّحيح هو فى الحقيقة يرتكب جريمة كُبرى وهو لا يدرى .. حيث أنه يُسىء الظنَّ بالله أنَّه لن يعوضه عمَّا أنفقه وبذله .. مع أنَّ الحقَّ (جل وعلا) يقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٢].

ويقول تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

والنبى ﷺ يقول: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ....**»[٤].

وقال ﷺ: «**من أنفق نفقةً فى سبيل الله، كُتبت له سبعمائة ضعف**»[٥].

۞ **وعن عدى بن حاتم** رضي الله عنه **أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة»**[٦].

۞ **وقال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسبٍ طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربى أحدكم فَلُوَّهُ حتى تكون مثل الجبل»**[٧].

---

(١) شرح النووى لمسلم (١٦/ ١٣٤).

(٢) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٦٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١١٠).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٣) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٤) كتاب الزكاة .

۞ وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفًا»[١].

۞ وقال ﷺ: «صنائعُ المعروف تقى مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة»[٢].

وقال النبى ﷺ: «والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»[٣].

والمراد بالصدقة هنا: الزكاة وصدقة التطوع جميعًا.

وقال النبى ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله -وذكر منهم- ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[٤].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه الحاكم (١/ ٢١٣)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٣٧٩٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢٥) عدم تحري الحلال (وأكل الحرام)

قال ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»(١).

۞ فالنبى ﷺ يخبر أن فى آخر الزمان يقل ورع كثيرٍ من الناس فلا يبالون من أين جاء المال أمن حلال أم من حرام.

۞ وهذا يكون بسبب الجهل بالحلال والحرام وامتلاء القلوب بحب الدنيا .. ونسيان الآخرة.

ففى ذلك الوقت تنزلق أقدامهم فى الشبهات ثم فى الحرام وهم لا يشعرون ... فتجد الواحد منهم لا يأنف أبدًا أن يبيع الدخان أو الخمور أو المخدرات أو أن يتاجر فى ملابس النساء العارية أو يتعامل بالربا .. مع أن الله أمرنا أن نأكل الحلال فقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾(٢)، وقال ﷺ: «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»(٣).

۞ ولا شكَّ أن الذى يأكل الحرام ويَأْكُل أموال النَّاس سوف يَتحسَّر فى الدنيا والآخرة.

فأما حسرته فى الدنيا فإن الله ينزع البركة من هذا المال ولا يبارك له فى ولدٍ ولا فى زوجةٍ فتجده يعانى من عقوق أولاده ومن عصيان زوجته وتمردها بل يفتح الله عليه من مصائب الدنيا ما لا يعلمه إلَّا الله وكذلك فإنَّ الله لا يقبل دعاءه ولا عبادته إلَّا إذا تاب وردَّ إلى الناس حقوقهم.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٨٣) كتاب البيوع.

(٢) سورة المؤمنون: الآية: (٥١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

قال ﷺ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلافَهَا، أَتْلَفَهُ اللهُ»(١).

وأما حسرته فى الآخرة فقد قال ﷺ: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»(٢).

وقال ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: - وذكر منهم- وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ»(٣).

وقال ﷺ مخبراً عن تلك العاقبة الشديدة لمن يأخذ أموال الناس ولا يردها: «سُبْحَانَ اللهِ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ التَّشْدِيدِ فِى الدَّيْنِ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ رَجُلا قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيِىَ، ثُمَّ قُتِلَ، ثُمَّ أُحْيِىَ، ثُمَّ قُتِلَ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، مَا دَخَلَ الجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دَينه»(٤).

ثم إنَّنا لا ينبغى أن ننسى أبدًا مظالم البشر فمن أُخذ أموالهم فى الدنيا ولم يردها أخذوا منه يوم القيامة حسناته فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم فطُرحت عليه ثم طُرح فى النار ... كما ورد فى حديث «المفلس».

روى: «أنَّ من لم يبالِ من أين اكتسب المال، لم يبالِ الله من أى باب أدخله النار».

وروى: «أن من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم، وفيه درهم من حرام؛ لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه».

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٣٨٧).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥١٩).

(٣) حسن: رواه الترمذى عن ابن مسعود، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

(٤) حسن: رواه أحمد، والنسائى، والحاكم، عن محمد بن جحش، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٠).

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لأن يجعل أحدكم فى فِيه (فمه) ترابًا خير من أن يجعل فى فيه حرامًا».

وقد روى عن يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إن الشاب إذا تعبَّد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء؛ قال: دعوه يتعب، ويجتهد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه».

وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أردَّ درهمًا من شُبهة أحب إلىَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف ... حتى عدَّ ستمائة ألف».

وقال وهب بن الورد: «لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام».

وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا يقبل الله صَلَاة امْرِئ وَفِى جَوْفه حرَام حَتَّى يَتُوب إِلَى الله تَعَالَى مِنْهُ.

وَقَالَ سُفْيَان الثَّوْرِىّ: من أنْفق الْحَرَام فِى الطَّاعَة كَانَ كمن طهَّر الثَّوْب بالبول ... وَالثَّوْب لَا يُطهره إِلَّا المَاء والذنب لَا يُكفره إِلَّا الْحَلَال.

وَقَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا نَدع تِسْعَة أعشار الْحَلَال مَخَافَة الْوُقُوع فِى الْحَرَام.

وروى أن من حج بِمَالٍ حرَام فَقَالَ: لبيْك، قَالَ ملك: لَا لبيْك وَلَا سعديك حجك مَرْدُود عَلَيْك.

وَعَن بعض الصَّالِحين أَنه رُؤِىَ بعد مَوته فِى الْمَنَام فَقيل لَهُ: مَا فعل الله بك؟ قَالَ: خيرًا غير أَنِّى مَحْبُوس عَن الْجنَّة بإبرة استعرتها فَلم أردهَا.

قال العلماء رحمهم الله: وَيدخل فِى هَذَا الْبَاب المكَّاس، والخائن، وَالسَّارِق، والبطال، وآكل الرِّبَا، وموكله، وآكل مَال الْيَتِيم، وَشَاهد الزُّور، وَمن اسْتعَار شَيْئا فجحده، وآكل الرِّشْوَة، ومُنقص الْكَيْل وَالْوَزْن، وَمن بَاعَ

شَيْئا فِيهِ عيب فغطاه، والمقامر، والساحر، والمنجم، والمصور، والزانية، والنائحة، ، والدلال إِذا أَخذ أجرته بِغَيْر إِذن من البَائِع، ومخبر المُشْتَرِى بِالزَّائِدِ، وَمن بَاعَ حُرًّا فَأكل ثمنه[1][2].

(١) كتاب الكبائر للإمام الذهبى - تحقيق د. أسامة عبد العظيم (ص ١١٢: ١١٣).

(٢) وأنذرهم يوم الحسرة / للمصنف (١٨٤-١٨٦).

(٢٦) انتشار الربا

ومن العلامات الَّتى أخبر عنها النبى ﷺ أنَّها من علامات السَّاعة ظهور الرِّبا وانتشاره.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ يَظْهَرُ الرِّبَا»[١].

وفى «الصحيح» عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يُبَالِى الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَال أمن حَلَالٍ، أَمْ مِن حَرَامٍ»[٢].

ومن فقه الإمام البخارى رحمه الله أنَّه أورد حديث أبى هريرة السابق فى باب قول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾[٣]؛ ليُبين أن أكل الأضعاف المضاعفة من الربا يكون بالتوسع فيه عند عدم مبالاة الناس بطرق جمع المال، وعدم التمييز بين الحلال والحرام.

۞ ولقد حذَّر الله عز وجل فى القرآن الكريم من الرِّبا تحذيرًا شديدًا فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[٤].

فمن يأكل الربا فهو محاربٌ لله ورسوله ﷺ ... ومن يقدر على حرب الله ورسوله ﷺ؟!!!

۞ لقد انتشر الربا انتشار النار فى الهشيم وسُمِّى بغير اسمه فسُمِّى

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٤١٥/ ٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٠٨٣) كتاب البيوع.

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٣٠).

(٤) سورة البقرة: الآيتان: (٢٧٨-٢٧٩).

بالقروض والفوائد والأرباح وشهادات الاستثمار وغيرها من المُسميات التى لا تصرفه عن حقيقته فى أنه هو عين الربا .. وأن من يفعل ذلك فهو محاربٌ لله ورسوله ﷺ.

۞ وإن كان هناك من أهل العلم مَن أفتى بجواز تلك المعاملات الرِّبوية فلا يعنى ذلك أن نقع فى تلك الكبيرة؛ لأن تلك الفتوى صادفت هوًى فى أنفسنا.

۞ ومع كل هذا فها هو النداء يأتينا من عند الله ﷻ من أجل أن نتوب من تلك المعاملات الربوية.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[١].

وإلا فإن الذي يتعامل بالربا - إن لم يتب- فسوف يجنى الحسرات في الدنيا والآخرة.

۞ فأما حسرته فى الدنيا فيقول النبى ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ وشَاهِدَيهِ وَكَاتِبه وَهُمْ فِيهِ سَوَاء**»[٢]، وقال: «**دِرْهَم رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً**»[٣]، وقال: «**الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِى عِرْضِ أَخِيهِ**»[٤].

(١) سورة البقرة: الآيتان: (٢٧٨-٢٧٩).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٩٨) كتاب المساقاة.
(٣) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى فى الكبير، عن عبد الله بن حنظلة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧٥).
(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط عن البراء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٣٧).

بل إنه إذا ظهر الربا فى قوم فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله ﷻ:

قال ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِى قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ**»(١).

وأما حسرة آكل الربا فى القبر فيقول ﷺ فى جزء من حديث طويل: «**فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِى النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِى ذَلِكَ الَّذِى قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا**».

فلما سأل النبى وقال: «**مَا هَذَانِ؟**». قالا: «**وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِى أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِى النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا**»(٢).

فهذا عذابه فى قبره وأما عن عذابه وحسرته يوم القيامة فقد قال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾(٣).

أى: أن الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبُّط الشيطان له وذلك أنه يقوم قيامًا مُنكرًا.

يقول ابن عباس: آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق(٤).

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٩)

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٧٥).

(٤) وأنذرهم يوم الحسرة / للمصنف (ص ١٥١).

(٢٧) ظهور المعازف[1] واستحلالها

۞ ومن علامات الساعة الصُّغرى التى أخبر عنها النبى ﷺ: ظهور المعازف واستحلالها.

ومن المعلوم أنَّ هذه العلامة أصبحت من أكثر العلامات ظهورًا وانتشارًا .. وسُمِّيت بغير اسمها ... فأصبحت تُسمَّى بالفن والإبداع وغير ذلك.

ومن شدَّة انتشارها فقد أُنشئت لها إذاعات مخصصة للمعازف والغناء وقنوات تبث الأغانى والموسيقى ٢٤ ساعة فى اليوم.

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَيَكُونُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ» ، قِيلَ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ وَالْقَيْنَاتُ»[2].

۞ ولكن الأعظم من ظهور المعازف والغناء هو استحلالها وذلك لأن بعض من ينتسبون إلى العلم قد أفتوا بذلك بل ويخبرون الناس بأنهم يستمتعون بأغانى كوكب الشرق وموسيقار الجيلين .. إلى غير ذلك.

عن أَبِى مَالِكٍ الْأَشْعَرِىِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّه سَمِعَ النَّبِىَّ ﷺ يقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِى أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِى: الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً

(١) المعازف: هى آلات الملاهى كالعود، والطنبور، والدُّف.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى في الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٦٥).

وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[١].

وقد زعم ابن حزم أنَّ هذا الحديث منقطعٌ لم يتَّصل ما بين البُخارى وصدقة بن خالد، وردَّ عليه العلَّامة ابن القيم، وبيَّن أنَّ ما قاله ابن حزم باطلٌ من ستَّة وجوه[٢]:

١- أنَّ البُخاريَّ قد لقى هشام بن عمَّار، وسمع منه، فإذا روى عنه مُعنعنًا، حُمِلَ على الاتِّصال اتِّفاقًا؛ لحصول المعاصرة والسَّماع، فإذا قال: «قال هشامٌ»؛ لم يكن فرقٌ بينَه وبين قوله: «عن هشامٍ» أصلًا.

٢- أنَّ الثِّقات الأثبات قد رووه عن هشامٍ موصولًا؛ قال الإسماعيلى فى «صحيحه» «أخبرنى الحسن: حدثنا هشامُ بن عمَّار»؛ بإسناده ومتنه.

٣- أنَّهُ قد صحَّ من غير حديث هشام، فرواه الإسماعيلى وعثمان بن أبى شيبة بسندين آخرين إلى أبى مالك الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٤- أنَّ البُخاريَّ لو لم يلقَ هشامًا ولم يسمع منه؛ فإدخاله هذا الحديث فى «صحيحه»، وجزمه به؛ يدلُّ على أنَّه ثابتٌ عنده عن هشام، ولم يذكر الواسطة بينه وبين هشام، إمَّا لشُهرتِهم، وإما لكثرتِهم، فهو معروفٌ مشهورٌ عن هشام.

٥- أنَّ البُخاريَّ إذا قال فى «صحيحه» : «قال فلانٌ»؛ فالمرادُ أنَّ الحديث صحيحٌ عنده.

٦- أنَّ البُخاريَّ ذكر هذا الحديث مُحتجًا به، مُدخِلًا له فى «صحيحه» أصلًا لا استِشهادًا.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٠/ ٥١) كتاب الأشربة.

(٢) انظر: «تهذيب السنن» (٥/ ٢٧٠-٢٧٢).

فالحديث صحيحٌ بلا ريب.

وقال ابن الصَّلاح: «وَلَا الْتِفَاتَ إِلَى أَبِى مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِىِّ الْحَافِظِ فِى رَدِّهِ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِىُّ، مِنْ حَدِيثِ أَبِى عَامِرٍ، أَوْ أَبِى مَالِكٍ: (فذكره)».

ثم قال: «وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ مَعْرُوفُ الِاتِّصَالِ بِشَرْطِ الصَّحِيحِ. وَالْبُخَارِىُّ رَحِمَهُ اللهُ قَدْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، لِكَوْنِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ مَعْرُوفًا مِنْ جِهَةِ الثِّقَاتِ عَنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِى عَلَّقَهُ عَنْهُ، وَقَدْ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ قَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَدِيثَ فِى مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ مُسْنَدًا مُتَّصِلًا وَقَدْ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِى لَا يَصْحَبُهَا خَلَلُ الِانْقِطَاعِ، وَاللهُ أَعْلَمُ»(١).

ومن المعلوم لكل من اطلع على كتب الأئمة، اتِّفاقهم على تحريم الغناء الذى تصحبه آلات الطرب والمعازف، ولا عبرة بقول من شذَّ وخالف. وإليك بعض الأدلة فى ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِى لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرًا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرًاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٢).

قال الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود -وهو أحد السَّابقين الأولين، ومن كبار علماء الصَّحابة والمُفتين فسر هذه الآية بالغناء، كما روى ذلك عنه أبو الصَّهباء البكرى أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يُسأل عن هذه

(١) «مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث» (ص ٣٢)، طبع دار الكتب العلمية، عام (١٣٩٨)، وانظر: «فتح البارى» (١٠/ ٥٢).

(٢) سورة لقمان: الآيتان: (٦، ٧).

الآيـــة ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ فقال عبد الله: «الغناء، والذى لا إله إلا هو» يرددها ثلاث مرات(١).

۞ وها أنا أكرر الحديث مرة أخرى ...

عن أَبِى مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِى أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ** -جبل-، **يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ** -أي: ماشية-، **يَأْتِيهِمْ** - يَعْنِى: الفَقِيرَ - **لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»(٢).

فى هذا الحديث يخبر النبى ﷺ أنَّه سيكون أقوام من أمته «**يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ**» وهو الفرج، وهو كناية عن الزِّنا،.... والحرير، والخمر، والمعازف، وقوله: «**يَسْتَحِلُّونَ**» صريحة فى أن المذكورات ومنها «**المَعَازِفَ**» هى فى الشرع محرمة، فيستحلها أولئك القوم.

ثم إن النبى ﷺ قرن المعازف مع المقطوع بحرمته وهو «الزنا والخمر» ولو لم تكن محرمة ما قرنها معها، ثم أخبر عن أقوام من هؤلاء المُستحلين لهذه المُحرمات أنهم ينزلون إلى «جنب علم» وهو: الجبل العالى، وعندهم الرَّاعى يسرح بمواشيهم، فيأتيهم الفقير ذو الحاجة فيقولون له: «**ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا** -ليعطوه-، **فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ**» أى: يهلكهم ليلًا، ويوقع الجبل ويدُكّه عليهم، ويمسخ أقوامًا منهم قردة وخنازير، أعاذنا الله من ذلك والمسلمين.

---

(١) حسن: أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره، وابن أبى شيبة فى المصنف (٤/ ٣٧٣)، والحاكم (٢/ ٤١١)، والبيهقى فى السنن (١٠/ ٢٢٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٥٩٠).

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا تَبِيعُوا القَيْنَاتِ** (المُغَنِّيَات)، **وَلا تَشْتَرُوهُنَّ، وَلا تُعَلِّمُوهُنَّ، وَلا خَيْرَ فِى تِجَارَةٍ فِيهِنَّ، وَثَمَنُهُنَّ حَرَامٌ**»، فِى مِثْلِ هَذَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1][2].

۞ ذهب جمهور الفُقهاء إلى تحريم بيع آلات اللَّهو المحرمة والمعازف إلا ما جاز استعماله منها وصرَّحوا بعدم صحة بيعها[3][4].

۞ فمن ترك القرآن وعكف على سماع المعازف والغناء فسوف يجنى الحسرات فى الدُّنيا والآخرة (إن لم يتب).

فأما حسرة أهل الغناء ومن يستمعون الغناء فى الدنيا، فإن الله يحجب عنهم نعمة التَّلذُّذ بالقرآن؛ لأنه لا يجتمع فى قلب عبدٍ قرآن الرحمن وقرآن الشيطان، ولذا قال الحق (جل وعلا): ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾[5].

ففى تلك الآيات ينكر الحق (جل وعلا) على من يسمع القرآن ولا يبكى أو يتأثَّر به وكان السبب فى ذلك ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ والسمود هو الغناء بلغة أهل (حِمير).

وأما الحسرة الثانية لهم فقد أخبر عنها النبى ﷺ بقوله: «**فِى هَذِهِ الأُمَّةِ**

(١) سورة لقمان: الآية: (٦).

(٢) حسن: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٩٢٢).

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٩/ ١٥٧).

(٤) صحيح فقه السنة/ لأبى مالك (٤/ ٤٠٣-٤٠٤).

(٥) سورة النجم: الآيات: (٥٩-٦١).

خَسفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ ... إِذَا ظَهَرَتِ القِيان -أى: المُغنيات- وَالْمَعَازِفُ، وشُربت الْخُمُورُ»[(١)].

وقال ﷺ كما روى الترمذى: «إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِى خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا الْبَلاءُ» -فذكر منها- «إِذَا اتُّخِذَتْ الْقينَاتُ وَالْمَعَازِفُ».

ولعل الذى حدث فى بلاد الأندلس خير شاهد على ذلك، فإنها حُكمت بالإسلام قرابة ثمانية قرون، ولما استحلت المعازف والغناء والخمور استأصل الله شأفتهم وسلط عليهم من لا يعرفه وذهب حكم الإسلام من بينهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[(٢)].

يقول ابن مسعود: «إن الغناء ينبت النفاق فى القلب، كما ينبت البقل من المطر».

ولقد سُئل ابن عباس عن حكم الغناء فى الإسلام، قال للسائل: «أيها السَّائل: إذا كان يوم القيامة وجىء بالحقِّ والباطل، ففى أيِّهما يكون الغناء؟ قال: يكون فى الباطل. قال ابن عباس: والباطل فى الجنة أم فى النار؟ قال: فى النار. قال ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك».

يقول ابن القيم بعد ذكره لمستحلى الغناء: المسخ على صورة القردة والخنازير واقع فى هذه الأمة ولا بد وهو فى طائفتين: فى علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله .. الذين قلبوا دين الله وشرعه فقلب الله تعالى صورهم كما قلبوا دينه والمجاهرين المتهتكين بالفسق والمحارم[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٧٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١١٧).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (ص ٣٤٥-٣٤٦).

وأما حسرتهم فى الآخرة فقد روى ابن المبارك ... عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من جلس إلى قينة (مغنية) يسمع منها صُبَّ فى أذنيه الآنِك يوم القيامة**»، والآنك هو الرصاص المُذاب ... بل إنه من يسمع الغناء فى الدنيا يُحرم من سماع غناء الحور العين فى الجنة، ذاك الغناء الذى تتمايل معه أغصان الجنة وثمارها[1].

(١) وأنذرهم يوم الحسرة/ للمصنف (١٧١-١٧٣).

(٢٨) كثرة شُرب الخمر واستحلالها

ومن علامات الساعة التى أخبر عنها النبى ﷺ: شرب الخمر.

فلقد ظهر فى هذه الأمة من يشرب الخمر .. بل إن الخمر الآن تُباع جهارًا نهارًا فى بعض الدول العربية والإسلامية فى محلات مُرخصة وفى المطارات والطائرات والفنادق.

۞ والأعجب من ذلك أنَّ القانون يُجرِّم شرب الحشيش، ولا يُجرم شرب الخمر !!! .. مع أنَّ هذا مثل هذا فى الحُرمة بل قد تزداد حُرمة الخمر على الحشيش.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُوَ الزِّنَا، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ، وَتَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَة قَيِّمٌ وَاحِدٌ**»(١).

۞ والأعجب من ذلك أن يكون هناك من يستحل شرب الخمر ويسميها بغير اسمها ... كالمشروبات الروحية والويسكى والشامبانيا.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «**لَتَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى الْخَمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ**»(٢).

وَعَنْ أَبِى مَالِكٍ الْأَشْعَرِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «**لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِىَ الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسمها يُعزف على رؤوسهم بِالْمَعَازِفِ وَالْمُغَنِّيَاتِ** -وفى رواية: «**القَيْنَاتِ**»- **يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والضياء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٦٩).

وَالْخَنَازِيرَ»(١).

۞ وفسر ابن العربى استحلال الخمر بتفسيرين:

الأول: اعتقاد حِلِّ شُرْبها.

الثانى: أن يكون المُراد بذلك الاسترسال فى شُربها؛ كالاسترسال فى الحلال.

وذكر أنه سمع ورأى مَن يفعل ذلك، وهو فى زمننا هذا أكثر، فقد فُتِنَ بعض الناس بشربها.

وأعظم من ذلك بيعها جهارًا، وشربها علانيةً فى بعض البلدان الإسلامية، وانتشار المُخدرات انتشارًا عظيمًا لم يسبق له مثيلٌ؛ مما يُنْذِرُ بخطرٍ عظيمٍ، وفسادٍ كبيرٍ، والأمر لله من قبلُ ومن بعد.

فليحذر المسلمون من شُرب الخمر فإنَّ الله ﷻ قد حرَّمها وحرَّم بيعها.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

۞ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا حَرَّمَ شَيْئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ»(٣).

۞ وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةِ، وَالْخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٤٥٣).

(٢) سورةالمائدة: الآية: (٩٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والدارقطنى، وصححه الألبانى فى غاية المرام (٣١٨).

الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: «لَا، هُوَ حَرَامٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللهَ ﷻ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»(١).

❁ حسرات شارب الخمر فى الدنيا والآخرة:

(١) شارب الخمر يهدم دينه:

لأنه يفعل شيئًا قد حرمه الله فاستحق بذلك مقت الله وغضبه وعقابه.

(٢) شارب الخمر يدمر نفسه وصحته وبدنه:

فشرب الخمر هو قتلٌ بطىء للإنسان وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(٢). فشرب الخمر والمخدرات سببٌ لكثير من الأمراض، فهى تدمر الكبد والمخ والجهاز العصبى والتناسلى والعين والجلد والشعر والأسنان وتؤدى إلى مرض السرطان والإيدز والقلب وتشوه الأجنة فى بطون الحوامل المدمنات.

(٣) شارب الخمر يدمر عقله:

فالعقل نعمة من أعظم النعم... ومع ذلك فشارب الخمر والمخدرات يدمر تلك النعمة العظيمة التى أنعم الله بها عليه.

(٤) شارب الخمر يدنس عرضه:

فتجد أن شارب الخمر ومُدمن المخدرات سُمعته وسيرته سيئة جدًّا بين الناس.

بل إن الإدمان يُذهب الغيرة من قلبه على نسائه وبناته.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١).

(٢) سورة النساء: الآية: (٢٩).

فقد تجد هذا المدمن جالسًا في بيته ليشرب الخمر أو ليتعاطى المخدرات ومعه أصدقاء السوء... وزوجته هي التي تقوم بخدمتهم.

ولعلكم تعلمون تلك القصة التي نشرتها إحدى الصحف من أن رجلًا مدمنًا كان قد استضاف في بيته تاجرًا للمخدرات، وكان المدمن قد نفد ماله ويريد تلك الجرعة المخدرة فرفض التاجر أن يعطيه الجرعة إلا بثمنها..... فلما رأى التاجر زوجة المدمن وكانت جميلة طلب منه أن يفعل معها الفاحشة مقابل الجرعة فوافق المدمن وضحَّى بعرضه من أجل تلك الجرعة الملعونة.

(٥) شارب الخمر والمخدرات مضيع للمال:

فالمال أمانة سيسألنا الله عنها يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[(١)].

وقال ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن خمس** - وذكر منها: **وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»[(٢)].

والعجيب في هذا الأمر أنك لا ترى الأغنياء فقط هم الذين يشربون بل هناك فقراء يشربون ويدمنون.

والأعجب من هذا: أن اليهود هم الذين يروجون الخمور والمخدرات فالمدمن يعطي ماله لليهود ليشتروا به سلاحًا ويضربوا إخوانه في فلسطين.

(١) سورة الإسراء: الآية: (٢٧).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٢٩٩).

(٦) الخمر والمخدرات تصد العبد عن ذكر الله وعن الصلاة:

فالله خلقنا من أجل أن نعبده... قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[(١)]. وشرب الخمر والمخدرات يصد العبد عن الذكر والصلاة والصيام وقراءة القرآن.... قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[(٢)].

(٧) شرب الخمور والمخدرات توقع العبد فى المهالك:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «اجتنبوا الخمر فإنها أُم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد فعلقته امرأة - أغوته - فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا تدعوك للشهادة؛ فانطلق مع جاريتها فطفق كلما دخل بابًا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليَّ، أو تشرب من هذه الخمر كأسًا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقينى من هذه الخمر كأسًا فسقته كأسًا فقال: زيدونى فلم يرم حتى وقع عليها وقتل الغلام فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ويوشك أن يُخرج أحدهما صاحبه»[(٣)].

وإذا كان هذا من تأثير الخمر فإن المخدرات تأثيرها على العقل أبشع

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٢) سورة المائدة: الآيتان: (٩٠- ٩١).

(٣) رواه النسائى موقوفًا على عثمان بن عفان وإسناده صحيح.

من تأثير الخمر، وما في الخمر من مضار دينية وفكرية يوجد في المخدرات ما هو أشد وأنكى.

(٨) الخمر والمخدرات تؤذي الناس من حولك:

لا شك أن الشاب بإدمانه للخمر والمخدرات فإنه يؤذي الناس من حوله وقد قال النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[١].

ومن المعلوم أن رائحة مدمني الخمر والمخدرات لا تُطاق حتى إن أكثر الناس لا يطيقون مجالستهم ولو لدقائق معدودات فما الظن بزوجة المدمن التي تعيش معه وتعاني أشد المعاناة من حياتها معه.

بل إن الملائكة لتتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

(٩) الجرأة على ارتكاب الجرائم:

فمن المعلوم أن شرب الخمور والمخدرات تجعل الإنسان جريئًا على ارتكاب الجرائم: كالسرقة والنصب والقتل وهتك الأعراض وغيرها من الجرائم.

(١٠) شرب الخمور والمخدرات يُذهب المروءة:

فقد تجد رجلًا يشتري الخمور والمخدرات بمئات الجنيهات ويترك زوجته وأولاده بلا طعام ولا شراب ولا حتى دواء لأطفاله الصغار.

(١١) تدمير الحياة الزوجية:

فشرب الخمور والمخدرات يدمر الحياة الزوجية بسبب عدم شعور المدمن بأدنى مسئولية... وبالتالي فإنه يُضيع حقوق الزوجة وحقوق

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٣٤١) كتاب الأحكام، وأحمد (٢٨٦٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٥١٧).

الأولاد فى آنٍ واحدٍ.

(١٢) تدفع المدمن إلى الانتحار:

وشُرب الخمور والمخدرات تجعل المدمن ليس لديه أى رغبة فى الحياة... وقد يدفعه ذلك إلى الانتحار أو دخول السجن أو على الأقل إلى دخول مستشفى الأمراض العقلية.

(١٣) تؤدى إلى فساد الطباع وشراسة الخُلق:

ومن المعلوم أن شرب الخمور والمخدرات تؤدى إلى فساد الطباع وشراسة الخُلق ومصاحبة الذين على شاكلته مما يؤثر على حياته ويضيع مستقبله.

(١٤) يؤثر على رُقى المجتمع وتقدمه:

ومن المعلوم أيضًا أن انتشار الخمور والمخدرات وكثرة المدمنين فى أى مجتمع يؤثر على رُقى المجتمع وتقدمه... فهو إهدار للأموال والطاقات البشرية وفيه نشر للرذيلة ولذا فهى تُمثل خطرًا داهمًا على الأمم والشعوب.

(١٥) شارب الخمر والمخدرات مطرود من رحمة الله (إلا من تاب):

قال ﷺ: **«أتانى جبريل، فقال: يا محمد! إن الله ﷻ لعنَ الخمر، وعاصرها، ومُعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومُبتاعها، وساقيها، ومُسقيها»**(١).

۞ واللعن: هو الطرد من رحمة الله.

فشارب الخمر والمخدرات مطرود من رحمة الله إلا إذا تاب - وباب

(١) صحيح: رواه أحمد، والطبراني، والحاكم، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢).

التوبة مفتوح على مصراعيه حتى تغرغر الروح وحتى تشرق الشمس من مغربها.

(١٦) الخمر أم الفواحش:

ومن المعلوم أن من شرب الخمر والمخدرات فإنها تفتح له بابًا إلى ارتكاب الفواحش.

قال ﷺ: **«الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر مَن شربها وقع على أمه وخالته وعمته»**(١).

۞ وكم سمعنا عن شبابٍ وقعوا على أخواتهم وأمهاتهم وبناتهم بسبب الخمر أو المخدرات - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١٧) من شربها لا تُقبل له صلاة أربعين يومًا.

قال ﷺ: **«من شرب الخمر وسكر لم تُقبل له صلاةٌ أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد فشرب فسكر، لم تُقبلْ له صلاة أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد فشرب فسكر لم تُقبل له صلاةٌ أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، وإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد كان حقًّا على الله أن يسقيه من ردغةِ الخبال يوم القيامة: عُصارة أهل النار»**(٢).

وقال ﷺ: **«الخمر أم الخبائث، فمن شربها لم تُقبل صلاته أربعين يومًا،**

---

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير (١١/ ١٦٤، رقم ١١٣٧٢)، وفي الأوسط (٣/ ٢٧٦، رقم ٣١٣٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٤٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (١٨٦٢) كتاب الأشربة، والنسائي (٥٦٧٠) كتاب الأشربة، وابن ماجه (٣٣٧٧) كتاب الأشربة، والدارمي (٢٠٩١) كتاب الأشربة، وأحمد (٦٦٠٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣١٣).

فإن مات وهى فى بطنه مات ميتةً جاهليةً»[١].

(١٨) الملائكة تتأذى من شارب الخمر والمخدرات.

وكذلك فإن الملائكة لا تقرب شارب الخمر والمخدرات بل وتتأذى منه... وهذا - والله - عذابٌ أليمٌ أن يُحرم العبد من صحبة الملائكة.

قال ﷺ: **«ثلاثة لا تقربهم الملائكة: السكران والمتضمخ بالزعفران والجُنُب»**[٢].

(١٩) شرب الخمور والمخدرات من أسباب نزول العذاب.

قال ﷺ: **«فى هذه الأمة خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ... إذا ظهرت القيان والمعازف وشُربت الخمور»**[٣].

(٢٠) شارب الخمر لا يدخل الجنة مع أول الداخلين.

قال ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الدَّيوث والرَّجُلة من النساء ومُدمن الخمر»**[٤].

فالشاهد أن مدمن الخمر إذا مات على التوحيد فإنه لا يدخل الجنة مع أول الداخلين... إلا إذا كان مستحلًّا لشربها مُنكرًا لحُرمتها مكذبًا للقرآن فهو فى تلك الحالة لا يدخل الجنة أبدًا كما قال النبى ﷺ.

۞ بل قال ﷺ: **«من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حُرمها فى**

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/ ٨١، رقم ٣٦٦٧)، والدارقطنى (٤/ ٢٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٤٤).

(٢) صحيح: رواه البزار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٦٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٢١٢) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢٧٣).

(٤) صحيح: رواه الطبراني فى الكبير، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٦٢).

الآخرة»[١].

وقال ﷺ: «**من مات وهو مُدمن خمر لقى الله وهو كعابد وثن**»[٢].

۞ فإن كان مدمن الخمر موحدًا ودخل الجنة بعد أن لقى جزاءه على شرب الخمر فإنه يُحرم من خمر الجنة الذى جعله الله لذة للشاربين فى الجنة.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٧٥) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤٩).

(٢٩) كثرة النساء وقلة الرجال

۞ ولقد أخبر النبى ﷺ أنَّ من علامات الساعة: كثرة النساء وقلة الرجال.

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِى، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَة القَيِّمُ الوَاحِدُ**»(١).

وعَنْ أَبِى مُوسَى الأشعرىِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «**وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ**»(٢).

۞ قيل: إنّ سبب كثرة النساء وقلة الرجال هو ظهور الفتن التى يَكثر فيها قتل الرجال؛ لأنهم أهل الحرب دون النساء.

وقيل: إن سبب ذلك كثرة الفتوح، فتكثر السبايا، فيتخذ الرجل عدة موطوءات.

قال الحافظ ابن حجر: «فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ صَرَّحَ بِالْقِلَّةِ فِى حَدِيثِ أَبِى مُوسَى ... فَقَالَ: «**مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ**»(٣)، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا عَلَامَةٌ مَحْضَةٌ لَا لِسَبَبٍ آخَرَ، بَلْ يُقَدِّرُ اللهُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ أَنْ يَقِلَّ مَنْ يُولَدُ مِنَ الذُّكُورِ، وَيَكْثُرُ مَنْ يُولَدُ مِنَ الْإِنَاثِ، وَكَوْنُ كَثْرَةِ النِّسَاءِ مِنَ الْعَلَامَاتِ مُنَاسِبَةٌ لِظُهُورِ الْجَهْلِ وَرَفْعِ الْعِلْمِ»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨١) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٤) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٢) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠١٢) كتاب الزكاة.

(٤) «فتح البارى» (١/ ١٧٩).

۞ وهذا لا يمنع أن يكون كثرة النساء وقلة الرجال بسبب الفتن والحروب أو بسبب قلة المواليد من الذُّكور وكثرة المواليد من الإناث.

أو بسببٍ آخر يقدره الله ﷻ فى آخر الزمان أو بكل تلك الأسباب مجتمعة ... والله أعلم.

۞ وعلى العموم فإنَّ المُتأمل فى نِسَب المواليد من الذُّكور والإناث فى العالم كله سوف يجد أن نسبة الإناث تزيد على نسبة الذكور.

۞ وأما قوله ﷺ: «**حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ**» أى: أن هذا الرجل يقوم على شئونهن وحوائجهن ولا يعنى أنه قائم عليهن بالزواج أو بالوطء فى صورة من صور الوطء كالسبى وغيره، وإنما يكون هذا الرجل هو القائم بشئونهن وحوائجهن.

(٣٠) ظهور الكاسيات العاريات

۞ إن الله ﷻ أمر كل مؤمنة بالحجاب الشرعى فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[(١)].

وحذرها الحقُّ (جلَّ وعلا) من التَّبرُّج ... وكذلك حذرها النبى ﷺ من التبرج فقال ﷺ:

«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، -وذكر منهما- وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا»[(٢)].

بل إن النبى ﷺ حذَّر من التَّبرُّج وقرنه بأكبر الكبائر.

رُوى أن أُميمة بنت رقيقة جاءت إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال ﷺ: « **أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لا تُشْرِكِي بِاللهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقِي وَلا تَزْنِى، وَلا تَقْتُلِي وَلَدَكِ، وَلا تَأْتِى بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ، وَلا تَنُوحِى، وَلا تَبَرَّجِى تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ**»[(٣)].

۞ ومع ذلك فقد كثر التبرج والسفور فى هذا الزمان وظهور الكاسيات العاريات وهنَّ يرتدين لباسًا لا يستر عوراتهن .. بل ويُظهر زينتهن وشعورهن فكُنَّ سببًا فى فتنة الكثير من شباب المُسلمين.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٣) حسن: رواه أحمد (٦٨١١)، وحسنه الألبانى رحمه الله فى جلباب المرأة المسلمة (ص ١٢١).

۞ ومن شدة هذا الأمر ذكر النبى ﷺ أنَّ ظهور الكاسيات العاريات من علامات الساعة.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ فِى آخِرِ أُمَّتِى رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُوجٍ[١]، كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ[٢]، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ[٣]، الْعَنُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءَهُمْ، كَمَا يَخْدِمْنَكُمْ نِسَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ»[٤].

وفى رواية للحاكم: **«سَيَكُونُ فِى آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى الْمَيَاثِرِ[٥] حَتَّى يَأْتُوا أَبْوَابَ مَسَاجِدِهِمْ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ»[٦].**

---

(١) (سروج): جمع سرج، وهو رحل الدَّابَّة. انظر: «لسان العرب» (٢/ ٢٩٧).

(٢) (الرحال): جمع رحل، وهو مركب للبعير والناقة، والرحالة أكبر من السرج، وتغشى بالجلود، وتكون للخيل والنجائب من الإبل، ويقال لمنزل الإنسان ومسكنه: رحل.
وجاء فى «مسند الإمام أحمد» (١٢/ ٣٦- بتحقيق شاكر) بلفظ: «كأشباه الرجال» بالجيم المعجمة.

(٣) (البُخْت): لفظة معرَّبة، والمراد بها الإبل الخراسانية، تمتاز بطول الأعناق.
انظر: «لسان العرب» (٢/ ٩-١٠)، و«النهاية» لابن الأثير (١/ ١٠١).
و(العجاف): جمع عجفاء، وهى الهزيلة من الإبل وغيرها.
انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ١٨٦).

(٤) رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر، فى تحقيق المسند (١٢/ ٣٦) (٧٠٨٣).

(٥) (المياثر): جمع ميثرة - بكسر الميم-: وهو الثوب الذى تجلَّل به الثياب، فيعلوها، مأخوذ من: وثر وثارة فهو وثير؛ أى: وطىء لين. وتطلق المياثر على مراكب العجم التى تُعمل من حرير أو ديباج، والمراد بها السروج العظام.
انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٥/ ١٥٠-١٥١)، و«لسان العرب» (٥/ ٢٧٨-٢٧٩)، و«ترتيب القاموس» (٤/ ٥٧٢).

(٦) مستدرك الحاكم (٤/ ٤٣٦).

۞ وهنا أُحبُّ أن أقِفَ وقفة يسيرة مع إخوانى وأحبابى:

فالنَّبىُّ ﷺ قال فى الحديث عن النساء الكاسيات العاريات: « **الْعَنُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ** » فلا بُدَّ أن تعلم أنه ليس من الأدب ولا من المروءة أن تأتى لامرأة متبرجة وتقول لها: يا ملعونة!!! .. بل هُناك فرق كبير بين الحكم على الإطلاق والحكم على التعيين.

فهذه المرأة المتبرجة يجب عليك أن تنصحها بكل ذوق ورحمة وأدب وأن تُقيم عليها الحجة وأن تدعو لها بالهداية بدلًا من أن تلعنها.

وشتان شتان بين أن تقول: لعنة الله على الكاسيات العاريات .. وبين أن تقول: فلانة ملعونة.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «**من أشراط الساعة: ... أن تظهر ثيابٌ تلبسها نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ**»[1].

وهذه الأحاديث من معجزات النبوَّة، فقد وقع[2] ما أخبر به النبى ﷺ قبل عصرنا هذا، وهو فى زمننا هذا أكثر ظهورًا.

وقد سمَّى النبىُّ ﷺ هذا الصنف من النساء بـ(الكاسيات العاريات)؛ لأنَّهُنَّ يلبسن الثياب، ومع هذا فهُنَّ (عاريات)؛ لأنَّ ثيابهُنَّ لا تؤدِّى وظيفة الستر؛ لرقَّتها وشفافيتها؛ كأكثر ملابس النساء فى هذا العصر[3].

وقيل: إنَّ معنى (الكاسيات العاريات)؛ أى: كاسية جسدها، ولكنها

---

(١) قال الهيثمى: «فى الصحيح بعضه، ورجاله رجال الصحيح؛ غير محمد بن الحارث بن سفيان، وهو ثقة». «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٢٧).

(٢) «شرح النووى لمسلم» (١٧/ ١٩٠).

(٣) «الحلال والحرام فى الإسلام» (ص٨٣)، د. يوسف القرضاوى.

تشدُّ خمارها، وتضيِّق ثيابها، حتى تظهر تفاصيل جسمها، فتبرز صدرها وعجيزتها، أو تكشف بعض جسدها، فتُعاقَب على ذلك في الآخرة[1].

وقد جمع النبي ﷺ في وصف هؤلاء النسوة بأنهن: «**كاسيات عاريات**» وأيضًا: «**مائلات مميلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة**»، وهذا إخبار عن شيء مشاهَد في هذا العصر؛ كأنه ﷺ ينظر إلى عصرنا هذا، ويصفه لنا، فقد أصبح في عصرنا هذا أماكن لتصفيف شعور النساء وتجميلها وتنويع أشكالها في محلَّات تسمى (كوافير)، يشرف عليها غالبًا رجالٌ يتقاضَوْنَ أعلى الأجور، وليس ذلك فحسب، فكثيرٌ من النساء لا يكتفين بما وهبهن الله من شعر طبيعي، فيلجأن إلى شراء شعر صناعيٍّ، تصله المرأة بشعرها؛ ليبدو أكثر نعومة ولمعانًا وجمالًا؛ لتجذب إليها الرجال[2].

---

(١) انظر: «شرح النووي لمسلم» (١٧/ ١٩٠).

(٢) انظر: «الحلال والحرام في الإسلام» (ص ٨٤).

(٣١) انتشار الزِّنا

ومن أخطر علامات السَّاعة التى أخبر عنها النبى ﷺ: انتشار الزنا.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُوَ الزِّنَا**»(١).

۞ **وتأمَّل معى لفظ الحديث: «ويفشو الزِّنا»** أى: ينتشر ... فالنبى ﷺ لا يخبر بمجرد ظهور الزِّنا بل يخبر عن انتشاره وكثرة وقوعه .. أسأل الله أن يحفظنى وإياكم من الفواحش.

وأعظم من ذلك استحلال الزِّنَا، فقد ثبت فى «الصحيح» عن أَبِى مَالِكٍ الْأَشْعَرِىِّ رضي الله عنه، أَنَّه سَمِعَ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِى أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ**»(٢).

وفى آخر الزمان بعد ذهاب المؤمنين يبقى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الْحُمُرِ؛ كما جاء فى حديث النَّواس رضي الله عنه: «**وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ**(٣) **تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»(٤).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لا تَفْنَى هَذِهِ الْأُمَّةُ حَتَّى يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ فَيَفْتَرِشَهَا فِى الطَّرِيقِ، فَيَكُونَ خِيَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَقُولُ لَوْ وَارَيْتَهَا وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٠/ ٥١) كتاب الأشربة.

(٣) (يتهارجون): أصل الهَرْج: الكثرة فى الشىء والاتساع.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن.

(٥) صحيح: رواه أبو يعلى، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١/ ٨٦٨).

قال القرطبى فى كتابه «المُفْهِم» على حديث أنس السابق: «فى هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوَّة، إذ أخبر عن أمور ستقع، فوقعت، خصوصًا فى هذه الأزمان»(١).

وإذا كان هذا فى زمان القرطبى؛ فهو فى زماننا هذا أكثر ظهورًا(٢)؛ وذلك لقلة العلم وكثرة الجهل وانتشار الفساد بين الناس وكثرة الفتن التى تحيط بالناس من كل مكان.

الترهيب من الزنا

ولقد جاءت النصوص الكثيرة من القرآن والسنة لترهب الناس من الوقوع فى الزنا.

❁ قال الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾(٣).

❁ وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾(٤).

❁ ولعظيم جُرم هذه الفاحشة وشدة نكارتها جُعلت عقوبتها من أشد العقوبات وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله.

فجُعلت عقوبة هذه الجريمة النكراء الرجم بالحجارة حتى الممات

(١) «فتح البارى» (١/ ١٧٩).

(٢) بتصرف من أشراط الساعة.

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣٢).

(٤) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨-٧٠).

لمن زنى وهو مُحصن، والجلد والإبعاد عن البلاد عامًا لمن زنى ولم يكن قد أُحصن.

والدليل على ذلك ما أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خذوا عنى، خذوا عنى، قد جعل الله لهن سبيلًا، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**»(١) (٢).

۞ بل وجاءت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ لتحمل الوعيد الشديد للزناة، قال ﷺ: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة - السحابة - فإذا أقلع رجع إليه**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٠) كتاب الحدود.

(٢) بعد الاتفاق على وجوب الرجم للزانى المحصن، اختلف العلماء فى حكم الجمع بين الجلد والرجم على ثلاثة أقوال:

الأول: يُجلد قبل الرجم، وهو رواية عن أحمد وبه قال الظاهرية لما يأتى:

١- حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «... **والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**» [رواه عبد الرزاق (٧/ ٣٢٦) بسندٍ صحيح].

٢- قضاء علىٍّ بن أبى طالب رضي الله عنه فى شراحة الهمدانية فإنه: «جلدها يوم الخميس مائة جلدة، ورجمها يوم الجمعة...» وقال: «جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ».

قالوا: فتوارد على الجمع بين الجلد والرجم قولُ النبى ﷺ وقضاءُ علىٍّ فوجب العمل بذلك.

الثانى: يُرجم فقط، ولا جلد عليه: وهو مذهب الجمهور: أبو حنيفة ومالك والشافعى وإحدى الروايتين عن أحمد، واستدلوا بما يلى:

أن الذين رجمهم النبى ﷺ كماعز والغامدية واليهوديين، لم يأت فى رواية أنه جلد واحدًا منهم.

۞ وإقامة الحد أمر يشتهر بين الناس، فلو كان شىء من ذلك لنُقل إلينا كما نقل الرجم.

۞ والأظهر قول الجمهور بأن الزانى المحصن يُرجم حتى الموت ولا يُجلد.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٠٩).

۞ قال ﷺ: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**»(١).

۞ وقال ﷺ فى صلاة الخسوف: «**يا أمة محمد، ما من أحد أغير من الله من أن يزنى عبده أو تزنى أَمته**»(٢).

- وأخبر النبى ﷺ أن انتشار الفاحشة من أسباب كثرة الأمراض فقال ﷺ: «**يا معشر المهاجرين ! خصال خمس إذا ابتُليتم بهن - وأعوذ بالله أن تدركوهن - لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا...**» (٣).

- بل وأخبر النبى ﷺ عن عذاب الزناة فى قبورهم فقال ﷺ: «**إنه أتانى الليلة آتيان، وإنهما ابتعثانى، وإنهما قالا لى: انطلق وإنى انطلقت معهما...**» فذكر الحديث، وفيه: «**فانطلقنا فأتينا على مثل التنور**»، قال: وأحسب أنه كان يقول: «**فإذا فيه لغط وأصوات**»، قال: «**فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضووا**»، قال: «**قلت لهما: ما هؤلاء؟..**» فذكر الحديث وفيه: «**وأما الرجال والنساء العراة الذين فى مثل بناء التنور فهم الزناة والزوانى**»(٤).

۞ ولما كانت معصية هؤلاء بأجزائهم السفلى كانت النار تأتيهم من أسفل منهم، ولما كانت نيران الشهوات تثور عليهم فى الدنيا بين حين وآخر فيقارفون المعصية كانت النار تثور عليهم بين حين وآخر، وكانوا كلما

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٢١) كتاب النكاح، ومسلم (٩٠١) كتاب الكسوف.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٧٨).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

أرادوا الخروج من المعصية والتوبة إلى الله ﷻ والانطلاق في فضاء الطاعة قصرت بهم هممهم، وغلبت عليهم شهواتهم فعادوا إليها مرة ثانية، فهم كذلك في تنور في البرزخ كلما هموا بالخروج عادوا إليه مرة ثانية[١].

كما تدين تُدان

۞ عن أبي أمامة أن فتى من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: «**ادنه**» فدنا منه قريبًا قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا! والله -جعلني الله فداك- قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**».

قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا! والله يا رسول الله، - جعلني الله فداك - قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا! والله - جعلني الله فداك - قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**». قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا! والله - جعلني الله فداك - قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**». قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا! والله - جعلني الله فداك - قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**». قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه**» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[٢].

۞ وفي قصص بني إسرائيل أن رجلًا تاجرًا ذهب يومًا إلى متجره فجاءته امرأة جميلة لتشتري منه شيئًا فلما أرادت أن تعطيه الثمن أمسك بيديها ثم تذكر فجأة أن هذا لا يحل له، وأنه سوف يُسأل أمام ربه - جل

---

(١) «مواقف إيمانية» الدكتور أحمد فريد (ص ٢٨٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٧٠٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٧٠).

وعلا - عما فعله فعاد إلى بيته مسرعًا فاستقبلته زوجته وهى تبكى وتقول له: لقد حدث اليوم شيء عجيب. فقال لها: ما هو؟ قالت: لقد جاء السقا ليضع الماء فى الحوض كعادته فلما وضع الماء فتح الباب فجأة على غير عادته وأمسك بيدى ثم تركها وانصرف. فابتسم زوجها وقال: دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا.

۞ نعم أيها الأخ الحبيب... كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد.

يا هاتكًا حرم الرجال وتابعًا ... طرق الفساد فأنت غير مُكَّرمِ

من يزنِ فى قومٍ بألفى درهم ... فى أهله يُزنى بربع الدرهمِ

إن الزنا دَيْن إذا استقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلمِ

(٣٢) كثرة القتل

۞ ولا يشك عاقل من أنَّ القتل قد انتشر فى هذا الزمان بصورة لا تخطر على قلب بشر ... فلا تكاد تمر ساعة إلا وتطالعنا النشرات الإخبارية والصحف المحلية والعالمية بأخبار العشرات والمئات من المقتولين ... ولا أكون مبالغًا إذا قلت أنه لم يصبح هناك أى حُرمة للدماء (وبخاصة الدماء المسلمة).

۞ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ**» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْقَتْلُ الْقَتْلُ**»(١).

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامُ الهَرْجِ، يَزُولُ فِيهَا العِلْمُ وَيَظْهَرُ فِيهَا الجَهْلُ**» قَالَ أَبُو مُوسَى: وَالهَرْجُ: القَتْلُ بِلِسَانِ الحَبَشَةِ(٢).

۞ وَعَنْ أَبِى مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجُ**». فَقَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «**الْقَتْلُ إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**». قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ يَحْسَبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ**»(٣).

۞ وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٨) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠٦٦) كتاب الفتن.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٤٧).

تَذْهَبُ الدُّنْيَا، حَتَّى يَأْتِىَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لا يَدْرِى الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِى النَّارِ**»(١).

وما أخبر به ﷺ فى هذه الأحاديث قد وقع بعضٌ منه، فحدث القتال بين المسلمين فى عهد الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ثم صارت الحروب تكثر فى بعض الأماكن دون بعض، وفى بعض الأزمان دون بعض، ودون أن تعرف أسباب أكثر تلك الحروب.

وإنَّ ما حصل فى القرون الأخيرة من الحروب المدمِّرة بين الأمم والتى ذهب ضحيَّتها الألوف، وانتشرت الفتن بين الناس بسبب ذلك، حتى صار الواحد يقتل الآخر، ولا يعرف الباعث له على ذلك.

وكذلك؛ فإن انتشار الأسلحة الفتَّاكة التى تدمِّر الشعوب والأمم له دورٌ كبيرٌ فى كثرة القتل، حتى صار الإنسان لا قيمة له؛ يُذْبَحُ كما تُذْبَحُ الشاة، وذلك بسبب الانحلال، وطيش العقول، فعند وقوع الفتن يُقتل الرجل، ولا يدرى لماذا قُتِلَ وفيمَ قُتِل، بل إننا نرى بعض الناس يقتل غيره لأسباب تافهة، وذلك عند اضطراب الناس، ويصدق على ذلك قوله ﷺ: «**إنَّه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان**»، نسأل الله العافية، ونعوذ به من الفتن؛ ما ظهر منها وما بطن.

وقد جاء أن هذه الأمة أمةٌ مرحومةٌ، ليس عليها عذابٌ فى الآخرة، وأنَّ الله تعالى جعل عذابها فى الدُّنيا الفتن والزلازل والقتل، ففى الحديث عَن صدقة بن المُثنَّى حدثنا رباح بن الحارث عن أبي بردة قال: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٨) كتاب الفتن.

فِى السُّوقِ فِى إِمَارَةِ زِيَادٍ إِذْ ضَرَبْتُ بِإِحْدَى يَدَىَّ عَلَى الْأُخْرَى تَعَجُّبًا، فَقَالَ رَجُلٌ، مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ كَانَتْ لِوَالِدِهِ صُحْبَةٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مِمَّا تَعْجَبُ يَا أَبَا بُرْدَةَ؟ قُلْتُ: أَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ دِينُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَدَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَحَجُّهُمْ وَاحِدٌ وَغَزْوُهُمْ وَاحِدٌ يَسْتَحِلُّ بَعْضُهُمْ قَتْلَ بَعْضٍ، قَالَ: فَلَا تَعْجَبْ فَإِنِّى سَمِعْتُ وَالِدِى، أَخْبَرَنِى أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أُمَّتِى أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا فِى الْآخِرَةِ حِسَابٌ وَلَا عَذَابٌ، إِنَّمَا عَذَابُهَا فِى الْقَتْلِ وَالزَّلَازِلِ وَالْفِتَنِ**».

وفى رواية عن أبى موسى: «**إِنَّ أُمَّتِى أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ. إِنَّمَا عَذَابُهَا فِى الدُّنْيَا: الْقَتْلُ والْبَلَابِلُ وَالزَّلَازِلُ**»[1][2].

❁ وهذه إحصائية لقتلى بعض الحروب:

(١) الحرب العالمية الأولى: ١٥ مليون قتيل.

(٢) الحرب العالمية الثانية: ٥٥ مليون قتيل.

(٣) حرب فيتنام: ٣ مليون قتيل.

(٤) الحرب الأهلية الروسية: ١٠ مليون قتيل.

(٥) الحرب الأهلية الأسبانية: ١٢ مليون قتيل.

(٦) الحرب العراقية الإيرانية (حرب الخليج الأولى): مليون قتيل.

(٧) غزو العراق: أكثر من مليون قتيل.

وهذه الحروب، وإن كان بعضها لا ينطبق عليه الحديث: «لا يدرى

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٩٦).

(٢) بتصرف من أشراط الساعة.

القاتل فيم قتل...» إلَّا أنى أوردتها لبيان انتشار القتل وكثرته[١].

۞ ولقد حذر الحقُّ (جل وعلا) وكذلك حذَّر النبى ﷺ من الولوغ فى دماء الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين (ما داموا غير محاربين).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[٢].

۞ وقال الواحدى فى تفسير هذه الآية ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾:

أَىّ: لَا يقتل بعضكم بعضًا، لأنكم أَهْل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة. هَذَا قول ابْن عَبَّاس والأكثرين. وذهب قوم إِلَى أن هَذَا نهى عَنْ قتل الْإِنْسَان نفسه.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ أى: بأن يقصد قتله بما يقتل غالبًا عالمًا بإيمانه: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾، والخلود: المُكث الطويل ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ أى: أبعده من رحمته، ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ أى: أودية فى جهنم يُعذَّب فيها الزناة ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ أى: حقيرًا ذليلًا ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾[٤] أى: فإن الله يتوب عليه.

---

(١) نهاية العالم (ص ٦٣).

(٢) سورة النساء: الآية: (٩٣).

(٣) سورة النساء: الآية: (٩٣).

(٤) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨-٧٠).

وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

أى: من قتل نفسًا بغير سبب من قصاص أو فساد فى الأرض، واستحلَّ قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق - عنده - بين نفس ونفس.

ومن أحياها: أى: حرم قتلها وكَفَّ عنه واعتقد ذلك، فقد سَلِم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار[2].

وقال النبى ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات ...».

فذكر: «قتل النفس التى حرم الله إلّا بالحق»[3].

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»[4]. الحليلة: هى الزوجة.

وقال ﷺ: «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»[5].

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٧٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٨٣) كتاب الفتن، ومسلم (٢٨٨٨) كتاب الفتن.

۞ قال الإمام أبو سليمان الخطابى رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل، إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو.

فأما من قاتل أهل البغى على الصفة التى يجب قتالهم بها، أو دفع عن نفسه، أو حريمه، فإنه لا يدخل فى هذا الوعيد؛ لأنه مأمور بالقتال للذَّبِّ عن نفسه، غير قاصد به قتل صاحبه.

ألا تراه يقول: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه.

ومن قاتل باغيًا أو قاطع طريق من المسلمين، فإنه لا يحرص على قتله، إنما يدفعه عن نفسه، فإن انتهى صاحبه كَفَّ عنه ولم يتبعه.

فالحديث لم يرد فى أهل هذه الصفة، فلا يدخلون فيه بخلاف من كان على غير هذه الصِّفة فإنهم المرادون منه والله أعلم.

وقال رسول الله ﷺ: «**أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِى فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**»(٢).

وقال ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِى لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ»(٣).

الورطات: جمع ورطة، وهى الهلكة، وكل أمر تعسر النجاة منه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٧٤٢) كتاب الحج، ومسلم (٦٦) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٨٦٢) كتاب الديات.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٦٣) كتاب الديات.

وقال ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى الدِّمَاءِ»[١].

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[٢].

وقال ﷺ: «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ»[٣].

وسُميت غموسًا؛ لأنها تغمس صاحبها فى النار.

وقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»[٤][٥].

۞ بل لقد نهى النبى ﷺ عن قتل المُعاهد وأهل الذِّمة والمستأمنين.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[٦].

وَعَنْ أَبِى بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ حِلِّهَا، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا»[٧].

وعَنْ أَبِى بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٦٤) كتاب الديات، ومسلم (١٦٧٨) كتاب القسامة.
(٢) صحيح: رواه الترمذى، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٧٧).
(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٨٧٠) كتاب الديات.
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٦٧) كتاب الديات، ومسلم (١٦٧٧) كتاب القسامة.
(٥) الكبائر/ للإمام الذهبى (ص ١٩٠-١٩٢).
(٦) صحيح: رواه البخارى (٦٩١٤) كتاب الديات.
(٧) صحيح: رواه أحمد، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٥٨).

حَقِّهَا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لِيُوجد مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا اطْمَأَنَّ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَمَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ نُصِبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِوَاءُ غَدْرٍ»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ ثُمَّ قَتلَهُ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا»(٤).

۞ وهنا أودُّ أن أوضِّح وأُنبِّه إلى أن أمر القتل هنا لا يكون إلا لولى أمر المُسلمين أو لمن ينوب عنه حتى لا تتحول المجتمعات المسلمة إلى فوضى فيقتل الناس بعضهم البعض فى أى وقت شاءوا بلا رادعٍ يردعهم عن ذلك.

۞ ونحن نعلم أن من تعمد قتل مؤمنٍ ولم يتب ويتحلل من تلك المظلمة فسوف يجنى الحسرة فى الدنيا والآخرة.

فقد قال (جل وعلا): ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٩١٤) كتاب الديات.

(٢) صحيح: رواه الحاكم عن عمرو بن الحمق، وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٤٤١)، وصحيح الجامع (٣٥٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٧٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٧٣٥) كتاب الجهاد والسير.

(٤) صحيح: رواه البخارى فى «التاريخ»، والنسائى، والطبرانى فى الأوسط، والخرائطى، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٤٤١)، وصحيح الجامع (٦١٠٣).

(٥) سورة النساء: الآية: ٩٣.

وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾(١).

وأما حسرته فى الآخرة فقد أخبر بها الصَّادق المصدوق ﷺ، فقال: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلاَثَةٌ: -وذكر منهم- وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ»(٢).

فهو من أبغض الخلق إلى الله جلَّ وعلا فى الدنيا والآخرة.

أَمَّا المشهد الثانى فيصوره لنا النبى ﷺ قائلًا: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالقَاتِلِ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ العَرْشِ»(٣).

قال ابن العربى: «ثبت النهى عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد فى ذلك فكيف بقتل الآدمى فكيف بالمسلم فكيف بالتقى الصالح»(٤)(٥).

---

(١) سورة المائدة: الآية: ٣٢.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٨٨٢) كتاب الديات.

(٣) صحيح: رواه الترمذى، والنسائى عن ابن عباس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٣١).

(٤) «فتح البارى» (١٢/ ١٩٦).

(٥) وأنذرهم يوم الحسرة / للمصنف (ص ١٥٠).

(٣٣) موت الفجأة

۞ الموت حتمٌ لازمٌ، لا تمنع منه حصانة القلاع ولا يحول دونه الحجاب ولا تردُّه الأبواب ... قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(٣).

۞ ولقد كان الرجل فى الماضى يُصاب بالمرض ويظل فترة مريضًا حتى أنه يشعر بمقدمات الموت فيكتب وصيته ويودع أهله ويوصيهم ويزداد إقباله على الله ويجدد توبة نصوحًا ويكثر من ترديد الشهادة من أجل أن يُختم له بذلك ... أما الآن فقد كثر موت الفجأة فترى الرجل صحيحًا قويًا فى ريعان شبابه لا يشكو من أى مرض وفجأة تراه ميتًا بعدما أُصيب بسكتة قلبية أو جلطة مُفاجئة.

۞ ولذا أخبر النبى ﷺ أن موت الفجأة من علامات الساعة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه إلى النبى ﷺ، قال: «إِنَّ مِنْ أَمَارَاتِ

(١) سورة النساء: الآية: (٧٨).

(٢) سورة الجمعة: الآية: (٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

السَّاعَةِ ... أَنْ يَظْهَرَ مَوْتُ الْفُجَاءَةِ»[١].

وكان الإمام البخارى رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

اغتنم فِى الْفَرَاغ فضل رُكُوعٍ فَعَسَى أَن يكون موتك بغته

كم صَحِيحٍ رَأَيْت من غير سقمٍ ذهبت نَفسه الصَّحِيحَة فلته

قال ابن حجر: «وَكَانَ من الْعَجَائِب أَنه هُوَ وَقع لَهُ -أى: البخارى- ذَلِك أَو قَرِيبا مِنْهُ»[٢].

❁ ولذا جاءت وصية النبى ﷺ بالإكثار من ذكر هاذم اللَّذَّات.

قال رسولُ الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**» يَعنى: المَوْتَ [٣].

❁ وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبى ﷺ سُئل: أى المؤمنين أكيس، قال: «**أكثرهم للموت ذكرًا وأشدهم استعدادًا له أولئك هم الأكياس**» [٤].

أثر تذكر الموت فى إصلاح النفوس

إن لتذكر الموت أثر كبير فى إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمع فى البقاء المديد فى هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصى، وقد تقصر فى الطاعات، فإذا كان الموت دائمًا على

---

(١) حسن: رواه الطبرانى في الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٩٩).

(٢) «هدى السارى مقدمة فتح البارى» (ص ٤٨١) للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد، والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٥٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٦٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (١٢١٠).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٣٥).

بال العبد، فإنه يصغر الدنيا فى عينه، ويجعله يسعى فى إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره... فقد روى البيهقى فى شُعب الإيمان.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره فى ضيق من العيش إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره فى سعة إلا ضيقها**»(١).

ويذكر ابن المبارك أن صالحًا المرى كان يقول: «إن ذكر الموت إذا فارقنى ساعة فسد علىَّ قلبى».

وقال القرطبى: قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصى، ويُلين القلب القاسى، ويُذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب.

من أكثر من ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء

قال الدقَّاق: من أكثر من ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

---

(١) حسن: رواه البيهقي، وابن حبان، والبزار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١١).

(٣٤) تمنِّى الموت من شدَّة البلاء

وها هو النَّبىُّ ﷺ يُخبر أنَّه سيأتى زمان يكثر فيه الظُّلم وتكثر فيه الفتن والبلاء حتى يمرُّ الرَّجُلَ بقبر الرُّجُلِ فيتمنَّى أن يكون مكانه.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِى مَكَانَهُ**»(١).

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِى كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ**»(٢).

وتمنِّى الموت يكون عند كثرة الفتن، وتغيُّر الأحوال، وتبديل رسوم الشريعة، وهذا إن لم يكن وقع؛ فهو واقعٌ لا محالة.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «سيأتى عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يُباع لاشتراه ... وكما قيل:

وهذا العيش ما لا خير فيه ألا موت يُباع فأشتريه(٣)

قال الحافظ العراقى: «ولا يلزم كونه فى كل بلد ولا كل زمن ولا فى جميع الناس بل يصدق على اتفاقه للبعض فى بعض الأقطار فى بعض الأزمان وفى تعليق تمنِّيه بالمرور وإشعار بشدة ما نزل بالناس من فساد الحال حالتئذ إذ المرء قد يتمنى الموت من غير استحضار لهيئته فإذا شاهد

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٧) كتاب الفتن.

(٣) «فيض القدير» (٦/ ٤١٨).

الموتى ورأى القبور نشز بطبعه ونفر بسجيته من تمنيه فلقوة الشدة لم يصرفه عنه ما شاهده من وحشة القبور ولا يناقض هذا النهى عن تمنى الموت لأن مقتضى هذا الحديث الإخبار عما يكون وليس فيه تعرُّض لحكمٍ شرعيٍّ»[1][2].

وَقَالَ الحافظ ابن عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُعَارِضٌ لِلنَّهْيِ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا فِى هَذَا أَنَّ هَذَا الْقَدْرَ سَيَكُونُ لِشِدَّةٍ تَنْزِلُ بِالنَّاسِ مِنْ فَسَادِ الْحَالِ فِى الدِّينِ أَوْ ضَعْفِهِ أَوْ خَوْفِ ذَهَابِهِ لَا لِضَرَرٍ يَنْزِلُ فِى الْجِسْمِ»[3].

كراهة تمنى الموت بسبب كثرة الابتلاءات

ويُكره للمؤمن أن يتمنى الموت عندما يشتد عليه البلاء إلا أن يخشى الفتنة فى دينه.

عن أبى هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسُول الله ﷺ قال: «**لا يتمنين أحدُكُمُ الموت إما مُحسنًا، فلعلهُ يزدادُ، وإما مُسيئًا فلعلهُ يستعتبُ**»[4].

وفى رواية لمسلم عن أبى هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسُول الله ﷺ قال: «**لا يتمنين أحدُكُمُ الموت، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيهُ، إنهُ إذا مات انقطع عملُهُ، وإنهُ لا يزيدُ المُؤمن عُمُرُهُ إلا خيرًا**»[5].

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ٤١٨)، وانظر: «فتح البارى» (١٣/ ٧٥-٧٦).

(٢) أشراط الساعة (ص ٢٠٨-٢٠٩).

(٣) «فتح البارى» (١٣/ ١٩٣).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧٢٣٥) كتاب التمنى.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يتمنين أحدُكُمُ الموت لضُرٍّ أصابهُ فإن كان لابُد فاعلًا، فليقُل: اللهُم أحينى ما كانت الحياةُ خيرًا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاةُ خيرًا لى**»(١).

تمنى الموت يقع على وجوه

والتحقيق فى تلك المسألة: أن تمنى الموت يقع على وجوه:

۞ منها: تمنّيه لضرٍّ دنيوى ينزل بالعبد فيُنهى حينئذ عن تمنى الموت.

ووجه كراهيته فى هذا الحال أن المتمنى للموت لضرٍّ نزل به إنما يتمناه تعجيلًا للاستراحة من ضره وهو لا يدرى إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى ضُرٍّ أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وفى الحديث عن النبى ﷺ قال: «**إنما يستريح من غُفر له**»(٢)، فلهذا لا ينبغى له أن يدعو بالموت إلا أن يشترط أن يكون خيرًا له عند الله عز وجل.

۞ ومنها: تمنيه خوف الفتنة فى الدين فيجوز حينئذ. وقد تمنّاه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الإسلام... وفى حديث المنام: «**وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون**».

۞ تمنّى الموت عند حضور أسباب الشهادة: فيجوز ذلك أيضًا، وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور وكذلك سؤال مُعاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لما وقع بالشام.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧١) كتاب المرضى، ومسلم (٢٦٨٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٤١٩٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧١٠)، وقال: صحيح لكثرة طرقه.

۞ ومنها تمنى الموت لمن وثق بعمله شوقًا إلى لقاء الله ﷻ: فهذا يجوز أيضًا وقد فعله كثير من السلف.

۞ **قال أبو الدرداء**: أحب الموت اشتياقًا إلى ربى.

وقال عنبسة الخولانى: كان من قبلكم لقاء الله أحب إليه من الشهد.

وقال بعضهم: طال شوقى إليك فعجّل قدومى عليك.

وقال بعضهم: لا تطيب نفسى بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله ﷻ فإننى حينئذ أشتاق إلى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه فى اليوم الحار الشديد حره إلى الماء البارد الشديد برده.

۞ **وفى هذا يقول بعضهم**:

أشتاق إليك يا قريب نائئ   شوق ظمأ إلى زلال الماء

۞ **سُئل أبو حازم**: كيف القدوم على الله؟ قال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما العاصى فكقدوم الآبق على سيده الغضبان.

۞ **رُئى أحد الصالحين فى النوم فقيل له**: ما فعل الله بك؟ قال: خيرًا لم يُر مثل الكريم إذا حلّ به مطيع.. الدنيا كلها شهر الصيام للمتقين وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم... وصدق من قال:

وقد صُمت عن لذات دهرى كلها   ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمرّ الرجل على القبر فيتمرّغ عليه ويقول: يا ليتنى كُنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدَّين إلا البلاء**»[1].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، واللفظ لمسلم.

(٣٥) تمني رؤية النبي ﷺ بين يدي الساعة

نحن نعلم أنه ما من مسلمٍ إلَّا وهو يتمنَّى أن يرى النبى ﷺ ولو مرة واحدة فى منامه.

عن أبى هُريرة، عن رسُول الله ﷺ قال: «وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِى يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلا يَرَانِى، ثُمَّ لأَنْ يَرَانِى أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ»[(١)] قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْمَعْنَى فِيهِ عِنْدِى، لأَنْ يَرَانِى مَعَهُمْ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَهُوَ عِنْدِى مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ.

قال الإمام النووى رحمه الله فى شرح هذا الحديث ما نصُّه: «وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ يَأْتِى عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ لأَنْ يَرَانِى فِيهِ لَحْظَةً ثُمَّ لا يَرَانِى بَعْدَهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ جَمِيعًا ... وَمَقْصُودُ الْحَدِيثِ حَثُّهُمْ عَلَى مُلَازَمَةِ مَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ وَمُشَاهَدَتِهِ حَضَرًا وَسَفَرًا لِلتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ وَتَعَلُّمِ الشَّرَائِعِ وَحِفْظِهَا لِيُبَلِّغُوهَا وَإِعْلَامُهُمْ أَنَّهُمْ سَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ مِنْ مُشَاهَدَتِهِ وَمُلَازَمَتِهِ». انتهى[(٢)].

وعن أبى هُريرة، أَنَّ رسُول الله ﷺ قال: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِى لِى حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِى، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٧) كتاب الفضائل.

(٢) انظر شرح النووى على صحيح مسلم (١٥/ ١١٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٢) كتاب الجنة.

(٣٦) غُربة الإسلام

قال ﷺ: «إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»(١).

وفي رواية: قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»(٢)، وفي رواية قَالَ: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ، فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»(٣).

۞ وقد يسأل سائلٌ ويقول: مَن هم الغرباء؟

وتأتي الإجابة واضحة من خلال تلك الروايات.

ففي إحدى الروايات أنه لما قال النبي ﷺ: «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»(٤). وفي هذه اللفظة مقال.

قال الآجريُّ رَحِمَهُ اللهُ: أنشدني عبد الله بن حميد أبو بكر المؤدب في معنى هذا الحديث(٥).

بدأ الإسلام حين بدأ غريبًا ... وكيف بدا يعود على الدلائل
فطوبى فيه للغرباء طوبى ... لجميع الآخرين والأوائل
كما قال الرسول فقيل: مَنْ هم؟ ... فقال: النازعون من القبائل

وفي رواية من حديث جابر مرفوعًا: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٥) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٦٢٤٩)، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢٧٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦٦١٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٩٢١).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه، وأحمد، وأبو يعلى، وقال الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»: صحيح دون: «النُّزَّاع من القبائل».

(٥) الغرباء/ للآجري (ص ١٩).

غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» قَالَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ». وفى لفظٍ: «عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ»[١].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، فَقِيلَ: مَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ، فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»[٢].

فأهل الغربة أهل صلاح وإصلاح. صالحون ومصلحون يتحركون لدعوة الناس إلى هذا الدين العظيم.

وكما عاش النبى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم تلك الغربة الأولى فها نحن نعيش غربة الإسلام الثانية التى تجعل الحليم حيرانًا ولذا قال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل»[٣].

بل لقد أخبر النبى ﷺ عن الفتن فى هذا الزمان فقال: «سيأتى على الناس سنوات خدَّاعات يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة». قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم فى أمر العامة»[٤].

ولنا أن نتصور مدى الغربة التى يعيشها المسلم فى زمان يصدق فيه

---

(١) صحيح: رواه اللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٣)، والطبرانى فى الكبير، والطحاوى فى المشكل، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٢٧٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى فى الأوسط، وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (١٦١٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦) كتاب الفتن، وأحمد (٧٨٥٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٥٠).

الكاذب ويكذب فيه الصادق. إنها الغربة التى تكاد أن تعصف بالقلوب. فاللهم ثبت قلوبنا على التوحيد والإيمان.

سنة ربانية

ولقد أخبر الحق (جل وعلا) فى كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ أن أهل الإيمان والتوحيد غرباء وهم قلة قليلة.

وأن أهل الفساد والإفساد هم أكثر أهل الأرض فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (٤).

فالموحدون يعيشون دائمًا فى غربة شديدة منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

موقف الناس من تلك الغربة

ولقد انقسم الناس فى ظل تلك الغربة إلى قسمين لا ثالث لهما: فهناك صنف دفع تلك الغربة بإرضاء الناس من حوله فترك دينه كله ليتعايش مع أهواء المجتمع وذلك لأنه يخشى الناس أكثر من خشيته لله عز وجل فهذا الصنف قد يعيش مستريحًا بعض الشيء لكنه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا.

---

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١١٦).

(٣) سورة يوسف: الآية: (١٠٦).

(٤) سورة سبأ: الآية: (١٣).

قال ﷺ: **«من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس»**[(١)].

۞ وهناك صنف كريم مبارك تعلق قلبه بالله (جل وعلا) وعلم يقينًا أن الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل ما هى إلا سجن للمؤمن جنة للكافر... فهو يشعر كأنه سجين فى الدنيا ينتظر الإفراج... والإفراج لن يكون إلا مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جل وعلا).

ولذلك تجده دائمًا يغتنم كل لحظة فى طاعة الله وفى خدمة دين الله (جل وعلا) فهو يعلم أن الطريق الأمثل لدفع الغربة هو الاعتصام بالكتاب والسنة فهما طوق النجاة من تلك الفتن التى تحيط به من كل مكان.

وتلك بشارة خاصة

وقد يشعر كثير من المسلمين باليأس والقنوط إذا سمع قول النبى ﷺ: **«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»**[(٢)]. مع أن هذا الحديث من أعظم بشارات النصر والتمكين لهذا الدين. فلقد بدأ الإسلام غريبًا فى عهد النبى ﷺ ثم زالت غُربته واستطاع النبى ﷺ فى فترة قصيرة لا تساوى فى عمر الزمان شيئًا أن يقيم للإسلام دولة شامخة... ولم يمت النبى ﷺ حتى أقر الله عينه بنصرة الإسلام وعز الموحدين كما قال رب العالمين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١٠)، (٦٠٩٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٥) كتاب الإيمان.

(٣) سورة المائدة: الآية: (٣).

فانتشر الإسلام شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا حتى بلغ مشارف الصين وأسبانيا... ثم بعد ذلك لما تخلف الخَلَف عن السلف عادت الغربة مرة أخرى وستزول تلك الغربة أيضًا - بإذن الله - بشرط أن نتعلم كيف أزال النبي ﷺ وأصحابه غربة الإسلام الأولى فنعرف وقتها كيف نُزيل غربة الإسلام الثانية.

(٣٧) توقف الجزية والخراج

كانت الجزية التى يدفعها أهل الذمة فى الدولة الإسلامية، والخراج الذى يدفعه من يستغل الأراضى التى فتحت فى الدولة الإسلامية من أهم مصادر بيت مال المسلمين، وقد أخبر الرسول ﷺ بأن ذلك سيتوقف، وسيفقد المسلمون بسبب ذلك موردًا إسلاميًّا مهمًا ... عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُدَّها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعُدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم**»، شهد على ذلك لحم أبى هريرة ودمه [1].

والقفيز والمُد والإردب مكاييل لأهل ذلك الزمان فى تلك البلاد، وبعضها لا يزال معروفًا إلى أيامنا، والدرهم والدينار أسماء للعملات المعروفة فى ذلك الوقت، ومنع تلك البلاد للمذكورات فى الحديث بسبب استيلاء الكفار على تلك الديار فى بعض الأزمنة، فقد استولى الروم، ثم التتار على كثير من البلاد الإسلامية، وفى عصرنا احتل الكفار ديار الإسلام، وأذهبوا دولة الخلافة الإسلامية، وأبعدوا الشريعة الإسلامية عن الحكم.
قال النووى فى تعليقه على الحديث: «الأشهَر فى معناه أن العجم والروم يستولون على البلاد فى آخر الزمان، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين، وقد روى مسلم هذا بعد ذاك بورقات عن جابر قال: يوشك أن لا يجىء إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قِبل العجم، يمنعون ذاك، وذكر فى منع الروم ذلك بالشام مثله، وهذا قد وجد فى زماننا فى العراق،

---
(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٦)، كتاب الفتن.

وهو الآن موجود، وقيل: لأنهم يرتدُّون آخر الزمان، فيمنعون ما لديهم من الزكاة وغيرها، وقيل: معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم فى آخر الزمان، فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج، وغير ذلك»[١]، وكل هذه التعليلات لسبب منع تلك الإيرادات لخزينة الدولة الإسلامية التى ذكرها النووى وجدت، علاوة على انهيار الدولة الإسلامية التى كانت تقيم اقتصادها على الشريعة الإسلامية فإلى الله المشتكى[٢].

(١) شرح النووى على مسلم: (١٨/ ٢٠).

(٢) القيامة الصغرى (ص ١٦٠-١٦١).

(٣٨) اختلال المقاييس .. وارتفاع الأسافل

۞ ومن علامات الساعة الصُّغرى اختلال المقاييس التى من خلالها نُقوِّم الرجال ... فيصبح الصَّادق عند الناس كاذبًا ويصبح الكاذب صادقًا .. ويتهمون الأمين بالخيانة ويمدحون الخائن بأنَّه أمين .. ويصبح التافهون هم الذين يقودون دفَّة المجتمع ويتكلمون فى القضايا التى تهم الناس.

فيكون أمر الناس بيد سفهائهم وأراذلهم ومَن لا خير فيهم، وهذا من انعكاس الحقائق، وتغيُّر الأحوال، وهذا أمرٌ مُشاهَدٌ فى هذا الزمن، فترى أن كثيرًا من رؤوس الناس وأهل العقد والحل هم أقلُّ الناس صلاحًا وعلمًا، مع أنَّ الواجب أن يكون أهل الدين والتُّقى هم المقدَّمون على غيرهم فى تولِّى أمور الناس؛ لأنَّ أفضل الناس وأكرمهم هم أهل الدين والتقوى؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(١).

ولذلك لم يكن النبى ﷺ يولى الولايات وأمور الناس إلا مَن هم أصلح الناس وأعلمهم، وكذلك خلفاؤه من بعده، والأمثلة على ذلك كثيرة؛... منها ما رواه الشيخان عن حُذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال لأهل نجران: «**لأَبْعَثَنَّ إليكُم رَجُلًا أمينًا حَقَّ أَمِين**»، فاستشرف لها أصحاب النبى ﷺ، فبعث أبا عُبيدة»(٢).

وهذه بعض الأحاديث الدالَّة على ارتفاع أسافل الناس، وأن ذلك من أمارات الساعة:

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٤٥) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٢٠) كتاب فضائل الصحابة.

فمنها ما رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ[١]؟ قَالَ: «**السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِى أَمْرِ الْعَامَّةِ**»[٢].

وفى حديث جبريل الطويل قوله: «**وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا... وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا**»[٣].

وفى «الصحيح»: «**إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[٤].

وعن أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَعْلُو التُّحُوتُ الْوُعُولَ**» . أَكَذَاكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ سَمِعْتَهُ مِنْ حِبِّى؟ قَالَ: نَعَمْ، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. قُلْنَا: وَمَا التُّحُوتُ؟ قَالَ: فُسُولُ الرِّجَالِ، وَأَهْلُ الْبُيُوتِ الْغَامِضَةِ، يُرْفَعُونَ فَوْقَ صَالِحِيهِمْ. وَالْوُعُولُ: أَهْلُ الْبُيُوتِ الصَّالِحَةِ[٥].

وقد يكون ظهور التحوت باعتلائهم المناصب، وخدمة وسائل الإعلام لهم، وكثرة المطبّلين حولهم، والوعول النجباء العقلاء الناصحون محجوبون عن الناس، مُبعدون عن وسائل الإعلام.

---

(١) (الرويبضة): جاء تفسيره فى متن الحديث، وأنه السفيه، والرويبضة تصغير الرابضة، وهو العاجز الذى ربض عن معالى الأمور، وقعد عن طلبها، والتافه الخسيس الحقير. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٢/ ١٨٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٥٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٦) كتاب الرقاق.

(٥) صحيح: رواه البخارى فى التاريخ، وابن حبان، والحاكم، والطبرانى، وصححه الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٣٢١١).

فلا يشتهر بين الناس إلا من امتهن الغناء والرقص والبغاء، أما العالِم والمُخترع والبارِز فى الطب والهندسة .. وما شابه ذلك فلا مكان له.

وهذه علامة ظاهرة بينة[١].

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه:

«لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعِ[٢] ابْنِ لُكَعٍ»[٣].

أى: حتى يصير نعيمُها وملاذُها والوجاهة فيها له[٤].

وفى رواية للإمام أحمد عن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنَّ النبى ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعٍ»[٥].

وفى «الصحيحين» عن حذيفة رضي الله عنه فيما رواه عن النبى ﷺ فى قبض الأمانة: «حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»[٦].

وهذا هو الواقع بين المسلمين فى هذا العصر؛ يقولون للرجل: ما أعقله! ما أحسن خلقه! ويصفونه بأبلغ الأوصاف الحسنة، وهو من أفسق

---

(١) نهاية العالم (ص ٨١).

(٢) (لكع): اللكع عند العرب: العبد، ثم استعمل فى الحمق والذم، وهو اللئيم، وقد يُطلق على الصغير، فإن أطلق على الكبير؛ أُريد به صغير العلم والعقل.
انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٤/ ٢٦٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٧٢)، والسلسلة الصحيحة (١٥٠٥).

(٤) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٥/ ٣٩٤) لعبد الرؤوف المناوى.

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٣١).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٣٢)، ومسلم (١٤٣).

الناس، وأقلِّهم دينًا وأمانةً، وقد يكون عدوًّا للمسلمين، ويعمل على هدم الإسلام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[١].

---

(١) بتصرف من أشراط الساعة.

(٣٩) كثرة الزلازل

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكثُرَ الزَّلازِل»[(١)].

وعن سلمة بن نفيل السّكونى؛ قال: كُنَّا جُلوسًا عند رسول الله ﷺ... (فذكر الحديث، وفيه): «وَبَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَوَتَانٌ شَدِيدٌ، وَبَعْدَهُ سَنَوَاتُ الزَّلازِلِ»[(٢)].

قال ابن حجر: «قد وقع فى كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثيرٌ من الزلازل، ولكنَّ الذى يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها»[(٣)].

ويؤيد ذلك ما روى عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه؛ قال: وضع رسول الله ﷺ يدى على رأسى - أو على هامتى -، فقال: «يا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»[(٤)(٥)].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٠٣٦).

(٢) صحيح: رواه النسائى، وأحمد، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٩٣٥)

(٣) «فتح البارى» (١٣/ ٨٧).

(٤) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٣٨).

(٥) أشراط الساعة/ د. يوسف الوابل (ص ١٧٢).

(٤٠) ذهاب الصالحين

۞ ولقد أخبر النبى ﷺ أنَّ من أشراط الساعة: ذهاب الصالحين وقلة الأخيار وكثرة الأشرار حتى لا يبقى على الأرض إلا شرار الناس .. وهم الذين تقوم عليهم الساعة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»(١).

۞ ويكون ذلك عندما يرسل الله ﷻ ريحًا عظيمةً تقبض أرواح المؤمنين قبل قيام السَّاعة فلا يبقى على الأرض إلَّا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة.

۞ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال فى حديث طويل .. وفيه: «**ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّام، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِى كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ**» قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِى خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِى ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ..**»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٦٧) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩٤٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

حَتَّى يَأْخُذَ اللهُ شَرِيطَتَهُ(١) **مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ**(٢)**، لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا**»(٣).

أى: يأخذ الله أهل الخير والدين، ويبقى غوغاء الناس وأراذلهم ومن لا خير فيهم، وهذا عند قبض العلم واتّخاذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا يُفتون بغير علم.

وروى عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغَرْبَلُونَ فِيهِ غَرْبَلَةً، يَبْقَى مِنْهُمْ حُثَالَةٌ**(٤)**، قَدْ مَرِجَتْ**(٥) **عُهُودُهُمْ، وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا**» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(٦).

وذهاب الصالحين يكون عند كثرة المعاصى، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ فإنَّ الصَّالحين إذا رأوا المنكر ولم يغيِّروه وكَثُر الفساد؛ عَمَّهُم العذاب مع غيرهم إذا نزل؛ كما جاء فى الحديث لما قيل للنبى ﷺ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَم إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**».

۞ ولا ينكر عاقل أنَّ المعاصى قد كثرت وأن الخَبَث قد كَثُر فى البَرِّ والبحر والجوِّ ... مبارزة لله (جل وعلا) بالمعاصى فى كُلِّ مكان (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

---

(١) شريطته: أى: أهل الخير والدين.

(٢) عجاجة: العجاج: هم الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٠)، قال الهيثمى (٨/ ١٣): رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا ورجالهما رجال الصحيح. والحاكم (٤/ ٤٨١) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٤) الحثالة: الردىء من كل شىء.

(٥) مرجت: أى: اختلطت.

(٦) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٨٥).

۞ وكل ذلك بسبب غياب تلك الفريضة الغالية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .... فإنَّ الشرَّ لا يتقلص ولا يزول إلا بتلك الفريضة الغائبة ... وإذا غابت تلك الفريضة كَثُر الفساد والمفسدون وهلك الصالحون والطالحون ثم يبعثهم الله يوم القيامة على نياتهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٣).

وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(٤).

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١١٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥٠) كتاب الإيمان.

اللهِ[1] وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[2].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ»[3].

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[4]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»[5].

---

(١) «القائم فى حدود الله تعالى» معناهُ: المُنكِرُ لها، القائمُ فى دفعها وإزالتها والمرادُ بالحدود ما نهى الله عنه. «استهموا»: اقترعوا.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٤٩٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٤) سورة المائدة: الآية: (١٠٥).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٣٦٤٤).

(٤١) وقوع التناكُر بين الناس

۞ ففى آخر الزَّمان يقع التناكُر بين الناس حتى يتدابر النَّاس فلا يريد أحدٌ أن يعرف أحدًا ... فلا يكاد الجار أن يعرف جاره ولا يكاد الرَّجل أن يعرف أرحامه ولا يكاد المصلى أن يعرف الذين يُصلون معه.

ففى هذا الزَّمان نجد أنَّ أكثر الناس لا يتعارفون إلَّا من أجل مصالحهم الدنيوية .. ومن لا يربطهم به أى مصلحة فلا علاقة لهم به .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

۞ ولذا أخبر النبى ﷺ أن ذلك من علامات الساعة.

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: «**عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا، إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتْنَةً وَهَرْجًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْفِتْنَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَالْهَرْجُ مَا هُوَ؟ قَالَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: «**الْقَتْلُ، وَيُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدًا**»(١).

فوقوع التناكر عند كثرة الفتن والمحن وكثرة القتال بين الناس، وحينما تستولى المادة على الناس، ويعمل كلٌّ منهم لحظوظ نفسه؛ غير مكترث بمصالح الآخرين، ولا بحقوقهم، فتنتشر الأنانية البغيضة، فلا تكون هناك قيمٌ أخلاقيَّة يعرِف بعض الناس بها بعضًا، ولا يكون هناك من الأخوَّة الإيمانية ما يجعلهم يلتقون على الحبِّ فى الله، والتعاون على البرِّ والتقوى.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٧١).

روى الطبرانى عن مُحَمَّدُ بْنُ سُوقَةَ قَالَ: «أَتَيْتُ نُعَيْمَ بْنَ أَبِى هِنْدٍ، فَأَخْرَجَ إِلَيَّ صَحِيفَةً، فَإِذَا فِيهَا: مِنْ أَبِى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ،... (فذكر الكتاب، وفيه:) وَإِنَّا كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِى آخِرِ زَمَانِهَا سَيَرْجِعُ إِلَى أَنْ يَكُونُوا إِخْوَانَ الْعَلَانِيَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ، ... (ثم ذكر جواب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهما، وفيه:) وَكَتَبْتُمَا تُحَذِّرَانِى أَنَّ أَمَرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيَرْجِعُ فِي آخِرِ زَمَانِهَا إِلَى أَنْ يَكُونُوا إِخْوَانَ الْعَلَانِيَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ، وَلَسْتُمْ بِأُولَئِكَ وَلَيْسَ هَذَا بِزَمَانِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ زَمَانٌ تَظْهَرُ فِيهِ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ، يَكُونُ رَغْبَةُ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ لِصَلَاحِ دُنْيَاهُمْ »(١)(٢).

---

(١) قال التويجرى: «رواه الطبرانى، قال الهيثمى: ورجاله ثقات إلى هذه الصحيفة». «إتحاف الجماعة» (١/ ٥٠٤).

(٢) أشراط الساعة (٢٠٠-٢٠١).

(٤٢) تسليم الخاصة (أن تكون التحية للمعرفة)

ومن علامات السَّاعة الصُّغرى التى أخبر عنها النبى ﷺ أنَّ الرَّجُل لا يُلقى السلام إلا على من يعرفه .. مع أن الله ﷻ شرع السلام ليكون سببًا فى نشر المحبة والوئام بين الناس.

۞ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، لا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ»**(١).

وفى رواية: **«إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ»**(٢).

وهذا أمر مُشاهَدٌ فى هذا الزمن، فكثيرٌ من الناس لا يُسلِّمون إلا على من يَعرفون، وهذا خلاف السُّنَّة؛ فإنَّ النبىَّ ﷺ حثَّ على إفشاء السلام على من عرفتَ ومَن لم تعرف.

فعن ابن مسعود ﷺ أن النبى ﷺ قال: **«السلام اسم من أسماء الله، وضعه الله فى الأرض، فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مَرَّ بقوم، فسلَّم عليهم، كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردُّوا عليه، رَدَّ عليه من هو خير منهم وأطيب»**(٣).

وإذا كان البدء بالسلام سنة مستحبة على الكفاية، فإن ردَّه فرض عينٍ فى حق الواحد لأن الله جل وعلا يقول: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾(٤).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٧).

(٣) صحيح: رواه البزار والبيهقى والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٩٧).

(٤) سورة النساء: الآية: (٨٦).

والآية الآنفة الذكر تدل على أن رد التحية بمثلها واجب، والزيادة سنة مستحبة، فمن سلم عليك، فقال: السلام عليكم، فرد عليه بمثل سلامه، فقل: وعليكم السلام، وإن زدت الرحمة والبركة، فهو أفضل، حتى تغنم من الأجر ثلاثين حسنة.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: «**السلام عليكم**» فرد عليه السلام، ثم جلس، فقال النبى ﷺ: «**عشر**». ثم جاء آخر، فقال: «**السلام عليكم، ورحمة الله**». فرد عليه، فجلس، فقال: «**عشرون**». ثم جاء آخر فقال: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**» فرد عليه فجلس، فقال: «**ثلاثون**»[1].

۞ فضل السلام وفوائده:

من فضله وفوائده ما يأتى:

١ - من أعظم فوائده امتثال أمر الله سبحانه لأنه غاية سعادة الإنسان فى معاشه ومعاده،... قال الحق تبارك وتعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟[2] وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ[3] ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4].

وقال أيضًا: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى والنسائى والبيهقى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١٠).

(٢) تستأنسوا: تستأذنوا، سمى الاستئذان استئناسًا، لأنه به يحصل الاستئناس، وبعدمه يحصل الاستيحاش، ففى الآية مجاز مرسل علاقته السببية، فما أروع بلاغة القرآن الكريم.

(٣) صفة ذلك - كما جاء فى الحديث - «**السلام عليكم، أأدخل؟**».

(٤) سورة النور: الآية: (٢٧).

مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾(١).

٢- إفشاء اسم الله تعالى بين الناس، وإحياءٌ لسنة نبينا محمد ﷺ.

٣- أنه من صفات الملائكة المقربين، وأولياء الله المتقين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾(٢).

٤- أنه من أسباب تآلف المسلمين، ونشر المحبة والمودة بينهم، وزوال الشحناء والتباغض عن قلوبهم، فهو مفتاحٌ - مؤكد النتيجة - لفتح كثير من القلوب.

وإذا كان السلام طريق المحبة، فالمحبة طريق الإيمان، والإيمان طريق الجنة، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟، أفشوا السلام بينكم**»(٣).

٥- أنه من الأمور التى يستكمل بها الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا**»(٤).. ولا شك أن حُسن الخلق يستلزم إلقاء السلام.

٦- أنه من أسباب حصول البركة على المسلم والمسلم عليه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «**يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلم،**

(١) سورة النور: الآية: (٦١).

(٢) سورة الذاريات: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣٠).

يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك»[١].

٧- أن فيه إغاظة لليهود المغضوب عليهم.

فعن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**ما حسدتكم اليهود على شىء، ما حسدتكم على السلام والتأمين**»[٢].

٨- أنه من أسباب دخول الجنة،... فعن أبى يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[٣].

(١) حسن: رواه الترمذى، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦١٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٤٣) تداعي الأمم علَى الأمَّة الإسلاميَّة

من علامات الساعة تكالب أمم الكفر على هذه الأمة.

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**، فقال قائل: أَوَمن قِلة نحن يومئذ؟ قال: **بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوَهْن**، فقال قائل: يا رسول الله وما الوَهْن؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**»[1][2].

وقد وقع هذا عبر التاريخ أكثر من مرة، عندما تداعت الأمم الصليبية إلى غزو هذه الأمة، ومرة أخرى عند اجتياح التتار العالم الإسلامى، ولكن هذه النبوءة تحققت فى القرن الأخير بصورة أوضح فقد اتفق الصليبيون واليهود والملاحدة على هدم الخلافة الإسلامية، ثم جزؤوا الديار التى كانت تحكمها، وتقاسموا ديار المسلمين فيما بينهم، وأعطوا فلسطين لليهود، وأصبح المسلمون أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، ولا تزال قوى الشر إلى اليوم متداعية لتدمير هذه الأمة وامتصاص خيراتها، ونهب ثرواتها، وإذلال رجالها، والأمة الإسلامية خانعة ذليلة، لم تُغنِ عنها كثرتها، غثاء كغثاء السيل، وعلتها كما أخبر الرسول ﷺ: الوَهْن: حب الدنيا، وكراهية الموت.

---

(١) و«القصعة»: وعاء يؤكل فيه، وكان يُتخذ من الخشب غالبًا.

و«الغثاء»: ما يجىء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره.

و«الوهن»: فسره النبى ﷺ بحب الدنيا وكراهية الموت.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٨٣)

السرِّ في هذا التداعي:

إن اعتصام هذه الأمة بدينها ووحدتها حاجز يقف دون مطامع أعدائها، فمهما كان مكر الأعداء وقوتهم فإنهم لن ينالوا من هذه الأمة نيلًا إذا كانت متحدة.

وفى الحديث الذى يرويه ثوبان أن الرسول ﷺ قال: **«وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بِسَنَةٍ عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإنَّ ربى قال: يا محمد، إنى إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها، أو قال مَن بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبى بعضهم بعضًا»**[١].

وواضح من الحديث أن وحدة الأمة عصمة لها من أعدائها، فإذا أصبح بأسها بينها، ووقعت الفرقة والاختصام فيما بينها سلط الله عليها أعداءها، وتلك نتيجة حتمية لأن قوتها فى هذه الحال لا تتجه إلى الأعداء، بل إلى نفسها فتدمر نفسها بنفسها، مما يُطمع أعداءها فيها[٢].

---

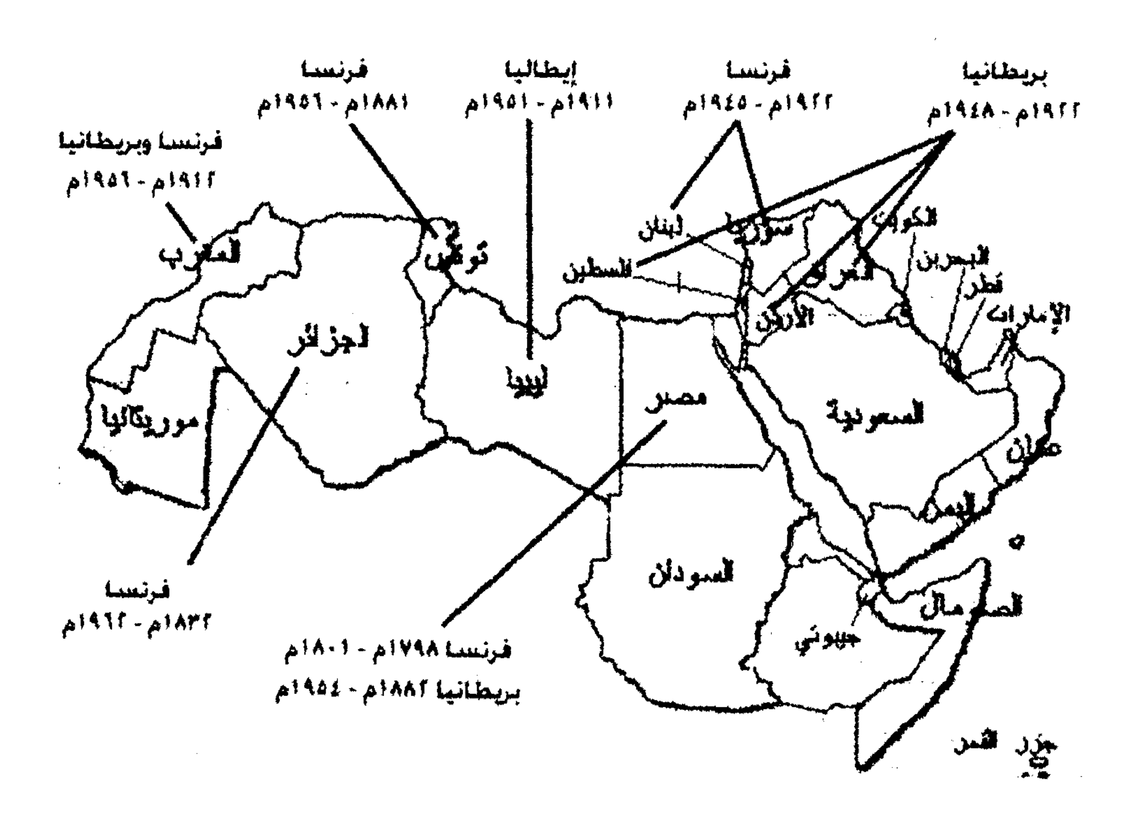
(١)رواه مسلم فى صحيحه، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، (٢/ ٢٢١٥) حديث رقم (٢٨٨٩).

والمراد بالبيضة، أى: جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضًا: العزّ والملك.

والمراد بقوله: «أن لا أهلكهم بسنة عامة». أى: لا أهلكهم بقحطٍ يَعمُّهم، بل إن وقع قحط يكون فى ناحية يسيرة، بالنسبة إلى باقى بلاد الإسلام.

(٢)القيامة الصغرى (ص ١٩٢-١٩٣).

❁ وها هى خريطة توضح لنا تاريخ الاستعمار الغربى للدول العربية والإسلامية.



(٤٤) تطاول الحفاة العُراة رُعاة الشاء بالبُنيان

❁ ومن علامات الساعة الصُّغرى التى أخبر عنها النبى ﷺ:

تطاوُل الحُفاة العُراة رُعاة الشاء بالبُنيان ... وذلك بعد كثرة الأموال والخيرات والتنافس على حُطام الدُّنيا فقد بُسطت الدنيا على المُسلمين وكَثُرت الأموال فى أيديهم بعد الفتوحات ورَكَن كثيرٌ منهم إلى الدُّنيا وأصبحوا يتنافسون فى جمع الأموال وإنفاقها فى بناء الأبراج العالية من أجل التنافس والتفاخر فيما بينهم.

روى مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى مجيء جبريل إلى الرسول ﷺ فى صورة رجل يلبس الملابس البيضاء الناصعة، له شعر شديد السواد، وسأل الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأجابه الرسول ﷺ، ثم سأله عن الساعة، فقال الرسول ﷺ: **«مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»** ، قَالَ: فأخبرنى عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: **«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ»**(١).

وروى ابن عباس إجابة الرسول ﷺ عن السؤال بقوله: **«إِذَا رَأَيْتَ الْأَمَةَ وَلَدَتْ رَبَّتَهَا أَوْ رَبَّهَا، وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الشَّاءِ تَطَاوَلُوا بِالْبُنْيَانِ، وَرَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْجِيَاعَ الْعَالَةَ كَانُوا رُؤوسَ النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا»**. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ أَصْحَابُ الشَّاءِ وَالْحُفَاةُ الْجِيَاعُ الْعَالَةُ؟ قَالَ: **«الْعَرَبُ»**(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣١٨-٣١٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣٤٥).

۞ قال الحافظ ابن حجر: «وَمَعْنَى التَّطَاوُلِ فِى الْبُنْيَانِ أَنَّ كُلًّا مِمَّنْ كَانَ يَبْنِى بَيْتًا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ ارْتِفَاعُهُ أَعْلَى مِنَ ارْتِفَاعِ الآخَرِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمُبَاهَاةَ بِهِ فِى الزِّينَةِ وَالزَّخْرَفَةِ أَوْ أَعَمَّ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ وُجِدَ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ فِى ازْدِيَادٍ»(١).

۞ قال ابن رجب فى تعليقه على الحديث: «مَضْمُونُ مَا ذُكِرَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فِى هَذَا الْحَدِيثِ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الأُمُورَ تُوَسَّدُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا، كَمَا قَالَ النَّبِىُّ ﷺ لِمَنْ سَأَلَهُ، عَنِ السَّاعَةِ: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، فَإِنَّهُ إِذَا صَارَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رِعَاءُ الشَّاءِ - وَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ - رُؤُوسَ النَّاسِ، وَأَصْحَابَ الثَّرْوَةِ وَالأَمْوَالِ، حَتَّى يَتَطَاوَلُوا فِى الْبُنْيَانِ، فَإِنَّهُ يَفْسَدُ بِذَلِكَ نِظَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا...»(٢).

ولا شك أن بناء البيوت والعمارات ورفعها ليس حرامًا إذا كان فيه منافع، وليس للفخر والخُيلاء والكِبر.

والتطاول فى البُنيان يكون بتكثير طبقات البيوت ورفعها إلى فوق، ويكون بتحسين البناء وتقويته وتزويقه، ويكون بتوسيع البيوت وتكثير مجالسها ومرافقها.

وكل ذلك واقع فى زماننا حين كثرت الأموال وبُسطت الدنيا على الناس(٣).

---

(١) «فتح البارى» (١٣/ ٨٨).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٣٩).

(٣) انظر «إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة» للشيخ التويجرى (٢/ ١٦٢).

والتطاول فى البنيان اليوم عام فى العرب وغيرهم، حتى بدأت الدول تتنافس فى بناء الأبراج العالية، والتطاول والتفاخر بها.

(٤٥) ولادة الأَمة ربَّتها[١]

جاء فى حديث جبريل الطويل قوله للنبى ﷺ: «وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدتِ الأمة ربَّتَها»[٢].

وفى رواية لمسلم: «إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا»[٣].

وقد اختلف العلماء فى معنى هذه العلامة على عدة أقوال، ذكر الحافظ ابن حجر منها أربعة أقوال:

(١) قال الخطابي: مَعْنَاهُ اتِّسَاعُ الْإِسْلَامِ وَاسْتِيلَاءُ أَهْلِهِ عَلَى بِلَادِ الشِّرْكِ وَسَبْىُ ذَرَارِيِّهِمْ فَإِذَا مَلَكَ الرَّجُلُ الْجَارِيَةَ وَاسْتَوْلَدَهَا كَانَ الْوَلَدُ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ رَبِّهَا لِأَنَّهُ وَلَدُ سَيِّدِهَا[٤]. وذكر النووى أن هذا القول قول الأكثرين من العلماء[٥].

قال ابن حجر: «لَكِنْ فِى كَوْنِهِ الْمُرَادَ نَظَرٌ[٦] لِأَنَّ اسْتِيلَادَ الْإِمَاءِ كَانَ مَوْجُودًا حِينَ الْمَقَالَةِ وَالِاسْتِيلَاءُ عَلَى بِلَادِ الشِّرْكِ وَسَبْىُ ذَرَارِيِّهِمْ وَاتِّخَاذُهُمْ سَرَارِىَّ وَقَعَ أَكْثَرُهُ فِى صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِى

(١) «ربتها»، وفى رواية: «ربها». قال ابن الأثير: «الرب يطلق فى اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربى، والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره؛ أضيف، فيقال: رب كذا». «النهاية» (٢/ ١٧٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩، ١٠) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

(٤) «معالم السنن على مختصر سنن أبى داود» (٧/ ٦٧).

(٥) «شرح النووى لمسلم» (١/ ١٥٨).

(٦) واستبعد هذا القول أيضًا الحافظ ابن كثير.
انظر: «النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ١٧٧-١٧٨).

الْإِشَارَةَ إِلَى وُقُوعِ مَا لَمْ يَقَعْ مِمَّا سَيَقَعُ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ»[١].

(٢) أَنْ تَبِيعَ السَّادَةُ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِمْ وَيَكْثُرُ ذَلِكَ فَيَتَدَاوَلُ الْمُلَّاكُ الْمُسْتَوْلَدَةَ حَتَّى يَشْتَرِيَهَا وَلَدُهَا وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ.

(٣) أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ حُرًّا مِنْ غَيْرِ سَيِّدِهَا بِوَطْءِ شُبْهَةٍ أَوْ رَقِيقًا بِنِكَاحٍ أَوْ زِنًا ثُمَّ تُبَاعُ الْأَمَةُ فِي الصُّورَتَيْنِ بَيْعًا صَحِيحًا وَتَدُورُ فِي الْأَيْدِي حَتَّى يَشْتَرِيَهَا ابْنُهَا أَوِ ابْنَتُهَا، وهذا من نمط القول الذى قبله.

(٤) أَنْ يَكْثُرَ الْعُقُوقُ فِي الْأَوْلَادِ فَيُعَامِلُ الْوَلَدُ أُمَّهُ مُعَامَلَةَ السَّيِّدِ أَمَتَهُ مِنَ الْإِهَانَةِ بِالسَّبِّ وَالضَّرْبِ وَالِاسْتِخْدَامِ فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ رَبُّهَا مَجَازًا لِذَلِكَ أَوِ الْمُرَادُ بِالرَّبِّ الْمُرَبِّي فَيَكُونُ حَقِيقَةً.

ثم قال ابن حجر: «وَهَذَا أَوْجَهُ الْأَوْجُهِ عِنْدِي لِعُمُومِهِ وَلِأَنَّ الْمَقَامَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ حَالَةٌ تَكُونُ مَعَ كَوْنِهَا تَدُلُّ عَلَى فَسَادِ الْأَحْوَالِ مُسْتَغْرَبَةً وَمُحَصَّلُهُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ السَّاعَةَ يَقْرُبُ قِيَامُهَا عِنْدَ انْعِكَاسِ الْأُمُورِ بِحَيْثُ يَصِيرُ الْمُرَبَّى مُرَبِّيًا وَالسَّافِلُ عَالِيًا وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِقَوْلِهِ فِي الْعَلَامَةِ الْأُخْرَى أَنْ تَصِيرَ الْحُفَاةُ مُلُوكَ الْأَرْضِ»[٢].

(٥) وهناك قول خامسٌ للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو: «أَنَّ الإماء تكون فِي آخِرِ الزَّمَانِ هُنَّ الْمُشَارُ إِلَيْهِنَّ بِالْحِشْمَةِ فتكون الْأَمَةُ تَحْتَ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الحرائر، ولهذا قَرَنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «**وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»[٣].

---

(١) «فتح البارى» (١/ ١٢٢).

(٢) «فتح البارى» (١/ ١٢٢-١٢٣) باختصار.

(٣) «النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ١٧٧) تحقيق د. طه زينى.

(٤٦) تقارُب الزمان

ومن العلامات التى أخبر عنها النبى ﷺ أنَّها من علامات الساعة: تقارُب الزمان.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ»[١].

وعنه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ»[٢].

۞ وللعلماء أقوالٌ فى المراد بتقارب الزمان؛ منها:

(١) أن المراد بذلك قلَّة البركة فى الزَّمان[٣].

قال ابن حجر: «قَدْ وُجِدَ فِى زَمَانِنَا هَذَا فَإِنَّا نَجِدُ مِنْ سُرْعَةِ مَرِّ الْأَيَّامِ مَا لَمْ نَكُنْ نَجِدُهُ فِى الْعَصْرِ الَّذِى قَبْلَ عَصْرِنَا هَذَا»[٤].

(٢) أنَّ المراد بذلك هو ما يكون فى زمان المهدى وعيسى عليه السلام؛ من استلذاذ الناس للعيش، وتوفُّر الأمن، وغلبة العدل، وذلك أنَّ الناس يستقصرون أيام الرَّخاء، وإن طالت، وتطول عليهم مدَّة الشدَّة وإن قَصُرَت[٥].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٢٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى المشكاة (٥٤٤٨/ التحقيق الثانى).

(٣) انظر: «معالم السنن» (٦/ ١٤١-١٤٢ - بهامش مختصر سنن أبى داود للمنذرى)، و«جامع الأصول» لابن الأثير (١٠/ ٤٠٩)، و«فتح البارى» (١٣/ ١٦).

(٤) «فتح البارى» (١٣/ ١٦).

(٥) انظر: «فتح البارى» (١٣/ ١٦).

(٣) أنَّ المُراد تقارُب أحوال أهله فى قلة الدين، حتى لا يكون منهم مَن يأمر بمعروفٍ، وينهى عن منكرٍ؛ لغلبة الفسق، وظهور أهله، وذلك عند ترك طلب العلم خاصة، والرضى بالجهل، وذلك لأن الناس لا يتساوون فى العلم، فدرجات العلم تتفاوت؛ كما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1][2]، وإنما يتساوون إذا كان جُهَّالًا.

(٤) أنَّ المُراد تقارب أهل الزَّمان بسبب توفُّر وسائل الاتصالات والمراكب الأرضية والجوية السريعة التى قَرَّبَتِ البعيد[3].

(٥) أنَّ المراد بذلك هو قصر الزمان، وسرعتُه سرعة حقيقية، وذلك فى آخر الزَّمان.

وهذا لم يقع إلى الآن، ويؤيد ذلك ما جاء أن أيَّام الدَّجَّال تطول حتى يكون اليوم كالسَّنة، وكالشَّهر، وكالجُمعة فى الطول، فكما أن الأيام تطول؛ فإنها تَقْصُر[4]، وذلك لاختلال نظام العالم، وقُرب زوال الدُّنيا.

قال ابن أبى جمرة: «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِتَقَارُبِ الزَّمَانِ: قِصَرَهُ؛ عَلَى مَا وَقَعَ فِى حَدِيثِ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ**» وَعَلَى هَذَا؛ فَالْقِصَرُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حِسِّيًّا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَوِيًّا:

أَمَّا الْحِسِّىُّ؛ فَلَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ، وَلَعَلَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِى تَكُونُ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٧٦).

(٢) انظر: «مختصر سنن أبى داود» للمنذرى (٦/ ١٤٢).

(٣) انظر «إتحاف الجماعة» (١/ ٤٩٧)، و«العقائد الإسلامية» (ص ٢٤٧) لسيد سابق.

(٤) انظر: «مختصر سنن أبى داود» (٦/ ١٤٢)، و«جامع الأصول» (١٠/ ٤٠٩)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط.

وَأَمَّا الْمَعْنَوِيُّ؛ فَلَهُ مُدَّةٌ مُنْذُ ظَهَرَ؛ يَعْرِفُ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَمَنْ لَهُ فِطْنَةٌ مِنْ أَهْلِ السَّبَبِ الدُّنْيَوِيِّ؛ فَإِنَّهُمْ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ لَا يَقْدِرُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْعَمَلِ قَدْرَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَيَشْكُونَ ذَلِكَ، وَلَا يَدْرُونَ الْعِلَّةَ فِيهِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْ ضَعْفِ الإِيمَانِ؛ لِظُهُورِ الْأُمُورِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ مِنْ عِدَّةِ أَوْجُهٍ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْأَقْوَاتُ، فَفِيهَا مِنَ الْحَرَامِ الْمَحْضِ وَمِنَ الشُّبَهِ مَا لَا يَخْفَى، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَتَوَقَّفُ فِي شَيْءٍ، وَمَهْمَا قَدَرَ عَلَى تَحْصِيلِ شَيْءٍ؛ هَجَمَ عَلَيْهِ وَلَا يُبَالِي.

وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْبَرَكَةَ فِي الزَّمَانِ وَفِي الرِّزْقِ وَفِي النَّبْتِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ طَرِيقِ قُوَّةِ الإِيمَانِ، وَاتِّبَاعِ الْأَمْرِ، وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ، وَالشَّاهِدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾»[1][2][3].

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٢) «فتح البارى» (١٣/ ١٧).

(٣) «أشراط الساعة» (ص/ ١٥٥-١٥٨).

(٤٧) استفاضة المال وكثرته بين الناس

۞ ومن علامات الساعة الصُّغرى (كثرة المال) حتى إن الرجل يأخذ المائة دينارٍ فيراها قليلة ... ويخرج صاحب المال من بيته باحثًا عن رجلٍ فقيرٍ يقبل منه الصدقة فلا يجد.

فقد قال الرسول ﷺ لعوف بن مالك، وكان آنذاك في غزوة خيبر: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» فذكرها، ومنها: «اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ(٢) رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ صَدَقَةً، وَيُدْعَى إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا أَرَبَ لِي فِيهِ »(٣) -أي: لا حاجة لي فيه-.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ»(٤).

وروى حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «تَصَدَّقُوا، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ يَمْشِي بِصَدَقَتِهِ، فَيَقُولُ الَّذِي أُعْطِيَهَا: لَوْ جِئْتَنَا بِهَا بِالْأَمْسِ قَبِلْتُهَا، فَأَمَّا الْآنَ، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا، فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا »(٥).

۞ ومما لا شكَّ فيه أنَّ النبيَّ ﷺ وأصحابه عاشوا سنوات متتابعة وهم في شظفٍ من العيش وفقرٍ شديدٍ حتى إنه كان النبي ﷺ لا يشبع من رديء

(١) صحيح: رواه البخاري (٣١٧٦).

(٢) أي: يُحزنه لأنه لا يجد المحتاج الذي يبذل له المال.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٥٧) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١٤) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٢) كتاب الزكاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١١) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١١) كتاب الزكاة.

التمر ولا خبز الشَّعير وكان يمرُّ عليه الهلال تلو الهلال تلو الهلال ولا يوقد فى أبياته التسع نار .. وإنما طعامه الأسودان: التمر والماء.

ومع ذلك كان النبى ﷺ يخبر أصحابه بأن الحال سيتغير وأن المال سيكثر حتى لا يجد الرجل من يقبل منه صدقته.

۞ وأخبر ﷺ أنَّ الله تعالى سيعطى هذه الأُمة، ويفتح عليها من كنوز الأرض، وأن مُلك أمته سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها...ففى الحديث عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى[1] لِى الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِىَ لِى مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ**»[2].

۞ وقال ﷺ: «**وَإِنِّى قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ**»[3].

وعَنْ عَدِىِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «**يَا عَدِىُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟**» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «**فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ**»، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَ نَفْسِى: فَأَيْنَ دُعَّارُ[4] طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ؟! -،

---

(١) (زوى): يقال: زويته أزويه زيًّا؛ أى: جمعته، والمعنى: أن الله جمع له ﷺ الأرض، وقرَّبها حتى رأى مشارقها ومغاربها. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٢/ ٣٢٠-٣٢١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٩) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٩٦) كتاب الفضائل.

(٤) (دعار): مفرده داعر: وهو الخبيث المفسد، والمراد بهم هنا: قطاع الطريق. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٢/ ١١٩).

«وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ...».

قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ: ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ[1].

فقد تحقَّق كثيرٌ ممَّا أخبرنا به الصَّادق ﷺ، فكثُر المال فى عهد الصحابة رضي الله عنهم بسبب ما وقع من الفتوح، واقتسموا أموال الفرس والروم، ثم فاض المال فى عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فكان الرجل يعرض المال للصدقة، فلا يجد من يقبله[2].

۞ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

ويبدو أنَّ هَذَا يقع فى أكثر من زمان، فقَدْ وقع فى عصرِ عُمرَ بن عبدِ العزيز رضي الله عنه، فقَد أخرج يَعْقُوبَ بْنِ سُفْيَانَ فِي تَارِيخه من طريق عُمَرَ بْنِ أَسِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: «إِنَّمَا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا أَلَا وَاللهِ مَا مَاتَ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَأْتِينَا بِالْمَالِ الْعَظِيمِ، فَيَقُولُ: اجْعَلُوا هَذَا حَيْثُ تَرَوْنَ فِي الْفُقَرَاءِ، فَمَا يَبْرَحُ حَتَّى يَرْجِعَ بِمَالِهِ، يَتَذَكَّرُ مَنْ يَضَعُهُ فِيهِم، فَلَا يَجِدُهُ فيرجع به، قَدْ أَغْنَى عُمَرُ بْنُ عَبدِ العَزِيزِ النَّاسَ»[3].

وسيأتى عند ذكر المهدى إيراد الأحاديث التى تذكر أنه سيكون خليفة

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٥٩٥).

(٢) انظر: «فتح البارى» (١٣/ ٨٧-٨٨) بتصرف.

(٣) «فتح البارى» (١٣/ ٨٣).

يحثو المال حثوًا، وسيأتي عند ذكر عيسى ذكر الأحاديث التي تذكر استفاضة المال في وقته، حتى لا يقبله أحد.

ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»[1].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١٣).

(٤٨) (٤٩) فُشُوُّ التجارة ومشاركة المرأة زوجها في التجارة

۞ ومن علامات الساعة الصُّغرى الَّتى أخبر عنها النبى ﷺ: فُشُوُّ التجارة ومشاركة المرأة زوجها فى التجارة.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ....»[١].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ»[٢].

وقد وقع هذا الأمر كما أخبر عنه النبى ﷺ فكثُرت التجارة وشاركت النساء فيها الرِّجال، وانشغل الناس وافتتنوا بجمع المال والتنافس فيه..

۞ ومن المعلوم أنَّ المُنافسة على الدنيا تؤدى إلى ضعف الدين وهلاك الأمة وتفرُّق كلمتها .. ولذلك حذرنا النبى ﷺ من التنافس على حُطام الدنيا فقال ﷺ: «وَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّى أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[٣].

وقال ﷺ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ ﷻ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ»، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ[٤].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٧).

(٢) صحيح: رواه النسائى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٦٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٢٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٢) كتاب الزهد والرقائق.

۞ وليس معنى ذلك أنَّ التجارة حرام ... كلا .. ولكن النبى ﷺ يخبر أنَّ الانشغال بها سيكون علامة من علامات الساعة الصُّغرى .. وفى نفس الوقت فهو يحذرنا من أن ينشغل المسلم بالتجارة حتى تطغى على عبادته وصلاته فيخسر العبد دينه ودُنياه.

(٥٠) تقارُب الأسواق

ومن علامات الساعة التى أخبر عنها النبى ﷺ: تقارُب الأسواق.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ**»(١).

قال الشيخ حمود التويجرى: وأما تقارب الأسواق؛ فقد جاء تفسيره فى حديث ضعيف بأنه كسادها وقلة أرباحها. والظاهر - والله أعلم - أن ذلك إشارة إلى ما وقع فى زماننا من تقارب أهل الأرض بسبب المراكب الجوية والأرضية والآلات الكهربائية التى تنقل الأصوات؛ كالإذاعات والتليفونات، والتى تنقل الكتابة؛ كالفاكس والتلكس، وغيرها من الآلات الحديثة التى صارت أسواق الأرض متقاربة بسببها، فلا يكون تغيير فى الأسعار فى قطر من الأقطار؛ إلا ويعلم به التجار أو غالبهم فى جميع أرجاء الأرض، فيزيدون فى السعر إن زاد، وينقصون إن نقص، ويذهب التاجر فى السيارات إلى أسواق المدائن التى تبعد عنه مسيرة أيام، فيقضى حاجته منها، ثم يرجع فى يوم أو بعض يوم، ويذهب فى الطائرات إلى أسواق المدن التى تبعد عنه مسيرة شهر فأكثر، فيقضى حاجته منها، ويرجع فى يوم أو بعض يوم؛ فقد تقاربت الأسواق من ثلاثة أوجه:

الأول: سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه.

والثانى: سرعة السير من سوق إلى سوق، ولو كانت بعيدة عنها.

والثالث: مقاربة بعضها بعضًا فى الأسعار، واقتداء بعض أهلها ببعض فى الزيادة والنقصان، والله أعلم(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٧٢).

(٢) «إتحاف الجماعة» (١/ ٤٩٨-٤٩٩).

(٥١) حسر نهر الفرات عن جبلٍ من ذهب

ومن علامات الساعة الصغرى أن ينحسر نهر الفرات عن جبلٍ من ذهب.

ونهر الفرات نهرٌ معروف وهو كثير الماء ... والنبى ﷺ يخبر أن ذلك النهر سوف يحسر عن جبل من الذهب.

ولعل هذا يكون بسبب أن النهر سيتغير مجراه وسيكون ذلك سببًا فى كشف ذلك الجبل الذى هو من الذهب.

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك الفرات أن يَحْسِرَ عن كنزٍ من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**»، وفى رواية: «**يَحْسِر عن جبل من ذهب**».

وفى رواية عند مسلم: «لا تقوم الساعة حتى يَحْسِر الفرات عن جبل من ذهب يَقْتتل الناس عليه، فَيُقْتَل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو»[١].

ورواه مسلم عن أُبى بن كعب بلفظ: «يُوشِك الفرات أن يَحْسِر عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه لَيُذْهبن به كُلِّه، قال: فيقتتلون عليه، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون»[٢].

ومعنى انحساره: انكشافه لذهاب مائة، كما يقول النووى[٣]، وقد يكون

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٩) كتاب الفتن، ومسلم (٢٨٩٤) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٥) كتاب الفتن.

(٣) شرح النووى على مسلم: (١٨/ ٩).

ذلك بسبب تحول مجراه، فإن هذا الكنز أو هذا الجبل مطمور بالتراب وهو غير معروف، فإذا ما تحول مجرى النهر لسبب من الأسباب ومرّ قريبًا من هذا الجبل كشفه، والله أعلم بالصواب[١].

۞ واليوم تقيم تركيا وسوريا سدودًا على نهر الفرات، وتقيم عنده المصانع، مما أدَّى إلى قلة جريان الماء فيه، فقد يكون هذا مقدمات لظهور ذلك الجبل.

وليس المقصود بهذا الجبل من ذهب (النفط / البترول الأسود)؛ كما يرى ذلك أبو عبية فى تعليقه على «النهاية/ الفتن والملاحم» لابن كثير[٢]، وذلك من وجوه:

١- أنَّ النَّصَّ جاء فيه: «جبل من ذهب»، والبترول ليس بذهب على الحقيقة؛ فإنَّ الذَّهَب هو المعدن المعروف.

٢- أنَّ النبى ﷺ أخبر أن ماء النهر ينحسر عن جبل من ذهب، فيراه الناس، والنفط أو (البترول) يُستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة.

٣- أنَّ النبى ﷺ خصَّ الفرات بهذا دون غيره من البحار والأنهار، والنفط نراه يُستخرج من البحار كما يستخرج من الأرض، وفى أماكن كثيرة متعدِّدة.

٤- انَّ النبىَّ ﷺ أخبر أنَّ النَّاس سيقتتلون عند هذا الكنز، ولم يحصل أنَّهم اقتتلوا عند خروج النفط من الفرات أو غيره، بل إنَّ النبى ﷺ نهى مَن

---

(١) القيامة الصغرى (ص ٢٠٦/ ٢٠٧).

(٢) «النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ٢٠٨)، تحقيق محمد فهيم أبو عبية.

حضر هذا الكنز أن يأخذ منه شيئًا؛ كما في الرواية الأخرى عن أُبي بن كعب ﷺ قال: لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا... إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا»[١]، ومن حمله على النفط؛ فإنه يلزمه على قوله هذا النهي عن الأخذ من النفط، ولم يقل به أحد[٢].

وقد رجَّح الحافظ ابن حجر أن سبب المنع من الأخذ من هذ الذَّهب لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه[٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٤) كتاب الفتن.

(٢) انظر: «إتحاف الجماعة» (١/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٣) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٨١).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٥٢) كثرة الكتابة وانتشارها

لقد كانت الكتابة فى زمن النبى ﷺ وأصحابه .. بل وفى زمن التابعين قليلة وغير منتشرة؛ لأنها كانت كتابة يدوية فمن أراد أن يقتنى كتابًا فإنه يستأجر ناسخًا ينسخ له ذلك الكتاب فى شهور طويلة ... أما الآن فقد تستطيع أن تطبع فى اليوم الواحد عشرات الآلاف من الكتب وذلك لتوفُّر آلات الطبع والتصوير ... ومع ذلك كان العلم ظاهرًا بين السلف ... وفى زماننا تجد الجهل متفشيًا عند كثير من الناس مع كثرة الكتب وتوفرها.

۞ ولقد أخبر النبى ﷺ أنَّ كثرة الكتابة وانتشارها من علامات الساعة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ؛ قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ... ظُهُورَ الْقَلَمِ»[١].

والمراد بظهور القلم -والله أعلم- ظهور الكتابة[٢] وانتشارها.

ووقع فى رواية الطيالسى والنسائى عن عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ مِنَ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ .... أَنْ يَكْثُرَ التُّجَّارُ وَيَظْهَرَ الْعِلْمُ»**[٣].

ومعناه - والله أعلم- ظهور وسائل العلم، وهى كتبه. وقد ظهرت فى هذه الأزمان ظهورًا باهرًا، وانتشرت فى جميع أرجاء الأرض، بسبب توفر

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٧).

(٢) انظر: «شرح مسند أحمد» (٥/ ٣٣٤) لأحمد شاكر.

(٣) «منحة المعبود فى ترتيب مسند الطيالسى» (٢/ ١١٢) (ح٢٧٦٣)، ترتيب الساعاتى، و«سنن النسائى»، كتاب البيوع، باب التجارة، (٧/ ٢٤٤)، وصححه الألبانى فى صحيح سنن النسائى

آلات الطباعة والتصوير التي سهلت انتشارها ومع هذا؛ فقد ظهر الجهل فى الناس، وقَلَّ فيهم العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة والعمل بهما، ولم تُغنِ عنهم كثرة الكتب شيئًا[1].

---

(١) انظر: «إتحاف الجماعة» (١/ ٤٢٨).

(٥٣) انتفاخُ الأهِلَّة

۞ ومن علامات الساعة الصُّغرى (انتفاخُ الأهِلَّة):

والأهلة جمع هلال .. وهو القمر فى أول طلوعه عند بداية الشهر فإنه يبدأ صغيرًا فى أول ليلة من الشهر الهجرى ثم بعد ذلك يكبر تدريجيًّا إلى أن يصل إلى كماله فى نصف الشهر ثم يتناقص مرة أخرى إلى آخر الشهر.

۞ لكن النَّبىَّ ﷺ يخبر أنَّ من علامات الساعة الصُّغرى أن يكون الهلال كبيرًا منتفخًا عند أول ظهوره .. فتراه وهو ابن ليلة واحدة وكأنه ابن ليلتين.

فَعَنْ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ انْتِفَاخُ الْأَهِلَّةِ»[1].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى الْهِلَالُ قُبُلًا، فَيُقَالُ: لِلَيْلَتَيْنِ، وَأَنْ تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا، وَأَنْ يَظْهَرَ مَوْتُ الْفُجَأَةِ»[2].

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٩٨).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٩٩).

(٥٤) عودة جزيرة العرب مُروجًا وأنهارًا

ومن علامات الساعة الصُّغرى أن تعود جزيرة العرب مُروجًا وأنهارًا بعدما كانت صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يُخْرِجَ الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا، وحتَّى تَعود أرض العَرَب جَنَّات وأَنْهَارًا**»[١].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ**» فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ (أي: النعل) تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟**» قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ[٢]، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ. قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، قَالَ وَغَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ) حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: «**يُوشِكُ، يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا**»[٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٧).

(٢) أي: اشتد عليهما في القول ... فمن المعلوم أنَّ النبي ﷺ لم يكن سبَّابًا.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٠٦) كتاب الفضائل.

وعودتها جنات وأنهارًا إما بسبب ما يقوم أهلها به من حفر الآبار، وزراعة الأرض ونحو ذلك مما هو حاصل فى زماننا، وإما بسبب تغيُّر المناخ، فيتحول مناخها الحار إلى جَوٍّ لطيف جميل، ويُفجِّر خالقها فيها من الأنهار والعيون ما يُحول جدبها خصبًا، ويحيل سهولها الجرداء إلى سهولٍ مُخضرة فيحاء، وهذا هو الأظهر، فإنه يحكى حالة ترجع فيها الجزيرة إلى ما كانت عليه من قبل[١].

وقد أشار بعض العلماء أنَّ الزَّحفَ الجليدى يتقدم الآن باتِّجاه جزيرة العرب، والذى يحمل معه الثلوج والأمطار، التى تكون عادة سببًا فى إنبات الزرع وكثرة الخيرات،... والله ﷻ قادر على أن يُحيل صحـ اء العرب جنَّاتٍ وأنهارًا، وسهولًا فيحاء، وظلالًا ممدودة، وهذه العلامة لم تظهر بعد، لكن كل آتٍ قريب.

وأما قوله ﷺ على تبوك: «**يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا**» فهذا واقع اليوم من خلال المشاريع الزراعية الكُبرى الواقعة فى تبوك على مسافات شاسعة من الأراضى[٢].

---

(١) القيامة الصغرى (ص ٢٠٣).

(٢) نهاية العالم (١٤٢-١٤٣).

(٥٥) ذهاب الخشوع من القلوب

إن الصلاة أعظم أركان الدين العملية، والخشوع فيها من المطالب الشرعية، ولما كان عدو الله إبليس قد أخذ العهد على نفسه بإضلال بنى آدم وفتنتهم، وقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾[١] صار من أعظم كيده صرف الناس عن الصلاة بشتَّى الوسائل، والوسوسة لهم فيها لحرمانهم لذة هذه العبادة، وإضاعة أجرهم وثوابهم، ولما استسلم الكثيرون للشيطان فى هذا الأمر، ولما كان الخشوع أول ما يُرفع من الأرض ونحن فى آخر الزمان، انطبق فينا قول حذيفة ﷺ: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورُبَّ مُصلٍّ لا خير فيه، ويوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيهم خاشعًا»[٢].

قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[٣] أى: خائفون ساكنون «والخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته»[٤]. والخشوع هو قيام القلب بين يدى الرب بالخضوع والذل[٥].

ومحل الخشوع فى القلب، وثمرته على الجوارح، والأعضاء تابعة للقلب، فإذا فسد خشوعه بالغفلة والوساوس فسدت عبودية الأعضاء

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٧١).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٢٥).

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان: (١، ٢).

(٤) تفسير ابن كثير ط. دار الشعب (٦/ ٤١٤).

(٥) المدارج (١/ ٥٢٠).

والجوارح، فإن القلب كالملك والأعضاء كالجنود له فبه يأتمرون، وعن أمره يصدرون، فإذا عُزل الملك بفقد القلب لعبوديته ضاعت الرعية وهى الجوارح.

وأما التظاهر بالخشوع فممقوت؛ لأنه من علامات النفاق.

والخشوع فى الصلاة إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبى ﷺ: «.. **وجُعلت قرة عينى فى الصلاة**»[١].

وقد ذكر الله الخاشعين والخاشعات فى صفات عباده الأخيار، وأخبر أنه ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢].

ومن فوائد الخشوع: أنه يخفف أمر الصلاة على العبد.

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[٣] والمعنى: أى مشقة الصلاة ثقيلة إلا على الخاشعين[٤].

۞ ومع ذلك فقد أخبر النبى ﷺ أنَّ من علامات الساعة: ذهاب الخشوع من القلوب، وأنَّه أول ما يُرفع من هذه الأمة.

۞ عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ حَتَّى لا يُرَى فِيهِ خَاشِعًا**»[٥]. وهذا من أعظم البلاء.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٥).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٥).

(٥) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٦٩).

وفي رواية من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**أَوَّلِ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ الْخُشُوعُ**»(١).

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ**» فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا القُرْآنَ؟! فَوَاللهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟**» قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ، قُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ: «صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، إِنْ شِئْتَ لَأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ الخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا»(٢).

«قال بعض السلف: الصلاة كجارية تُهدَى إلى ملك الملوك، فما الظن بمن يُهدى إليه جارية شلاَّء أو عوراء أو عمياء أو مقطوعة اليد والرجل أو مريضة أو دميمة أو قبيحة، حتى يهدى إليه جارية ميتة بلا روح.. فكيف بالصلاة يهديها العبد ويتقرب بها إلى ربِّه تعالى؟ والله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وليس من العمل الطيب صلاة لا روح فيها. كما أنه ليس من العتق الطيب عتق عبد لا روح فيه»(٣).

۞ وفي فضل الخشوع ووعيد مَن تَركه يقول النبي ﷺ: «**خمس صلوات**

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٧٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، والدارمي، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٩٠).

(٣) المدارج (١/ ٥٢٦).

افترضهن الله تعالى، مَن أحسن وضوءهن وصلاَّهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه»(١).

وقال ﷺ في فضل الخشوع أيضًا: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين يُقبل عليهما بقلبه ووجهه - وفي رواية: لا يُحدِّث فيهما نفسه - غُفر له ما تقدم من ذنبه - وفي رواية: إلا وجبت له الجنة -»(٢).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾(٣).

فقد يدخل الواحد منا إلى أي مسجدٍ وقد أُقيمت الصلاة فلا يكاد يرى في المسجد رجلًا خاشعًا...مع أن الله ﷻ قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤).. فالجبل يخشع بل ويتصدع من خشية الله فكيف لا تخشع قلوبنا.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٥).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥) كتاب الصلاة، والنسائي (٤٦١) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٤٠١) كتاب إقامة الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٢٤٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٤٣٣) كتاب الرقاق.

(٣) سورة الحديد: الآية: (١٦).

(٤) سورة الحشر: الآية: (٢١).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٧٤).

والخشوع؛ كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو قيام القلب بين يدى الرب بالخضوع والذل، وقيل الخشوع: الانقياد للحق»(١).

وقال الجنيد: «تذلل القلوب لعلام الغيوب».

وكان أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «إِيَّاكُمْ وَخُشُوعَ النِّفَاقِ»، وفى لفظٍ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ» ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: «أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبَ لَيْسَ بِخَاشِعٍ»(٢).

ورأى عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلًا قد طأطأ رقبته فى الصلاة؛ فقال له عمر: «يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع فى الرقاب، إنما الخشوع فى القلوب»(٣).

ورأت الشفاء بنت عبد الله فتيانًا يقصدون فى مشيتهم، ويتكلَّمون رويدًا؛ فقالت: مَنْ هؤلاء؟ فقالوا: نُسَّاك. فقالت: «كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع، وإذا تكلَّم أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطعم أشبع، وكان هو النَّاسك حقًّا»(٤).

وقال الفضيل بن عياض: «كان يُكْره أن يُرى الرجلُ من الخشوع أكثر مما فى قلبه»(٥).

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٥٢١).

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٧/ ٢٤٣)، والبيهقى فى «الشعب» (٦٩٦٦، ٦٩٦٧)، وانظر: «الزهد» لابن المبارك (١٤٣)، وأحمد فى «الزهد» (ص ١٤٢).

(٣) «مدارج السالكين» (١/ ٥٢١)، و«الذل والانكسار» لابن رجب (١/ ٢٩٣).

(٤) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ٢٩٠)، وابن عساكر فى «تاريخه» (٤٤/ ٢٨٨)، وابن الجوزى فى «تلبيس إبليس» (٣٥٦)، والطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٥٧٢).

(٥) «مدارج السالكين» (١/ ٥٢١).

وكان حذيفة رضي الله عنه يقول: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِن دِينكُم الصَّلَاةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لَا خَيرَ فِيهِ، وَيُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلَا تَرَى فِيهِ خَاشِعًا»[(١)].

كيف تخشع فى صلاتك

أما عن الأسباب المعينة على الخشوع فى الصلاة فهى:

۞ الاستعانة بالله (جل وعلا):

فمن المعلوم أن العبد لا يستطيع أن يفعل أى طاعة إلا إذا أعانه الله عليها ولذلك قال النبى ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله....**»[(٢)].

فمن استعان بالله على أن يرزقه الخشوع فى الصلاة فإن الله يرزقه الخشوع فى الصلاة.

۞ الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

الشيطان عدو لنا، ومن عداوته قيامه بالوسوسة للمصلى كى يذهب خشوعه ويُلبِّس عليه صلاته.

ولهذا قيل لبعض السلف: «إن اليهود والنصارى يقولون: لا نُوسْوَس، قال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخَرِب»[(٣)].

«وقد مُثِّل ذلك بمثالٍ حسن، وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥١٦)، وابن أبى شيبة (٧/ ١٤٠) (٣٤٨٠٨)، وأبو نعيم فى «الحلية».

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٦٠٨).

وذخائره وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره، وبيت خالٍ صِفر لا شيء فيه، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟[١].. من المؤكد أنه سيسرق من بيت العبد وذلك لأنه لا يستطيع أن يقترب من بيت الملك ولن يفعل شيئًا بالبيت الخرب وهكذا فإن الشيطان لن يفعل شيئًا بقلب الكافر ولا يستطيع أن يقترب من قلب المؤمن القوى لأن نور إيمان العبد يحرق الشيطان.. وإنما يسرق الشيطان من قلب العبد الذى يكون إيمانه ضعيفًا.

عن أبى العاص ﷺ قال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يُلبسِّها علىَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يُقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوَّذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثًا**» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى[٢].

ومن كيد الشيطان للمصلى ما أخبرنا عنه ﷺ وعن علاجه فقال: «**إن أحدكم إذا قام يصلى جاء الشيطان فلبَّس عليه** - يعنى خلط عليه صلاته وشكَّكه فيها - **حتى لا يدرى كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس**»[٣].

ومن كيده كذلك ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ بقوله: «**إذا كان أحدكم فى الصلاة فوجد حركة فى دُبره أحدث أو لم يُحدث، فأشكل عليه، فلا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا**»[٤].

---

(١) الوابل الصيب ص: (٤٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٣) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٥١) كتاب الأذان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٦٢) كتاب الحيض.

۞ **البعد عن المعاصى:**

فإن من عقوبة المعصية... المعصية بعد المعصية.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١).

وذلك الران يحول بين العبد وبين الخشوع فى الصلاة.

- فما عليك إلا أن تتوب إلى الله وتُكثر من الاستغفار لكى يرزقك الله نعمة الخشوع فى الصلاة.

۞ **حفظ اللسان:**

أن تحفظ لسانك من الغيبة والنميمة والكذب وغير ذلك من الآفات التى تُمرض القلب وتحول بينك وبين الخشوع فى الصلاة.

۞ **البعد عن المظالم:**

فعندما تصلى وأنت سليم الصدر لكل من حولك فسوف تنشغل بصلاتك وتخشع فيها بقلبك وجوارحك.. أما إذا كنت ظالمًا لمن حولك فإنك ستنشغل لا محالة فى صلاتك بتدبير المكائد وشهوة الانتقام... وكما يقولون: سلامة القلب لا يعدلها شىء.

فابتعد عن المظالم قدر استطاعتك.. وإذا وقعت فى مظلمة فتحلل منها لكى تسعد فى الدنيا والآخرة.

۞ **أن تُخرج الدنيا من قلبك:**

وليس معنى ذلك أنى أريد منك أن تترك العمل والدراسة وأن تهجر النجاح.. بل أريدك أن تكون ناجحًا غنيًّا صاحب مركزٍ مرموق بشرط أن تجعل الدنيا فى يديك ولا تجعلها فى قلبك حتى لا تشغلك فى صلاتك

(١) سورة المطففين: الآية: (١٤).

فتفقد نعمة الخشوع فى الصلاة.

تذكر الموت فى الصلاة:

لقوله ﷺ: «**اذكر الموت فى صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت فى صلاته لحرىٌّ أن يُحسن صلاته، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلى غيرها**»[١].

وفى هذا المعنى أيضًا وصية النبى ﷺ لأبى أيوب رضي الله عنه لما قال له: «**إذا قمت فى صلاتك فصلِّ صلاة مودّع**»[٢]. يعنى صلاة من يظن أنه لن يصلى غيرها.

الصدقة:

وهذا من أعجب الأسباب.. فقد قال النبى ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»[٣]. فمن كان قلبه متعلقًا بالدنيا فهو مريض.. ولعل الله أن يجعل الصدقة سببًا فى شفائه فيخشع.

الاستعداد للصلاة والتهيؤ لها:

ويحصل ذلك بأمور منها: الترديد مع المؤذن، والإتيان بالدعاء المشروع بعده: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته»، والدعاء بين الأذان والإقامة، وإحسان الوضوء والتسمية قبله، والذكر والدعاء بعده والاعتناء بالسواك، وهو تنظيف وتطييب للفم الذى سيكون طريقًا للقرآن

---

(١) حسن: أخرجه الديلمى (١/ ٤٣١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٤٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤١٢)، وابن ماجه (٤١٧١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٤٢).

(٣) حسن: أخرجه أبو الشيخ في الثواب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٥٨).

بعد قليل؛ لحديث: «**طهروا أفواهكم للقرآن**»[١]. وأخذ الزينة باللباس الحسن النظيف.

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[٢].

وكذلك الاستعداد بستر العورة وطهارة البقعة، والتبكير والمشى إلى المسجد بسكينة ووقار، وعدم التشبيك بين الأصابع وانتظار الصلاة، وكذلك تسوية الصفوف والتراص فيها؛ لأن الشياطين تتخلل الفُرج بين الصفوف.

۞ الطمأنينة فى الصلاة:

كان النبى ﷺ يطمئن حتى يرجع كل عظم إلى موضعه[٣].

وأمر بذلك المسىء صلاته وقال له: «**لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك**»[٤].

وعن أبى قتادة ﷺ قال: قال النبى ﷺ: «**أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته**»، قال: يا رسول الله، كيف يسرق صلاته؟ قال: «**لا يُتم ركوعها ولا سجودها**»[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه البزار فى «مسنده» (ص ٦٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٢١٣).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٣١).

(٣) صحح إسناده فى صفة الصلاة ص١٣٤ ط: ١١، وعند ابن خزيمة نحوه كما ذكر الحافظ فى الفتح (٢/ ٣٠٨).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٨٥٦) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٤٢٠).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣١٠)، والحاكم، وأبو يعلى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٨٦).

الصلاة إلى سُترة والدنو منها : (١)

قال ﷺ: «**إذا صلى أحدكم إلى سُترة فليدنُ منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته**»(٢).

والسُّنّة فى الدنوّ من السترة أن يكون بينه وبين السترة ثلاثة أذرع وبينها وبين موضع سجوده ممرّ شاة كما ورد فى الأحاديث الصحيحة(٣).

وأوصى النبى ﷺ المصلى بأن لا يسمح لأحد أن يمرّ بينه وبين سترته فقال: «**إذا كان أحدكم يصلى فلا يدع أحدًا يمر بين يديه، و ليدرأه ما استطاع فإن أبَى فليقاتله فإن معه القرين**»(٤).

وضع اليمنى على اليسرى على الصّدر:

كان النبى ﷺ إذا قام فى الصلاة «وضع يده اليمنى على اليسرى»(٥).

و«كان يضعهما على الصدر»(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّا معشر الأنبياء أُمرنا أن نضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة**»(٧).

---

(١) بقية هذه العناصر بتصرف من كتاب (٣٣ سببًا للخشوع فى الصلاة) للشيخ محمد صالح المنجد (حفظه الله).

(٢) صحيح: أخرجه الطبرانى في الكبير، والضياء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٧).

(٣) البخارى انظر الفتح (١/ ٥٧٤، ٥٧٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥٠٦) كتاب الصلاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤٠١) كتاب الصلاة.

(٦) أبو داود رقم (٧٥٩) وانظر إرواء الغليل (٢/ ١٧).

(٧) صحيح: أخرجه الطبرانى فى الكبير (١١/ ١٩٩) وفى الأوسط (٢/ ٢٤٧). والطيالسى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٨٦).

وسُئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن المراد بوضع اليدين إحداهما على الأخرى حال القيام فقال: هو ذلّ بين يدى العزيز[١].

۞ النظر إلى موضع السجود:

لما ورد عن عائشة «كان رسول الله ﷺ إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض»[٢].

«ولما دخل الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج عنها»[٣].

۞ تدبر الآيات المقروءة وبقية أذكار الصلاة والتفاعل معها

القرآن نزل للتدبر ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤] ولا يحصل التدبُّر إلا بالعلم بمعنى ما يقرأ فيستطيع التفكّر فينتج الدمع والتأثُّر.

وهنا يتبين أهمية الاعتناء بالتفسير... قال ابن جرير رحمه الله: «إنى لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله «أى: تفسيره» كيف يلتذ بقراءته»[٥].

ومما يُعين على التدّبر كثيرًا ترديد الآيات ومعاودة النظر فى المعنى وكان النبى ﷺ يفعل ذلك فقد جاء أنه ﷺ «قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح

(١) الخشوع فى الصلاة، ابن رجب (ص:٢١).

(٢) رواه الحاكم (١/ ٤٧٩) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الألبانى فى صفة الصلاة (ص ٨٩).

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك (١ / ٤٧٩) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، قال الألبانى وهو كما قالا ؛ إرواء الغليل (٢/ ٧٣).

(٤) سورة ص: الآية: (٢٩).

(٥) مقدمة تفسير الطبرى لمحمود شاكر (١/ ١٠).

وهى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[(١)] [(٢)].

ومما يعين على التدبر أيضًا حفظ القرآن والأذكار المتنوعة فى الأركان المختلفة ليتلوها ويذكرها ليتفكّر فيها.

ومن التجاوب مع الآيات التأمين بعد الفاتحة وفيه أجر عظيم.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا أمَّنَ الإمام فأمِّنُوا فإنه مَن وافق تأمِينُهُ تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٣)] وهكذا التجاوب مع الإمام فى قوله سمع الله لمن حمده فيقول المأموم ربنا ولك الحمد وفيه أجر عظيم... فعن رفاعة ابن رافع الزرقى قال: كنا يومًا نصلى وراء النبى ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: «**سمع الله لمن حمده**»، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «**من المتكلم**»، قال: أنا، قال: «**رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول**»[(٤)].

۞ أن يقطع قراءته آية آية:

وذلك أدعى للفهم والتدبر وهى سنة النبى ﷺ كما ذكرت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، وفى رواية: ثم يقف ثم يقول، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، ثم يقف ثم يقول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، وفى رواية: ثم يقف ثم يقول: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾» يقطّع قراءته آيةً آية[(٥)].

---

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٢) رواه ابن خزيمة (١/ ٢٧١)، وأحمد (٥/ ١٤٩)، وهو فى صفة الصلاة (ص ١٠٢).

(٣) رواه البخارى (رقم ٧٤٧).

(٤) رواه البخارى الفتح (٢/ ٢٨٤).

(٥) رواه أبو داود رقم (٤٠٠١) وصححه الألبانى فى الإرواء وذكر طرقه (٢/ ٦٠).

۞ ترتيل القراءة وتحسين الصوت بها:

كما قال الله ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾(١) وكانت قراءته ﷺ «**مُفسرة حرفًا حرفا**»(٢).

ومما يعين على الخشوع أيضًا تحسين الصوت بالتلاوة وفى ذلك وصايا نبوية منها قوله ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا**»(٣)

وليس المقصود بتحسين الصوت: التمطيط والقراءة على ألحان المطربين وإنما جمال الصوت مع القراءة بحزن... كما قال النبى ﷺ: «**إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**»(٤).

۞ أن يعلم أن الله يُجيبه فى صلاته:

قال النبى ﷺ: «**قال الله ﷻ قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدنى عبدى فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى علىّ عبدى، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجّدنى عبدى، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل**»(٥).

---

(١) سورة المزمل: الآية: (٤).

(٢) مسند أحمد (٦/ ٢٩٤) بسند صحيح - صفة الصلاة: (ص: ١٠٥).

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٥٧٥) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٥٨١).

(٤) رواه ابن ماجه (١/ ١٣٣٩) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٢٢٠٢).

(٥) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة (٣٩٥).

وينبغى إجلال هذه المخاطبة وقدرها حقّ قدرها، قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا قام يصلى فإنما يناجى ربه فلينظر كيف يناجيه»[١].

۞ التنويع فى السور والآيات والأذكار والأدعية فى الصلاة:

وهذا يُشعر المصلى بتجدد المعانى والانتقال بين المضامين المتعددة للآيات والأذكار... وهذا ما يفتقده الذى لا يحفظ إلا عددًا محدودًا من السور «وخصوصًا قصارها» والأذكار، فالتنويع من السنّة وأكمل فى الخشوع.

۞ أن يأتى بسجود التلاوة إذا مرّ بموضعه:

من آداب التلاوة السجود عند المرور بالسجدة... وقد وصف الله فى كتابه الكريم النبيين والصالحين بأنهم: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٢] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداءً بهم واتباعًا لمنوالهم»[٣].

وسجود التلاوة فى الصلاة عظيم وهو مما يزيد الخشوع.

قال الله ﷻ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٤].

فينبغى المحافظة على سجود التلاوة فى الصلاة خصوصًا وأن سجود التلاوة فيه ترغيم للشيطان وتبكيت له وذلك مما يضعف كيده للمصلى.

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٢٣٦) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١٥٣٨).

(٢) سورة مريم: الآية: (٥٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٣٨).

(٤) سورة الإسراء: الآية: (١٠٩).

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد اعتزل الشيطان يبكى، يقول: يا ويلى، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت، فلى النار»[1].

التأمل فى حال السلف فى صلاتهم:

وهذا يزيد الخشوع ويدفع إلى الاقتداء فـ« لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلما وقف فى محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله»[2].

كان ابن الزبير إذا قام فى الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو فى الصلاة لا يرفع رأسه.

وكان مسلمة بن بشار يصلى فى المسجد فانهدم طائفة منه فقام الناس وهو فى الصلاة لم يشعر، ولقد بلغنا أن بعضهم كان كالثوب المُلقَى، وبعضهم ينفتل من صلاته متغير اللون لقيامه بين يدى الله ﷻ. وبعضهم إذا كان فى الصلاة لا يعرف من على يمينه وشماله. وبعضهم يصفرّ وجهه إذا توضأ للصلاة، فقيل له إنا نراك إذا توضأت للصلاة تغيرت أحوالك، قال: إنى أعرف بين يدى مَن سأقوم، وكان على بن أبى طالب رضي الله عنه إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: ما لك ؟ فيقول: جاء والله وقت أمانة عَرَضَها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتُها. وكان سعيد التنوخى إذا صلى لم تنقطع الدموع من

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٢) الخشوع فى الصلاة/ ابن رجب ص: ٢٢ .

خديه على لحيته. وبلغنا عن بعض التابعين أنه كان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه، وكان يقول: أتدرون بين يدى من أقف ومن أناجى... فمن منكم لله فى قلبه مثل هذه الهيبة ؟ [١].

وقالوا لعامر بن عبد القيس: أتحدّث نفسك فى الصلاة؟ فقال: أَوَ شىء أحبُّ إلىّ من الصلاة أحدّث به نفسى؟! قالوا: إنا لنحدّث أنفسنا فى الصلاة، فقال: أبالجنة والحور ونحو ذلك ؟ قالوا لا، ولكن بأهلينا وأموالنا. فقال: لأن تختلف الأسِنّة فىّ أحبُّ إلىّ [٢].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذا دخل فى الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة[٣].

قارن بين هذا وبين ما يفعله بعضنا اليوم.. هذا ينظر فى ساعته وآخر يصلح هندامه وثالث يعبث بأنفه ومنهم من يبيع ويشترى فى الصلاة وربما عدّ نقوده وبعضهم يتابع الزخارف فى السجاد والسقوف أو يحاول التعرّف على من بجانبيه.

تُرى لو وقف واحد من هؤلاء بين يدى عظيم من عظماء الدنيا هل يجرؤ على فعل شىء من ذلك؟!!!

❁ أخى الحبيب: لعلك تلاحظ أنى قد أطلت النَّفَس فى هذه العلامة .. وذلك لأهمية الصلاة التى هى عماد الدين وركن من أركانه .. ولا يفوز العبد بأجر صلاته إلا على قدر خشوعه فيها.

---

(١) سلاح اليقظان لطرد الشيطان: عبد العزيز السلمان (ص: ٢٠٩).

(٢) أى لأن يكثر طعن الرماح فى جسدى أحب إلىَّ من أن أحدث نفسى فى الصلاة بأمور الدنيا.

(٣) الكواكب الدريّة فى مناقب المجتهد ابن تيمية لمرعى الكرمى ص: ٨٣ دار الغرب الإسلامى.

قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّى الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا نِصْفُهَا»(١).

(١)حسن: رواه أحمد، وأبو داود، وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٢٦).

(٥٦) أنَّ القويَّ يأكل الضعيف

وكأن النبى ﷺ حين ذكر تلك العلامة كان يرى حال أكثر الناس فى هذا الزمان ... فالقوى يأكل الضعيف والغنى يأكل الفقير ... وهذا كله بسبب نزع الرحمة من القلوب.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لَحَاقًا**»، قَالَتْ: فَلَمَّا جَلَسَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، لَقَدْ دَخَلْتَ وَأَنْتَ تَقُولُ كَلَامًا ذَعَرَنِي، قَالَ: «**وَمَا هُوَ؟**» قَالَتْ: تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمَكَ أَسْرَعُ أُمَّتِكَ بِكَ لَحَاقًا، قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَتْ: وَمِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «**تَسْتَحْلِيهِمْ الْمَنَايَا**[1]**، وَتَنَفَّسُ عَلَيْهِمْ أُمَّتُهُمْ**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَكَيْفَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ، أَوْ عِنْدَ ذَلِكَ،؟ قَالَ: «**دَبًى**[2]**، يَأْكُلُ شِدَادُهُ ضِعَافَهُ، حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ**»، قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ: فَسَّرَهُ رَجُلٌ: هُوَ الْجَنَادِبُ الَّتِي لَمْ تَنْبُتْ أَجْنِحَتُهَا»[3].

۞ فشبَّههم النبى ﷺ بالجراد الذى يأكل القوى منه الضعيف.

---

(١) المنايا جمع منية، وهو الموت. والمعنى: أن الموت يراهم صيدًا حلوًا، فيهجم عليهم.

(٢) و«الدبى»: الجراد قبل أن يطير. و«الجنادب»: جمع جندب، وهو الجراد.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٥٣).

(٥٧) شرطة آخر الزمان الذين يجلدون الناس

۞ ومن علامات الساعة التى أخبر عنها الصَّادق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.. ظهور رجال يُوكَّل إليهم حفظ الأمن فى البلاد وردع الظالمين والمفسدين فإذا بهم يتحولون إلى الظلم الشديد فيظلمون العباد ويضربونهم بسياطٍ تشبه أذناب البقر.. وهؤلاء هم أعوان الحُكَّام الظَّلَمة.

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «يَكُونُ فِى هَذِهِ الْأُمَّةِ فِى آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ - أَو قال: يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ هَـذِهِ الْأُمَّةِ، فِى آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِى سَخَطِ اللهِ، وَيَرُوحُونَ فِى غَضَبِهِ»[١].

وفى رواية للطبرانى فى «الكبير»: «سَيَكُونُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ شرطَةٌ، يَغْدُونَ فِى غَضِبِ اللهِ، وَيَرُوحُونَ فِى سَخَطِ اللهِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ بطَانَتِهِمْ»[٢].

وقال ﷺ لأبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنْ طَالَتْ بِكُمْ مُدَّةٌ؛ أَوْشَكْتَ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَغْدُونَ فِى سَخَطِ اللهِ، وَيَرُوحُونَ فِى لَعْنَتِهِ، فِى أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ»[٣].

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الحديث من معجزات النبوَّة، فقد وقع ما أخبر به ﷺ، فأمَّا أصحاب السياط؛ فهم غِلمان والى الشرطة»[٤].

۞ وقد جاء الوعيد بالنَّار لهذا الصنف من أعوان الظالمين الذين يعذبون الناس بغير حق.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٨٩٣).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٦٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٧) كتاب الفتن.

(٤) «شرح النووى لمسلم» (١٧/ ١٩٠).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ...**»[(١)].

۞ وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذا الوعيد يكون فى حقِّ من استخدم وظيفته من أجل ظلم العباد وحرمانهم من حقوقهم .. أما من استخدم وظيفته فى الشرطة من أجل رفع الظلم عن المظلومين ومن أجل تفريج هم المهمومين وكرب المكروبين وحماية المواطنين واستعمل منصبه فى مرضاة الله (جل وعلا) فإنَّه لا يدخل تحت هذا الوعيد بل إنه يفوز بالأجر والثواب العظيم على قدر نُصرته للمظلومين وعلى قدر توفير الأمان على الناس من حوله.

۞ ومن أجل ذلك حذرنا النبى ﷺ من ظُلم العباد.

* فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم يخبر النبى ﷺ عن رب العزة -جل وعلا- أنه قال: «**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم مُحرمًا فلا تظالموا...**»[(٢)].

* ولما أرسل النبى ﷺ معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى اليمن أوصاه ببعض الوصايا الغالية وكان من بينها: «**... واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[(٣)].

* وفى «الصحيحين» أن النبى ﷺ قال: «**إن الله ليُملى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته**. ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٨) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾»(١)(٢).

* وفى «الصحيحين» أن النبى ﷺ قال: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه...»**(٣).

* وفى «الصحيحين» أن النبى ﷺ قال: **«من ظلم قيد شبرٍ من الأرض طُوِّق من سبع أرضين»**(٤).

* وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: **«لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها لأنه كان أول مَن سَنَّ القتل»**(٥).

* وأخبر النبى ﷺ أن الله ﷻ سيحكم بين الدواب فى تلك المظالم التى كانت بينها فى الدنيا... فما ظنكم بالمظالم التى بين العباد. قال ﷺ - كما روى مسلم -: **«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**(٦)... والجلحاء هى التى ليس لها قرن.

* ومن أجل ذلك أمرنا النبى ﷺ أن نتحلل من المظالم قبل أن نلقَى الله ﷻ فقال ﷺ: **«من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله**

---

(١) سورة هود: الآية (١٠٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٥٣) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٦١٢) كتاب المساقاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٧٧) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٢) كتاب البر والصلة والآداب.

منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه»[١].

* قال عمر بن عبد العزيز: «إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتى إليهم وبقاء ما يأتون إليك»[٢].

* وفى بعض المأثورات: «إذا كان يوم القيامة يجتمع الظلمة وأعوانهم ومن ألاق لهم دواة وبرى لهم قلمًا، فيُجعلون فى تابوتٍ ويُلقون فى جهنم»[٣].

* ويا لها من حسرة عندما يرى الظالم حسناته وهى تُوزَّع على كل من ظلمهم فقد قال ﷺ: **«أتدرون ما المفلس؟»** قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: **«إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طُرح فى النار»**[٤].

* وحسبنا أن نتأمل قول الحق -جل وعلا-: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[٥].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣١).

(٣) بصائر ذوى التمييز (٣/ ٥٤٣)، والكبائر للذهبى (ص:١١٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) سورة طه: الآية (١١١).

اتقوا دعوة المظلوم

* قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين»(١).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»(٢). فهى سريعة الوصول.

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب»(٣).

وقال ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه»(٤).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، والضياء، وصححه الألباني رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٧).

(٢) صحيح: رواه الحاكم عن ابن عمر، كما نص على ذلك العجلونى فى كشف الخفاء (١/ ٣٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٨).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو يعلى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٩).

(٤) حسن: رواه أحمد (٨٥٧٧)، والطيالسى فى مسنده (١/ ٣٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٨٢).

(٥٨) زخرفة البيوت وتزيينها

۞ كثرة الترف والإسراف والتباهى والتكبر أمور مذمومة ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1]، وفى آخر الزمان يتباهى الناس بالسَّتائر الثمينة المطرَّزة المجمّلة المعلقة على جدران بيوتهم.

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْنِىَ النَّاسُ بُيُوتًا يُوشُونَهَا وَشْىَ الْمَرَاحِيلِ»[2][3].

ومعنى الحديث: يخططونها ويزخرفونها كما تخطط وتزخرف الثياب.

ولا يعنى هذا حرمة وضع الستائر، أو تزيين البيوت، إنما المحرم هو الإسراف فى ذلك، وتبذير الأموال، والخيلاء والمفاخرة بهذا[4].

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٤١).

(٢) مراحيل: جمع مرحل وهو الثوب المُزيَّن المخطط. انظر «لسان العرب» (١١/ ٢٥٦).

(٣) حسن: رواه البخارى فى الأدب المفرد، وصححه الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة(٢٧٩).

(٤) نهاية العالم (ص ٩٦).

(٥٩) زخرفة المساجد والتباهي بها

۞ لا شكَّ أنَّ بناء المساجد من أعظم القُرَب التى يتقرب بها العبد إلى ربه ﷻ.

عن عثمان بن عفان ﷺ أنه قال عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله ﷺ: إنكم أكثرتُم، وإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من بنى مسجدًا يبتغى به وجه الله -، بنى الله له بيتًا فى الجنة**»(١).

وفى رواية: «**بنى الله له مثله فى الجنة**»(٢).

وعن أبى ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من بنى لله مسجدًا قدر مَفحص قطاةٍ؛ بنى الله له بيتًا فى الجنة**»(٣).

ورُوى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبى ﷺ قال: «**من بنى مسجدًا لا يريدُ به رياءً ولا سمعةً؛ بنى الله له بيتًا فى الجنة**»(٤).

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما يلحقُ المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علَّمه ونشره، أو ولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) صحيح: رواه البزار والطبرانى فى الصغير، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٦٩).
مفحص قطاةٍ: أى محل فحصها لتبيض - والفحص: الكشف والبحث.

(٤) حسن لغيره: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٧٤).

ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله، فى صحته وحياته، تلحقهُ من بعد موته»(١).

لكن النبى ﷺ يقصد صنفًا آخر لا يبنى المسجد لله وإنما يبنيه ويُزخرفه ويبالغ فى ذلك من أجل أن يتباهى أمام الناس.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِى الْمَسَاجِدِ**»(٢).

وفى رواية للنَّسَائِيِّ وابن خُزيمة عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَتَبَاهَى النَّاسُ فِى الْمَسَاجِدِ**»(٣).

قَالَ الْبُخَارِىُّ: قَالَ أَنَسٌ: «يَتَبَاهَوْنَ بِهَا ثُمَّ لاَ يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا» فالتباهي بها: العناية بزخرفتها، ... وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى»(٤).

۞ وهنا أقول لحضراتكم:

مما اختص الله تعالى به هذه الأمة أنه جعل لها الأرض مسجدًا وطهورًا، فحيثما أدركت أحدهم الصلاة أداها، ولكن مشروعية الجماعة لها تستلزم اتخاذ أمكنة يجتمعون بها، ينتظر بها متقدمهم متأخرهم، ولاختلاف الأجواء من حَرٍّ وبردٍ وشمسٍ ومطرٍ كان لابد من بناء هذه الأمكنة، لتقيهم الحر كما تقيهم البرد والمطر.

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه وابن خزيمة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٢١).

(٣) صحيح: رواه النسائي، وأبو داود، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٩٥).

(٤) إسناده صحيح: وصححه ابن حبان (١٦١٣) . وقول ابن عباس؛ عَلقَهُ البخارىَ فى «صحيحه»، وهو موقوف فى حكم المرفوع، وقد روى مرفوعـًا

والسنة فى هذه الأبنية القصد وعدم الغلو فقد بنى رسول الله ﷺ مسجده فى المدينة من اللبِن، وعمده من خشب النخل وسقفه مظلل بالجريد، ولما نُخرت فى خلافة أبى بكر ﷺ جدده بمثل ما كان مبنيًا به ثم نخرت فى خلافة عمر ﷺ فوسع المسجد ولم يغير ما بنى به سابقًا إن هو إلا اللبن والجريد رغم كثرة الفتوحات وسَعة الأموال الواردة إليه من الأمصار.

وليس معنى هذا أن يبقى البناء من اللبن والجريد فينهدم أو ينخر خشبه بين الحين والحين، فلقد نخر خشبه فى زمن عثمان ﷺ فبناه وجعل جدرانه من الحجارة المنقوشة والقصة وعمده من الحجارة وسقفه بالساج[1].

ولكن المنهى عنه هو زخرفة المساجد والتكلف ببنائها، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**ما أمرت بتشييد المساجد**»[2]، والمراد بالتشييد تجصيصها أو رفع البناء وتطويله... وروى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس موقوفًا قال: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى[3]، ومعنى الزخرفة الزينة، قال ابن الأثير: الزخرف النقوش والتصاوير بالذهب، والأصل فى معنى الزخرف الذهب[4]. فيكون المراد من قول ابن عباس النهى عن تمويه جدران المساجد بالذهب، والذى يظهر أن علة النهى شيئان:

---

(١) روى ذلك البخارى فى كتاب المساجد باب بنيان المسجد وأبو داود كتاب الصلاة باب فى بناء المساجد، واللبن: الطوب والآجر: النيىء: المصنوع من التراب، والساج: نوع من الخشب يؤتى به من الهند، والعمد: بفتحتين أو ضمتين جمع كثرة مفردها عمود.

(٢) سنن أبى داود مع شرحه عون المعبود (١/ ١٧٠).

(٣) فتح البارى (١/ ٥٣٩).

(٤) المعجم الوسيط (١/ ٣٩٢).

أولها: أن ذلك فتنة للناس ومشغلة لهم فى صلاتهم، كما قال عمر حين أمر ببناء مسجد: أَكِنَّ الناس من المطر وإياك أن تُحمِّر وتُصفِّر فتفتن الناس[١] أى فتحدث لهم ما يشغلهم فى صلاتهم عن الخشوع والمناجاة.

الثانى: أن الزخرفة سبب للمباهاة والمفاخرة وطلب السمعة والرياء، وهى التى أخبر النبى ﷺ أنها من علامات الساعة حيث قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد**»[٢] [٣].

۞ وعن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: «**إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم**»[٤].

وفى «الصحيحين» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبى ﷺ صلى فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال: «**اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم، وأتونى بأنبجانية أبى جهم فإنها ألهتنى آنفًا عن صلاتى**».

قال الحافظ: ويستنبط منه كراهية كل ما يشغل عن الصلاة من الأصباغ والنقوش ونحوها. اهـ.

قال النووى رَحِمَهُ اللَّهُ: وفى هذا الحديث كراهية تزويق محراب المسجد وحائطه، ونقشه وغير ذلك من الشاغلات، لأن النبى ﷺ جعل العلة فى إزالة الخميصة هذا المعنى. اهـ.

سُئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: عن المساجد هل يكره أن يكتب فى قبلتها

(١) شرح السنة للبغوى (٢/ ٣٤٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٤٩)، والنسائى (٦٨٩)، وابن ماجه (٧٣٩)، وأحمد (١١٩٧١)، وصححه الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٧٤٢١).

(٣) أحكام المساجد فى الإسلام/ د. محمود حسين الحريرى (ص: ٥١-٥٢).

(٤) السلسلة الصحيحة (١٣٥١).

بالصبغ نحو آية الكرسى وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوها؟

فقال: أكره أن يكتب فى القبلة أو فى المسجد بشىء من القرآن والتزاويق، وقال إن ذلك يشغل المصلى.اهـ(١).

۞ ولذا فإن زخرفة المساجد تكره لأن ذلك لم يكن من هدى النبى ﷺ وأصحابه ولأن النبى ﷺ نهى عن ذلك فقال ﷺ: «**إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم**»... وذلك أن تلك الزخارف تشغل المصلين.. ولأن الأموال التى تجمع لبناء المسجد لا ينبغى أن تنفق فى زخرفتها فهذا تضييع للأمانة لأن الزخرفة ليست مصلحة شرعية بل هى مكروهة على أقل الأحوال.

---

(١) نقلًا عن الحوادث والبدع للإمام أبى بكر الطرطوشى (٢٢٣).

(٦٠) اتخاذ المساجد طُرقًا

۞ نجد أحيانًا من يدخل ليسأل عن شيء أو ليبحث عن شخص أو ليمر من المسجد إلى الشارع المقابل إذا كان للمسجد بابان ولا يصلى ركعتين تحية المسجد.. وهذا من الأخطاء لأن المسلم ينبغي عليه إذا دخل المسجد أن يصلى ركعتين تحية المسجد أدبًا مع الله - جل وعلا -.

وقد نهى النبى ﷺ عن اتخاذ المساجد طرقًا فقال ﷺ: **«لا تتخذوا المساجد طُرقًا إلا لذكر أو صلاة»**(١).

بل وأخبر النبى ﷺ أن هذا من أشراط الساعة فقال ﷺ: **«إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد لا يصلى فيه ركعتين»**(٢).

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/ ٣١٤)، وحسنه الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٧٢١٥).

(٢) صحيح: رواه ابن خزيمة (١٣٢٦)، وصححه الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٦٤٩).

(٦١) شيوع الأمن والرخاء

۞ لقد كان المسلمون في زمن النبي ﷺ يعيشون زمانًا وهم ما بين ترقُّب للحروب والمعارك وما بين قتالٍ للأعداء فأخبرهم النبي ﷺ أنَّه في آخر الزمان سيكثر ويشيع الأمن والرخاء على البلدان.

قال ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا، وَحَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ، لا يَخَافُ إِلَّا ضَلَالَ الطَّرِيقِ**(١)**، وَحَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ**»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الْقَتْلُ**»(٢).

ويؤيده قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه: «**يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِم هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟**»(٣) قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «**فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ** -أي: المرأة- **تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ**»(٤).

وَعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ،**

---

(١) يعني: لا يخاف من قُطَّاع طريق ولا لصوص، وإنما يخاف أن يضل الطريق ويضيع فقط، أما على نفسه وماله فهو آمن...

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٧٠)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) مدينة في العراق على ثلاثة أميال من الكوفة.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٥٩٥).

وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١).

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦١٢).

(٦٢) اكتساب المال باللسان والتباهي بالكلام

۞ ليس عيبًا أن يكتسب المرء المال أو ينال الدنيا بالطرق المشروعة، ومن ذلك التكسُّب المشروع عن طريق البيان والكلام والحُجَّة، كما يفعل المحامى والمعلّم، وغيرهم، فَجُلُّ اعتمادهم على ذلك.

لكن المذموم أن يأكل الإنسان الدنيا بلسانه، إمَّا بكثرة المدح والثَّناء بالباطل لمن لا يستحقّه، أو بالحلف الكاذب فى البيع والشراء، أو الكذب .. وما شابه ذلك.

كَانَ لِعُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بن أبي وقاص إِلَى أَبِيهِ حَاجَةٌ، فَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَىْ حَاجَتِهِ كَلامًا مِمَّا يُحَدِّثُ النَّاسُ من البلاغة والسَّجع والثناء يَتَوصَّلُون بِه لقضاء حاجاتهم، لَمْ يَكُنْ سعد يَسْمَعُهُ من قبل، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: يا بُنَىَّ قَدْ فَرَغْتَ مِنْ كَلامِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَا كُنْتَ مِنْ حَاجَتِكَ أَبْعَدَ، وَلا كُنْتُ فِيكَ أَزْهَدَ مِنِّى مُنْذُ سَمِعْتُ كَلامَكَ هَذَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرَة مِنَ الأَرْضِ»[(١)].

وَعَن عبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ: أَنْ تُرْفَعَ الأَشْرَارُ، ويُوضَعَ الأَخْيَارُ، ويقبحَ القَوْلُ، ويحسن العَمَلُ، وتفرى[(٢)] فى القَوْمِ المساءة»، قيل: وما المساءة؟ قال: «مَا كُتِبَ سِوَى كِتَابِ اللهِ»[(٣)(٤)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٧٠).

(٢) أى: تنتشر.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٦١٢).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٢١).

(٦٣) مطرٌ لا تُكَنُّ منه بيوت المدر

۞ من علامات الساعة التى أخبر عنها النبى ﷺ، نزول مطر من السماء، لا تصمد أمامه بيوت الطين والحجر، وإنما تصمد أمامه الخيام المبنية من وبر الإبل.

فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمْطِرَ السَّمَاءُ مَطَرًا لا يُكَنُّ(١) مِنْهُ بُيُوتُ الْمَدَرِ، وَلا يُكَنُّ مِنْهُ إِلَّا بُيُوتُ الشَّعَرِ»(٢).

---

(١) أى: لا تقى منه.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٦٦).

(٦٤) مُجاوزة الحد في الدعاء والطهور

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ، إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَىْ بُنَىَّ سَلِ اللهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِى هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِى الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ**»(١).

۞ ولقد حدث هذا ورأيناه واضحًا جليًّا فمن الأئمة من يتجاوز الحدَّ فى الدعاء فتراه يرتل الدعاء مثل القرآن بل ويتغنى ويبالغ فى السجع ولا يلتزم بما ورد فى الأدعية الصحيحة من الكتاب والسنة.

۞ وتجد آخرين يجاوزن الحدَّ فى استعمال الماء ويُسرفون فى استعماله ... فى الوقت الذى يبحث فيه غيرهم عن قطرة ماءٍ يشربونها.

۞ فعلينا جميعًا أن نتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ففيهما النجاة كل النجاة فى الدنيا والآخرة.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٣٩٦).

(٦٥) صدق رؤيا المؤمن

الرؤى والأحلام فى المنام لها معانٍ وأحكام، منها ما هو صادق كفلق الصبح، ومنها ما هو كاذب، ومنها أضغاث أحلام وأحاديث نفس، وقد أخبر النبى ﷺ أخبارًا عن الرؤى تتعلق بأشراط الساعة وعلاماتها.

والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لا يَبْقَى بَعْدِى مِنَ النُّبُوَّةِ شَىْءٌ، إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الرَّجُلُ، أَوْ تُرَى لَهُ»(١).

وصِدْقُ الرؤيا وكونها بشارة للمؤمن هى علامة على قرب الساعة ونهاية العالم حيث تكون الرؤيا أكثر صدقًا ومطابقة للواقع والمؤمن أكثر صلاحًا وغربة بين الناس وكأن الرؤيا أنيس له لمَّا أصبح غريبًا بين الناس فقلما تكذب رؤياه.

قال ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ، لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ وَلْيَتْفُلْ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ، وَأُحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِى الدِّينِ»(٢)(٣).

هذا لفظ مسلم.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٨٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣).

(٣) نهاية العالم (ص ١١٥-١١٦).

ولفظ البخارى: « **لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، ... وَمَا كَانَ مِنَ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لاَ يَكْذِبُ** ».

قَالَ ابن أَبِى جَمْرَةَ: «مَعْنَى كَوْنِ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ فِى آخِرِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ تَكْذِبُ: أَنَّهَا تَقَعُ غَالِبًا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِى لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ، فَلَا يَدْخُلُهَا الْكَذِبُ؛ بِخِلَافِ مَا قَبْلَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهَا قَدْ يَخْفَى تَأْوِيلُهَا فَيُعَبِّرُهَا الْعَابِرُ، فَلَا تَقَعُ كَمَا قَالَ، فَيَصْدُقُ دُخُولُ الْكَذِبِ فِيهَا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ».

قَالَ: «وَالْحِكْمَةُ فِى اخْتِصَاصِ ذَلِكَ بِآخِرِ الزَّمَانِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ يَكُونُ غَرِيبًا؛ كَمَا فِى الْحَدِيثِ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا**»[(١)]، فَيَقِلُّ أَنِيسُ الْمُؤْمِنِ وَمُعِينُهُ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَيُكَرَّمُ بِالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ»[(٢)].

۞ وقد اختلف العلماء فى تحديد الزمن الذى يقع فيه صدق رؤيا المؤمن على أقوال[(٣)]:

الأول: أنَّ ذلكَ يقع إِذَا اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، وَقُبِضَ أَكْثَرُ الْعِلْمِ، وَدَرَسَتْ مَعَالِمُ الشريعة؛ بسبب الفِتن وَكَثْرَة القَتل، وأصبحَ النَّاسُ عَلَى مِثْلِ الْفَتْرَةِ، فَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى مُجَدِّدٍ وَمُذَكِّرٍ لِمَا دَرَسَ مِنَ الدِّينِ؛ كَمَا كَانَتِ الْأُمَمُ تُذَكَّرُ بِالْأَنْبِيَاءِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ آخِر الْأَنْبِيَاءِ، وتعذَّرت النُّبُوَّة فى هذه الأُمَّة؛ فَإِنَّهُمْ يُعوَّضُون بالمرائى الصَّادِقةِ، الَّتِى هِىَ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ الْآتِيَةِ بِالتَّبْشِيرِ وَالْإِنْذَارِ، وَيُؤَيِّدُ هذَا القول حديث أَبِى هُرَيْرَةَ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ**»[(٤)].... ورجح ابن حجر هذا القول.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٦) كتاب الإيمان.

(٢) «فتح البارى» (١٢/ ٤٠٦).

(٣) انظر: «فتح البارى» (١٢/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٢).

الثَّانى: أن ذلك يقع عند قلَّة عدد المؤمنين، وغَلَبة الكفر والجهل والفسق على الموجودين، فيؤنَس المؤمن، ويُعان بالرؤيا الصَّادقة؛ إكرامًا له وتسلية.

وهذا القول قريبٌ من قول ابن أبى جمرة السابق، وعلى هذين القولين لا يختصُّ صدق رؤيا المؤمن بزمانٍ معيَّن، بل كلما قرب فراغ الدنيا، وأخذ أمر الدين فى الاضمحلال؛ تكون رؤيا المؤمن الصادق صادقة.

الثالث: أن ذلك خاصٌّ بزمان عيسى ابن مريم عليه السلام؛ لأن أهل زمانه أحسن هذه الأمة حالًا بعد الصدر الأول، وأصدقهم أقوالًا، فكانت رؤياهم لا تُكَذَّب. والله أعلم[1].

---

(١) أشراط الساعة (١٨٨-١٩٠).

(٦٦) تشبب المشيخة

أى: أنه سيخضب بعض كبار السن شعرهم ولحاهم البيضاء باللون الأسود ليُظهروا للناس أنهم ما زالوا شبابًا.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِى آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ، كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ، لا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»[(١)].

والذى يظهر لى - والله أعلم - أن قوله: « **كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ** » تشبيهٌ لحال بعض المسلمين فى هذا العصر، فتجدهم يصنعون بلحاهم كهيئة حواصل الحمام، يحلقون عوارضهم، ويَدَعون ما على أذقانهم من الشعر، ثم يصبغونه بالسَّواد، فيغدو كحواصل الحمام.

قال ابن الجوزى: «اعلم أنه قد خضب جماعة من الصحابة والتابعين؛ منهم: الحسن، والحسين، وسعد بن أبى وقاص، وخلق كثير من التابعين، وإنما كرهه قومٌ لما فيه من التدليس، فأما أن يرقى إلى درجة التحريم إذا لم يدلِّس، فيجب فيه هذا الوعيد؛ فلم يقل به أحد»[(٢)].

وقال النووى: «يُحرم خضابه بالسواد على الأصح، وقيل: يُكرَه كراهية تنزيه، والمختار التحريم؛ لقوله ﷺ: «**واجتنبوا السواد**»[(٣)].

وقال ابن الجوزى: «يُحتمل أن يكون المعنى لا يريحون رائحة الجنة؛ لفعلٍ يصدُرُ منهم، أو اعتقاد، لا لعلَّة الخضاب، ويكون الخضاب سيماهم؛

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٥٣).

(٢) الموضوعات (٣/ ٥٥).

(٣) شرح مسلم (١٤/ ٨٠).

كما قال فى الخوارج سيماهم التحليق، وإن كان تحليق الشعر ليس بحرام»[١].

قلت: قد نهى النبى ﷺ عن صبغ شعر الرأس واللحية بالسواد.

ففى «الصحيح» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: أُتِىَ بِأَبِى قُحَافَةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ[٢] بَيَاضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غَيِّرُوا هَذَا بِشَىْءٍ، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ**»[٣].

---

(١) الموضوعات (٣/ ٥٥).

(٢) الثغامة: نبات شديد البياض زهره وثمره، وقيل: هى شجرة تبيّض كأنها الثلج.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٠٢).

(٦٧) كثرة المطر وقلة النبات

۞ كثير من الناس فى هذا الزمان يشتكون من أن المطر لا ينزل وإذا نزل المطر فإنَّ الزرع لا ينبت ولو نبت فإنه لا يكون مثلما كان من قبل .. ولا شكَّ أنَّ هذا بسبب ذهاب البركة.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمْطِرَ السَّمَاءُ مَطَرًا لا تُكَنُّ مِنْهُ بُيُوتُ الْمَدَرِ** -أى: بيوت الطين المتماسك اليابس-، **وَلا تُكَنُّ مِنْهُ إِلَّا بُيُوتُ الشَّعَرِ**»[(١)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا عَامًّا، وَلا تَنْبُتَ الْأَرْضُ شَيْئًا**»[(٢)].

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَتِ السَّنَةُ** -أى: القحط- **بِأَنْ لا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا**»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٢٦٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد فى «مسنده» (٣/ ١٤٠)، وأبو يعلى (٤٣٤٠)، وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٢٧٧٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٤) كتاب الفتن.

(٦٨) زوال الجبال من أماكنها

عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَتَرَوْنَ الْأُمُورَ الْعِظَامَ الَّتِي لَمْ تَكُونُوا تَرَوْنَهَا**»[1].

خلق الله عز وجل الجبال ثابتة وهى رواسى للأرض، وقد أخبر النبى ﷺ أن من علامات الساعة زوال الجبال من أماكنها، فإمَّا أن يكون هذا زوالًا حقيقيًّا بخسفٍ أو صواعق، أو زوالًا بفعل الناس، من كثرة البناء، وتسوية الجبال، كما يقع ذلك اليوم فى عدد من البلدان بالأرض.

أو يكون بتهدُّم الجبال، وكثرة الانهيارات الصخرية، كما وقع ذلك مرارًا[2].

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٠٦١).

(٢) نهاية العالم (ص ١٦٣).

(٦٩) انقراض أصحاب الرسول ﷺ

۞ أصحاب رسول الله ﷺ هم خير هذه الأمة بعد نبينا ﷺ.

عن أبى موسى أنَّ النبى ﷺ قال: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِى؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِى مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[١].

۞ ففى هذا الحديث: قرن ذهاب الصحابة رضي الله عنهم بذهاب أمارتين للساعة، ذهاب النجوم، ونزول الشُّهب، وموت الرسول ﷺ.

۞ أنه ثبت فى الأحاديث أنه يذهب الصالحون الأول فالأول فتقوم الساعة على شرار الخلق[٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٣١).

(٢) نهاية العالم (ص ٤١).

(٧٠) فناء قبيلة قريش

۞ قبيلة قريش من القبائل العربية، وهم بنى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقريش لقب غلب على بنيه أخذًا من التقارش، وهو التجارة؛ لأنهم كانوا تُجارًا.

وقريش عدة بطون، وهم: بنو الحارث بن فهر، وبنو جذيمة، وبنو عائذة، وبنو لؤى بن غالب، وبنو عامر بن لؤى، وبنو عدى بن كعب بن لؤى، وبنو مخزوم، وبنو تميم بن مرة، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو عبد الدار، وبنو نوفل، وبنو عبد المطلب، وبنو أمية، وبنو هاشم، وغيرهم.

ثم تفرق قريش هؤلاء بعد الإسلام أفخاذًا كثيرة: كالبكريين، والعمريين، والعثمانيين، والعلويين، وغيرهم.

وأصل مسكنهم الجزيرة العربية وقد تفرقت وملأت الأقطار وانتشرت فى البلدان.

وقد أخبر النبى ﷺ أنهم يتناقصون حتى تفنى القبيلة أو تكاد[١].

فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَسْرَعُ قَبَائِلِ الْعَرْبِ فَنَاءً قُرَيْشٌ يُوشِكُ أَنْ تَمُرَّ الْمَرْأَةُ بِالنَّعْلِ فَتَقُولَ: هَذَا نَعْلُ قُرَشِيٍّ**»[٢].

ويشهد لهذا قوله ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمَّتِى بِى لَحَاقًا**»[٣].

---

(١) نهاية العالم (ص ١٧٤-١٧٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو يعلى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٦٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٥٣).

(٧١) (٧٢) (٧٣) فتنة الأحلاس وفتنة السرَّاء وفتنة الدهيماء

ومن بين علامات الساعة الصُّغرى أنَّ النبى ﷺ أخبر أنه لن تقوم الساعة حتى يسبقها فتنٌ ثلاث.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِى ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «**هِىَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَىْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّى، وَلَيْسَ مِنِّى، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِى الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِى كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ، مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ مِنْ غَدِهِ**»[١].

۞ و الْأَحْلَاسُ»: جمع حِلْس، وهو الكساء الذى فوق ظهر البعير تحت الرَّحل الخشبى، وهذا الكساء ملازم للبعير دومًا فهى فتنة ملازمة للناس، لا تكاد تفارقهم، وهى سوداء مظلمة مثل الحِلْس.

«هَرَب»: بفتحتين، أى: يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة.

«وحرب»: نهب مال الإنسان وأهله، وتركه لا شىء له.

۞ «**ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ**»: أى النعماء التى تسر الناس من الصِّحَّة والرَّخاء

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٧٢).

والعافية؛ فيُفتن بعض الناس ويتمادى فى العصيان.

« **دَخَنُهَا** »: يعنى ظهورها وإثارتها، شبَّهها بالدخان المرتفع من النار، إذا أُلقى عليها حطبٌ رطِبٌ فكثُر دخانها.

« **مِنْ تَحْتِ قَدَمَىْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى** »: أى: من آل بيت النبى ﷺ، تنبيه على أنه هو الذى يسعى فى إثارتها أو أنه يملك أمرها.

« **يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّى**»: أى: هو منى فى النسب، لكنه ليس منى فى فعله الشنيع، فأنا برىء من فعله، وإن كان من أهل بيتى، وهو ليس من أوليائى، إنما أوليائى المتقون، وهذا الرجل هو الباعث على إقامة تلك الفتنة.

« **وَلَيْسَ مِنِّى**»: أى ليس من أخلائى لأنه يهيج الفتنة، ومثل ذلك قوله ﷻ لنوح لما قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾(١)، فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾(٢).

«**ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ** »: أى: يجتمعون على بيعة رجل.

« **كَوَرِكٍ**»: الورك هو ما فوق الفخذ.

« **عَلَى ضِلَعٍ**»: وهو مفرد ضلوع وأضلاع، والضلع هو عظم الصدر.

والمعنى: أن شأن الناس مع هذا الرجل لا يستقر؛ لأن الورك ثقيل. والضلع (عظم الصدر) صغير ضعيف، فيكون الناس قد اصطلحوا بعد اختلافهم على رجل غير خليق للملك، قليل العلم خفيف الرأى، لا يقوم به نظام، ولا استقامة أمور.

۞ «**فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ**»: أى: الفتنة السوداء العظماء والطامة العمياء.

---

(١) سورة هود: الآية (٤٥).

(٢) سورة هود: الآية (٤٦).

«إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً»: أي: لا تترك أحد من الناس إلا أصابته بمحنة أو بلاء... واللَّطم هو الضرب على الوجه، والمعنى: أن أثر فتنة الدهيماء يَعُمّ كل الناس.

« فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ»: أي: إذا توهَّم الناس أن تلك الفتنة انتهت.

« تَمَادَتْ »: أي: زادت وتمددت.

« يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا»: أي: يصبح محرمًا لدم أخيه غير مُعتدٍ على عرضه وماله، ويمسى مستحلًّا لذلك معتديًا عليه، وقد تقدم شرح ذلك مفصَّلًا.

« إِلَى فُسْطَاطَيْنِ»: أي: فرقتين، وقيل: مدينتين، والفسطاط: الخيمة.

« فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ»: أي: إيمان خالص صافٍ.

« وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ»: أي: فيه أعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد وأمثال ذلك.

«فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ »: أي: ظهوره.

وهذه الفتن لم تظهر بعد والله أعلم، ونسأل الله أن يكفينا شرَّها[1].

---

(١) نهاية العالم (ص ١٤٤-١٤٦).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٧٤) إخراج الأرض كنوزها

فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تَقِيءُ[١] الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»[٢].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَعْنَى الْحَدِيثِ التَّشْبِيهُ ... أَيْ: تُخْرِجُ مَا فِي جَوْفِهَا مِنَ الْقِطَعِ الْمَدْفُونَةِ فِيهَا وَالْأُسْطُوَانُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالطَّاءِ وَهُوَ جَمْعُ أُسْطُوَانَةٍ وَهِيَ السَّارِيَةُ وَالْعَمُودُ وَشَبَّهَهُ بالأسطوان لعظمه وكثرته»[٣]. اهـ.

۞ وهذه آية من آيات الله، حيث يأمر الحقُّ الأرض أن تُخرج كنوزها المخبوءة في جوفها، وقد سمَّى الرسول ﷺ تلك الكنوز (بأفلاذ الكبد)، وأصل الفلذ «القطعة من كبد البعير، وقال غيره: هي القطعة من اللحم، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: التَّشْبِيهُ، أَيْ: تُخْرِجُ مَا فِي جَوْفِهَا مِنَ الْقِطَعِ الْمَدْفُونَةِ فِيهَا، وَالْأُسْطُوَانُ جَمْعُ أُسْطُوَانَةٍ، وَهِيَ السَّارِيَةُ وَالْعَمُودُ، وَشَبَّهَهُ بالأسطوان لعظمته وكثرته»[٤].

۞ ولعلنا نلاحظ أن المال يكثر وأنَّ بعض الناس أصبحوا يمتلكون الملايين بل والمليارات .... وسيأتي زمان لا يجد فيه الرجل من يقبل منه

---

(١) أي: تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠١٣).

(٣) شرح النووي على مسلم (٣/ ٤٥٤).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٩٨).

صدقته فسوف يزهد الناس فى ذلك المال .. وهذا إنما يكون قُرب قيام الساعة.

❁ ولذا ذكر النبى ﷺ أنَّه عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام:

«... وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٧٥)(٧٦)(٧٧)(٧٨)
تكليم السباع والجمادات للإنس - تكلُّم طرف السوط - تكلُّم شراك النعل - إخبار فخذ الرجل بأخبار أهله

ولقد أخبر النبى ﷺ أنَّ من علامات الساعة أن تُكلم السباع والجمادات الإنسان وأن يتكلم طرف السوط وأن يتكلم شِراك النعل، وأن يخبر فخذ الرجل بأخبار أهله.

فَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: **«وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ»**[١].

أما عن كلام السِّباع فقد حدث زمن النبى ﷺ:

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَيْنَا أَعْرَابِىٌّ فِى بَعْضِ نَوَاحِى الْمَدِينَةِ فِى غَنَمٍ لَهُ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ، فَأَخَذَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، فَأَدْرَكَهُ الْأَعْرَابِىُّ، فَاسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ وَهَجْهَجَهُ، فَعَانَدَهُ الذِّئْبُ يَمْشِى، ثُمَّ أَقْعَى مُسْتَذْفِرًا بِذَنَبِهِ يُخَاطِبُهُ، فَقَالَ: أَخَذْتَ رِزْقًا رَزَقَنِيهِ اللهُ، قَالَ: وَاعَجَبًا مِنْ ذِئْبٍ مُقْعٍ مُسْتَذْفِرٍ بِذَنَبِهِ، يُخَاطِبُنِى فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّكَ لَتَتْرُكُ أَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: وَمَا أَعْجَبُ

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٢٢).
«حتى تكلم السباع»: أى: سباع الوحش كالأسد والذئب وكل حيوان مفترس.
«الإنس»: الإنس عمومًا سواء كان مؤمنًا أو كافرًا.
«عذبة سوطه»: أى: طرف سوطه، والسوط: هو الذى يُجْلَد به.
«شراك نعله»: أحد سيور النعل التى يربط بها الحذاء.

مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّخْلَتَيْنِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُحَدِّثُ النَّاسَ عَنْ نَبَإٍ مَا قَدْ سَبَقَ، وَمَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَنَعَقَ الأَعْرَابِيُّ بِغَنَمِهِ حَتَّى أَلْجَأَهَا إِلَى بَعْضِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**أَيْنَ الأَعْرَابِيُّ صَاحِبُ الْغَنَمِ؟**» فَقَامَ الأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَدِّثِ النَّاسَ بِمَا سَمِعْتَ وَمَا رَأَيْتَ**»، فَحَدَّثَ الأَعْرَابِيُّ النَّاسَ بِمَا رَأَى مِنَ الذِّئْبِ وَسَمِعَ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**صَدَقَ، آيَاتٌ تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَهْلِهِ، فَتُخْبِرُهُ نَعْلُهُ أَوْ سَوْطُهُ أَوْ عَصَاهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ**»(١).

۞ وكذلك كلام البقر قد وقع:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَهُ، قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقَرَةُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ**» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ - تَعَجُّبًا وَفَزَعًا - أَبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ**»(٢).

۞ وقد ذكر بعض أهل العلم أن المقصود بتكلُّم طرف السوط وشراك النعل والفخذ .. ما تم اختراعه في عصرنا هذا من وسائل الاتصال الحديثة والهواتف المحمولة وأجهزة التصنُّت التي تنقل أدق التفاصيل عن حياة أي إنسان على وجه الأرض.

وقيل: إن ذلك على ظاهره .. وأنَّها بالفعل علامات على ظاهرها، وذلك بأن يتكلم السوط وشراك النعل وينطق الفخذ ويخبر صاحبه بما

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٨٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٢٤) كتاب المزارعة، ومسلم (٢٣٨٨) كتاب فضائل الصحابة.

أحدث أهله بعده .. والله أعلم.

وقد يكون هذا الذي يخبر عنه الرسول ﷺ شيئًا خارقًا للعادة خارجًا عن المألوف، كما تشهد على الإنسان أعضاؤه يوم القيامة: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1]، ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[2].

أو هو إخبار عما يصل إليه البشر من علوم ومخترعات، يستطيعون بها فقه لغة الحيوان، ويُنطقون بها الجماد كما هو الحال في المخترعات الجديدة (الراديو) و(التلفاز)[3].... والله أعلم.

---

(١) سورة يس: الآية: (٦٥).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٢١).

(٣) القيامة الصغرى (ص ٢٠٥).



(٧٩) (٨٠) (٨١) ظهور المسخ[١] والخسف[٢] والقذف[٣]

۞ يقع فى هذه الأمة من أنواع البلاء الخسف والقذف والمسخ بسبب تعاطيها للذنوب والمعاصى واستعلان ذلك فيها، كشرب الخمر ولبس الرجال الحرير، وتعاطى الزنا، وأكل الربا، ونحو ذلك من الفساد الذى يصل درجة استحلال الحرام[٤].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «**يَكُونُ فِى آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا ظَهَرَ الخبثُ**»[٥].

وقد جاء الوعيد للعُصاة من أهل المعازف وشاربى الخمور بالخسف والمسخ والقذف.

روى الترمذىُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فِى هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: إِذَا ظَهَرَتْ الْقِيَانُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ**»[٦].

---

(١) هو قلب الخلقة من شىء إلى شىء، مثل ما عاقب الله ﷻ فريقًا من بنى إسرائيل فمسخهم قردة وخنازير كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف:١٦٦]، وقال: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠].

(٢) انشقاق الأرض، وابتلاعها ما فوقها، وسيأتى فى العلامات الكبرى صورة الخسف.

(٣) الرمى بحجارة من السماء، كما وقع لقوم شعيب لما عاقبهم الله ﷻ بحجارة نزلت من السماء، وعاقب أبرهة وقومه لما جاؤوا لهدم الكعبة فرماهم بحجارة من سجيل.

(٤) القيامة الصغرى (ص ٩٤).

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٥٦).

(٦) صحيح: رواه الترمذى (٢٢١٢) كتاب الفتن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٧٣).

وروى ابن ماجه عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ، وَالْمُغَنِّيَاتِ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ**»[١].

۞ وقد جاء الخبر أنَّ الزَّنادقَة والقدرِيَّة يقع عليهم المسخ والقذف.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي مَسْخٌ وَخَسْفٌ وَهُمَا فِي الزَّنْدَقِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ**»[٢].

ومن الخسوف الكبيرة التى تكون قرب قيام الساعة، الخسف بجيش كامل فى آخر الزمان، كما فى الحديث الذى يرويه أحمد والحميدى عن بقيرة امرأة القعقاع بن أبى حدرد الأسلمى، قالت: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «**يا هؤلاء، إذا سمعتم بجيشٍ قد خُسف به قريبًا، فقد أظلت الساعة**»[٣].

ولعل هذا الجيش الذى يُخسف به قرب المدينة، ويدل على هذا قوله: «**قريبًا**».

والخسف قد وُجِد فى مواضع فى الشرق والغرب[٤] قبل عصرنا هذا، ووقع فى هذا الزمن كثيرٌ من الخُسوفات فى أماكن متفرقة من الأرض، وهى

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٤٥٤).

(٢) رواه أحمد (٦٢٠٨)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) حسن: رواه أحمد، والطبرانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٨)، والسلسلة الصحيحة (١٣٥٥).

(٤) انظر: «التذكرة» (ص ٦٥٤)، و«فتح البارى» (١٣/ ٨٤)، و«الإشاعة» (ص ٤٩-٥٢)، و«عون المعبود» (١١/ ٤٢٩).

نذيرٌ بين يدى عذابٍ شديد، وتخويفٌ من الله لعباده، وعقوبةٌ لأهل البدع والمعاصى؛ كى يعتبر الناس، ويرجعوا إلى ربِّهم، ويعلموا أن الساعة قد أزفت، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

وقد أخبرنا الرسول ﷺ ببعض المواضع التى يقع فيها الخسف والقذف والمسخ، ... ففى سنن أبى داود بإسناد صحيح عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أنس، إن الناس يُمصرون أمصارًا. فإن مصرًا يقال له: البصرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها، فإياك وسباخها وكلأها ونخيلها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير**»[1].

والمسخ يكون حقيقيًا، ويكون معنويًا:

فقد فسَّر الحافظ ابن كثير رحمه الله (المسخ) فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[2] بأنه مسخٌ حقيقىٌّ، وليس مسخًا معنويًا فقط، وهذا القول هو الرَّاجح، وهو ما ذهب إليه ابن عباس وغيره من أئمة التفسير.

وذهب مجاهدٌ وأبو العالية وقتادة إلى أنَّ المسخ كان معنويًّا، وأنه كان لقلوبهم، ولم يُمْسَخوا قردةً[3].

ونقل ابن حجر عن ابن العربى القولين، ورجَّح الأول[4].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٥٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٦٥).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٥٠-١٥٣).

(٤) انظر: «فتح البارى» (١٠/ ٥٦).

وإذا كان المسخ يُحتمل أن يكون معنويًّا؛ فإنَّ كثيرًا من المستحلِّين للمعاصى قد مُسِخَتْ قُلوبُهم، فأصبحوا لا يفرِّقون بين الحلال والحرام، ولا بين المعروف والمنكر؛ مثلهم فى ذلك كمثل القردة والخنازير.

نسأل الله العافية والسلامة، وسيقع ما أخبر به ﷺ من المسخ، سواء أكان معنويًّا أو صوريًّا(١).

---

(١) بتصرف من أشراط الساعة.

(٨٢) خروج القحطاني

❁ فمن علامات الساعة الصغرى: خروج القحطانى.

فإنه فى آخر الزَّمان يخرج رجل من قحطان تدين له الناس بالطاعة وتجتمع عليه وذلك عند تغيُّر الزمان.

فهو رجلٌ صالح يحكم بالعدل ويحنو على أهل الطاعة ولكنه فى نفس الوقت يقسو على أهل المعصية.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**»[١].

قال القرطبى: «وقوله: «**يسوق الناس بعصاه**». كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ولم يُرِد نفس العصا، وإنما ضرب بها مثلًا لطاعتهم له واستيلائه عليهم»[٢].

ولما حدَّث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ بأنَّه سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِى أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِى كِتَابِ اللهِ، وَلاَ تُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِىَّ الَّتِى تُضِلُّ أَهْلَهَا، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِى قُرَيْشٍ لاَ يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ، إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ**». رواه البخارى[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٧) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩١٠) كتاب الفتن.

(٢) «التذكرة» (ص/ ٦٣٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧١٣٩) كتاب الفتن.

وإنَّما أنكر معاوية خشية أن يظنَّ أحدٌ أنَّ الخلافة تجوز فى غير قريش، مع أن معاوية رضي الله عنه لم ينكر خروج القحطانى؛ فإن فى حديث معاوية قوله: «**مَا أَقَامُوا الدِّينَ**»، فإذا لم يُقيموا الدِّين؛ خرج الأمر من أيديهم، وقد حصل هذا؛ فإنَّ الناس لم يزالوا فى طاعة قريش إلى أن ضعف تمسُّكُهم بالدين، فضعف أمرهم، وتلاشى، وانتقل الملك إلى غيرهم[(١)].

وهذا القحطانى ليس هو الجهجاه[(٢)]؛ فإنَّ القحطانى من الأحرار؛ لأنَّه نَسَبه إلى قحطان الذى تنتهى أنساب أهل اليمن من حِمْيَر وكِندة وهَمَدان وغيرهم إليه[(٣)]، وأما الجهجاه؛ فهو من الموالى.

ويؤيِّد ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاهُ**»[(٤)(٥)].

---

(١) انظر: «فتح البارى» (١٣/ ١١٥).

(٢) خلافًا للقرطبى؛ فإنه قال فى «التذكرة» (ص ٦٣٦): «ولعل هذا الرجل القحطانى هو الرجل الذى يُقال له الجهجاه».

(٣) انظر: «فتح البارى» (٦/ ٥٤٥ و١٣/ ٧٨).

(٤) «مسند أحمد» (١٦/ ١٥٦) (ح٨٣٤٦)، شرح وتعليق أحمد شاكر، وقال: «إسناده صحيح، والحديث فى صحيح مسلم (١٨/ ٣٦) بدون لفظة: «**من الموالى**».

(٥) أشراط الساعة (ص ٢١٨-٢٢٠).

(٨٣) محاصرة المسلمين في المدينة

من أشراط الساعة أن يُهزَم المسلمون، وينحسر ظِلُّهم، ويحيط بهم أعداؤهم ويحاصرونهم فى المدينة المنورة.

۞ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوشِكُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُحَاصَرُوا بِالْمَدِينَةِ، حَتَّى يَكُونَ أَبْعَدَ مَسَالِحِهِمْ سَلَاحُ**»(١).

والمسالح، جمع مَسْلَحة، وهى الثغر، والمراد أبعد مواضع المخافة من العدو.

وسَلَاح، موضع قريبٌ من خيبر(٢).

۞ وهذا إنما يكون فى زمن من الأزمنة .. ولا يدوم ذلك الحال؛ لأنَّ النبى ﷺ قد ذكر فى أحاديث كثيرة أنَّ الإسلام سيكون غالبًا وأن النُّصرة ستكون لأهل الإيمان والتَّوحيد.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٨١).

(٢) سنن أبى داود (٤٢٥١).

(٨٤) كثرة الروم وقلة العرب

نحن نعلم أن الرُّوم هم الذين يُطلَق عليه اليوم اسم الأوربيين والأمريكان.. وكان سبب تسميتهم بذلك أنهم يُنسبون إلى الأصفر بن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، ولهذا يُطلَق عليهم بنو الأصفر(١).

۞ عَن الْمُسْتَوْرِدِ الْقُرَشِيِّ، أَنَّه قَالَ لعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**» فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: أَبْصِرْ مَا تقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا:

إِنَّهُمْ: لأَسْرَع النَّاس كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ(٢).

وإِنَّهُمْ: لَخَيْرُ النَّاس لِمِسْكِينٍ وَفَقِيرٍ وَضَعِيفٍ.

وإِنَّهُمْ: لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ.

والرَّابِعَة: حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وإِنَّهُمْ لأَمْنَعُ الناس مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ(٣).

۞ وَعَنْ أُمِّ شَرِيكٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِى الْجِبَالِ**، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **هُمْ قَلِيلٌ**»(٤).

وقد يقال: إن معنى «**الرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**» إشارة إلى انتشار اللسان

---

(١) التذكرة للقرطبى (٢/ ٦٨٩).

(٢) الأصل أن الكَرَّة هى الإقبال فى القتال، والفَرَّة هى الفرار، والمعنى هنا: أنهم إذا هُزموا أو أصابتهم كارثة سارعوا إلى تحسين أوضاعهم، وحل مشكلاتهم.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٥).

الأوروبى (الإنجليزى) وبداية هجر العربية،... قال بعض أهل العلم: «العربى من تكلم العربية، والأعرابى من سكن البادية وإن كان أعجميًّا».

(٨٥) قتال الروم (الملحمة الكبرى)

لقد أخبر النبى ﷺ أنَّ من علامات الساعة أن يكثر الروم، وأن تكون هناك هدنة بينهم وبين المُسلمين ثم تكون بعد ذلك الملحمة الكبرى .. وهى أكبر حرب ستدور بين المسلمين والروم وستكون النُّصرة للمسلمين بفضل الله ﷻ القائل فى كتابه العزيز: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[١]، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[٢].

قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِىُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ سَمِعَتِ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**» فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٣].

وجاء فى حديث عوف بن مالك الأشجعى رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ:** ...-فذكر منها:- **ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِى الأَصْفَرِ**[٤]**، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً**[٥]**، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**»[٦].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ... فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، أَعُدُّهُنَّ فِى يَدِى، قَالَ: «**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ**

(١) سورة الحج: الآية: (٤٠).

(٢) سورة محمد: الآية: (٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٨).

(٤) بنو الأصفر: هم الروم. انظر: «فتح البارى» (٦/ ٦٧٨).

(٥) (غاية): أى: راية. وسُميت بذلك؛ لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف. انظر: «النهاية فى غريب الحديث (٣/ ٤٠٤)، و«فتح البارى» (٦/ ٦٧٨).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٣١٧٦).

فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ».

قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ[١].

۞ ومن هنا نعلم أن تلك الملحمة ستكون قبل فتح القسطنطينية فإذا فتح المسلمون القسطنطينية ظهر الدجّال.

فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«عِمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»**[٢].

۞ وها هو النبى ﷺ يخبر بتلك الملحمة الكبرى فيقول:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ[٣] أَوْ بِدَابِقٍ[٤]** - وهى مدينة قريبة من دمشق - **فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا لِلْقِتَالِ، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِى أَهْلِيكُمْ** - أى: الدَّجَّال - **فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٠) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٩٦).

(٣) وهى كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية (معجم البلدان رقم ٨٠٣).

(٤) وهى قرية قرب حلب (معجم البلدان رقم ٤٥٤٠).

جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[1].

۞ وهنا أُريد أن أقف وقفة مع قول الروم للمسلمين:

«خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا»... فهذا دليل على أنَّ كثيرًا من النَّصارى فى الغرب (أوربا وأمريكا) سيُسلمون ويدخلون فى دين الله (جلَّ وعلا) ... فيريد الروم أن ينتقموا من هؤلاء الذين أسلموا فيرفض المسلمون ويقولون: «لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا»... فإنهم (الروم) بعد إسلامهم صاروا إخوانًا لنا يجب علينا أن ندافع عنهم وأن نحميهم.

۞ ثم جاء وصف تلك الملحمة وصفًا فى غاية الدِّقَّة.

عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى[2] إِلَّا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ - وهى التى تقدم للقتال- لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٧) كتاب الفتن.

(٢) أى: دأبه وشأنه، قاله القاضى عياض فى «إكمال المعلم» (٨/ ٤٣٧).

اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ -أي: تقدم-، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ -أي: الدائرة عليهم-، فَيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ - مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»**[1].

۞ ولقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث عشرة فوارس يرسلهم المسلمون من أجل أن يستوثقوا من خبر ظهور المسيح الدجال ... وإذا بالحبيب ﷺ يقول:

«إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ - مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»[2].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٩) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٩) كتاب الفتن.

۞ وَعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُسْطَاطُ[١] الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ فِى أرض بِالْغُوطَةِ[٢] فِى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّام»[٣].

قَالَ ابنُ الْمُنِير: «أما قصَّة الرّوم؛ فَلم تَجْتَمِع إِلَى الآنَ، وَلاَ بَلَغَنَا أَنَّهُمْ غَزَوْا فِى الْبَرِّ فِى هَذَا الْعَدَدِ، فَهِىَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِى لَمْ تَقَعْ بَعْدُ، وَفِيهِ بِشَارَةٌ وَنِذَارَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ، مَعَ كَثْرَةِ ذَلِكَ الْجَيْشِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَدَدَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ سَيَكُونُ أَضْعَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ»[٤].

---

(١) (الفسطاط): بضم الفاء وكسرها: المدينة التى فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط.
انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٣/ ٤٤٥).

(٢) (الغوطة): بضم الغين ثم واو ساكنة وطاء مهملة: من الغائط، وهو المطمئن من الأرض، وهى موضع بالشام تحيط بها جبال عالية وبها أنهار وأشجار متصلة، وفيها تقع مدينة دمشق.
انظر: معجم البلدان» (٤/ ٢١٩).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٦).

(٤) «فتح البارى» (٦/ ٢٧٨).

(٨٦) فتح القسطنطينية[1]

ومن علامات الساعة التى ذكرها النبى ﷺ: فتح القسطنطينية، ويكون ذلك بعد الملحمة الكبرى مباشرة وقبل خروج الدجَّال.

۞ فبعد أن ينتصر المسلمون على الروم فى الملحمة الكبرى فإنهم يتوجهون مباشرة لفتح مدينة القسطنطينية .. فإذا فتحوها (بإذن الله) سمعوا بخروج الدَّجَّال.

۞ والقسطنطينية كما قلت هى اسطنبول عاصمة تركيا وكانت هذه الدولة هى عاصمة الخلافة الإسلامية حتى جاء عدو الله (كمال أتاتورك) فقضى على الخلافة الإسلامية، وحارب كل من يُظهر أى شعيرة من شعائر الإسلام بل قالها بصراحة: لقد آن وقت إلغاء الخلافة، وتُلغَى معها وزارة الشرعية ووزارة الأوقاف ولن ندع هناك مدرسة دينية ... ثم فرض العلمانية على تركيا.

ومنذ تلك اللحظة والأمة تعيش حياة الذل والهوان بعد أن نُحيت الشريعة الإسلامية واستُبدلت بهذا القانون الوضعى .. ومنذ ذلك اليوم والعلمانيون لا يريدون شرع الله أبدًا.

۞ ومع ذلك يأتى الأمل بأن يخبر النبى ﷺ بأن القسطنطينية ستُفتح

---

(١) مدينة الروم، ويقال لها: قسطنطينية، وهى معروفة الآن بـ(اسطنبول) أو (استنبول)، من مدن تركيا، وكانت تُعرف قديمًا باسم (بيزنطة)، ثم لما ملك قسطنطين الأكبر ملك الروم بنى عليها سورًا، وسمَّاها قسطنطينية، وجعلها عاصمة مُلكه، ولها خليج من جهة البحر يطيف بها من وجهين مما يلى الشرق والشمال، وجانباها الغربى والجنوبى فى البر.

انظر: معجم البلدان» (٤/ ٣٤٧-٣٤٨) لياقوت الحموى.

ولكن ستَعجب أيها القارئ العزيز حينما تعلم أن القسطنطينية لن تُفتح بسلاحٍ ولا بسيفٍ ولا برمحٍ ولا بسهمٍ وإنما ستُفتح بكلمة: «لا إله إلا الله، والله أكبر» ... فهذا هو سلاحهم فى ذلك الوقت: التهليل والتكبير.

وفتح القسطنطينية بدون قتال لم يقع إلى الآن، وقد روى الترمذى عن أنس بن مالك أنه قال: «فتح القسطنطينية مع قيام الساعة»(١).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ، قَالَ: «**سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِى الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِى الْبَحْرِ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِى إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا الَّذِى فِى الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَىْءٍ وَيَرْجِعُونَ**»(٢).

قال أحمد شاكر: «فتح القسطنطينية المبشَّر به فى الحديث سيكون فى

---

(١) قال الترمذى: «قال محمود - أى: ابن غيلان شيخ الترمذى-: «هذا حديث غريبٌ، والقسطنطينية هى مدينة الروم، تُفْتَح عند خروج الدَّجَّال، والقسطنطينية قد فُتِحت فى زمان بعض أصحاب النبى ﷺ» [جامع الترمذى (٦/ ٤٩٨)].

* والصحيح: أن القسطنطينية لم تُفتح فى عصر الصحابة؛ فإنَّ معاوية رضي الله عنه بعث إليها ابنه يزيد فى جيش فيهم أبو أيوب الأنصارى، ولم يتمَّ فتحُها، ثم حاصرها مسلمةُ بن عبد الملك، ولم تُفْتَح أيضًا، ولكنَّه صالح أهلها على بناء مسجد بها. [النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ٦٢)].

وفتح الترك أيضًا للقسطنطينية كان بقتال، ثم هي الآن تحت أيدي الكفار، وستُفتح فتحًا أخيرًا كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٢٠) كتاب الفتن.

مستقبلٍ قريبٍ أو بعيدٍ يعلمه الله ﷻ، وهو الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذى أعرضوا عنه، وأما فتح التُّرك الذى كان قبل عصرنا هذا؛ فإنَّه كان تمهيدًا للفتح الأعظم، ثم هى قد خرجت بعد ذلك من أيدى المسلمين، منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامى لها إن شاء الله كما بشَّر به رسول الله ﷺ»[١].

۞ **وقد أشكل قوله فى هذا الحديث: « يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِى إِسْحَاقَ »**، والروم من بنى إسحاق؛ لأنهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام[٢]، فكيف يكون فتح القسطنطينية على أيديهم؟!

قال القاضى عياض: «كذا هو فى جميع أصول «صحيح مسلم»: من بنى إسحاق».

ثم قال: «قال بعضهم: المعروف المحفوظ: «من بنى إسماعيل»، وهو الذى يدلُّ عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما أراد العرب»[٣].

وذهب الحافظ ابن كثير إلى أن هذا الحديث «يدلُّ على أن الروم يُسلمون فى آخر الزمان، ولعلَّ فتح القسطنطينية يكون على أيدى طائفة منهم؛ كما نطق به الحديث المتقدِّم؛ أنه يغزوها سبعون ألفًا من بنى إسحاق».

---

(١) حاشية «عمدة التفسير على ابن كثير» (٢/ ٢٥٦)، اختصار وتحقيق الشيخ أحمد شاكر.

(٢) انظر «النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ٥٨)، تحقيق د. طه زينى.

(٣) «شرح النووى لمسلم» (١٨/ ٤٣-٤٤).

واستشهد على ذلك بأنهم مُدحوا فى حديث الْمُسْتَوْرِدِ الْقُرَشِيِّ، فَقَدْ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**» فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو بْنُ العَاصِ: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ(١).

قلتُ: ويدلُّ أيضًا على أنَّ الرُّوم يُسلمون فى آخر الزمان حديث أبى هريرة السابق فى قتال الروم، وفيه أن الروم يقولون للمسلمين: «**خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا**»(٢)، فالروم يطلبون من المسلمين أن يتركوهم يقاتلون من سُبى منهم؛ لأنهم أسلموا، فيرفض المسلمون ذلك، ويُبيِّنون للروم أن من أسلم منهم فهو من إخواننا، لا نُسلمه لأحدٍ، وكون غالب جيش المسلمين ممَّن سُبى من الكفار ليس بمستغرب.

قال النَّوَوى: «وَهَذَا مَوجُودٌ فِى زَمَانِنَا، بَلْ مُعْظَمُ عَسَاكِرِ الإِسْلَامِ فِى بِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ سُبُوا ثُمَّ هُمُ الْيَوْمَ بحمدالله يَسْبُونَ الْكُفَّارَ، وَقَدْ سَبَوْهُمْ فِى زَمَانِنَا مِرَارًا كَثِيرَةً يَسْبُونَ فِى الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكُفَّارِ أُلُوفًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى إِظْهَارِ الإِسْلَامِ وَإِعْزَازِهِ»(٣).

ويؤيِّد كون هذا الجيش الذى يفتح القسطنطينية من بنى إسحاق أن

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٧).

(٣) «شرح النووى لمسلم» (١٨/ ٢١).

جيش الروم يبلغ عددهم قريبًا من ألف ألف، فيُقتل بعضهم، ويُسلم بعضهم، ويكون من أسلم مع جيش المسلمين الذى يفتح القسطنطينية، والله أعلم[1].

---

(١) بتصرف من أشراط الساعة.

(٨٧) مجيء زمان لا يبقى أحدٌ إلا لحق بالشام

۞ بلاد الشام بلاد كلها بركة .. ولقد أحبها النبى ﷺ وأوصى بها ودعا لها بالبركة .. بل وأوصانا بالشام حينما تقع الفتن؛ لأنها ستكون معقل المسلمين وسُكناهم.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يومًا ونحن عنده: «**طُوبى للشام لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه**»(١).

وعن العرباض بن سارية ﷺ عن النبى ﷺ: أنه قام يومًا فى الناس فقال: «**يا أيها الناس توشكون أن تكونوا أجنادًا مُجندة جُنْدٌ بالشام وجُندٌ بالعراق وجُندٌ باليمن**» فقال ابن حوالة: يا رسول الله! إن أدركنى ذلك الزمان فاختر لى قال: «**إنى أختار لك الشام فإنه خيرة المسلمين وصفوة الله من بلاده يجتبى إليها صفوته من خلقه فمَن أبَى فليلحق بيَمنِه وليَسْقِ من غُدُرِه فإن الله قد تكفَّل لى بالشام وأهله**»(٢).

وعن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احْتُمِل من تحت رأسى فعُمِدَ به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام**»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ستكون هجرةٌ بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى فى الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتَقْذَرُهم نَفْسُ الله وتحشرهم النار مع القردة**

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٢٠).

(٢) صحيح لغيره: رواه الطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٠٨٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٠٩٤).

والخنازير»(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا فى شامنا وبارك لنا فى يمننا» قالوا: وفى نجدنا قال: «اللهم بارك لنا فى شامنا وبارك لنا فى يَمنِنا» قالوا: وفى نَجْدِنا قال: «هناك الزلازل والفتن بها - أو قال - منها يخرج قرن الشيطان»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «سيخرج عليكم فى آخر الزمان نارٌ من حضرموت تحشر الناس» قال: قلنا: بما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالشام»(٣).

---

(١) صحيح لغيره: رواه أبو داود والحاكم وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٢٠٣)، وصحيح الترغيب (٣٠٩١).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠٩٤) كتاب الفتن.

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٠٩٦).

(٨٨) قتال اليهود والنصر عليهم

۞ نحن نعلم أن المسلمين قاتلوا اليهود في زمن النبي ﷺ وانتصروا عليهم، وأجلوهم من جزيرة العرب... وكل ذلك كان امتثالًا لقول النبي ﷺ: «**لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا**»(١)... ولأنهم أيضًا كانوا خائنين فاستحقوا كل ما حدث لهم.

۞ ولكن هذا القتال ليس هو القتال الذى أخبر النبى ﷺ أَنَّه من أشراط الساعة ... وإنما أخبر النبى ﷺ أن المسلمين سيقاتلوهم عند خروج المسيح الدجال فيتبع اليهود الدجال فيقاتلهم المسلمون الذين هم فى ذلك الوقت جُند عيسى عليه السلام .. فيُنطق الله الشجر والحجر حينما يختبئ اليهودى خلفه.. فيقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى ورائى تعالَ فاقتله.

روى الإمام أحمد عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه حديثًا طويلًا فى خطبة النبى ﷺ يوم كسفت الشمس ... وفيه أنه ذكر الدَّجَّال، فقال: «**وَإِنَّهُ يَحْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيُزَلْزَلُونَ زِلْزَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ يُهْلِكُهُ اللهُ وَجُنُودَهُ، حَتَّى إِنَّ جِذْمَ الْحَائِطِ، أَوْ قَالَ: أَصْلَ الْحَائِطِ، وَأَصْلَ الشَّجَرَةِ، لَيُنَادِي، يَا مُؤْمِنُ، أَوْ قَالَ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ تَعَالَ فَاقْتُلْهُ**»، قَالَ: «**وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى تَرَوْا أُمُورًا يَتَفَاقَمُ شَأْنُهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَتَسَاءَلُونَ بَيْنَكُمْ هَلْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ذَكَرَ لَكُمْ مِنْهَا ذِكْرًا**»(٢).

وروى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا**

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٦٧) كتاب الجهاد والسير.

(٢) رواه أحمد، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح البارى (٦/ ٦١٠).

يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ[١]، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[٢].

والذي يظهر من سياق الأحاديث أنَّ كلام الحجر والشجر ونحوه حقيقة، وذلك لأن حدوث تكلُّم الجمادات ثابتٌ في غير أحاديث قتال اليهود.

وإذا كانت الجمادات تتكلَّم في ذلك الوقت؛ فلا داعي لحمل كلام الشجر والحجر على المجاز؛كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء[٣]؛ فإنَّه ليس هناك دليلٌ يوجبُ حمل اللفظ على خلاف حقيقته، ونطق الجماد قد ورد في آيات من القرآن:

منها: قوله تعالى: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾[٤].

وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾[٥].

وجاء في الحديث عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا، حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّالِ، وَحَذَّرَنَاهُ، فذكر خروجه، ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، وفيه: «قَالَ عِيسَى عليه السلام: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى

---

(١) (الغرقد): قال النووي: «نوع من شجر الشوك، معروف ببلاد المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود». «شرح مسلم» (١٨/ ٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٢٦) كتاب الجهاد، ومسلم (٢٩٢٢) كتاب الفتن.

(٣) انظر: «هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري» (١/ ٣١٧)، و«العقائد الإسلامية» لسيد سابق، (ص ٥٤)، واختار ابن حجر أن نطق الجمادات من شجر وحجر حقيقة.

انظر: «فتح الباري» (٦/ ٦١٠).

(٤) سورة فصلت: الآية: (٢١).

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

وَسَاجٍ[١]، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِى الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَى عليه السلام: إِنَّ لِى فِيكَ ضَرْبَةً، لَنْ تَسْبِقَنِى بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لا حَجَرَ، وَلا شَجَرَ، وَلا حَائِطَ، وَلا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لا تَنْطِقُ»[٢].

فالحديث فيه التصريح بنطق الجمادات.

وأيضًا؛ فإن استثناء شجر الغرقد من الجمادات بكونها لا تخبر عن اليهود؛ لأنها من شجرهم، يدل على أنه نُطقٌ حقيقيٌّ، ولو كان المراد بنطق الجمادا المجاز؛ لما كان لهذا الاستثناء معنى.

ولو حملنا كلام الجمادات على المجاز؛ لم يكن ذلك بالأمر الخارق فى قتال اليهود فى آخر الزمان، وكانت هزيمتهم أمام المسلمين كهزيمة غيرهم من الكفار الذين قاتلهم المسلمون وظهروا عليهم، ولم يرد فى قتالهم مثل ما ورد فى قتال اليهود من الدلالة على المختبئ[٣] بنطق الجمادات، فإذا لاحظنا أنَّ الحديث فى أمر مستغرب يكون آخر الزمان هو من علامات الساعة؛ دلَّ ذلك على أنَّ النُّطق فى قتال اليهود حقيقيٌّ، وليس مجازًا عن انكشافهم أمام المسلمين وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم كما قيل... والله أعلم[٤].

---

(١) (الساج): هو الطيلسان الضخم الغليظ، وقيل: الطيلسان المقور.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).

(٣) انظر: «إتحاف الجماعة» (١/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٤) أشراط الساعة (ص ٢٢٢-٢٢٥).

(٨٩) دخول الإسلام كل بيتٍ على وجه الأرض

لقد أخبر النبى ﷺ أنَّ الإسلام سينشر وسيبلغ مشارق الأرض ومغاربها وأنه لن يبقى بيت على وجه الأرض إلا وسيدخله هذا الدين العظيم.

❁ قال ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ** -أي: الدين- **مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(١).

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، يَقُولُ: «قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ».

ويوضح ذلك؛ ما رواه مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(٢) أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**»(٣).

قال الشيخ الألبانى رحمه الله: «وممَّا لا شكَّ فيه: أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعودَ المسلمون أقوياء فى معنوياتهم، ومادياتهم، وسلاحهم،

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٣٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٧) كتاب الفتن.

حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان، وهذا ما يُبشرنا به الحديث»[1].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٣٢).

(٩٠) نفي المدينة لشرارها ثم خرابها آخر الزمان

حثَّ النبى ﷺ على سكنى المدينة، ورغَّب فى ذلك، وأخبر أنه لا يخرج أحدٌ منها رغبةً عنها إلا أخلف الله فيها مَن هو خيرٌ منه.

❁ عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحدٌ من أمتى إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا**»(١).

وعن أبى سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم بارك لنا فى مدينتنا اللهم اجعل مع البركة بركتين والذى نفسى بيده ما من المدينة شىء ولا شِعب ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**إنما المدينة كالكير تنفى خَبثها، وتنصع طيبها**»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمُت بها، فإنى أشفع لمن يموت بها**»(٤).

وقال ﷺ: «**من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبىَّ**»(٥).

وقال ﷺ: «**من أخاف أهل المدينة أخافه الله**»(٦).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣٧٨) كتاب الحج.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٣٧٤) كتاب الحج.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٨٣) كتاب الحج، ومسلم (١٣٨٣) كتاب الحج.

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠١٥).

(٥) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى فى الصحيحة (٢٣٠٤)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٢١٣).

(٦) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه الشيخ الألبانى فى الصحيحة (٢٦٧١)، وصحيح الجامع (٥٩٧٧).

وقال ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال»[١].

وقال ﷺ: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذٍ سبعة أبواب، على كل باب ملكان»[٢].

وقال ﷺ: «يأتى الدجال المدينة، فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يدخلها الدجال، ولا الطاعون إن شاء الله»[٣].

۞ وأخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة نفى المدينة لخبثها، وهم شرار الناس؛ كما ينفى الكير خبث الحديد.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِىَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِى الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[٤].

وقد حمل القاضى عياضٌ نفى المدينة لخبثها فى زمن النبى ﷺ؛ لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام فى المدينة إلا مَن كان ثابت الإيمان، وأمَّا المنافقون وجَهَلة الأعراب؛ فلا يصبرون على شدَّة المدينة ولأوائها، ولا يحتسبون من الأجر فى ذلك.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٨٠) كتاب الحج، ومسلم (١٣٧٩) كتاب الحج.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٨٧٩) كتاب الحج.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧١٣٤) كتاب الفتن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٣٨١) كتاب الحج.

وحمله النووى على زمن الدَّجَّال، واستبعد ما اختاره القاضى عياض، وذكر أنه يحتمل أن يكون ذلك فى أزمان متفرِّقة(١).

❁ **وذكر الحافظ ابن حجر أنه يحتمل أن يكون المراد كلًّا من الزمنين:**

زمن النبى ﷺ؛ بدليل قصة الأعرابى؛ كما فى البخارى عن جابر رضي الله عنه: جاء أعرابىٌّ إلى النبى ﷺ، فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محمومًا، فقال: أَقِلْنِى. فأبى؛ ثلاث مرار. فقال: «**الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِى خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُهَا**»(٢).

والزمن الثانى زمن الدَّجَّال؛ كما فى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه ذكر الدَّجَّال، ثم قال: «**ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»(٣).

وأما ما بين ذلك من الأزمان؛ فلا؛ فإنَّ كثيرًا من فُضلاء الصحابة قد خرجوا بعد النبى ﷺ من المدينة؛ كمعاذ بن جبل، وأبى عبيدة، وابن مسعود، وطائفة، ثم خرج علىٌّ، وطلحة، والزُّبير، وعمار، وغيرهم، وهم من أطيب الخلق، فدلَّ على أنَّ المُراد بالحديث تخصيص ناس دون ناس، ووقت دون وقت؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾(٤)، والمنافق خبيث بلا شك(٥).

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووى (٩/ ١٥٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٨٣) كتاب الحج، ومسلم (١٣٨٣) كتاب الحج.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٨٨١) كتاب الحج.

(٤) سورة التوبة: الآية: (١٠١).

(٥) انظر: «فتح البارى» (٤/ ٨٨).

وأَمَّا خروج الناس بالكليَّة من المدينة؛ فذلك فى آخر الزَّمَان، قرب قيام الساعة، ... ففى الحديث عن أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، مُذَلَّلَةً، لا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي - يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ - وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، وَيَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا، فَيَجِدَانِهَا وُحُوشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا»[١].

قال ابن كثير: «وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمَدِينَةَ تَكُونُ باقيةً عَامِرَةً أَيَّامَ الدَّجَّالِ، ثم تكون عامرة فى زمان المسيح عيسى ابن مريم رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام، حَتَّى تكون وفاته بها ودفنه فيها ثم تخرب بعد ذلك»[٢].

ثم ذكر حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: أَخْبَرَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَسِيرَنَّ الرَّاكِبُ فِي جَنَبَاتِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ لَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ فِي هَذَا حَاضِرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرٌ»[٣].

وقال الحافظ ابن حجر: «رَوَى عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَوْفِ ابْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «أَمَا وَاللهِ لَيَدَعَنَّهَا أَهْلُهَا مُذَلَّلَةً أَرْبَعِينَ عَامًا لِلْعَوَافِي أَتَدْرُونَ مَا الْعَوَافِي؟ الطَّيْرُ وَالسِّبَاعُ».

ثم قال ابن حجر: «وهذا لم يقع قطعًا»[٤].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٨٧٤) كتاب الحج، ومسلم (١٣٨٩) كتاب الحج.

(٢) «النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ١٥٨)، تحقيق د. طه الزينى.

(٣) رواه أحمد (١/ ١٢٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(٤) «فتح البارى» (٤/ ٩٠).

فدلَّ هذا على أن خروج النَّاس من المدينة بالكليَّة يكون فى آخر الزمان، بعد خروج الدَّجَّال، ونزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويحتمل أن يكون ذلك عند خروج النار التى تَحْشُرُ الناس، وهى آخر أشراط الساعة، وأول العلامات الدَّالَّة على قيام الساعة، فليس بعدها إلا الساعة.

ويؤيِّد ذلك كون آخر من يُحْشَر يكون منها؛ ... كما فى حديث أَبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يُرِيدَانِ المَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا**»[1] أى: خالية من الناس، أو أنَّ الوحوش قد سكنتها، والله أعلم[2].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٨٧٤) كتاب الحج، ومسلم (١٣٨٩) كتاب الحج.

(٢) أشراط الساعة (ص ٢٢٥-٢٢٩).

(٩١) ترك الحج لبيت الله الحرام

نحن نعلم أن الله فرض الحج لكلِّ من استطاع إليه سبيلًا وجعل له فضلًا عظيمًا.

قال ﷺ: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(١).

وقال ﷺ: «...وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ، لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ، إِلَّا الْجَنَّةُ»(٢).

۞ ومع ذلك فقد أخبر النبى ﷺ أنَّ من علامات الساعة تركُ الحج ... فقال ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لا يُحَجَّ الْبَيْتُ»(٣).

۞ ولكن هذه العلامة ستتأخر جدًّا .. وذلك لأنه كما نعلم أن عيسى عليه السلام سيحج إلى البيت قبل أن يموت وذلك بعد أن يقتل الدَّجَّال وبعد نهاية يأجوج ومأجوج.

۞ قال ﷺ: «لَيُحَجَّنَّ هَذَا الْبَيْتُ، وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ»(٤).

وقد يكون المراد بـ« لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لا يُحَجَّ الْبَيْتُ » أنَّ الحجَّ ينقطع عن البيت الحرام مُدَّة لحروب أو غيرها ثم يعود الحج مرة أخرى.

أو أنَّ المعنى: أن يُمنع أقوام من الحج إلى البيت الحرام ... والله أعلم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٥٢١) كتاب الحج، ومسلم (١٣٥٠) كتاب الحج.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٧٧٣) كتاب الحج، ومسلم (١٣٤٩) كتاب الحج.

(٣) صحيح: رواه أبو يعلى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤١٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (١٥٩٣) كتاب الحج.

(٩٢) بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين

بعد تتابع أشراط الساعة وظهور بعض علامات الساعة الكبرى تأتى تلك العلامة من علامات الساعة الصُّغرى ألا وهى: بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين ... ويكون ذلك بعد ظهور المسيح الدَّجَّال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام وهلاك يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدابة .. وعلى هذا فظهور تلك العلامة قريب جدًّا من قيام الساعة.

فيرسل الله عز وجل تلك الريح الطيبة لتقبض أرواح المؤمنين صيانة لهم عن الفزع والخوف الذى يكون عند قيام الساعة، فلا يبقى فى الأرض إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة.

ولا يتعارض أحاديث ظهور هذه الريح مع حديث: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[1]، وفى رواية: «**ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ**»[2].

فإنَّ المعنى أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللَّيِّنة قرب القيامة، ويكون المراد بـ(أمر الله) هو هبوب تلك الريح[3].

وقد جاء فى صفة هذه الريح أنها ألين من الحرير، ولعلَّ ذلك من إكرام الله لعباده المؤمنين فى ذلك الزمان المليء بالفتن والشرور.

جاء فى حديث النَّوَّاس بن سمعان الطَّويل فى قصَّة الدَّجَّال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج: «**إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ**

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٣) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٠) كتاب الإمارة.

(٣) «شرح النووى لمسلم» (٢/ ١٣٢).

تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

وروى مسلمٌ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ ... (فذكر الحديث، وفيه:) فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ»(٢).

وجاء في حديث عبد الله بن عمرو أنَّ ظهور هذه الريح يكون من الشام كما سبق.

وجاء في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ »(٣).

۞ ويجاب عن هذا بوجهين:

١- يُحتمل أنهما ريحان: شامية، ويمانية.

٢- ويُحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين، ثم تصل الآخر، وتنتشر عنده. والله أعلم(٤)(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) «شرح النووي لمسلم» (٢/ ١٣٢).

(٥) «أشراط الساعة» (ص ٢٢٩-٢٣١) بتصرف.

(٩٣) رفع القرآن من المصاحف والصدور

قال رسول الله ﷺ: «يَدرُس الإسلام كما يدرُسُ وَشْيُ الثوب، حتى لا يُدرى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ ويُسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخ الكبير، والعجوزُ يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها». فقال له صلةُ: ما تُغْنى عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردَّدها عليه ثلاثًا، كلُّ ذلك يُعرِضُ عنه حذيفة، ثم أقبل عليه فى الثالثة، فقال: يا صلة! تُنجيهم من النار ثلاثًا[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ليُنزعنَّ القرآن من بين أظهركم؛ يُسرى عليه ليلًا، فيذهب من أجواف الرجال، فلا يبقى فى الأرض منه شىء»[(٢)].

قال ابن تيمية: «يُسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى فى الصدور منه كلمة، ولا فى المصاحف منه حرفٌ»[(٣)].

قال الألباني رحمه الله: وفى هذا الحديث نبأ خطير، وهو أنه سوف يأتى يوم على الإسلام يُمحى أثره، وعلى القرآن فيُرفع فلا يبقى منه ولا آية واحدة، وذلك لا يكون قطعًا إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته فيها هى العليا.

كما هو نص قول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم عن حذيفة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٧٧).

(٢) رواه الطبرانى وقال ابن حجر: سنده صحيح ولكنه موقوف [فتح البارى «١٣/ ١٦»].

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٩٨-١٩٩).

ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1]، وكما شرح رسول الله ﷺ ذلك في أحاديث كثيرة سبق ذكر بعضها.

وما رَفْعُ القرآن الكريم في آخر الزمان إلا تمهيدًا لإقامة الساعة على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئا من الإسلام ألبتة، حتى ولا توحيده!

وفي الحديث إشارة إلى عظمة القرآن، وأن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم ورسوخ بنيانه وما ذلك إلا بتدارسه وتدبُّره وتفهُّمه ولذلك تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه، إلى أن يأذن الله برفعه[2].

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٣٣).

(٢) السلسلة الصحيحة (١/ ١٧٣)

(٩٤) استحلال البيت الحرام وهدم الكعبة

ما أجمل اللَّحظَات التى يقضيها المسلم وهو يطوف حول الكعبة ذلك البيت الذى أخبر النبى ﷺ الكثير والكثير من فضائل الطواف به.

۞ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من طاف بالبيت سبعًا وصلى ركعتين كان كعتق رقبة»**(١).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من طاف بهذا البيت أسبوعًا فأحصاه، كان كعتق رقبة، لا يضع قدمًا، ولا يرفع أخرى، إلا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة»**(٢).

وقال رسول الله ﷺ: **«الطواف بالبيت صلاة، ولكن الله أحل فيه المنطق، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير»**(٣).

والله لو لم يكن للطواف من فضل إلا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(٤) لكفاه.

عن على رضي الله عنه قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فاستكثروا يا معشر المسلمين من الطواف والحج، فإن الحج متعة وأى متعة!!

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٧٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، والنسائى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٠).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ٣٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٢٨)، والحاكم (١/ ٦٣٠)، والبيهقى (٥/ ٨٥)، وابن أبى شيبة (٣/ ٣٧)، والدارمى (١٨٤٧)، وابن الجارود (٤٦١)، وابن حبان (٣٨٣٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٥٤).

(٤) سورة الحج: الآية: (٢٦).

قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

قال ابن حجر: كأنه يشير إلى أن المراد بقوله: ﴿قِيَـٰمًا﴾ أى: قوامًا وأنها ما دامت موجودة فالدين قائم.

قال رسول الله ﷺ: **«استمتعوا من هذا البيت، فإنه قد هُدم مرتين، ويُرفع فى الثالثة»** (٢).

وروى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» (٣).

۞ ومع كل هذا فإنَّ النبى ﷺ يخبر أن من علامات الساعة: هدم الكعبة.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يُخْبِرُ أَبَا قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»** (٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٧).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم (١/ ٦٠٨)، وابن خزيمة (٢٥٠٦)، وابن حبان (٦٧٥٣)، والبزار كما فى كشف الأستار (٢/ ٣، رقم ١٠٧٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٤٥١) وصحيح الجامع (٩٥٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٥٩١) كتاب الحج، ومسلم (٢٩٠٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٧٩).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ[١] مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا، وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا، وَلَكَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصَيْلِعَ[٢] أُفَيْدِعَ[٣]، يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ»[٤].

وَعن أبى هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ »[٥].

وَعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ[٦]، يَنْقُضُهَا حَجَرًا حَجَرًا»(يَعْنِى الْكَعْبَةَ)[٧].

وَعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فِى آخِرِ الزَّمَانِ يَظْهَرُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ عَلَى الْكَعْبَةِ» قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: «فَيَهْدِمُهَا»[٨].

---

(١) (السويقتين): السويقة: تصغير الساق، وهى مؤنثة، فلذلك ظهرت التاء فى تصغيرها، وإنما صغر الساق؛ لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والحموشة.
«النهاية فى غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤٢٣).

(٢) (أصيلع): تصغير أصلع، وهو الذى انحسر الشعر عن رأسه.
انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٧).

(٣) (أفيدع): تصغير أفدع، والفدع بالتحريك زيغ بين القدم وبين عظم الساق، وكذلك يكون فى اليد، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٢٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٢/ ١٤-١٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٥٩١) كتاب الحج، ومسلم (٢٩٠٩) كتاب الفتن.

(٦) (أفحج): فى «القاموس»: «فحج فى مشيته؛ أى: تدانى صدور قدميه، وتباعد عقباه».
وقال ابن الأثير: «الفحج: تباعد ما بين الفخذين».
انظر: «ترتيب القاموس» (٣/ ٤٥١)، و«النهاية» (٣/ ٤١٥).

(٧) صحيح: رواه البخارى (١٥٩٥) كتاب الحج.

(٨) صحيح: رواه أحمد (١٥/ ٢٢٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

۞ فإن قيل: إنَّ هذه الأحاديث تُخالف قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾(١)، والله تعالى قد حبس عن مكة الفيل، ولم يمكِّن أصحابه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قبلة، فكيف يسلِّط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين؟!

قيل جوابًا عن ذلك: «إنَّ خراب الكعبة يقع فى آخر الزمان، قرب قيام الساعة، حتى لا يبقى فى الأرض أحدٌ يقول: الله، الله، ولهذا جاء فى رواية الإمام أحمد السابقة عن سعيد بن سمعان قوله ﷺ: « **لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا** »، فهو حرمٌ آمنٌ؛ ما لم يستحلَّه أهله.

وليس فى الآية ما يدلُّ على استمرار الأمن المذكور فيها.

وقد حدث القتال فى مكة مراتٍ عديدة، وأعظم ذلك ما وقع من القرامطة(٢) فى القرن الرابع الهجرى، حيث قتلوا المسلمين فى المطاف، وقلعوا الحجر الأسود، وحملوه إلى بلادهم، ثم أعادوه بعد مدة طويلة، ومع ذلك لم يكن ما حدث معارِضًا للآية الكريمة؛ لأن ذلك إنما وقع بأيدى المسلمين والمنتسبين إليهم، فهو مطابقٌ لما جاء فى رواية الإمام

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٦٧).

(٢) (القرامطة): طائفة من الباطنية تنتسب لرجل اسمه حمدان قرمط، من أهل الكوفة، ولهذه الطائفة الخبيثة فى تاريخها الطويل المخزى أعمال شنيعة، ومن أعظمها ما وقع منهم سنة (٣١٧هـ)، حيث هاجموا الحُجَّاج يوم التروية، واستباحوا أموالهم ودماءهم، فقتلوا فى رحاب مكة وشعابها وفى المسجد الحرام وفى جوف الكعبة من الحُجَّاج خلقًا كثيرًا، وهدموا قبة زمزم، وقلعوا باب الكعبة، ونزعوا كسوتها، وقلعوا الحجر الأسود، ونقلوه إلى بلادهم، ومكث عندهم اثنتان وعشرون سنة.

انظر: «فضائح الباطنية» للغزالى (ص ١٢-١٣) تحقيق عبد الرحمن بدوى، و«البداية والنهاية» (١١/ ١٦٠-١٦١).

أحمد من أنه لا يستحل البيت الحرام إلا أهله، فوقع ذلك كما أخبر النبى ﷺ، وسيقع ذلك آخر الزمان؛ لا يُعَمَّرُ مرة أخرى، حين لا يبقى على ظهر الأرض مسلم»[(١)][(٢)].

(١) انظر: «فتح البارى» (٣/ ٤٦١-٤٦٢).

(٢) أشراط الساعة (٢٣٢-٢٣٥).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ظهور المهدي عليه السلام

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ظهور المهدي عليه السلام

إن الكلام عن المهدى عليه السلام فى تلك الأيام أصبح موضوع الساعة بين أكثر الناس ولعل السبب فى ذلك أن أكثر الناس الآن يعانون أشد المعاناة من تلك الحياة المادية الجامدة التى تكاد أن تخلو من المودة والرحمة.

فبدأ الناس يتطلعون إلى طوق النجاة من تلك الحياة المليئة بالفتن والابتلاءات... وقد علموا أن النبى ﷺ قد أخبر أن المهدى سيأتى فى آخر الزمان وسيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظُلمًا وجورًا، فتعلقت قلوبهم بهذا اليوم الذى سيظهر فيه المهدى ظنًا منهم أن ظهور المهدى سيكون بداية عصر الاسترخاء والدعة... وهذا فهمٌ خاطئ؛ لأن النصوص تشير إلى أن ظهور المهدى سيكون بداية للفتوح والجهاد والبذل فى سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله.

بل لابد أن نعلم أن المهدى (عليه السلام) لن يظهر إلا إذا تهيأ العالم الإسلامى لذلك من خلال إتمام مرحلة التصفية والتربية وقيام خلافة إسلامية راشدة.. أو على الأقل فإنه لن يظهر إلا إذا قامت فى الأمة نهضة إسلامية شاملة بحيث تستقيم الأمة على شرع الله وسُنة رسول الله ﷺ ولا يبقى إلا القائد الربانى الذى يقودها إلى التمكين فى الأرض - بإذن الله - ألا وهو المهدى.

وأكبر دليل على ذلك أن المسجد الأقصى سيكون في أيدى المسلمين قبل ظهور المهدى، ونزول عيسى (عليهما السلام). ولن يعود الأقصى إلا إذا رفعت الأمة راية الجهاد فى ظل الخلافة الراشدة التى تكون على منهاج النبوة.

إذن فالحاصل أننا يجب علينا جميعًا أن نجتهد فى طاعة الله وأن نبذل الغالى والنفيس لنُصرة دين الله، ولا نتكاسل بحُجة أننا ننتظر المهدى الذى سيقود المسلمين إلى النصر والتمكين.. بل لابد أن نُهىء المناخ الإيمانى الذى سيظهر فيه المهدى، وذلك من خلال بذل الجهود المخلصة فى التصفية والتربية على النبع الصافى - على كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ فإذا ظهر المهدى (عليه السلام) ونحن أحياء، فالحمد لله على تلك النعمة... وإذا مُتنا قبل ظهوره نكون قد أدينا الواجب الذى علينا فنحن عبيدٌ لله فى كل زمان ومكان، وما علينا إلا أن نكون أنصارًا لله ولرسوله ﷺ... أسأل الله (جل وعلا) أن يستعملنا لنُصرة دينه إنه ولى ذلك والقادر عليه.

مَن المهدى؟

قال جمهور أهل السنة: «إنه من أهل بيت النبى ﷺ، من ولد الحسن بن على رضي الله عنهما، يخرج فى آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض ظُلمًا وجَورًا، فيملؤها قسطًا وعدلًا، وهذا هو القول الصحيح الذى تشهد له الأحاديث الصحيحة عن النبى ﷺ، وأقره كبار المحدِّثينَ، والحُفَّاظ، والمحققين فى القديم، والحديث، إلا من لا يُعتد بخلافه.

إنَّ المهدىَّ المُبشَّر به لا يدَّعى نُبوة، بل هو من أتباع النبى ﷺ، وما هو إلا خليفة راشد مهدى، من جملة الخلفاء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**فعليكم بسُنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين...**» الحديث[1].

وهو عند أهل السنة والجماعة بشرٌ من البشر، ليس بنبى ولا معصوم،

(١) صحيح: رواه ابن ماجة، والترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٣٧).

وما هو إلا رجل من أهل بيت رسول الله ﷺ وحاكم عادل يملأ الأرض عدلًا كما مُلئت جَورًا، يخرج في وقت تكون الأمة أحوج ما تكون إليه، فيُحيي السنة، ويُزيلُ الجور، ويبسط العدل(١).

ولذلك فلقد أخطأ الذين كذبوا بتلك الأحاديث التي وردت بشأن المهدي بحُجة أن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء وأنه لا نبي بعده!!!

وهل هناك أحد يقول: إن المهدي (عليه السلام) يزعم أنه نبي؟... إن المهدي كما قلنا خليفة راشد من آل بيت النبي ﷺ يملأ الدنيا عدلًا ويقود المسلمين إلى النصر والتمكين - بإذن الله جل وعلا -.

اسمه وصفته

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلًا مني - أو من أهل بيتي - يُواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي»**، زاد في رواية: **«يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما مُلئت ظُلمًا وجورًا»**. وفي رواية للترمذي: **«لا تذهب - أو: لا تنقضي - الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يُواطئ اسمه اسمي»**(٢).

وهذا الرجل اسمه كاسم رسول الله ﷺ، واسم أبيه كاسم أبي النبي ﷺ، فيكون اسمه محمد - أو أحمد - بن عبد الله، وهو من ذُرية فاطمة بنت

(١) انظر: «عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية»، للأستاذ أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني في المشكاة (٥٤٥٢).

رسول الله ﷺ، ثم من ولد الحسن بن على رضي الله عنهم.

قال ابن كثير رحمه الله فى المهدى: «وهو محمد بن عبد الله العلوى الفاطمى الحسنى رضي الله عنه»(١).

أما عن صفته الواردة فهو أجلى الجبهة أقنى الأنف.

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهدى منى(٢)، أجلى الجبهة(٣)، أقنى الأنف(٤)، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما مُلئت ظُلمًا وجورًا، ويملكُ سبع سنين**»(٥).

۞ ما الحكمة من كونه من نسل الحسن رضي الله عنه؟

۞ والحكمة من كونه من نسل الحسن:

أن الحسن تولى الخلافة بعد استشهاد أبيه على بن أبى طالب رضي الله عنه، فصار للمسلمين أميران:

الحسن رضي الله عنه فى العراق والحجاز وغيرها.

ومعاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه فى الشام وما حولها.

وبعدما حكم الحسن ستة أشهر تنازل عن الخلافة لمعاوية من غير

---

(١) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ٢٩).

(٢) أى من نسلى وذريتى.

(٣) جلاء الجبهة: هو انحسار مقدم الرأس من الشعر، أو نصف الرأس، أو هو دون الصلع، فمعنى «أجلى الجبهة» منحسر الشعر من مقدم رأسه، أو واسع الجبهة.

(٤) أقنى الأنف: قال فى «النهاية»، (٤/ ١١٦): «القنا فى الأنف طوله، ودقة أرنبته، مع حدب فى وسطه، يقال: رجل أقنى، وامرأة قنواء» اهـ. قال القارى: «والمراد أنه لم يكن أفطس؛ فإنه مكروه الهيئة». اهـ من «المرقاة»، (٥/ ١٨٠).

(٥) رواه أبو داود والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٣٦).

عوض دنيوى، إنما لوجه الله تعالى، لجمع كلمة المسلمين على حاكم واحد، وحقن الدماء فكافأة الله بذلك، ومن ترك شيئًا لله أعطاه الله أو أعطى ذريته أكثر منه»[١].

۞ مُدة حُكمه :

فى آخر الزمان يخرج رجلٌ من أهل البيت يؤيِّد الله به الدين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلًا كما مُلِئت جورًا وظلمًا، تنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعَمْها قطُّ، تُخْرِجُ الأرض نباتها، وتُمْطِرُ السماء قطرها، ويُعْطى المال بغير عدد.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فى زمانه تكون الثمار كثيرة، والزُّروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدوُّ راغم، والخير فى أيامه دائم»[٢].

۞ من أين يخرج المهدي؟

والراجح أن خروج المهدى يكون من قِبَل المشرق... فقد جاء فى الحديث الذى رواه ثوبان أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقتتلُ عند كنزكم**[٣] **ثلاثة؛ كلهم ابن خليفة**[٤]**، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود**

---

(١) المنار المنيف لابن القيم (ص١٥١).

(٢) «النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ٣١)، تحقيق د. طه زينى.

(٣) «كنزكم»: قيل كنز الكعبة: وهو ذهب وكنوز يُذْكر أنها تحتها - وقيل: المُلك أي الحكم والخلافة. وقيل: كنز الفرات: وهو الجبل من ذهب الذي يحسر عنه الفرات.

(٤) «كلهم ابن خليفة»: أي: ثلاثة رجال، كل واحد له أتباع، وكل من هؤلاء الرجال كان أبوه مَلِكًا، فهو يطلب مُلْكًا كمُلْك أبيه.

من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلًا لم يُقتله قومٌ... (ثم ذكر شيئًا لا أحفظه، فقال:) **فإذا رأيتموه؛ فبايعوه، ولو حبوًا على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدى**»[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «والمراد بالكنز المذكور فى هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذوه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان، فيخرج المهدى، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامُرا؛ كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه فى آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك، ولا برهان؛ لا من كتاب، ولا سنة، ولا معقول صحيح، ولا استحسان».

وقال أيضًا: «ويؤيد بناسٍ من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سودٌ أيضًا، وهو زى عليه الوقار؛ لأن راية

---

(١) رواه ابن ماجة والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى. وقال ابن كثير: «هذا إسناد قوى صحيح». «النهاية/ الفتن والملاحم» (١/ ٢٩) تحقيق د. طه زينى.
وقال الألبانى: «الحديث صحيح المعنى دون قوله: «فإن فيها خليفة الله المهدى»؛ فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعًا نحو رواية عثمان الثانية، وإسناده حسن، وليس فيه: «خليفة الله»، وهذه الزيادة: «خليفة الله» ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهدًا لها، فهى منكرة... ومن نكارتها أنه لا يجوز فى الشرع أن يقال: خليفة الله. لما فيه من إبهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز».
ثم نقل عن «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كلامًا يردُّ فيه على من قال: إن الخليفة هو الخليفة عن الله؛ لأن الله تعالى لا يجوز له خليفة، فهو الحى الشهيد المهيمن القيوم الرقيب الحفيظ الغنى عن العالمين، وإن الخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، والله منزَّه عن ذلك.
انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، المجلد الأول، (ص١١٩ـ ١٢١) (ح ٨٥).

رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العقاب».

إلى أن قال: «والمقصود أن المهدى الممدوح الموعود بوجوده فى آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويُبايَع له عند البيت؛ كما دل على ذلك بعض الأحاديث»(١).

۞ الأدلة من السُّنة على ظهوره(٢):

ولقد وردت جملة من الأحاديث الصحيحة والحسنة التى تدل على ظهور المهدى فى آخر الزمان كحلقة الوصل ما بين علامات الساعة الصغرى والكبرى... وسأكتفى بذكر بعضها.

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة**

---

(١) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ٢٩، ٣٠).

(٢) استقصى الشيخ عبد العليم عبد العظيم فى رسالته «الأحاديث الواردة فى المهدى فى ميزان الجرح والتعديل» لنيل درجة الماجستير فى الكلام على المهدى، وذكر من أخرجها من الأئمة، وذكر أقوال العلماء فى إسناد كل حديث، والحكم عليه، ثم النتيجة التى توصل إليها، فمن أراد التوسع فعليه بهذه الرسالة، فإنها أوسع مرجع فى الكلام على أحاديث المهدى؛ كما قال ذلك الشيخ عبد المحسن العباد فى «مجلة الجامعة الإسلامية» (العدد ٤٥/ ص٣٢٣).

وجملة ما ذكره فى هذه الرسالة من الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة وغيرهم ست وثلاثون وثلاث مائة رواية، منها اثنان وثلاثون حديثًا، وأحد عشر أثرًا، ما بين صحيح وحسن، الصريح منها فى ذكر المهدى تسعة أحاديث وستة آثار، والباقى فيها أوصاف وقرائن تدل على أنها فى المهدى.

وقد صحح كثير من الحفاظ أحاديث المهدى، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه «منهاج السنة فى نقض كلام الشيعة والقدرية» (٤/ ٢١١)، والعلامة ابن القيم فى كتابه «المنار المنيف فى الصحيح والضعيف» (ص ١٤٢ ـ وما بعدها)، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وصححها أيضًا الحافظ ابن كثير فى كتابه «النهاية/ الفتن والملاحم» (١/ ٢٤-٣٢)، تحقيق د. طه زينى، وغيرهم من العلماء؛ كما سيأتى ذكر ذلك.

حتى تمتلئ الأرض ظُلمًا وعدوانًا، قال: ثم يخرج رجل من عترتى - أو من أهل بيتى - يملؤها قسطًا وعدلًا، كما مُلئت ظلمًا وعدوانًا»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «أُبشركم بالمهدى؛ يُبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحًا». فقال له رجلًا: ما صحاحًا؟ قال: «بالسوية بين الناس».

قال: «ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى، ويسعهم عدله، حتى يأمر مناديًا، فينادى، فيقول: من له فى مالٍ حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل، فيقول: ائت السدان - يعنى: الخازن - فقل له: إن المهدى يأمرك أن تعطينى مالًا. فيقول له: احثُ، حتى إذا حجره وأبرزه؛ ندم، فيقول: كنتُ أجشع أمة محمد نفسًا، أَوَ عجز عنى ما وسعهم؟!». قال: «فيرده، فلا يقبل منه. فيقال له: إنَّا لا نأخذ شيئًا أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثم لا خير فى العيش بعده»، أو قال: «ثم لا خير فى الحياة بعده»[٢].

وفى هذا دليل على أنه بعد موت المهدى يظهر الشر والفتن العظيمة.

وعن أبى سعيد الخدرى أنه قال: «خشينا أن يكون بعد نبينا حدث؛ فسألنا نبى الله ﷺ فقال: «إن فى أمتى المهدى يخرج، يعيش خمسًا، أو سبعًا، أو تسعًا، قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين، قال: فيجىء إليه الرجل، فيقول: يا مهدى، أعطنى، أعطنى، قال: «فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله»[٣].

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه. ووافقه الذهبى.

(٢) قال الهيثمى: «رواه الترمذى وغيره باختصار كثير، ورواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات». «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٣، ٣١٤).

(٣) رواه الترمذى وأحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٨٢٠).

وعن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المهدى من عترتى، من ولد فاطمة**»(١).

وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**يَخْرُجُ فِى آخِرِ أُمَّتِى الْمَهْدِىُّ يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِى الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا**» يَعْنِى حِجَجًا(٢).

وعَنْ عَلِىٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَهْدِىُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِى لَيْلَةٍ**»(٣).

قال ابن كثير: «أى: يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك»(٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا** - أَو **لا تَنْقَضِى الدُّنْيَا** - **حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِى**». وفى رواية: «**يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِى، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْم أَبِى**»(٥).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يُبْعَثَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِى يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِى وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِى**»(٦).

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٣٤).

(٢) صحيح: رواه الحاكم، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧١١)

(٣) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٣٥).

(٤) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ٢٩)

(٥) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٧٥)

(٦) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٠٤).

زاد فى حديث فطر (أحد رواة الحديث): «**لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلًا من أهل**

فيكون اسمه: محمد بن عبد الله، وفيه رد على الشيعة الذين يقولون: إنه محمد بن الحسن العسكرى.

ومعنى: «يبعث»: أى يُظْهِر.

= بيتى يملؤها عدلًا كما مُلئت جورًا».

وفى رواية: «**لا تذهب - أو: لا تنقضى - الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى**».

قوله: «**حتى يملك العرب**»: أى: يكون ملكًا على المسلمين عمومًا، سواء كانوا عربًا أو عجمًا. لكنه ذكر العرب هنا؛ لأنه يبدأ بهم، فهو يظهر فى مكة والمدينة، فيتبعه العرب فيها، ثم سائر المسلمين.

جملة أحاديث يُحتمل كونها في شأن المهدي

(١) عَنِ الْجرِيْرِيِّ، عَنْ أَبِى نَضْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: «يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ[١] وَلا دِرْهَمٌ»، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: «مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ»، ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلا مُدْىٌ»[٢]، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: «مِنْ قِبَلِ الرُّومِ»، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ فِى آخِرِ أُمَّتِى خَلِيفَةٌ يَحْثِى الْمَالَ حَثْيًا، لا يَعُدُّهُ عَدًّا» قَالَ: قُلْتُ لِأَبِى نَضْرَةَ وَأَبِى الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَا: لَا»[٣].

وفى لفظ لمسلم من حديث أبى سعيد وجابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النبىَّ ﷺ قَالَ: «يكُونُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ فِى آخِرِ الزَّمَانِ يَحْثُو المَالَ وَلاَ يَعُدُّهُ»، وفى رواية: «يُعْطِى النَّاسَ بغَيرِ عَدَدٍ»[٤].

(٢) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: عَبِثَ[٥] رَسُولُ اللهِ ﷺ فِى مَنَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِى مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: «الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِى يَؤُمُّونَ[٦] الْبَيْت لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ،

---

(١) القَفيز: مكيال لأهل العراق ثمانية مكاكيك، والمَكُّوك: مكيال قديم يختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه فى البلاد، قيل: يسع صاعًا ونصفًا.

(٢) المُدْى: مكيال لأهل الشام يسع خمسة وأربعين رِطلًا.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩١٣) كتاب الفتن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩١٣، ٢٩١٤) كتاب الفتن.

(٥) عَبِث: بكسر الباء، أى: تحرك جسمه الشريف، أو بعضه ﷺ، وقيلَ: حَرَّكَ أطرافه كمن يأخذ شيئًا، أو يدفعه. انظر: «شرح النووى» (١٨/ ٦-٧).

(٦) يؤم البيت: يقصده.

حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ[(١)] خُسِفَ بِهِمْ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: «نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ[(٢)] وَالْمَجْبُورُ[(٣)] وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى[(٤)]، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»[(٥)].

(٣) عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ الْقِبْطِيَّةِ، قَالَ: دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ وَأَنَا مَعَهُمَا، عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَسَأَلَاهَا عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَعُوذُ عَائِذٌ[(٦)] بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟[(٧)] قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ»[(٨)(٩)].

وفي رواية زُهَير عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ قَالَ: فَلَقِيتُ أَبَا جَعْفَرٍ، فَقُلْتُ: إِنَّهَا

(١) البيداء: المفازة، وهي الأرض الواسعة القفر، وفي رواية: «**ببيداء المدينة**»، وفي رواية أبي يعلى عن أم سلمة رضي الله عنها: «**بالبيداء من ذي الحُلَيْفَة**»، والبيداء أرض واسعة ملساء بين مكة والمدينة، وهي معروفة بالقرب من ذي الحُلَيْفَة.

(٢) المستبصر: المستبين للأمر، القاصد له.

(٣) المجبور: المُكره المقهور.

(٤) «المصادر: المراجع، ورد ثم صدر؛ أي: جاء ثم رَجَعَ - شتَّى: متفرقة، والمقصود أن مهلك هذا الجيش مهلك واحد يُخسفُ بهم جميعًا، إلا أنهم يَصْدُرون عن الهلكة مصادر متفرقة، فواحد إلى الجنة، وآخر إلى النار، على قدر أعمالهم ونياتهم». اهـ.
من «جامع الأصول» (٣/ ٢٧٩)، وانظر: «فتح الباري» (٤/ ٣٤٠، ٣٤١).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٢١١٨) كتاب البيوت، ومسلم (٢٢٨٤) كتاب الفتن.

(٦) العائذ: اللاجئ إلى الشيء المحتمي به، الممتنع على من يطلبه.

(٧) كارهًا: أي: غير راضٍ بما قصدوا.

(٨) فيجازي على حسبها.

(٩) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٢) كتاب الفتن.

إِنَّمَا قَالَتْ: «بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ»، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: «كَلَّا، وَاللهِ إِنَّهَا لَبَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ».

قال الطيبى: «وهو المهدى؛ بدليل إيراد أبى داود هذا الحديث فى باب المهدى»[(١)]. اهـ.

وذهب ابن حجر الهيتمى إلى أن «ذلك العائذ هو المهدى، وأن تلك البيداء الحُلَيْفَة»[(٢)]. اهـ .... والحق أنه لا يمكن الجزم بذلك نفيًا ولا إثباتًا؛ لعدم الدليل الصريح، والعلم عند الله تَعَالَى.

(٤) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«سَيَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ - يَعْنِى الْكَعْبَةَ - قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنْعَةٌ[(٣)]، وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»**[(٤)].

وَفِى رواية عنه عن أُمِّ المُؤمِنينَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ، قَالَ: **«لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ وَيُنَادِى أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِى يُخْبِرُ عَنْهُمْ»** فَقَالَ رَجُلٌ: أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَشْهَدُ عَلَى حَفْصَةَ

---

(١) انظر: «عون المعبود» (١١/ ٣٨٠)، «تحفة الأحوذى» (٦/ ٤١٧)، وقال فى «التاج الجامع للأصول»: «رواه الأربعة فى كتاب الفتن، إلا أبا داود، فإنه رواه فى كتاب المهدى جزمًا منه بأن الجيش الذى يُخْسَفُ به هو الذى يأتى لقتال المهدى».

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٢٠٤).

(٣) مَنْعَة: فلان فى عِزٍّ ومَنْعَة: أى قوة تمنع من يريدهم بسوء، وقد تُفْتَحُ النون، وقيل: هى بالفتح جمعُ مانع؛ مثل كافر وكفَرة، انظر: «النهاية» (٤/ ٣٦٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٣) كتاب الفتن.

أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ(١).

(٥) عَنْ صَفِيَّةَ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَنْتَهِي النَّاسُ عَنْ غَزْوِ هَذَا الْبَيْتِ حَتَّى يَغْزُوَهُ جَيْشٌ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، خُسِفَ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَلَمْ يَنْجُ أَوْسَطُهُمْ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ الْمُكْرَهَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ**»(٢)(٣).

تواتر أحاديث المهدي

إن الأحاديث التى وردت بشأن المهدى متواترة تواترًا معنويًا، وقد نصَّ على ذلك بعض الأئمة والعلماء.. وسأذكر بعض أقوال أهل العلم:

قال الشوكانى: «الأحاديث فى تواتر ما جاء فى المهدى المنتظر التى أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهى متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يَصْدُق وصف التواتر على ما هو دونها فى جميع الاصطلاحات المحررة فى الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدى؛ فهى كثيرة أيضًا، لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد فى مثل ذلك»(٤).

وقال الحافظ أبو الحسن الآبرى: «قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدى، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٣) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٦٥).

(٣) نقلًا عن (المهدى) للدكتور محمد إسماعيل المقدم.

(٤) من رسالة للشوكانى اسمها: «التوضيح فى تواتر ما جاء فى المهدى المنتظر والدجال والمسيح».

يملأ الأرض عدلًا، وأن عيسى عليه السلام يخرج، فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلى عيسى خلفه»[١].

وقال العلامة محمد السفارينى: «وقد كثُرت بخروجه - أى: المهدى - الروايات، حتى بلغت حَدَّ التواتر المعنوى، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُدَّ من معتقداتهم»[٢].

وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: «أما إنكار المهدى المنتظر بالكلية، كما زعم ذلك بعض المتأخرين، فهو قولٌ باطل؛ لأن أحاديث خروجه فى آخر الزمان، وأنه يملأ الأرض عدلًا وقسطًا، كما مُلئت جورًا، قد تواترت تواترًا معنويًا، وكثرت جدًا، واستفاضت كما صرح بذلك جماعة من العلماء، بينهم أبو الحسن الآبرى السجستانى من علماء القرن الرابع، والعلامة السفارينى، والعلامة الشوكانى، وغيرهم، وهو كالإجماع من أهل العلم، ولكن لا يجوز الجزم بأن فلانًا هو المهدى، إلا بعد توافر العلامات التى بيَّنها النبى ﷺ فى الأحاديث الثابتة، وأعظمها وأوضحها كونه يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت جورًا وظلمًا»[٣]. اهـ.

عيسى عليه السلام يصلي خلف المهدي

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**منا الذى يصلى عيسى ابن مريم خلفه**»[٤].

(١) تهذيب الكمال فى أسماء الرجال (٣/ ١١٩٤) لأبى الحجاج يوسف المزى.

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤).

(٣) جريدة عكاظ ـ ١٨ محرم ١٤٠٠هـ.

(٤) رواه أبو نعيم فى أخبار المهدى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٢٠).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟!**»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**». قال: «**فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وفى صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة - مع كونه فى آخر الزمان، وقرب قيام الساعة - دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة، والله أعلم»(٣). اهـ.

۞ وورد مُقَيَّدًا بأَنَّه المَهدى فى أحاديث أُخَرَ؛ منها:

ما أخرجه أبو نُعَيم عن أبى سعيد، والحارث بن أبى أُسامة فى مسنده، عن جابر، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ المهدي: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»(٤).

قال ابن القيم بعد ذكره حديثَ الحارث: «وهذا إسناد جيد»(٥).

۞ وقد بيَّن لفيف من أئمة العلم والهدى أنه يجب حمل اللفظ المُطْلَقِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٦) كتاب الإيمان.

(٣) فتح البارى (٦/ ٤٩٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم فى (أخبار المهدى)، وذكره السيوطى فى (العرف الوردى)، (الحاوى) (٢/ ١٣٤).

(٥) نقد المنقول (ص/ ١٤٨).

الوارد فى الصحيحين على المُقَيَّدِ خارجهما، على حد قول ابن القيم فى «الكافية الشافية»:

فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ والتَّمْيِيزِ فَالـ ـــإطْلَاقُ والإِجْمَالُ دونَ بَيَانِ

قَدْ أَفْسَدَا هَذا الوُجودَ وَخَبَّطَا الـ ـــأَذْهَانَ والآرَاءَ كُلَّ زَمَانِ

۞ وهاك بعض نصوصهم:

قال الإمام أبو الحسن الأبدى[1] فى «مناقب الشافعى»: «تواترت الأخبار بأن المهدىَّ من هذه الأمة، وأن عيسى يصلى خلفه».

وقال الحافظ فى «الفتح»: «قال ابن الجوزى: لو تقدم عيسى إمامًا لوقع فى النفس إشكال، ولقيل: أتراه نائبًا أو مبتدئًا شرعًا؛ فيصلى مأمومًا لئلا يتدنَّس بغبار الشبهة»[2].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما دلَّت على ذلك الأحاديث»[3]. اهـ.

وقد أشار الحافظ فى «الفتح»، إلى أنَّ خروج المهدى قبل نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[4].

وقال الحافظ السيوطى رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن صلاة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خلف المهدى ثابتة فى عدة أحاديث صحيحة؛ بإخبار رسول الله ﷺ وهو الصَّادق

(١) كذا فى «فتح البارى» (٦/ ٤٩٣، ط. السلفية)، والصواب: «أبو الحسن محمد بن الحسين الآبرى السّجستانى»، كما فى «طبقات الحُفَّاظ»، للذهبى، (ص ٣٨٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٩٩).

(٢) «فتح البارى» (٦/ ٤٩٤).

(٣) «نهاية البداية والنهاية» (١/ ٣٧).

(٤) «فتح البارى» (١٣/ ٨١).

المصدوق»[١].

وقد بيَّن العلامة محمد أنور الكشميرى رحمه الله تعالى فى «فيض البارى بشرح صحيح البخارى»[٢] أنَّ الراجح أنَّ الإمام يكون هو المهدى.

وإليه ذهب - أيضًا - ابن حجر الهيتمى[٣] والمناوى[٤].

۞ **وقال الألبانى رحمه الله تعليقًا على حديث جابر رضي الله عنه**: «هو المهدى محمد بن عبد الله عليه السلام، كما تظاهرت بذلك الأحاديث بأسانيد بعضها صحيح، وبعضها حسن». اهـ[٥].

---

(١) «نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان»، للحافظ السيوطى (ص ٥٦).

(٢) «فيض البارى» (٤/ ٤٥-٤٨).

(٣) «القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر» (ص ٣٤).

(٤) «فيض القدير» (٥/ ٣٠١)، (٦/ ١٧)، (٦/ ٢٧٩).

(٥) «مختصر صحيح مسلم للمنذرى» (ص ٣٠٩)، نقلًا عن (المهدى) للدكتور محمد إسماعيل المقدم.

شبهة ... والرد عليها

أنكر بعضهم ما ورد من أن عيسى عليه السلام إذا نزل يصلى خلف المهدى صلاة الصبح، وصنَّف فى ذلك كتابًا، وقال فى توجيه ذلك:

«إن النبى عليه السلام أجلُّ مقامًا من أن يصلى خلف غير نبى».

❁ وجواب هذا من أوجه:

الأول: أن صلاة عيسى خلف المهدى ثابتة فى عدة أحاديث بإخبار رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وقد تقدم ذكرها.

الثانى: أن الحكمة من ذلك - كما نقلنا عن ابن الجوزى آنفًا - أن لا يتدنس عيسى عليه السلام بغبار الشبهة؛ إذ لو تقدم عيسى إمامًا لوقع فى النفس إشكال، ولقيل: أتراه نائبًا، أو مبتدئًا شرعًا؟

الثالث: «لا شك أن عيسى أكمل من المهدى؛ لأنه نبى الله»[2]، إلا أن الثابت شرعًا جواز إمامة المفضول للفاضل؛ وهذا رسول الله ﷺ، وهو من أجلِّ الأنبياء مقامًا، وأرفعهم درجة - قد صلى فى غزوة تبوك خلف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه... ففى حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف قد صلى لهم، فأدرك النبى ﷺ إحدى الركعتين معه، وصلى مع الناس الركعة الآخرة، فلما سلَّم عبد الرحمن، قام رسول الله ﷺ وأتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين،

---

(١) سورة النجم: الآية: (٤).

(٢) نقل هذه العبارة فى (الإذاعة) (ص: ١٣٥) عن الشوكانى فى (التوضيح).

وأكثروا التسبيح، فلما قضى النبى ﷺ صلاته، أقبل عليهم، ثم قال: «**أحسنتم**»، أو قال: «**أصبتم**»، يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «صلى النبى ﷺ خلف أبى بكر، فى مرضه الذى مات فيه، قاعدًا»[٢].

---

(١) رواه الشافعى فى مسنده (١/ ٢٨، ٢٩)، ومسلم (٢٧٤) (١/ ٣١٤).

(٢) رواه الترمذى (٣٦٢) الصلاة.

المسيح عليه السلام .. نبيٌّ وصحابي

ثبت أن النبى ﷺ اجتمع بعيسى عليه السلام ليلة الإسراء، وهو اجتماع حقيقى؛ لأنَّ الإسراء كان بالجسد والروح، كما هو مذهب طوائف الفقهاء، والمتكلمين، والمفسرين، والمحدثين؛... قال الحافظ فى «الفتح»: «وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ وَلَا يَنْبَغِى الْعُدُولُ عَنْ ذَلِكَ إِذْ لَيْسَ فِى الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى تَأْوِيلٍ». اهـ. وعلى هذا يكون عيسى عليه السلام صحابيًّا؛ لانطباق تعريف الصحابى عليه؛ ولذا ذكره الذهبى فى الصحابة؛ فقال فى «التجريد»: «عيسى ابن مريم نبىٌّ وصحابىٌّ؛ فإنه رأى النبى ﷺ فهو آخر الصحابة موتًا». اهـ.

وكذا قال الحافظ العراقى فى «نُكَتِهِ» على ابن الصَّلاح، والحافظ ابن حجر فى «الإصابة»، والحافظ السيوطى فى «التهذيب»، وفى «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام»، وألغز فيه التاج ابن السبكى بقوله:

من بِاتِّفَاق جَمِيع الْخلق أفضل من ... خير الصحاب أبى بكر وَمن عمر
وَمن عَلىّ وَمن عُثْمَان وَهُوَ فَتى ... من أمة الْمُصْطَفى الْمُخْتَار من مُضر

قال العلامة أبو عبد الله محمد الطاب بن الحاج فى حاشيته على «شرح المرشد المعين»:

وجوابه:

ذَاكَ ابْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ حَيْثُ رَأَى ... نَبِيَّنَا الْمُصْطَفَى فِى أَحْسَنِ الصُّوَرِ
فَوقَ السَّمَاوَاتِ لَيلًا عِنْدَمَا اجْتَمَعَا ... كَذَاكَ عِنْدَ طِرَابِ البَيتِ وَالحَجَرِ[1] اهـ

(١) «عقيدة أهل الإسلام فى نزول عيسى عليه السلام» للغمارى (ص ٤٤).

الله يُصلحه في ليلة

۞ قال ﷺ: «المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة»(١).

وقوله: يصلحه الله فى ليلة» يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المراد بذلك أن الله يصلحه للخلافة؛ أى يهيؤه لها.

والثانى: أن يكون متلبسًا ببعض النقائص، فيصلحه الله، ويتوب عليه»(٢). اهـ. وهذا المعنى هو الذى قرره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «ومعنى قوله: «**يصلحه الله فى ليلة**»؛ أى: يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه رشده، بعد أن لم يكن كذلك»(٣). اهـ.

وقال القارى فى «المرقاة»: «يُصلحه الله فى ليلة»، أى: يصلح أمره، ويرفع قدره، فى ليلة واحدة، أو فى ساعة واحدة من الليل؛ حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها»(٤). اهـ.

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٣٥).

(٢) «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدى المنتظر»(ص: ٢٦٣).

(٣) «نهاية البداية والنهاية»، (١/ ٤٣).

(٤) «من مرقاة المفاتيح»، (٥/ ١٨٠).

كيف نعلم بظهور المهدي؟

عن حفص بن غياث قال: قلت لسفيان الثورى: يا أبا عبد الله إن الناس قد أكثروا فى المهدى فما تقول فيه؟ قال: إن مرَّ على بابك فلا تكن منه فى شىء حتى يجتمع الناس عليه[١].

ولقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ عن علامات نعرف من خلالها أن هذا الرجل الذى سيظهر هو المهدى... وعلى رأس تلك العلامات أنه سيصلى خلفه عيسى (عليه السلام).

قال البرزنجى رحمه الله: «ومن العلامات التى يُعرفُ بها المهدى أنه يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام، ويصلى عيسى خلفه»[٢]. اهـ.

وقال الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى رحمه الله تعالى: (من ادَّعى من المفتونين أنه المهدى المنتظر، ولم يخرج الدجال فى زمانه، فإنه دجال كذاب، وكذلك من ادَّعى أنه المسيح ابن مريم، ولم يكن الدجال قد خرج قبله، فإنه دجال كاذب، وللمسيح ابن مريم علامتان لا تكونان لغيره من الناس، إحداهما: أنه يقتل الدجال كما تواترت بذلك الأحاديث، والثانية: أنه لا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهى حيث ينتهى طرفه[٣]، وفى هاتين العلامتين قطع لأطماع كل دجال يدعى أنه المسيح ابن مريم)[٤]. اهـ.

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣١).

(٢) الإشاعة (ص: ٩١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن.

(٤) إقامة البرهان فى الرد على من أنكر المهدى والدجال.

ومن العلامات المحكمة أن يُخسف بالجيش الذى يقصد المهدى، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «عبث[١] رسول الله ﷺ فى منامه، فقلنا: «**يا رسول الله، صنعت شيئًا فى منامك لم تكن تفعله**»، فقال: «**العجبُ أن ناسًا من أمتى يؤمون[٢] البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء[٣] خُسف بهم**»، فقلنا: «يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس»، قال: «**نعم، فيهم المستبصر[٤]، والمجبور[٥]، وابن السبيل، يهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتَّى[٦]، يبعثهم الله على نياتهم**»[٧].

وعن عبد الله بن صفوان عن أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**سيعوذ بهذا البيت - يعنى الكعبة - قوم، ليست لهم منعة[٨]، ولا عدد، ولا**

---

(١) عبث: بكسر الباء، أى تحرك جسمه الشريف، أو بعضه ﷺ، وقيل: حرك أطرافه كمن يأخذ شيئًا، أو يدفعه، انظر «شرح النووى»، (١٨/ ٦، ٧).

(٢) يؤم البيت: يقصده.

(٣) البيداء: المفازة، وهى الأرض الواسعة القفر، وفى رواية: «ببيداء المدينة»، وفى رواية أبى يعلى عن أم سلمة رضي الله عنها: «بالبيداء من ذى الحليفة»، والبيداء أرض واسعة ملساء بين مكة والمدينة، وهى معروفة بالقرب من ذى الحليفة.

(٤) المستبصر: المستبين للأمر، القاصد له.

(٥) المجبور: المُكره المقهور.

(٦) «المصادر: المراجع، ورد ثم صدر؛ أى: جاء ثم رجع - شتَّى: متفرقة، والمقصود أن مهلك هذا الجيش مهلك واحد يخسف بهم جميعًا، إلا أنهم يصدرون عن الهلكة مصادر متفرقة، فواحد إلى الجنة، وآخر إلى النار، على قدر أعمالهم ونياتهم». اهـ.

(٧) رواه البخارى: (٤/ ٣٣٨ ـ فتح) فى البيوت: باب ما ذُكر فى الأسواق، ومسلم، واللفظ له (٤/ ٢٢١٠).

(٨) منعة: فلان فى عز ومنعة: أى قوة تمنع من يريدهم بسوء، وقد تفتح النون، وقيل: هى بالفتح جمع مانع؛ مثل كافر وكفرة، انظر: «النهاية» (٤/ ٣٦٥).

عدة، يبعث إليهم جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم»(١).

وفى رواية عنه عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال: «ليؤمَّنَّ هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسَف بأوسطهم، وينادى أولهم آخرهم، ثم يُخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر عنهم»(٢)، فقال رجل: أشهد عليك أنك لم تكذب على حفصة، وأشهد على حفصة أنها لم تكذب على النبى ﷺ.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٨٣)، فى الفتن: باب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت، وفى رواية: أن عبد الله بن صفوان قال: «أما والله ما هو بهذا الجيش»، يعنى الآتى من الشام إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

قال فى «التاج»: «حقًّا ليس هو هذا الجيش؛ لأنه لم يُخسف به، وما سمعنا بجيش خُسف به للآن، ولو وقع لاشتهر أمره كأصحاب الفيل». اهـ.

(٢) رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٨٦)؛ ومسلم (١٨/ ٥ ـ نووى) والنسائى (٥/ ٢٠٧).

كثرة الخيرات في عهده

وفى عهد المهدى تكثر الخيرات وتعمُّ البركات وتنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعمها قط.. فتُخرج الأرض خيراتها وتُنزل السماء بركاتها، ويكثر المال ويفيض ويسعد الناس سعادة لا يعلم قدرها إلا الله (جل وعلا).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فى زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدو راغم، والخير فى أيامه دائم»[1].

عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج فى آخر أمتى المهدى؛ يسقيه الله الغيث، وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطى المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا** (يعنى: حججًا)»[2].

ولأن عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ينزل ويصلى خلف المهدى فإننى سأذكر بعض الخيرات التى ستكون فى تلك الحقبة المباركة.

فقد جاء فى حديث النواس بن سمعان الطويل فى ذكر الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج فى زمن عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ودعائه عليهم وهلاكهم، وفيه قوله ﷺ: «**ثم يرسل الله مطرًا لا يُكنُّ منه بيتُ مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة** - المرآة - **ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك، ورُدِّى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها،**

---

(١) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ٣١).

(٢) «مستدرك الحاكم» (٤/ ٥٥٧، ٥٥٨)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبى. وقال الألبانى: «هذا سند صحيح، رجاله ثقات»، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧١١).

ويبارك فى الرَّسل - اللبن - حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس»(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «والأنبياء إخوة لعلَّات أمهاتهم شتَّى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى، وإنه نازل... فيُهلك الله فى زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم»(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لينزلن عيسى بن مريم حكمًا عادلًا... وليضعن الجزية، ولتُتركن القلاص - الناقة الشابة - فلا يُسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال؛ فلا يقبله أحد»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألبانى فى قصة المسيح الدجال (٤٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

شبهات المكذبين لأحاديث المهدي[1]

ولقد سلك المكذبون لأحاديث المهدى مسالك شتَّى، وأرادوا الشُبهات التى توافق مذهبهم... وسأذكر بعضها مصحوبًا بالرد عليها - بإذن الله -:

(١) الشبهة الأولى:

وهى قولهم: (التصديق بخروج المهدى من القضايا النظرية فى الدين التى لا يترتب عليها عمل، وما يفيدنى فى دينى إذا صدقت به؟ وماذا يضيرنى إن كذبت به؟).

۞ والجواب على ذلك فى النقاط الآتية:

أولًا: لابد أن نعلم أن هذه الأمور العلمية الخبرية التى أخبر بها الوحى يلزم تصديقها واعتقادها؛ لأنها أصل الدين وجوهر التوحيد.

ثانيًا: إن الإيمان بهذه القضايا من مستلزمات الشهادة بأن محمدًا ﷺ رسول الله، والتى تقتضى: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبدَ الله إلا بما شرع.

ثالثًا: إن التصديق بها من مستلزمات الإيمان باليوم الآخر؛ لأن أشراط الساعة - التى منها خروج المهدى - من مقدمات اليوم الآخر.

رابعًا: إن التصديق بخروج المهدى داخل فى الإيمان بالقدر.

خامسًا: إن الإيمان بأشراط الساعة من مقتضيات الإيمان بالغيب،

---

(١) سأذكرها بتصرف من كتاب (المهدى وفقه أشراط الساعة) للدكتور محمد إسماعيل حفظه الله.

وعليه فمن الإيمان بالغيب: الإيمان بما أخبر به النبى ﷺ عن المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان.

(٢) الشبهة الثانية:

وهى قولهم: (كيف يملأ المهدى الأرض عدلًا بعد أن مُلئت جورًا فى سبع سنين فقط،.... وهذا رسول الله ﷺ مكث ثلاثًا وعشرين سنة، يجاهد ويدعو إلى الله، وما ملأ الأرض كلها عدلًا؟).

۞ والجواب على ذلك فى النقاط الآتية:

أولًا: إن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(١).

وقال ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾(٢).

وكل ما ثبت عن النبى ﷺ أنه أخبر به، فالواجب تصديقه، وأن لا يجد المسلم فى نفسه حرجًا مما أخبر به رسول الله ﷺ، وأن لا يعارض خبره بكيف؟ ولِمَ؟ وهل؟ فإن هذا عنوان فساد العقيدة.

ثانيًا: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمرًا هيأ أسبابه، ويسَّر الوصول إليه.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد ملأ الأرض قسطًا وعدلًا فى عشر سنين، وقد كانت قبل انتشار الإسلام فى خلافته قد مُلئت ظلمًا وجورًا، وهذا عمر بن عبدالعزيز قد ملأ الأرض قسطًا وعدلًا فى سنتين وخمسة أشهر، وأخبر النبى ﷺ أن المهدى يملأ الأرض قسطًا وعدلًا فى سبع سنين، وخبر الصادق المصدوق ﷺ واقع لا محالة، ولا يستبعد وقوعه إلا من يشك فى عموم قدرة الرب تبارك وتعالى، ونفوذ مشيئته.

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١).

(٢) سورة النجم: الآيتان: (٣، ٤).

ثالثًا: إن المهدى سيهيئه الله ويعده لتجديد الدين بأن يُصلحه فى ليلة، ثم يؤيده الله تعالى بكرامة خارقة للعادة، وهى أن يُخسف بالجيش الذى يقصده حينما يعوذ بالبيت الحرام.

رابعًا: ومن المعلوم أن ثمار دعوة الأنبياء وآثارها فى العالمين أحد أعلام نبوتهم، وكل ما وقع فى هذه الأرض من آثار نبوة رسول الله ﷺ، فما وقع من الخلفاء الراشدين، وما سيقع بإذن الله من المهدى، إنما هو أثر من آثار نبوة رسول الله ﷺ، وثمرة من ثمرات بعثته المباركة، وقبس من مشكاة نبوته ﷺ.

(٣) الشبهة الثالثة:

ومن أخطر الشبهات التى اعتمد عليها كل من أنكر وجود المهدى أن أحاديث المهدى لم تثبت فى الصحيحين - أى البخارى ومسلم - وأن تلك الأحاديث قد تسرب إليها كثير من الإسرائيليات.

وأما دعوى أن الشيخين لم يعتدَّا بشىء من الأحاديث فى المهدى؛ فنقول: إن السنة كلها لم تُدوَّن فى الصحيحين فقط، بل ورد فى غيرهما أحاديث كثيرة صحيحة فى السنن والمسانيد والمعاجم وغيرها من دواوين الحديث.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن البخارى ومسلمًا لم يلتزما بإخراج جميع ما يُحكم بصحته من الأحاديث، فإنهما قد صححا أحاديث ليست فى كتابيهما؛ كما ينقل الترمذى وغيره عن البخارى تصحيح أحاديث ليست عنده، بل فى السنن وغيرها»[1].

---

(١) «الباعث الحثيث/ شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير» (ص: ٢٥)، تأليف أحمد شاكر، طبع دار الكتب العلمية.

وأما كون الأحاديث قد دخلها كثير من الإسرائيليات، وأن بعضها من وضع الشيعة وغيرهم من أهل العصبيات؛ فهذا صحيح، ولكن أئمة الحديث قد بيَّنوا الصحيح من غيره، وصنفوا الكتب في الموضوعات، وبيان الروايات الضعيفة، ووضعوا قواعد دقيقة في الحكم على الرجال، حتى لم يبقَ صاحب بدعة أو كذب إلا وأظهروا أمره، فحفظ الله السنة من عبث العابثين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وهذا من حفظ الله لهذا الدين[1].

(٤) الشبهة الرابعة:

وهي قولهم: (الاعتقاد في خروج المهدي خرافة، تسربت إلى أهل السنة من طريق المؤانسة، والمجالسة، والاختلاط بالشيعة، دون أن يكون لها أصل في عقيدتهم).

۞ والجواب على ذلك في النقاط التالية:

أولًا: أن أحاديث المهدي مدونة في كتب السنة الشريفة بأسانيد تنتهي إلى رسول الله ﷺ عن طريق صحابته الكرام رضي الله عنهم، أما أحاديث الشيعة، فهي تنتهي إلى أئمتهم المعصومين في زعمهم. وما صح من الأحاديث الواردة في المهدي عن رسول الله ﷺ لا علاقة له بالشيعة، ولم يُنقل عن الشيعة. ثم إن المهدي عند الشيعة هو محمد بن الحسن العسكري صاحب السرداب، أما المهدي عند أهل السنة فهو محمد بن عبد الله.

فعقيدة أهل السنة في المهدي في وادٍ، وعقيدة الشيعة في مهديهم في وادٍ آخر.

---

(١) «أشراط الساعة» يوسف الوابل (ص: ٢٧٠).

ثانيًا: أنه لا يجوز أن ندع حقًا لباطل؛ فكون الرافضة كذبوا فى ادعاء المهدية لإمامهم الوهمى لا يسوغ لنا لا عقلًا، ولا نقلًا أن نرفض الأدلة الصحيحة من سنته ﷺ التى تؤكد أن المهدى حقيقة لا خرافة.

ثالثًا: أن دعوى اقتباس السنة التصديق بخروج المهدى من الرافضة لا تستند إلى دليل إلا الظن.

رابعًا: قد تقدم بيان صفة المهدى وأحواله فى اعتقاد أهل السنة، يبقى أن نتعرف على اعتقاد الشيعة فى مهديهم المزعوم:

فهو فى اعتقادهم آخر الأئمة الإثنى عشر المنصوص عليهم.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ فى شأن ذلك المعدوم، الموجود فى خيالاتهم الفاسدة: (إنه الحاضر فى الأمصار، الغائب عن الأبصار، الذى ورث العصا، ويختم الفضا، دخل سرداب سامُرا طفلًا صغيرًا، من أكثر من خمس مائة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس فيه بخبر، ولا أمر، وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون به أن يخرج إليهم: «اخرج يا مولانا»، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه)، ثم قال: (ولقد أصبح هؤلاء عارًا على بنى آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل)[1]. اهـ.

ما آن للسرداب أن يلد الذى ... كلمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا[2]

---

(١) المنار المنيف (ص: ١٥٢، ١٥٣).

(٢) «الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيثمى، (ص: ١٦٨) والعنقاء: طائر معروف الاسم لا الجسم.

فإذا كان الفرق بين المهدى عند الشيعة، والمهدى عند أهل السنة كالفرق بين الثرى والثريا، فكيف يسوغ لنفسه أن يسوى بين الحق والباطل؟ ما لكم كيف تحكمون؟!

(٥) الشبهة الخامسة:

وهى قولهم: (إن الاعتقاد فى خروج المهدى يترتب عليه من المضار، والمفاسد، والفتن، ما يشهد به التاريخ، والواقع، أما اعتقاد بطلانه، وعدم التصديق به، فإنه يجلب الراحة والأمان، والسلامة من الزعازع والفتن.

۞ والجواب على ذلك فى النقاط الآتية:

أولًا: أن الواجب تصديق رسول الله ﷺ فيما يخبر به من أمور الغيب، سواء كانت ماضية أو مستقبلة، موجودة أو غائبة عنا، والذين حكموا بصحة أحاديث المهدى هم العلماء الجهابذة، والنقاد المحققون من أهل الحديث، فلم يبق عذر لمن دونهم فى أن يرد بجهلهم حكمهم، وينازع الأمر أهله.

ثانيًا: أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن المهدى يقيم القسط، ويبسط العدل، ويرفع الجور، ويزيل الظلم، أما الفتن والزعازع، فإنما تكون من الدجالين الكذابين، الذين يدعون المهدية.

ثالثًا: أن المضار والمفاسد تترتب - أيضًا - على التكذيب بالأحاديث الصحيحة؛ مما ينافى الإيمان،... قال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ رَدَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة».

(١) سورة النور: الآية: (٦٣).

رابعًا: أن إنكار خروج المهدى فى آخر الزمان ليس هو الذى يمنع من وقوع الفتن، ويحصل به الأمن والاطمئنان، بدليل أن الله تعالى قال فى كتابه العزيز: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١)، وقال ﷺ: «**وأنا خاتم النبيين، لا نبى بعدى**»، ومع ذلك وُجد كثيرون ممن ادَّعوا النبوة، وحصل بذلك للمسلمين أضرار كبيرة؛ فقد قاتل المسلمون المتنبئين على دعواهم النبوة، وأراقوا دماءهم، كما وقع مع مسيلمة الكذاب، والأسود العنسى، وطليحة الأسدى، وسجاح، والمختار بن أبى عبيد، وغيرهم من الكذابين الدجالين، الذين كانت لهم شوكة وأتباع.

أما الأسباب الحقيقية للنجاة من الفتن، فتكمن فى التمسك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ والاعتصام بحبله.

خامسًا: أما زعمهم أن التكذيب بأحاديث المهدى يجلب الراحة والأمان، والسلامة من الزعازع والفتن، فجوابه أن العكس هو الصحيح، فإن الذى يجلب ذلك كله هو الإيمان بكل ما جاء عن الله تعالى، وكل ما ثبت عن رسوله ﷺ والتنزُّه من الشكوك والأوهام فى أنباء الغيب مما كان، وما سيكون.

(٦) الشبهة السادسة:

لما عجزوا عن إنكار صحة الأحاديث التى وردت بشأن المهدى قالوا: (نعم، صحَّت الأحاديث فى إثبات حقيقة المهدى، ولكننا نؤولها بأن المهدى: رمز للخير، والهدى، والصلاح.

والجواب: أن القائلين بهذا التأويل الفاسد هم فى الحقيقة مكذبون لا مثبتون، فمثل هذه الصورة من التأويل الفاسد توأم التكذيب، ورَدّ الحديث.

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

ناهيك عن الأضرار، والفتن، والمفاسد، التى قد تنشأ عن مثل هذا التأويل، حيث يكثر مُدَّعو المهدية؛ ممن يرى فى نفسه الخير، والهدى، والصلاح، أو يرى الناس فيه ذلك.

وإذا كانت أحاديث المهدى الحقيقى قد استُغلت أسوأ الاستغلال من مُدعى المهدية، مع أن محورها شخص معين، له صفات محصورة، فماذا نتوقع أن يحصل إذا عممنا صفة المهدى بأنه كل خيِّر، ومهتد، ومصلح؟

حديث لا يصح

احتج بعض المنكرين لأحاديث المهدى بالحديث الذى رواه ابن ماجه والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدبارًا، ولا الناس إلا شُحًّا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا المهدى إلا عيسى ابن مريم**».

ويُجاب عليهم بأن هذا الحديث ضعيف؛ لأن مداره على محمد ابن خالد الجندى،... قال الذهبى: «قال الأزدى: منكر الحديث. وقال أبو عبد الله الحاكم: مجهول. قلت - القائل الذهبى -: حديثه «لا مهدى إلا عيسى ابن مريم»، وهو خبر منكر، أخرجه ابن ماجه»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الحديث ضعيف»[2].

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٥).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤/ ٢١١).

نظرة سريعة فيمن ادَّعى أنه المهدي[1]

عند التأمل فى التاريخ، وتتابع العصور، ومرور المسلمين بحالات من الاختلاف والظلم، وانتشار الجور من الولاة غيرهم، نجد أنه ظهر رجال زعموا أنهم المهدى، واعتقدالناس فيهم ذلك، ومن هؤلاء.

(١) الرَّافضة يزعمون أنَّ لهم مهديًّا ينتظرونه، وهو آخر أئمتهم الاثنى عشر، واسمه عندهم محمد بن الحسن العسكرى، وهو عندهم من ولد الحسين بن على، لا من ولد الحسن بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

ويعتقدون:

أنه دخل سرداب سامُراء منذ أكثر من ألف سنة عام ٢٦٠ هـ.

لما دخل كان عمره خمس سنوات، وهو يعيش فى هذا السرداب منذ ذلك الحين، ولم يَمُت، وسوف يخرج فى آخر الزمان.

ويعتقدون أنه حاضر فى الأمصار، يعلم أحوال الناس، لكنه غائب عن الأبصار فلا يُرى.

وكلامهم هذا حُمقٌ لم يقم عليه دليل ولا برهان ولا عقل ولا نظر، وهو مخالف لسنة الله فى البشر؛ فأنبياء الله ورسله الذين هم أفضل الخلق عند الله، توفاهم الله، فكيف يتوفى الله أنبياءه ورسله ويُبقى مهدى الرافضة حيًّا منذ ألف سنة كما زعموا؟!

ثم ما الداعى لغيبته واختفائه طوال هذه المدة وهو حى؟ لماذا لم

---

(١) بتصرف من (نهاية العالم).

يخرج، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وواقع الأمة اليوم أحوج ما يكون له؟!

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ متحدثًا عن المهدى محمد بن عبد الله الوارد ذكره فى الأحاديث: «ويكون ظهوره من بلاد المشرق - يعنى مهدى أهل السنة- لا من سرداب سامرّاء، كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه فى آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان الشديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان»[1].

(٢) ادَّعى عبد الله بن سبأ أنَّ على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو المهدى المنتظر، وزعم أنه سيعود إلى الدنيا.

(٣) ادَّعى المختار بن عبيد الثقفى أنَّ محمد ابن الحنفية، المتوفى عام (٨١هـ)، هو المهدى المنتظر، ... ومحمد ابن الحنفية هو محمد بن على ابن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وسُمى ابن الحنفية نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر التى هى من قبيلة بنى حنيفة.

(٤) فرقة الكيسانية وهم أتباع كيسان مولى على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهى فرقة شيعية اعتقدت بإمامها محمد ابن الحنفية بأنَّه محيط بالعلوم كلها، ويجمعهم القول بأنَّ الدين طاعة رجل، فحملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية على رجال فعطلوها، وزعموا أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى القرشى .. هو المهدى.

---

(١) النهاية فى الفتن والملاحم (ص ١٧).

(٥) محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب (كنيته ذو النفس الزكية، توفى عام ١٤٥ هـ)، وكان صوامًا قوَّامًا .. وفى عصره فُتن به بعض الناس .. وظنوا أنه المهدى .. وكان له حركة وأتباع .. وحاول تصحيح الأوضاع .. فقاتله العباسيون الذين كانوا الحكام فى عصره فى جيش قوامه (١٠.٠٠٠) مقاتل .. وقضوا على حركته.. وقد كان خروج ذى النفس الزكية على المنصور الخليفة العباسى .. وكان قد انتشر الظلم والجور فى عصره.

(٦) وممن ادَّعى المهديّة: عبيد الله بن ميمون القدَّاح، توفى سنة (٣٢٥هـ)، كان جده يهوديًّا .. وهو رأس القرامطة الذين قتلوا المسلمين وسرقوا الحجر الأسود عام (٣١٧هـ)، وهم أشد كفرًا من اليهود والنصارى.

صار لأبنائه صولة وجولة وحكم .. وسيطروا على مصر والحجاز والشام .. انتسبوا إلى آل البيت كذبًا وزورًا، فزعموا أنهم من نسل فاطمة رضي الله عنها لذا سُمُّوا أيضًا بالفاطميين.

وأزالوا القضاء الشافعى .. وأقاموا القبور والأضرحة ووقع بهم على المسلمين بلية عظيمة .

فالقرامطة يُظهرون الإسلام وهم ملاحدة فى حقيقتهم .. خارجون عن جميع الملل ومذهبهم مُركَّب من مذهب المجوس عُبَّاد النار والصابئة عُبَّاد الكواكب.

قال ابن كثير: «وكانت مدة ملك الفاطميين أكثر من ٢٨٠ سنة، وعبيد الله القداح ادَّعى أنَّه المهدى وبنى مدينة المهدية»[1].

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٣٣١) .

(٧) وممن ادَّعى المهدية: محمد بن عبد الله البربرى المشهور بـ(ابن تومرت) ظهر عام (٥١٤هـ) ادعى أنه علويٌّ أى: من نسل على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واخترع نسبًا إلى الحسن بن على.

وقد ملك بالظلم والتسلط .. وكان له عدد من الحيل يخدع بها الناس ويُظهر أنَّ له كرامات .. ومن حيله: أنه أخفى رجالًا فى قبور، وجاء فى جماعة ليريهم آية، فصاح: أيها الموتى أجيبوا، فأجابوه: أنت المهدى المعصوم، وأنت وأنت، ثم إنه خاف من انتشار الحيلة، فخسف فوقهم القبور فماتوا.

(٨) وممن ادَّعى المهدية: محمد أحمد بن عبد الله السودانى المتوفى سنة (١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥م)، الصوفى المتغلب على السودان، واشتهر بالزهد، وادعى المهدية وعمره ٣٨ سنة.. أقبل عليه الزعماء وشيوخ القبائل ..وزعم أن من شك فى مهديته فقد كفر بالله ورسوله إلى غير ذلك من دعاويه الفارغة، وهو وإن كانت له يد بيضاء فى محاربة نصارى الإنجليز، فقد أظهر الواقع أنه ليس (المهدى الموعود فى الأحاديث) وإنما هو مُدّعٍ من جملة المدعين.

(٩) وممن ادَّعى أنه المهدى: محمد بن عبد الله القحطانى، ظهر فى الرياض، بالمملكة العربية السعودية، ذكر أنه رأى رؤيا مفادها أنه (المهدى) المنتظر، فبايعه جماعة، وتحصّنوا فى المسجد الحرام سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، فكان ما هو معروف بـ(فتنة الحرم) التى انتهت بمقتله.

ضوابط في التعامل مع أدعياء المهدية

لا يعنى ردّنا على من ادعى أنه المهدى، أننا نكذب بالأحاديث الواردة فى المهدى، كلا، ولكن:

ينبغى التفريق بين التصديق بأحاديث المهدى، وأنها أخبار صادقة عن النبى ﷺ وبين حكمنا أنَّ فُلانًا هو المهدى - وذلك أنَّ النبى ﷺ لم يترك الأمر سدى، وإنما ذكر علامات وضوابط نعرف بها المهدى دون شك، منها:

(١) أنَّ المهدى لا يدعو إلى نفسه، ولا ينادى إلى بيعته، وإنَّما يبايعه الناس وهو مُكره.

(٢) تطابق اسم المهدى مع اسم النبى ﷺ (محمد بن عبد الله).

(٣) كون نسبه يرجع إلى الحسن بن على رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٤) أن تنطبق عليه الصفات الخَلْقية، الواردة فى الحديث «**أجلى الجبهة، أقنى الأنف..**».

(٥) الظروف التى يظهر فيها:

- اختلاف يقع بعد موت خليفة[١].
- امتلاء الأرض ظلمًا وجورًا.
- اقتتال ثلاثة كلهم ابن خليفة.
- كونه صالحًا تقيًّا عنده علم شرعى وحكمة.
- كونه يظهر فى مكة، ويُبايَع بين الركن والمقام.

---

(١) وإن كان ذلك ورد فى حديث فى سنده مقال.

ما الذي جعل البعض يزعم هو أو غيره أنه المهدي؟

من خلال النظر في سير وقصص من ادَّعى المهدية، تبيَّن أن:

بعضهم أراد الظهور والحكم فادعى أنه المهدى زورًا وبهتانًا، وإلا فهو لا ينطبق عليه شيء من العلامات أبدًا، مثل عبيد الله القداح، وابن تومرت.

بعضهم اشتبه أمره، وظن الناس أنه المهدى، مثل محمد بن عبد الله ذى النفس الزكية، فظهر وصار له أتباع، ثم تبين أنه ليس المهدى.

بعضهم اشتهر أمره وكثرت فيه المنامات، وظن الناس أنه المهدى، مثل محمد بن عبد الله القحطانى.

لا لتعطيل الأسباب بحجة انتظار المهدي

۞ فمن الناس من يعطل العمل اكتفاءً بالأمل، ويهرب من إصلاح الواقع المرير للأمة، بحجة أنه تسبب فيه مَن قبلنا، وسيصلحه مَن بعدنا، ويتوقف عن السعى للتمكين لدين الله؛ بحجة أن المهدى هو الذى سيفعل.

إنه هروب إلى الأمانى، مع تعطيل الأسباب الشرعية.

ولقد حثنا الحق (جل وعلا) على العمل والأخذ بالأسباب فقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[3].

وأمر الله مريم (عليها السلام) أن تأخذ بالأسباب، وهى فى أشد ضعفها، فقال ﷻ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[4]، وكان رسول الله ﷺ يُعد لكل أمر عُدته، ويرسم له خطته، كما حدث فى رحلة الهجرة، فقد أعد الرواحل، والدليل، واختار الرفيق، وحدد مكان الاختفاء إلى أن يهدأ الطلب، وأحاط ذلك كله بسياج من الكتمان، وكذلك كانت سيرته فى غزواته كلها، وعليه ربَّى أصحابه الكرام، فكانوا يلقون عدوهم متحصنين بأنواع السلاح، ودخل رسول الله ﷺ مكة، والبيضة على رأسه، مع أن الله ﷻ قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[5]، وكان إذا سافر فى جهاد،

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٥).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (١٩).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

(٤) سورة مريم: الآية: (٢٥).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

أو حج، أو عمرة، حمل الزاد والمزاد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فحال النبى ﷺ، وحال أصحابه، محك الأحوال، وميزانها، بها يُعلَم صحيحها من سقيمها، فإن هممهم كانت فى التوكل أعلى من همم مَن بعدهم»[١].

وعن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تعدو خِماصًا وتروح بطانًا**»[٢].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس فى الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطير إذا غدت فإنما تغدو لطلب الرزق»[٣].

ونـدَّد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالكسالى القاعدين عن طلب الرزق: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تُمطر ذهبًا، ولا فضة، وإن الله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[٤].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافى السعى فى الأسباب التى قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المقدورات بها، وجرت سنته فى خلقه بذلك؛ فإن الله تعالى أمر بتعاطى الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعى فى الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به»[٥].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٣٥).

(٢) رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(٣) شُعب الإيمان (٢/ ٦٦، ٦٧).

(٤) سورة الجمعة: الآية: (١٠).

(٥) جامع العلوم والحكم (ص: ٤٠٩).

لابد من العمل لنصرة الإسلام

قال الشيخ الألباني رحمه الله رحمة واسعة: لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض؛ انتظارًا منهم لخروج المهدى، ونزول عيسى (عليهما السلام) يأسًا منهم، أو توهُّمًا أن ذلك غير ممكن قبلهما، فإن هذا توهُّم باطل، ويأس عاطل؛ فإن الله تعالى أو رسوله ﷺ، لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض، إلا فى زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛... لقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التى حملت بعض الأساتذة المرشدين، والكُتاب المعاصرين، على إنكار أحاديث المهدى وعيسى عليهما السلام على كثرتها، وتواترها؛ لما رأوا أنها عند المتوهمين مَدعاة للتواكل عليها، وترك العمل لعزِّ الإسلام من أجلها، فأخطئوا فى ذلك أشد الخطأ من وجهين:

الأول: أنهم أقروهم على هذا التوهم؛ على اعتبار أن مصدره تلك الأحاديث المشار إليها، وإلا، لم يبادروا إلى إنكارها.

والآخر: أنهم لم يعرفوا كيف ينبغى عليهم أن يعالجوا التوهم المذكور؟ وذلك بإثبات الأحاديث، وإبطال المفاهيم الخاطئة من حولها - إلى أن

(١) سورة محمد: الآية: (٧).

(٢) سورة الحج: الآية: (٤٠).

قال رَحِمَهُ اللهُ: وكذلك أقول في أحاديث نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيرها، فإن الواجب فيها إنما هو الإيمان بها، وردُّ ما توهمه المتوهمون منها؛ من ترك العمل، والاستعداد الذي يجب القيام به في كل زمان ومكان، وبذلك نكون قد جمعنا بين صواب هؤلاء وهؤلاء ورددنا باطل هؤلاء وهؤلاء، والله المستعان»[1]. اهـ.

(١) قصة المسيح الدجال، للألباني (ص: ٣٦-٣٨) بتصرف.

ستزول الغربة فى زمن المهدى... ولكن

إن البُشريات الغالية التى أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ لتجعل القلب يمتلئ ثقة ويقينًا فى أن غربة الإسلام ستزول - إن شاء الله - فى زمن المهدى، ولكن هل يعنى ذلك أن نتواكل ولا نقوم بالتكاليف الشرعية ونترك العمل لنصرة هذا الدين؟! كلا، بل علينا أن نسعى بكل ما نملك لنصرة دين الله (جل وعلا).

قال الدكتور محمد إسماعيل المقدم - حفظه الله -: ولئن وقع منا تردُّد فى: هل زماننا هو زمان ظهور المهدى؟ فلا ينبغى أن نتردد فى الجزم بأننا - سواء كان هذا زمان ظهوره أو لا - مُلزَمون بكافة التكاليف الشرعية: من طاعة الله، والجهاد فى سبيله، وطلب العلم، والدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والصبر على الأذى فى ذلك كله، وغير ذلك من الواجبات، فما يتوهمه بعض الكسالى من أن ظهور المهدى سيكون بداية عصر الاسترخاء والدعة - باطلٌ باطل، بل النصوص تشير إلى أنه سيكون بداية للفتوح، والجهاد، والبذل فى سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل[1].

❁ **وسُئل الشيخ عبد الله ابن الصديق سؤالًا نَصُّه:**

(إذا كانت القيامة تقوم على المهدى وعيسى، ودين الإسلام حسب ما ذكرنا، فما معنى قوله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»؟

فأجاب: (تواتر عن النبى ﷺ أنه قال: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا**

(١) المهدى وفقه أشراط الساعة (ص: ٧٢٣).

كما بدأ»[١]، وهو يشير إلى وقتنا هذا؛ فإن الإسلام فيه غريب بمعنى الكلمة، وسيظل كذلك، بل ستزداد غربته إلى أن يأتى المهدى فيظهر الإسلام، ويحيى العدل، وتزول الفتن والإحن بين المسلمين، ويبقى الحال كذلك مدة المهدى، ومدة عيسى عليهما السلام، ثم بعد ذلك تأتى ريح طيبة تأخذ نفس كل مؤمن، فلا يبقى على الأرض من يعرف الله أو يذكره، وإنما يبقى أقوام يتهارجون كما تتهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة كما جاء فى صحيح مسلم، وغيره والله أعلم)[٢]. اهـ.

صحوة مباركة قبل ظهور المهدى

وليكن معلومًا لدى الجميع أن الخلافة الراشدة تعود قبل ظهور المهدى؛ وليس كما يعتقد الناس، وتزعم بعض الجماعات الإسلامية أن الخلافة يُرجعها المهدى، وهم ينتظرونه؛ فإن هذا ما لا دليل عليه، بل هو وهمٌ، وخرص، وتخمين.

ومن الأدلة الدامغة على أن الخلافة ترجع قبل هذا الخليفة الصالح أن المسلمين يسترجعون بيت المقدس من اليهود، أى أن بيت المقدس يكون فى أيدى المسلمين، وبيت المقدس الآن يرزح تحت نير الاحتلال الصهيونى اليهودى البغيض، فلا بد من قيام الخلافة قبل المهدى، لأنها هى السبيل الوحيد لاسترجاع مجد الإسلام التليد»[٣]. اهـ.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٥) كتاب الإيمان.

(٢) المهدى المنتظر (ص: ٥١، ٥٢).

(٣) الجماعات الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة (ص: ٤١-٥٨) لمؤلفه سليم الهلالى.

عودة الأقصى.. قبل ظهور المهدى

أجل والله... إن الأقصى سيعود مرة أخرى للمسلمين، ولكن لابد أن نعلم أن الأقصى لن يعود إلا إذا عادت الأمة إلى شرع ربها وسُنة نبيها ﷺ وإلى رفع راية الجهاد فى سبيل الله (جل وعلا).

ويقتضى هذا كله أن القتال فى فلسطين سيعود إسلاميًا خالصًا فى سبيل الله وحده لا قوميًا رغم أنف العلمانيين والقوميين وأذنابهم، ولا يقدر على ردع الشيطان اليهودى سوى نور القرآن؛ يحرقه ويبيده، ولن يهزم شركهم إلا توحيدنا، ولعل تعقيب الآيات بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1]، فيه إشارة لطيفة إلى أن سلاح العودة إلى بيت المقدس، وقبلتنا الأولى هو كتاب ربنا لا غير، وعودة الأقصى للمسلمين بالمثابة التى ذكرنا تستلزم قيام خلافة راشدة على منهاج النبوة؛ فقد قال ﷺ: **«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون،ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكًا عاضًا؛** (أى وراثيًا)، **فيكون جبريًا،** (أى قهريًا) **فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»**، ثم سكت[2].

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٩).

(٢) رواه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما الإمام أحمد (٤/ ٢٧٣) والطيالسى (٤٣٨) فى «مسنديهما»، وقال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٩): رواه أحمد، والبزار أتم منه، والطبرانى فى «الأوسط» ورجاله ثقات، وقال الحافظ العراقى: (هذا حديث صحيح)، كما نقله عنه الألبانى فى «الصحيحة» الحديث الرابع (ص:٩).

الرد على من زعم أن الخلافة لن تعود قبل ظهور المهدى

قال الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى معرض ردِّه على من زعم أن دولة الخلافة الإسلامية لن تعود قبل ظهور المهدى:

«واعلم يا أخى المسلم أن كثيرًا من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب فى هذا الموضوع، فمنهم من استقر فى نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدى، وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان فى قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس فى شىء من أحاديث المهدى ما يُشعر بذلك مطلقًا، بل هى كلها لا تخرج عن أن النبى ﷺ بشَّر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات، أبرزها: أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام، فهو فى الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله فى رأس كل مائة سنة، كما صح عنه ﷺ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعى وراء طلب العلم، والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدى لا يستلزم التواكل عليه، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله فى الأرض، بل العكس هو الصواب؛ فإن المهدى لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ﷺ الذى ظل ثلاثة وعشرين عامًا، وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدى لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا، وعلماءهم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رءوسًا، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم، ويجمعهم فى صفٍّ واحد، وتحت راية واحدة، وهذا - بلا شك - يحتاج إلى زمنٍ مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقضيان أن يقوم بهذا

الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدى، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج، فقد قاموا بواجبهم، والله يقول: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[(١)][(٢)].

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٥).

(٢)سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٤٢، ٤٣).

لا بد من التصفية والتربية قبل ظهور المهدى

قال العلامة ناصر الدين الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى معرض مناقشته للذين ادعوا اقتراب ظهور المهدى:

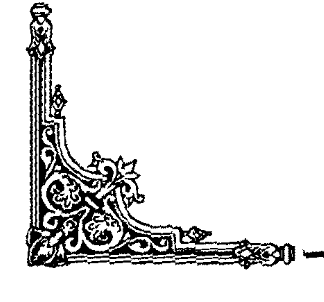
«ما أظن أن هذا أوان ظهوره، فهذا مقتضى السنة الكونية، وما أحسب المهدى يقدر - خلال سبع سنين - على أن يُحدث من التغيير فى العالم أكثر مما أحدثه رسول الله ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، وظنى أن المهدى سيكون رجلًا فريدًا فى كل باب: فريدًا فى علمه، فريدًا فى ورعه، فريدًا فى عبادته، فريدًا فى خُلقه، وأنه سيظهر، وقد تهيأ للعالم الإسلامى وضع صَلُح فيه أمر الأمة، وتمت فيه مرحلتا «التصفية والتربية»، ولم يبقَ إلا ظهور الزعيم المصلح الذى يقوده، وهو المهدى». اهـ.

فعلى هذا لابد أن يهتم الدعاة والمصلحون بتربية هذا الجيل تربية إيمانية كما ربَّى النبى ﷺ أصحابه على النبع الصافى حتى تتهيأ الأمة لاستقبال الزعيم المصلح الذى يقود الأمة بشرع الله وبسنة رسول الله ﷺ فيكون التمكين - بإذن الله - على يديه.

أسأل الله (جل وعلا) أن يُعجِّل بهذا اليوم وأن يجعلنا ممن يشاركون فى بناء الدولة المسلمة، وأن نكون من جنود الخلافة الراشدة، وأن يُقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين إنه ولى ذلك والقادر عليه.



علامات وأشراط الساعة الكبرى



علامات وأشراط الساعة الكبرى

لا تكاد تجد نصًّا صريحًا يبين ترتيب أشراط الساعة الكبرى فلقد ذكرها النبي ﷺ أكثر من مرة بترتيب يختلف اختلافًا واضحًا، وهذا يؤكد أن هناك خلافًا في هذا الترتيب.

۞ وإليكم هذا المثال الذي يُوضح ذلك.

فعن حذيفة بن أسيد **الغفاري** رضي الله عنه **قال**: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون**»؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر: الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[1].

وروى مسلم هذا الحديث عن حذيفة بن أسيد بلفظ آخر، وهو: «**إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**».

وفي رواية: «**والعاشرة: نزول عيسى ابن مريم**»[2].

فهذا حديث واحد عن صحابي واحد جاء بلفظين مختلفين في ترتيب الأشراط.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) انظر السابق.

وفى «صحيح مسلم» عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ** -أى: الموت- **أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ**»(١).

وفى رواية لمسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظٍ آخر، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصةَ أَحَدِكُمْ**»(٢).

إذًا هذه الروايات تبين لنا اختلاف الروايات؛... فالرواية الأولى قدَّم فيها النبى ﷺ علامة، وفى الرواية الثانية قدَّم علامة أخرى.

وفى «صحيح مسلم» عَنْ أَبِى زُرْعَةَ، قَالَ: جَلَسَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَمِعُوهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنِ الْآيَاتِ: أَنَّ أَوَّلَهَا خُرُوجًا الدَّجَّالُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: لَمْ يَقُلْ مَرْوَانُ شَيْئًا، قَدْ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**»(٣).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «وَالَّذِى يَتَرَجَّحُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَخْبَارِ أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَّالِ أَوَّلُ الْآيَاتِ الْعِظَامِ الْمُؤْذِنَةِ بِتَغَيُّرِ الْأَحْوَالِ الْعَامَّةِ فِى مُعظَمِ الْأَرْضِ، وَيَنْتَهِى ذَلِك بِمَوْت عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنَ الْمُغْرِبِ هُوَ أَوَّلُ الْآيَاتِ الْعِظَامِ الْمُؤْذِنَةِ بِتَغَيُّرِ أَحْوَالِ الْعَالَمِ الْعَلَوِيِّ، وَيَنْتَهِى ذَلِكَ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧) كتاب الفتن.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤١) كتاب الفتن.

بِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَعَلَّ خُرُوجَ الدَّابَّةِ يَقَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ مِنَ الْمُغْرِبِ، ثم قال: وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنَ الْمُغْرِبِ يُغْلَقُ بَابُ التَّوْبَةِ»[١].

۞ ومن المعلوم أنَّه عندما ينزل عيسى عليه السلام إلى الأرض ليحكم بشريعة الإسلام، فإنه سيعرض الإسلام على أهل الكتاب وسيؤمن به كثيرٌ من أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[٢].

فمن آمن فى ذلك الوقت قُبل إيمانه ... بل إنه سيحج عيسى عليه السلام إلى بيت الله الحرام وسيحج معه هؤلاء الذين آمنوا معه ... ومن المعلوم أنَّ ذلك سيكون قبل طلوع الشمس من مغربها لأنَّها عند طلوعها يُغلق باب التوبة ثم تخرج الدابة لتُميز المؤمن من الكافر تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة.

والآيات الكبرى متتابعة فى وقوعها، لا يكاد يفصل بينها فاصل زمنى، وهى تشبه فى تتابعها إذا وقعت العقد إذا انقطع سلكه الذى ينتظم حباته، فإن الحبة الأولى تسقط فتتبعها بقية الحبَّات بلا تأخير،... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**الْأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ، فَإِذَا انْقَطَعَ السِّلْكُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا**»[٣].

---

(١) «فتح البارى» (١١/ ٣٥٣) ط. المعرفة.

(٢) سورة النساء: الآية: (١٥٩).

(٣) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى وقال الألبانى: وهو كما قالا: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٦١)، ورقم الحديث: (١٧٦٢).

وقد أخبر الرسول ﷺ أن وقوع الحرب الكبرى بين المسلمين والروم وهى التى سمَّاها الملحمة ستكون أولًا، ثم يفتح المسلمون القسطنطينية، ثم يخرج الدجال، ... روى معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال**» (١).

ومراد الرسول ﷺ أن هذه الأحداث تقع متتابعة متوالية، وسيظهر للقارئ وهو يتابع كتابنا هذا كيف أن المسلمين فى ذلك الزمان يشتبكون مع الروم فى معركة كبرى، هى التى سماها الرسول ﷺ بالملحمة، وبعد انتصارهم عليهم يفتحون القسطنطينية، ثم يخرج الدجال.

وبعد خروج الدجال ينزل عيسى ويقتل الدجال، ثم يخرج يأجوج ومأجوج فى زمن عيسى، ويهلكهم الله فى زمنه، والترتيب إلى هنا واضح ظاهر.

أما بقية الآيات فإن ترتيبها ليس واضحًا تمامًا، ... نعم، خروج الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وخروج النار التى تحشر الناس، تكون بالتأكيد بعد خروج الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج.

إن الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن حذيفة صريح فى أن خروج النار التى تحشر الناس من اليمن هى آخر الآيات، فقد ذكر الرسول ﷺ الآيات العشر الكبرى، وقال فى الآية العاشرة وهى النار: «**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**» (٢).

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٩٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن.

وتبقى ست آيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والدخان، والخسوف الثلاثة: الخسف الذى بالمشرق، والآخر الذى بالمغرب، والثالث الذى بجزيرة العرب، أما طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، فتكونان بعد نزول عيسى وقتله الدجال، وإهلاك يأجوج ومأجوج فى عهده، ولكن أيهما أسبق: خروج الشمس، أم خروج الدابة؟ ذلك ما لا نستطيع الجزم به بسبب عدم جزم الرسول ﷺ بذلك، ... ففى حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**»[1] .

ولا يجوز الاستدلال بهذا الحديث على أن طلوع الشمس يكون قبل خروج الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج، لقوله: «**أول الآيات خروجًا طلوع الشمس..** » فالذى يترجح من الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة فى معظم الأرض، وينتهى ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى، وينتهى ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع فى ذلك اليوم الذى تطلع فيه الشمس من المغرب[2] .

قال الحاكم أبو عبد الله: «الذى يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة فى ذلك اليوم أو الذى يقرب منه»[3] .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤١) كتاب الفتن.

(٢) فتح البارى: (١١/ ٣٥٣) .

(٣) فتح البارى: (١١/ ٣٥٣) .

أما بقية الآيات، وهى الخسوفات الثلاثة، والدخان فإننا لا ندرى ما ترتيبها فى الآيات العظام، فلم نَرَ من النصوص الصحيحة ما يحدد ذلك، فالله أعلم بحقيقته[1].

۞ وليس هناك مانع من أن بعض علامات الساعة الصغرى ستظهر بين ثنايا العلامات الكبرى .. كرفع القرآن، وهدم الكعبة، والريح الطيبة (اللينة) وغيرها من العلامات التى ستكون بعد ظهور الدجال ونزول عيسى عليه السلام وهلاك يأجوج ومأجوج.

۞ إذن .. فيكون ترتيب العلامات الكبرى: خروج المسيح الدَّجَّال ثم نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجَّال ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة وتبقى تلك العلامات (الخسوفات الثلاثة والدخان) لا نعلم وقتها بالتحديد ... ومن المعلوم أن آخر علامة من علامات الساعة الكبرى هى تلك النار التى تحشر الناس إلى محشرهم.. والله تعالى أعلم.

وإذا ظهرت علامة واحدة من علامات الساعة الكبرى فإن باقى العلامات تكون على إثرها فى تتابعٍ شديدٍ.

قال ﷺ: «**خُرُوجُ الآيَاتِ بعضها عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ يَتَتَابَعْنَ كَمَا تَتَتَابَعُ الْخَرَزُ فِى النِّظَامِ**»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِى سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَع بَعْضُهَا بَعْضًا**»[3].

---

(١) القيامة الصغرى (ص ٢٢٥-٢٢٨) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٢٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٢/ ٦-٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

والَّذى يظهر لى (والله أعلم) أنَّ المراد بهذه الآيات هى علامات الساعة الكبرى؛ فإن ظاهر هذه الأحاديث يدلُّ على تقارب ظهورها تقاربًا شديدًا.

ويؤيِّد ذلك ما سبق ذكره فى الكلام على ترتيب أشراط الساعة الكبرى؛ من أن بعض الأحاديث ذكرت أن بعض هذه العلامات تظهر فى زمن متقارب؛ فإن أول العلامات الكبرى ظهور الدَّجَّال، ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، ثم ظهور يأجوج ومأجوج، ودعاء عيسى عليه السلام عليهم، فيهلكهم الله، ثم قال عيسى عليه السلام: «**فَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّى** عز وجل: **أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ، الَّتِى لا يَدْرِى أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلادَتِهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا**»(١).

وهذا دليلٌ على قرب الساعة قربًا شديدًا؛ فإنَّ بين موت عيسى عليه السلام وقيام الساعة شىء من العلامات الكبرى؛ كطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدَّابَّة، والدُّخان، والخسوفات الثلاثة وخروج النار التى تحشر الناس، فهذه العلامات تقع فى وقت قصير جدًّا قبل قيام الساعة؛ مثلها كمثل العقد الذى انفرط نظامه، والله أعلم.

وقد وجدت ما يؤيِّدُ ما ذكرتُه، فقد قال الحافظ ابن حجر: «وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك، إذا انقطع؛ تناثر الخرز بسرعة، وهو عند أحمد»(٢)(٣).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٨٩-١٩٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) «فتح البارى» (١٣/ ٧٧).

(٣) أشراط الساعة (ص ٢٤٦-٢٤٧).

العلامة الأولى: فتنة المسيح الدجال

۞ ومن أشراط الساعة الكُبرى التي أخبر عنها النبي ﷺ: فتنة المسيح الدَّجَّال .. وهو أكبر فتنة منذ خُلِق آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة .. ولذلك فإنه ما من نبي إلا وقد أنذر قومه فتنة المسيح الدجال.

فيا تُرى مَن هو المسيح الدجال؟ وما السر في تسميته بهذا الاسم؟ وما هي صفاته؟ وهل هو موجودٌ الآن؟ ...

وما هي مظاهر فتنته؟ ... وكيف تكون أحوال المسلمين قبل خروجه؟ ... ومتى سيظهر؟

ومن هم أتباعه؟ وكم يمكث الدجال في الأرض؟ وكيف ننجو من فتنة الدجال؟ وكيف ستكون نهايته؟

هذا ما سنعرفه من خلال هذا البحث.

وها هي الحكاية من أولها لآخرها

۞ في البداية سأذكر لكم قصة الدَّجَّال ونزول عيسى عليه السلام مُجملة من خلال أحاديث النبي ﷺ ثم أُفصِّل تلك العلامة وأذكرها بكل تفاصيلها الواردة في الكتاب والسُّنَّة.

وقد جمع الشيخ الألبانيُّ رحمه الله تعالى قصة المسيح الدَّجَّال، ونزول عيسى عليه السلام، وقتله إياه على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه، وأضاف إليها ما صحَّ عن غيره من الصَّحابة رضي الله عنهم في سياقٍ رائع رأيتُ أن أنقله بكامله لتعُمَّ الفائدة - بإذن الله.

فعن أبى أُمامة الباهلى وغيره من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ[(١)] أنَّ النبى ﷺ قال:

١ - «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ الله ذُرِّيَّةَ آدَمَ - وَلا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ - أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلَّا نَجَا مِنْهَا، وَإِنَّهُ لا يَضُرُّ مُسْلِمًا ».

٢ - «وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرُ الدَّجَّالَ إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ».

٣ - « وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ ».

٤ - « وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لا مَحَالَةَ. إِنَّهُ لَحَق وَأَمَّا إِنَّهُ قَرِيب فَكُلّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيب. إِنَّمَا يَخْرُجُ لِغَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا وَلا يَخْرُج حَتَّى لا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ ».

٥ - «فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي، فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ».

وفى حديث أم سلمة: «وَإِنْ يَخْرُجَ بَعْدَ أَنْ أَمُوتَ يَكْفِيكُمُوهُ اللهُ بِالصَّالِحِينَ».

٦ - «وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ قِبَلِ الْمَشْرِقِ[(٢)] يُقَالَ لَهَا: (خُرَاسَانُ) فِي يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ، وَالْعِرَاقِ،

---

(١) أخرج رواية أبى أمامة: ابن ماجه (٤٠٧٧) كتاب الفتن، وانظر تخريج الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللهُ لهذه الروايات فى كتاب «قصة المسيح الدجال» (٤٧) وما بعدها.

(٢) قلت - الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللهُ: هذا هو الثابت فى «مسلم»، وأما قول الحافظ فى «الفتح» (١٣/ ٧٧): «وفى رواية: أنه يخرج من أصبهان أخرجها مسلم». ففيه نظر؛ لأنه ليس فى «مسلم» أنه يخرج منها، وإنما فيه من حديث أنس: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا** ...».

قُلْتُ: فهذا ليس نصًّا بأنه يخرج منها؛ بل هو يحتمل ذلك؛ لأنه يتحدث عن أتباعه من اليهود، ولا يتحدث عن نفسه.

فَعَاثَ يَمِينًا، وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا». ثَلَاثًا.

٧ - «فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي.

وفى حديث عبادة: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَلَّا تَعْقِلُوا».

٨ - «إِنَّهُ يَبْدَأُ، فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي».

٩ - «ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا».

١٠ - «وَإِنَّهُ أَعْوَرُ مَمْسُوحُ[١] الْعَيْنِ الْيُسْرَى[٢]، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ[٣] غَلِيظَةٌ خضراء كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ[٤] عَيْنُهُ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ[٥] لَيْسَتْ بِنَاتِئَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ، جُفَالُ الشَّعَرِ، أَلَا مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَلَا يَخْفَيَنَّ عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، -ثلاثا وأشار بيده إلى عينيه- وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا».

١١ - «إِنَّهُ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ لِلَّهِ».

١٢ - «إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، دَعْجٌ هِجَانٌ».

---

(١) أي: عينه غير بارزة.

(٢) اختلفت الروايات فى وصف عينه اليمنى بالعور، وفى بعض الروايات اليسرى بالعور، وكلُّ الروايات صحيحة، وهذا فيه إشكال، وقد ذهب الحافظ ابن حجر إلى أن وصف العين اليُمنى بالعور أرجح من الرواية التى فى مسلم من أن عينه اليُسرى هى التى فيها عور، قال: «لأن المتفق على صحته أقوى من غيره» «فتح البارى» (١٣/ ٩٧).

وذهب القاضى عياض إلى أن عينى الدجال كلتيهما معيبة؛ فجمع بين الأدلة، قال النوويُّ فى هذا الجمع: «هو فى نهاية من الحسن»، «شرح النووى» لمسلم (١/ ٥١٢-٥١٣) ط. الحديث، ورجحه القرطبيُّ فى «التذكرة» (٥٩٥).

(٣) هى بفتح الظاء والفاء، لحمةٌ تنبت عند المآقى، وقد تمتد إلى السواد فتغشيه «نهاية».

(٤) يعنى: أنها شديدة الاتِّقاد.

(٥) أي: بارزة، وهى غير الممسوحة؛ كما قال الحافظ.

١٣ - «وَإِنَّهُ آدَمُ جَعْدٌ (١) جُفَالُ الشَّعَرِ (٢)».

١٤ - «وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ أو يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ».

١٥ - «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، وَنَهْرًا وَمَاءً وَجَبَلَ خُبْزٍ، وإنه يَجِيءُ مَعَه مثل الجَنَّةِ وَالنَّارُ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ».

-وسأله المغيرة بن شعبة عنه؟ فقال: قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خبز ولحم ونهر من ماء؟ قال: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ».

وفى حديث آخر: «مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ: أَحَدُهُمَا - رَأْيَ الْعَيْنِ - مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ - رَأْيَ الْعَيْنِ - نَارٌ تَأَجَّجُ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَى أَنَّهُ نَارٌ، وَلْيُغَمِّضْ عَيْنَيْهِ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فإنه يجده ماءً باردًا عذبًا طيبًا فَلَا تَهْلِكُوا».

وفى أخرى: «فَمَنْ دَخَلَ نَهْرَهُ حُطَّ أَجْرُهُ، وَوَجَبَ وِزْرُهُ، وَمَنْ دَخَلَ نَارَهُ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ».

١٦ - «فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ، فَلْيَسْتَغِثْ بِاللهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ (الْكَهْفِ) فَإِنَّهَا جِوَارُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ».

١٧ - «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ، وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: يا بُنَيَّ، اتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ».

١٨ - «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَقْتُلَهَا، وَيَنْشُرَهَا

(١) الجعد: خلاف السبط.

(٢) أي: شعث الشعر.

بِالْمِنْشَارِ، حَتَّى تُلْقَى شِقَّتَيْنِ ».

١٩ - « وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيَدْعُوهُمْ فَيُكَذِّبُونَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ ».

٢٠ - «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيَدْعُوهُمْ فَيُصَدِّقُونَهُ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيهِمْ، مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ وَأَعْظَمَهُ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، وَأَدَرَّهُ ضُرُوعًا».

٢١ - « وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ».

٢٢ - «يَخْرُجُ فِي زَمَانِ اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَفُرْقَةٍ، وَبُغْضٍ مِنَ النَّاسِ وَخِفَّةٍ مِنَ الدِّينِ، وَسُوءِ ذَاتِ بَيْنٍ، فَيَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ، فَتُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ طَيَّ فَرْوَةِ الْكَبْشِ».

٢٣ - « ولا يخرج حَتَّى تَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ. فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ

ثُلُثُهُمْ -هم أفضل الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ- وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ (أى الروم) فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ: لا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فيبلغون قسطنطينية فيفتحونها -وفى رواية: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فيرفضون ما بأيديهم فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ».

٢٤ - «وَإِنَّهُ لا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالطُّورِ، وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى».

٢٥ - «وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمًا كَسَنَةٍ، وَيَوْمًا كَشَهْرٍ وَيَوْمًا كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قَالُوا: فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، تَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ».

٢٦ - «وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ، فِي الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ، فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ، فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُقْطِرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ، فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ، إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ» ، قِيلَ: فَمَا يُعِيشُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ قَالَ: «التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ».

٢٧ - «لَا يَأْتِي مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً ».

٢٨ - «وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَلْدَةٍ إِلَّا يَبْلُغُهَا رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالَ إِلَّا الْمَدِينَةَ لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكَانِ يَذُبَّانِ عَنْهَا رُعْبَ الْمَسِيحِ».

٢٩ - «حَتَّى يَنْزِل عِندَ السَّبْخَة سَبْخَةَ الْجُرْفِ دُبرَ أُحد فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ ».

٣٠ - « فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ، خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ و أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ».

٣١ - «فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ممتلئ شبابا هو يومئذ خير الناس أو من خيرهم فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ - مَسَالِحُ الدَّجَّالِ- . فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟، فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خِفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ

رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِى ذَكَرَ - وفى طريق: الَّذِى حَدَّثَنَا- رَسُولُ اللهِ ﷺ حديثه قال: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ[1] فَيَقُولُ: خُذُوهُ وشبحوه[2]. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَمَا تُؤْمِنُ بِي؟، قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ. فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، -وفى حديث النواس: فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، - قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ ويتهلل وجهه ويضحك ثم يقول له: أتؤمن بى؟ فيقول: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحهُ فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

٣٢ - « ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، ثُمَّ يَأْتِى جَبَلَ إِيلِيَا فَيُحَاصِر عِصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَلْقَى الْمُؤْمِنُونَ شِدَّةً شَدِيدَة وَيَفِرُّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ » فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيك بِنْتِ أَبِى العكر يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيل».

---

(١) أى: يمد بالضرب.

(٢) ولفظ مسلم: «وشُجُّوه» وراجع كلام النووى فى ذلك «شرح مسلم» (١٨/ ٧٣) ط. الريان.

٣٣ - «وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ» وقال ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا آل الْبَيْتِ مِنْ أَوْلَادِ فَاطِمَةَ يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ [(١)] يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلُكُ سَبْعَ سِنِينَ».

- وقال ﷺ: «عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللهُ مِنَ النَّارِ، عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام».

- وقال: «مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّيَ السَّلَامَ».

٣٤ - «فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى مِنَ السَّمَاءِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ».

٣٥ - وقال ﷺ: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ -يعنى: عِيسَى- وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ: بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ».

- وقال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ - وفى رواية: وَأَمَّكُمْ- مِنْكُمْ؟». قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: تَدْرِي مَا «أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟» قُلْتُ: تُخْبِرُنِي، قَالَ: «فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تبارك وتعالى، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ».

---

(١) أي: يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك. قاله الحافظ ابن كثير فى «النهاية» (١/ ٤٣) ولعل المقصود بذلك أنه يصلحه، أي: يعدُّه لتولى قيادة المسلمين؛ لا أنه كان فاسقًا فأصلحه الله وتاب عليه.

٣٦ - « فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ، - يَمْشِي الْقَهْقَرَى - لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى فَيقُولُ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ تَقَدَّم فَصَلِّ. فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ ».

٣٧ - « ثُمَّ يَأتِي الدَّجَّالُ جَبَل (إِيلِيَاءَ) فَيُحَاصِرُ عِصَابَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِهَذَا الطَّاغِيَةِ إِلَّا أَنْ تُقَاتِلُوهُ حَتَّى تَلْحَقُوا بِاللهِ أَوْ يُفْتَحَ لَكُمْ، فَيَأْتَمِرُونَ أَنْ يُقَاتِلُوهُ إِذَا أَصْبَحُوا ».

٣٨ - «فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، وَيُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، صَلَاةُ الصُّبْحِ فَيُصْبِحُونَ وَمَعَهُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فيؤم الناس فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ رَكْعَتِهِ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَتَلَ اللهُ المسيح الدَّجَّالَ وَظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ، فَإِذَا انْصَرَفَ، قَالَ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فيطلبه عيسى ﷺ ».

٣٩ - « فَيَذْهَبُ عِيسَى بِحَرْبَتِهِ نَحْوَ الدَّجَّال فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيُهْلِكُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ عقَبَةِ أَفِيقٍ »(١).

٤٠ - «فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، وَيُسَلِّطُ عَلَيهِم الْمُسْلِمُونَ وَيَقْتُلُونَهُمْ فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ اقْتُلْهُ ».

---

(١) قرية من حوران فى طريق الغور فى أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق، والعامة تقول: (فيق)، تنزل من هذه العقبة إلى الغور، وهو الأردن، وهى عقبة طويلة نحو ميلين، «معجم البلدان».

٤١ - «ثُمَّ يَلْبَثُ النَّاسُ بَعْدَهُ [١] سِنِينَ سَبْعًا، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ».

٤٢ - «فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فِي أُمَّتِي مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى مِلَّتِهِ حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مَهْدِيًّا مُقْسِطًا، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ، وَيَضَعُ الْخَرَاجَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ، وَالتَّبَاغُضُ، وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَتَكُونُ الدَّعْوَةُ وَاحِدَةً لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ (الرَّوْحَاءِ) حَاجًّا، أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيُثْنِيهِمَا».

٤٣ - « ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ

---

(١) أي: بعد هلاك الدَّجَّال، فلا ينافيه أن عيسى عليه السلام يمكث فى أرض أربعين سنة (فقرة ٤٥)، كما هو ظاهر، وأما قول الحافظ ابن كثير (١/ ١٧٧) بعد أن ذكر الفقرة المشار إليها:

وثبت فى «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمر: «أنه يمكث فى الأرض سبع سنين، فهذا مع هذا مشكل ...» ونحوه قول الحافظ فى «الفتح» (٦/ ٣٨٤):

«وروى مسلم من حديث ابن عمر فى مدة إقامة عيسى بالأرض - بعد نزوله - أنها سبع سنين».

أقول: فكلُّ هذا لا أصل له فى «مسلم»، وإنما فيه من حديث (ابن عمرو) وليس (ابن عمر) ما ذكرناه فى الأعلى: «**ثم يلبث الناس بعده سنين سبعًا**».

فالذى يلبث هم الناس؛ وليس عيسى عليه السلام، فلا إشكال، والحمد لله.

إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ وَيَكُونَ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَتَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ ».

-وقال ﷺ: «طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ وَيُؤْذَنُ لِلأَرْضِ فِي النَّبَاتِ حَتَّى لَوْ بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفَا لَنبتَ وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الأَسَدِ فَلاَ يَضُرُّهُ وَيطَأُ عَلَى الحَيَّةِ فَلاَ تَضُرُّهُ وَلاَ تَشَاحَّ وَلاَ تَحَاسُدَ وَلاَ تَباغُضَ».

٤٤ - « وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ ويَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لا تَضُرُّهُمْ حتى يدخل الوليد يده فى الحية فلا تضره. وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، ثُمَّ يُقَالُ: تَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ ».

٤٥ - « فَيَمْكُثُ عِيسَى ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ».

٤٦ - « فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ».

وفي حديث ابن عمرو: « فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ»، «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَام السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، قَالَ: فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِالْأَوْثَانِ فَيَعْبُدُونَهَا، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارَّةٌ أَرْزَاقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ ».

٤٧ - « يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا ، أَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - شَكَّ من الراوي - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1] ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[2]. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[3]».

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٨).

(٢) سورة الصافات: الآية: (٢٤).

(٣) سورة القلم: الآية: (٤٢).

لماذا نتكلم عن الدَّجَّال؟

۞ **والجواب:** أننا نتكلم عن الدَّجَّال حتى نعرفه ونعرف خطورة فتنته ولنعرف كيف ننجو من فتنته.

فقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي...»[1].

وذلك من باب قول القائل:

عرفت الشرَّ لا للشرِّ ولكن لتوقِّيه ... ومن لا يعرف الشرَّ من الخير يقع فيه

ما معنى المسيح؟

والجواب: ذكر أبو عبد الله القرطبي ثلاثةً وعشرين قولًا في اشتقاق هذا اللفظ[2]، وأوصلها صاحب «القاموس» إلى خمسين قولًا[3].

وهذه اللفظة تُطلق على الصِّدِّيق، وعلى الضِّلِّيل الكذَّاب.

فالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: الصِّدِّيق،... والمسيح الدَّجَّال: الضِّلِّيل الكذَّاب.

فخلق الله المسيحَين، أحدهما ضد الآخر:

فعيسى عليه السلام مسيحُ الهدى؛ يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) انظر: «التذكرة» (ص ٦٧٩).

(٣) انظر: «ترتيب القاموس» (٤/ ٢٣٩)، وذكر صاحب «القاموس» أنه أورد هذه الأقوال في كتابه «شرح مشارق الأنوار» وغيره.

والـدَّجَّال - لعنـه الله - مسيح الضَّلالة، يفتن الناس بما يُعطاه من الآيات؛ كإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنبات، وغيرهما من الخوارق

ما السر في تسميته بالمسيح الدَّجَّال؟

۞ **الجواب**: يقول **ابن الأثير**: «سُمي الدجال مسيحًا، لأن عينه الواحدة ممسوحة، والمسيح: الذى أحد شقى وجهه ممسوح، لا عين له ولا حاجب، فهو فعيل بمعنى مفعول، بخلاف المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فإنه فعيل بمعنى فاعل، سُمى به، لأنه كان يمسح المريض فيبرأ بإذن الله تعالى... والدجال: الكذاب»(١). وسُمِّى دجَّالًا - كما يقول ابن حجر - «لأنَّهُ يغطى الحقَّ بباطله، ويقال: دجل البعير بالقطران إذا غطَّاه، والإناء بالذَّهب إذا طلاه ..، وقال ابن دريد: سُمى الدَّجَّال؛ لأنه يغطى الحق بالكذب، وقيل: لضربه نواحى الأرض، .. وقيل: بل قيل ذلك؛ لأنه يغطى الأرض»(٢).

ما الأحاديث الدَّالَة على أن خروج المسيح الدَّجَّال من أشراط الساعة؟

سأكتفى بذكر حديثين اثنين فقط لنعرف من خلالهما أنَّ المسيح الدَّجَّال من أشراط الساعة الكبرى.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسيدٍ الغِفَارىِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: الدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ...**» الحديث(٣).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا**

---

(١) جامع الأصول، لابن الأثير: (٤/ ٢٠٤)، وانظر (لسان العرب) مادة: مسح.

(٢) «فتح البارى» (١١/ ٩١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن.

إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ»[١].

هل الدجال أكبر فتنة وُجدت على ظهر الأرض؟

أجل .. فلقد أخبر النبى ﷺ أنَّ المسيح الدَّجَّال هو أكبر فتنة وُجدت على ظهر الأرض منذ خلق آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة .. وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التى تُبهر العقول وتُحير الألباب.

عَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»، وفى رواية: « أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ »[٢].

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِى عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[٣].

هل كان الأنبياء يحذرون أقوامهم من فتنة المسيح الدَّجَّال؟

أجل .. كان الأنبياء يحذرون أقوامهم من فتنة المسيح الدَّجَّال .. وذلك لأنهم يعلمون يقينًا خطر فتنة الدَّجَّال.

ففى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال: قام رسول الله ﷺ فى الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «**إنى لأُنذركموه، وما من نبى إلا أنذره قومه، ولكنى سأقول لكم فيه قولًا لم يقُله**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٨) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٦) كتاب الفتن.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن.

نبيٌّ لقومه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور»[١].

۞ وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبى ﷺ: «**ما بُعث نبى إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر**»[٢].

ما هي صفة الدَّجّال؟

الدجال رجل من بنى آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج؛ عرفه المؤمنون، فلا يُفتنون به، بل يكونون على علم بصفاته التى أخبر بها الصادق ﷺ، وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس، فلا يغتر به إلا الجاهل الذى سبقت عليه الشقوة،... نسأل الله العافية.

ومن هذه الصفات أنه رجل، شابٌّ أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة[٣]، ولا جحراء[٤]، كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة[٥] غليظة،

(١) صحيح: رواه البخارى (٧١٢٧) كتاب الفتن.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٣١) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩٣٣) كتاب الفتن.

(٣) (ناتئة) مأخوذة من النتوء، وهو الارتفاع والانتفاخ؛ أى: أن عينه ليست بارزة. انظر: «ترتيب القاموس» (٤/ ٣١٨)، و«عون المعبود» (١١/ ٤٤٤).

(٤) (جحراء): بفتح الجيم وسكون الحاء؛ أى: ليست غائرة منجحرة فى نقرتها. انظر: «لسان العرب» (٤/ ١١٨)، و «عون المعبود» (١١/ ٤٤٤).

(٥) (ظفرة): بفتح الظاء المعجمة والفاء، لحمة تنبت عند المآقى، وقد تمتد إلى السواد فتغشاه. انظر «النهاية فى غريب الحديث» (٣/ ١٥٨). و(المآقى): هو مقدمة العين. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٤/ ٢٨٩).

ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له.

۞ وهذه بعض الأحاديث الصحيحة التى جاء فيها ذكر صفاته السابقة، وهى من الأدلة على ظهور الدجال.

۞ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائم أطوف بالبيت...** (فذكر أنه رأى عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم رأى الدجال، فوصفه، فقال:) **فإذا رجل جسيم، أحمر، جعد الرأس، أعور العين، كأن عينه عنبة طافئة؛ قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شبهًا ابن قطن**[١]» رجل من خُزاعة[٢].

۞ وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهرانى الناس، فقال: «**إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى؛ كأن عينه عنبة طافية**»[٣].

۞ وفى حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مسيح الدجال رجل، قصير، أفجع، جعد، أعور، مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء، فإن أُلبس عليكم؛ فاعلموا أن ربكم ليس بأعور**»[٤].

---

(١) ابن قطن: اسمه عبد العزى بن قطن بن عمرو الخزاعى، وقيل: من بنى المصطلق من خزاعة، وأمه هالة بنت خويلد، وليس له صحبة، فقد هلك فى الجاهلية. وما ورد أنه قال للنبى ﷺ: «أيضرنى شبهه؟ قال: لا، أنت مسلم وهو كافر»، فهى زيادة ضعيفة من رواية المسعودى عند أحمد، وقد اختلط عليه بحديث آخر. انظر: «تعليق أحمد شاكر على مسند أحمد» (١٥/ ٣٠ - ٣١)، وانظر: (الإصابة فى تمييز الصحابة» (٤/ ٢٣٩)، و«فتح البارى» (٦/ ٤٨٨ و١٣/ ١٠١).

(٢) أخرجه البخارى (١٣/ ٩٠) الفتنة - ومسلم (٢/ ٢٣٧) الإيمان.

(٣) أخرجه البخارى (١٣/ ٩٠) الفتن - ومسلم (١٨/ ٥٩) الفتن.

(٤) رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٣٦٣٠).

۞ وفى حديث أبى هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**وأما مسيح الضلالة؛ فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه دفأ**[١]»[٢].

۞ وفى حديث حذيفة رضي الله عنه؛ قال: قال ﷺ: «**الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر**[٣]»[٤].

۞ وفى حديث أنس رضي الله عنه؛ قال ﷺ: «**وإن بين عينيه مكتوب كافر**»[٥].

وفى رواية: «**ثم تهجاها (ك ف ر)؛ يقرؤه كل مسلم**»[٦].

وفى رواية عن حذيفة: «**يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»[٧].

۞ **قال النووى**: (الصحيح الذى عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية، جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله؛ يُظهرها الله تعالى لكل مسلم؛ كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته،... ولا امتناع فى ذلك»[٨].

«فهذا يراه المؤمن بعين بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة؛ كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته، ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلُّم؛ لأن ذلك الزمن تنخرق

(١) الدفأ: الانحناء ـ ورجل أدفى (بغير همز): فيه انحناء.
(٢) رواه أحمد (١٥/ ٢٨) وصححه أحمد شاكر.
(٣) جفال الشعر: أى كثيره.
(٤) أخرجه مسلم (١٨/ ٦٠) الفتن.
(٥) أخرجه البخارى (١٣/ ٩١) ـ ومسلم (١٨/ ٥٩).
(٦) أخرجه مسلم (١٨/ ٥٩) الفتن.
(٧) أخرجه مسلم (١٨/ ٦١).
(٨) مسلم بشرح النووى (١٨/ ٦٠).

فيه العادات»[١].

ومن صفاته أيضًا ما جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في قصة الجسَّاسة، وفيه قال تميم رضي الله عنه: «فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط، وأشده وثاقًا»[٢].

۞ بل وأخبر النبي ﷺ: أن الدجال «**عقيم لا يولد له**»[٣].

ويمكننا إجمال ما سبق من وصف الدجَّال بأنَّه رجل قصير، عظيم الجسم، عظيم الرَّأس، كلتا عينيه معيبة، فاليُمنى عوراء كأنها عنبة طافية، واليُسرى عليها جلدة، وهو ذو شعرٍ جعد كثيف، أبيض البشرة، بعيد ما بين السَّاقين أو الفخذين، مكتوب بين عينيه كافر.

هل هناك أحدٌ رأى المسيح الدَّجّال؟

أجل ... هناك من رأى الدَّجَّال وتكلم معه ودار بينهما حوارٌ طويلٌ عجيبٌ. وسأذكر لكم ذلك من خلال قصة تميم الداري.

عن فاطمة بنت قيس أنها سمعت مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، قالت: فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ**

---

(١) فتح الباري (١٣/ ١٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨/ ٨١) كتاب الفتن ـ باب قصة الجساسة.

(٣) أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٤٢).

فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا(١) إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ(٢). فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ(٣) كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ(٤). فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ(٥)، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ

---

(١) التجؤوا إليه.

(٢) أقرب: جمع قارب.

(٣) أهلب: كثير الشعر غليظه.

(٤) اغتلم: هاج وجاوز حده المعتاد.

(٥) بيسان: إحدى مدن فلسطين.

نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ (١)، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ (٢)، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا (٣)، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ (٤)، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا

---

(١) بحيرة عذبة الماء فى فلسطين.

(٢) بلدة فى الجانب القبلى من الشام.

(٣) أى: مسلولًا.

(٤) قال النووى: قال القاضى: لفظة: (ما هو) زائدة، صلة للكلام، ليست بنافية، والمراد إثبات أنه فى جهة المشرق.

هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

ماذا يدَّعي الدَّجّال؟

إنه يدَّعى فى بداية أمره أنه نبى ثم يزداد الأمر بعد ذلك فيدَّعى أنه رب العالمين - حاشا لله-.

بُطلان دعوى الربوبية

إذا كانت تلك صفات الدجال، وهى صفات بها نقصٌ كبير، فكيف يصح لهذا المخلوق الضعيف دعوى الربوبية، إنه يدَّعى أنه رب الناس... ورب الناس لا يُرى فى الدنيا،... يقول ﷺ: «**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت**»(٢)، ثم هو غير سوى الخلقة، فيه عيوب لا تخفى،... منها عَوَرُه.

ومن صفاته المعيبة فى الأحاديث أنه أفحج، والفحج «تباعُد ما بين الساقين»، أو الفخذين، وقيل تدانى صدور القدمين، مع تباعد العقبين، وقيل «هو الذى فى رجله اعوجاج»(٣).

وصدق ابن العربى فى قوله: «فى اختلاف صفات الدجال بما ذكر من النقص بيان أنه لا يدفع النقص عن نفسه كيف كان، وأنه محكوم عليه فى نفسه»(٤).

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه: (٤/ ٢٢٦١) (٢٩٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٤٥).

(٣) فتح البارى: (١٣/ ٩٧).

(٤) فتح البارى: (١٣/ ٩٨).

ومراده أنه لو كان ربًا لأزال النقص الذى فى نفسه، فعدم إزالته دليل على أنه مربوب مقهور لا يستطيع أن يتخلص من عيوبه.

وتركيز الرسول ﷺ على كونه أعور «لكون العور أثرًا محسوسًا يدركه العالِم والعامى، ومن لا يهتدى إلى الأدلة العقلية»[١]، وإلا فإن أصحاب العلم يمكن أن يدركوا أمره، ويصلوا إلى حقيقة دعواه[٢].

ما هي الإرهاصات التي تكون قبل خروج الدَّجَّال؟

أما عن تلك الإرهاصات التى تكون قبل خروج الدجال فهى:

قِلة العرب

عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ»، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ»[٣].

الملحمة وفتح القسطنطينية

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عِمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»[٤].

---

(١) فتح البارى: (١٣/ ٩٦).

(٢) القيامة الصغرى/ د. عمر الأشقر (ص ٢٣٦، ٢٣٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٩٦).

الفتوحات

عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ[١]، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ[٢]، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ[٣]، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ»[٤].

قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد

وقبل خروج الدجال بثلاث سنوات يحدث جدب وقحط شديد فتمنع السماء مطرها وتحبس الأرض نباتها كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ حيث قال: «... **وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شِداد، يصيب الناس فيها جوعٌ شديد، يأمر الله السماء السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء فى السنة الثانية فتحبس ثلثى مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثى نباتها، ثم يأمر السماء فى السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله، قيل: فما يُعيِّش الناس**

---

(١) أى: عند مكان عالٍ ومرتفع.

(٢) أى: يقتلون رسول الله ﷺ غدرًا وخيانةً.

(٣) نَجيٌّ معهم؛ أى: يتكلم بكلام خفى خاص بهم لا يريد أن يسمعه غيرهم.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٠) كتاب الفتن.

فى ذلك الزمان؟ قال: التهليل، والتكبير، والتحميد، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام»[١].

كثرة الفتن (الأحلاس، السراء، الدهيماء) وتمايز الناس

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ فى حديثٍ طويلٍ: «... ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ: دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَىْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّى، وَلَيْسَ مِنِّى، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِى الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ» والورك هو أعلى الفخذ، يصطلح الناس على رجل يُملِّكونه، ولا يصلح ملكًا لجهله، ولا تستقيم له الأمور، كما أنَّ الورك الكبير لا يثبت على الضلع دقيق، قال ﷺ: «ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ (يعنى: العظيمة الكبيرة)، لا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ وَزَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِى كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ، مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ مِنْ غَدِهِ»[٢].

خروج ٣٠ كذابًا

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «وَإِنَّهُ وَاللهِ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا آخِرُهُمُ الأَعْوَرُ الدَّجَّالُ، مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى»[٣][٤].

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).
(٢) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤١٩٤).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٣) كتاب الفتن.
(٤) نهاية العالم (٢٤٢-٢٤٤) بتصرف.

كيف يكون حال المسلمين في العصر الذي يخرج فيه الدَّجَّال

قُبيل خروج الدجال يكون للمسلمين شأن كبير، وقوة عظيمة، ويبدو أن خروجه إنما هو للقضاء على تلك القوة، ففى ذلك الوقت يصالح المسلمون الروم، ويغزون جميعًا عدوًا مشتركًا فيُنصَرون عليه، ثم تثور الحرب بين المسلمين والصليبيين.

ففى سنن أبى داود عن ذى مخبر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الروم صُلحًا آمنا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم، فتُنصرون وتغنمون وتَسلمون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرج ذى تلول، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدقَّه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة،... وزاد بعضهم: «فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة»[(١)].

فأنت ترى قوة المسلمين فى ذلك الوقت، حيث إنهم يغزون ويُنصرون ويغنمون ويرجعون سالمين وترى إلى أى مدى هم متمسكون بدينهم، فإن ذلك الصليبى عندما يرفع الصليب زاعمًا أن الانتصار الذى شارك المسلمون فى تحقيقه كان للصليب، يقوم مسلم غيور على دينه فيدق ذلك الصليب ويكسره، وتثور العصابة التى تكون فى ذلك الموقع من المسلمين إلى سلاحهم، ويقاتلون الروم على الرغم من قلتهم فى ذلك الموقع، ويشهد الرسول ﷺ لهم بأنهم شهداء، وأن الله أكرمهم بذلك، ويكون غدر الروم ذلك، وما جرى بعده سببًا فى وقوع الملحمة[(٢)].

---

(١) صحح إسناده الشيخ الألبانى فى مشكاة المصابيح (٥٤٢٨).

(٢) القيامة الصغرى (٢٢٦، ٢٢٧).

النبي ﷺ يصف تلك الملحمة

ولقد وصف النبي ﷺ تلك الملحمة التي ستدور بين المسلمين والصليبيين... والتي سيكون سببها هو السبب الذي أشار إليه في الحديث السابق.. فتأمل معي كيف وصف النبي ﷺ هول تلك الملحمة وشدتها وكيف ثبت فيها المسلمون حتى جاءهم نصر الله (جل وعلا).

۞ **قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق. فيخرج إليهم جيش من المدينة. من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافوا قالت الروم: خَلُّوا بيننا وبين الذين سُبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا. والله! لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم. فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا. ويُقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله. ويفتتح الثلث. لا يُفتنون أبدًا. فيفتتحون قسطنطينية. فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون... وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام خرج. فبينما هم يُعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أُقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم ﷺ. فأمَّهم. فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء. فلو تركه لانذاب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده. فيُريهم دمه في حربته»**[1].

۞ وقد حدثنا الرسول ﷺ في حديث آخر عن هول تلك المعركة، وعن الفدائية التي تكون في صفوف المسلمين، حتى إن مجموعات من المسلمين يتبايعون على القتال حتى النصر أو الموت ثلاثة أيام متوالية، ويبدو أن أعداد المسلمين في تلك الأيام قليلة، بدليل أن المسلمين

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٧) (٣٤) الفتن.

ينتصرون عندما يصلهم المدد من بقية أهل الإسلام[١].

❁ عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا (وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ) فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ**

---

(١) القيامة الصغرى (ص: ٢٢٨).

فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»[١].

متى سيظهر الدجال؟

ويظهر الدجال بعدما يفتح المسلمون القسطنطينية.. ولذا قال ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[٢].

۞ ووضح النبى ﷺ كيف يفتح المسلمون القسطنطينية وكيف يظهر الدجال بعد فتحها.

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»[٣].

من أين يخرج الدَّجَّال؟

يخرج الدجال من المشرق؛ من خُراسان، من يهودية أصبهان، ثم يسير فى الأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله؛ إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٩) (٣٧) الفتن.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٩٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٢٠) الفتن.

دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما.

۞ عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «**الدجال يخرج من أرضٍ بالمشرق؛ يقال لها: خُراسان**»[1].

۞ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود**»[2].

۞ **قال الحافظ** ابن **حجر**: «وأما من أين يخرج؟ فمن قِبَل المشرق جزمًا»[3].

وقال ابن كثير: (فيكون بدء ظهوره من أصبهان، من حارة يقال لها: اليهودية)[4].

ولكن ظهور أمره للمسلمين يكون عندما يصل إلى مكان بين العراق والشام.

عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا**»[5]. والخلة ما بين البلدين كما يقول الإمام النووى.

كيف يخرج الدجال؟ وما سبب خروجه؟

تقدم فى حديث تميم الدارى رضي الله عنه فى ذكر قصة الدجال والجسَّاسة، أنه محبوس إلى الآن فى جزيرة من جزائر البحر، وأنه كان حيًّا فى عهد النبى

(١) رواه الترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٠٤).

(٢) رواه أحمد وقال ابن حجر: صحيح [فتح البارى (١٣/ ٣٢٨)].

(٣) «فتح البارى» (١٣/ ٩١).

(٤) «النهاية/ الفتن والملاحم» (١/ ١٢٨)، تحقيق د. طه زينى.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن.

ﷺ وأنه رجل عظيم الخلقة، رآه تميم الداري، ومعه ثلاثون رجلًا، رأوه موثقًا بالسلاسل، وحصلت محاورة بينهم وبينه، وأخبرهم أنه الدجَّال وأنه سيخرج من غضبة يغضبها ... يعني: تتحطم السلاسل ويخرج.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ: لَقِيتُ ابْنَ صَائِدٍ[١] فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السِّكَّةَ[٢]، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا -أي: بلغها إغضاب ابن عمر لابن صائد-، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ مَا أَرَدْتَ مِن ابْنِ صَائِدٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا؟**»[٣].

ما هي الخوارق والإمكانات التي تكون مع الدَّجَّال؟

إن الدجال سيدَّعي أنه إله من دون الله (جل وعلا)... وسيعطيه الله (ﷻ) من القدرات والإمكانات ما يكون سببًا للفتنة ولذا فإنه لا يثبت أمام فتنة الدجال إلا من اعتصم بالله وتسلَّح بالإيمان والتوحيد.

۞ وأما عن القدرات والإمكانات التي ستكون مع الدجال... والتي ستكون سببًا في فتنة أصحاب القلوب المريضة فهي:

(١) جنته وناره:

فقد ورد أن معه ما يشبه الجنة والنار أو أن معه ما يشبه نهرًا من ماء ونهرًا من نار... وليس الأمر كما يراه الناس فإن الذي يرونه نارًا فإنما هو ماءٌ بارد وإن الذي يرونه ماءً باردًا فإنه نارٌ.

---

(١) سيأتي الحديث عن ابن صائد (ابن صياد).

(٢) أي: انتفخ حتى ملأ الطريق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٢) الفتن.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**معه (أى الدجال) جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار**»(١).

۞ وفى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة أيضًا عن النبى ﷺ قال فى الدجال: «**إن معه ماءً ونارًا، فناره ماء بارد، وماؤه نار**» زاد فى رواية مسلم: «**فلا تهلكوا**»(٢).

۞ ولقد أخبرنا النبى ﷺ عن سبيل النجاة من هذه الفتنة فقال ﷺ: «... **وإن من فتنته أن معه جنةً ونارًا، فناره جنة، وجنته نارٌ، فمن ابتُلى بناره فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف**..»(٣).

۞ وفى رواية عند مسلم فى صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما: رأى العين ماء أبيض، والآخر: رأى العين نار تأجَّج، فإما أدركن أحد، فليأتِ الذى يراه نارًا وليغمض، ثم ليُطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماءٌ بارد**»(٤).

۞ وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم عن حذيفة أيضًا: «**إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً ونارًا، فأما الذى يراه الناس ماءً فنارٌ تحرق، وأما الذى يراه الناس نارًا، فماءٌ باردٌ عذبٌ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارًا، فإنه ماءٌ عذب طيب**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٤) الفتن.

(٢) أخرجه البخارى (١٣/ ٩٠) الفتن ـ ومسلم (٢٩٣٤) الفتن.

(٣) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٤) الفتن.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٣٥) الفتن

(٢) سرعة انتقاله بين البلدان:

ومن فتنة الدجال أنه يتجول بين البلدان بسرعة تفوق الخيال.

فلقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ كما عند مسلم - فقالوا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح**».

ولذلك فهو سيدخل كل بلد على وجه الأرض فيما عدا مكة والمدينة.

(٣) استجابة السماء والأرض لأمره!!!

ومن فتنته أنه يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويدعو الماشية فتتبعه ويأمر الخرائب أن تُخرج كنوزها المدفونة فتستجيب.

۞ قال ﷺ: «**... فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، وَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ دَرًّا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَتَتْبَعُهُ أَمْوَالُهُمْ وَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ مَا بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَيَنْطَلِقُ وَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ...**»[(١)] [(٢)].

هو أهون على الله من ذلك

عن المغيرة بن شعبة، قال: ما سأل أحدٌ النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٧) الفتن.

(٢) قال الإمام النووي: أما (تروح) فمعناه ترجع آخر النهار، و(السارحة) هي الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى، وأما (الذرى) وهي الأعالي، و(الأسنمة) جمع ذروة وقوله: (وأسبغه) أي أطوله لكثرة اللبن، وكذا (أمده خواصر) لكثرة امتلائها من الشبع.

قوله ﷺ (فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل) هي ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه كنَّى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها، لأنه متى طار تبعته جماعته والله أعلم. [مسلم بشرح النووي (١٨/ ٨٩)].

سألته. قال: «**وما سؤالك؟**» قال قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خبز ولحم، ونهر من ماء. قال: «**هو أهون على الله من ذلك**»[1].[2].

۞ وهنا نجد أن النبى ﷺ مع أنه أخبر أن الدجال هو أكبر فتنة فى هذا الكون إلا أنه ﷺ يركز على جانب هام من جوانب العقيدة ألا وهو: أنه لن يكون فى هذا الكون إلا ما قدره الله (عز وجل)... فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فمع أن الدجال سيكون معه كل هذه الإمكانات إلا أنه لن يستطيع أن يفعل شيئًا بخلاف ما قدره الله .. ولذا قال ﷺ عن الدجال: «**هو أهون على الله من ذلك**» أى أنه لن يستطيع أن يتحكم فى مقادير العباد وإنما هو مجرد فتنة عابرة.

(٤) الدجال يستعين بالشياطين:

قال ﷺ: «**... وإن من فتنته أن يقول للأعرابى: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أنى ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان فى صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بنى اتبعه، فإنه ربك ..**»[3].

(٥) يقتل شابًا ثم يُحييه (بإذن الله):

۞ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَّالِ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا، قَالَ: «**يَأْتِي، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٩) الفتن.

(٢) قال الإمام النووى: قال القاضى: معناه هو أهون على الله من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلًا للمؤمنين ومشككًا لقلوبهم، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم، وليس معناه أنه ليس معه شئ من ذلك. [مسلم بشرح النووى (١٨/ ٩٨ ـ ٩٩)].

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).

رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ - فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ - قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ - أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»(١).

۞ وفى رواية قال ﷺ «... وإن من فتنته أن يُسلَّط على نفسٍ واحدة فيقتلها، ينشرها بالمنشار حتى تُلقَى شِقَّين، ثم يقول: انظروا إلى عبدى هذا، فإنى أبعثه ثم يزعم أن له ربًا غيرى، فيبعثه الله، ويقول له الخبيث: مَن ربك؟ فيقول: ربى الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله ما كنت قط أشدَّ بصيرة بك منى اليوم..» (٢).

هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ - مَسَالِحُ الدَّجَّالِ - فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَ مَا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٨) كتاب الفتن.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).

تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»(١).

هل الدَّجّال فتنة يمتحن الله به عباده؟

۞ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «إِنَّ الدَّجَّالَ يَمْتَحِنُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ بِمَا يَخْلُقُهُ مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِقِ الْمُشَاهَدَةِ فِي زَمَانِهِ، كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّ مَنِ اسْتَجَابَ لَهُ يَأْمُرُ السماء لتُمطرهم، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ لَهُمْ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وأنفسهم، وترجع إليهم مواشيهم سمانًا لبنًا، وَمَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ أَمْرَهُ تصيبهم السِّنة والجدب والقحط والعلة وَمَوْتُ الْأَنْعَامِ وَنَقْصُ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، وَأَنَّهُ تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، ويقتل ذَلِكَ الشَّابَّ ثُمَّ يُحْيِيهِ، وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ بمخرفة بل له حقيقة امتحن الله به عِبَادَهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَيُضِلُّ بِهِ كثيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا،... يَكْفُرُ الْمُرْتَابُونَ، وَيَزْدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا»(٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٨) كتاب الفتن.

(٢) «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ١٢١).

۞ وَقَالَ ابن الْعَرَبِىّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الَّذِى يظْهر على يَد الدَّجَّالِ مِنَ الْآيَاتِ مِنْ إِنْزَالِ الْمَطَرِ وَالْخِصْبِ عَلَى مَنْ يُصَدِّقُهُ وَالْجَدْبِ عَلَى مَنْ يُكَذِّبُهُ وَاتِّبَاعِ كُنُوزِ الْأَرْضِ لَهُ وَمَا مَعَهُ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَمِيَاهٍ تَجْرِى كُلُّ ذَلِكَ مِحْنَةٌ مِنَ اللهِ وَاخْتِبَارٌ لِيَهْلِكَ الْمُرْتَابُ وَيَنْجُوَ الْمُتَيَقِّنُ وَذَلِكَ كُلُّهُ أَمْرٌ مُخَوِّفٌ»[١].

۞ وقَالَ الْخَطَّابِىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُجْرِىَ اللهُ الْآيَةَ عَلَى يَدِ الْكَافِرِ؟ فَإِنَّ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى آيَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ فَكَيْفَ يَنَالُهَا الدَّجَّالُ وَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ يَدَّعِى الرُّبُوبِيَّةَ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْفِتْنَةِ لِلْعِبَادِ، إِذْ كَانَ عِنْدَهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُبْطِلٌ غَيْرُ مُحِقٍّ فِى دَعْوَاهُ، وَهُوَ أَنَّهُ أَعْوَرُ مَكْتُوبٌ عَلَى جَبْهَتِهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ، فَدَعْوَاهُ دَاحِضَةٌ مَعَ وَسْمِ الْكُفْرِ، وَنَقْصِ الذَّاتِ وَالْقَدْرِ، إِذْ لَوْ كَانَ إِلَهًا لَأَزَالَ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ، وَآيَاتُ الْأَنْبِيَاءِ سَالِمَةٌ مِنَ الْمُعَارَضَةِ فَلَا يَشْتَبِهَانِ»[٢].

۞ وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «وَفِى الدَّجَّالِ مَعَ ذَلِكَ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ لِمَنْ عَقَلَ عَلَى كَذِبِهِ؛ لِأَنَّهُ ذُو أَجْزَاءٍ مُؤَلَّفَةٍ وَتَأْثِيرُ الصَّنْعَةِ فِيهِ ظَاهِرٌ مَعَ ظُهُورِ الْآفَةِ بِهِ مِنْ عَوَرِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنَّهُ رَبُّهُمْ: فَأَسْوَأُ حَالَ مَنْ يَرَاهُ مِنْ ذَوِى الْعُقُولِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُسَوِّىَ خَلْقَ غَيْرِهِ وَيَعْدِلُهُ وَيُحَسِّنُهُ، وَلَا يَدْفَعُ النَّقْصَ عَنْ نَفْسِهِ، فَأَقَلُّ مَا يَجِبُ أَنْ يَقُولَ: يَا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: صَوِّرْ نَفْسَكَ وَعَدِّلْهَا وَأَزِلْ عَنْهَا الْعَاهَةَ، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ الرَّبَّ لَا يُحْدِثُ فِى نَفْسِهِ شَيْئًا، فَأَزِلْ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْكَ»[٣].

---

(١) «فتح البارى» (١٣/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) «فتح البارى» (١٣/ ١٢٦-١٢٧).

(٣) «فتح البارى» (١٣/ ١٢٦-١٢٧).

من هم أتباع الدجّال؟

أكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاط من الناس، غالبهم الأعراب والنساء.

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة**»(١).

وفى رواية للإمام أحمد: «**سبعون ألفًا عليهم التيجان**»(٢).

۞ واسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود، وهم يزعمون أنه يخرج آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، وهم يزعمون أنه آية من آيات الله، يرد إليهم الملك(٣).

۞ وأما كون أكثر أتباعه من الأعراب؛ فلأن الجهل غالب عليهم، ولما جاء فى حديث أبى أمامة الطويل قوله ﷺ: «**وإن من فتنته** - أى: الدجال - **أن يقول للأعرابى: أرايت إن بعثت لك أباك وأمك؛ أتشهد أنى ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له الشيطانان فى صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بنى اتبعه، فإنه ربك**»(٤).

۞ وأما النساء؛ فحالهن أشد من حال الأعراب، لسرعة تأثرهن، وغلبة الجهل عليهن.

۞ ففى الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال النبى ﷺ: «**ينزل الدجال فى**

---

(١) أخرجه مسلم (١٨/ ٨٥) الفتن.

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح ـ انظر فتح البارى (١٣/ ٢٣٨).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١١٢).

(٤) رواه ابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).

هذه السبخة بمرقناة[١]، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطًا؛ مخافة أن تخرج إليه»[٢].

كم يمكث الدَّجَال في الأرض؟

ولقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن المدة التى يمكثها المسيح الدجال فى الأرض فقالوا: يا رسول الله وما لبثه فى الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا. يوم كسنة ويوم كشهر. ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم**» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا... اقدروا له قدره**»[٣].

قال الإمام النووى: قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور فى الحديث يدل عليه قوله ﷺ. وسائر أيامه كأيامكم[٤].

هكذا يكون الحرص على الدين

وتأملوا معى كيف أن النبى ﷺ لما أخبر أصحابه بأن الدجال سيمكث أربعين يومًا - منهم يوم كسنة - وإذا بأصحابه يسألونه عن الصلاة ويقولون: أتكفينا فيه صلاة يوم؟... فهذا الذى يشغلهم وذلك لأن الدين هو قضيتهم الأولى والأخيرة رضي الله عنهم وأرضاهم.

(١) (مرقناة): وادٍ بالمدينة يأتى من الطائف، ويمر بطرف القدوم فى أصل قبور الشهداء بأُحد، انظر «معجم البلدان» (٤/ ١٠١).

(٢) رواه أحمد (٥٣٥٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٣٧) (١١٠) الفتن.

(٤) مسلم بشرح النووى (١٨/ ٨٨).

ما هي الأماكن التي يأتيها الدجال؟ وما هي الأماكن التي يُحرَّم عليه دخولها؟

إن الدَّجَّال سيسير فى الأرض كلها ولن يترك قرية إلا نزل فيها .. إلا مكَّة والمدينة فإنَّ الله ﷻ قد حفظ مكة والمدينة من الدَّجَّال فلا يستطيع أن يدخلهما أبدًا.

۞ قال ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»(١).

وروى البخارى أيضًا عن أنس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذٍ سبعة أبواب على كل باب ملكان**»(٢).

وعن أبى هريرة: «**يأتى المسيح من قِبل المشرق، وهمته المدينة، حتى إذا جاء دُبر أُحد تلقَّته الملائكة، فضربت وجهه قِبل الشام، هنالك يهلك، هنالك يهلك**»(٣).

وفى حديثِ فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجال قال: «**فأخرج، فأسير فى الأرض، فلا أَدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة، غير مكة وطيبة (المدينة) فهما مُحرمتان علىَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحدًا - منهما؛ استقبلنى ملك بيده السيف صلتًا يصدنى عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها**»(٤).

وثبت أيضا أن الدجال لا يدخل أربعة مساجد: المسجد الحرام،

(١) أخرجه البخارى (١٣/ ١٠١) الفتن.

(٢) أخرجه البخارى (١٣/ ٩٠) الفتن.

(٣) رواه أحمد، ومسلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٩٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٨/ ٨٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

ومسجد المدينة، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى.

۞ قال ﷺ عن الدجال: «وإنه يمكث فى الأرض أربعين صباحًا، يبلغ فيها كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى»(١).

وكيف يخرج المنافقون من المدينة

فإذا عجز الدجال عن دخول مكة والمدينة فلا بد أن يخرج إليه المنافقون حتى يتبعوه... ولذا أخبرنا النبى ﷺ عن كيفية خروج المنافقين من المدينة المنورة فقال ﷺ: «ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافِّين، تحرسها، فينزل بالسبخة(٢) فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»(٣).

۞ وقال ﷺ: «.... وَإِنَّهُ لاَ يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الأَرْضِ إِلاَّ وَطِئَهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ إِلاَّ مَكَّةُ وَالمَدِينَةُ لاَ يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهِمَا إِلاَّ لَقِيَتْهُ المَلاَئِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الضَّرِيبِ الأَحْمَرِ عِنْدَ مُنْقَطِعِ السَّبَخَةِ فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى فيها مُنَافِقٌ وَلاَ مُنَافِقَةٌ إِلاَّ خَرَجَ إِلَيْهِ فَتَنْفِي الخَبِيثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ ويدعى ذلك الْيَوْمُ يَوْمَ الخَلاَصِ قِيلَ: فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ ،...»(٤).

---

(١) رواه أحمد وقال ابن حجر: رجاله ثقات [فتح البارى (١٣/ ١٠٥)].

(٢) السبخة: الأرض الرملية التى لا تنبت لملوحتها، وبعض أراضى المدينة كذلك.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٨٨١) كتاب الحج.

(٤) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).

لماذا لم يُذكر اسم الدَّجَّال في القرآن على الرغم من خطورة فتنته على الناس؟

تساءل كثير من العلماء، بل ومن العامة عن الحكمة فى عدم التصريح بذكر الدجال فى القرآن مع أنه أعظم فتنة فى الحياة كلها.

وجاءت الإجابة من بعض أهل العلم فقالوا:

(١) أنه مذكور ضمن الآيات التى ذُكرت فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[١].

والآيات هى: الدجال وطلوع الشمس من مغربها والدابة.

قال ﷺ: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»[٢].

(٢) أن القرآن ذكر نزول عيسى عليه السلام، وعيسى هو الذى يقتل الدجال، فاكتفى بذكر مسيح الهدى عن ذكر مسيح الضلالة، وعادة العرب أنها تكتفى بذكر أحد الضدين دون الآخر.

(٣) أنه مذكور فى قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[٣]، وإن المقصود بالناس هنا الدجال، من إطلاق الكل على البعض.

(٤) أن القرآن الكريم لم يذكر الدجال احتقارًا له، لأنه سيدَّعى الربوبية.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٨) كتاب الإيمان.

(٣) سورة غافر: الآية: (٥٧).

شبهة.. والرد عليها

فإن اعتُرض بأن القرآن ذكر فرعون وهو قد ادَّعى الربوبية والألوهية، فيقال: إن أمر فرعون انقضى وانتهى، وذُكر عبرة للناس وعظة، وأما أمر الدجال؛ فسيحدث في آخر الزمان، فتُرك ذكره امتحانًا به، مع أن ادعاءه الربوبية أظهر من أن يُنبَّه على بطلانه؛ لأن الدجال ظاهر النقص، واضح الذم، أحقر وأصغر من المقام الذي يدعيه، فترك الله ذكره؛ لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين؛ أن مثل هذا لا يُخيفهم ولا يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا لله ورسوله ﷺ؛ كما يقول الشاب الذي يقتله الدجال ويجيبه: «**والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم**»(١) (٢).

ما هي عقيدة أهل السنة في الدَّجَّال؟

من جميل ما قاله القاضي عياض رحمه الله تعالى: «هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حُجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخصٌ بعينه، ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى؛ من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يُعجزه الله تعالى بعد ذلك؛ فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى ﷺ، ويُثبت الله الذين آمنوا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ١٠١) الفتن.

(٢) أشراط الساعة (ص: ٣٣٢).

هذا مذهبُ أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنُّظَّار؛ خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وغيرهم ..» إلى أن قال: «ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاعٌ من الناس؛ لسدِّ الحاجة والفاقة؛ رغبة فى سد الرمق، أو تقية وخوفًا من أذاه؛ لأن فتنته عظيمة جدًّا، تُدهش العقول، وتحير الألباب، مع سرعة مروره فى الأرض؛ فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص، فيصدقه من صدقه فى هذه الحالة. ولهذا؛ حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته، ونبَّهوا على نقصه ودلائل إبطاله.

وأما أهل التوفيق؛ فلا يغترون به، ولا يُخدعون لما معه؛ لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له، مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يُحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرة» انتهى[1].

هل الدَّجَّال حيٌّ؟ وهل كان موجودًا في زمن النبي ﷺ؟

وقبل الجواب عن هذين السؤالين لابُدَّ من معرفة حال ابن صياد؛ هل هو الدَّجَّال أو غيره؟

وإذا كان الدَّجَّال غير ابن صياد؛ فهل هو موجود قبل أن يظهر بفتنته أو لا؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة نُعرِّف بابن صيَّاد:

فإنَّه فى عهد النبى ﷺ كان بالمدينة غلام يهودى اسمه ابن صياد، اشتبه أمره وشكَّ النبى ﷺ أنه هو الدجال، ووقع له حادث مع النبى ﷺ.

---

(١) «مسلم بشرح النووى» (٩/ ٢٩٣).

من هو ابن صياد؟ وما قصته؟ وهل هو المسيح الدَّجَّال؟

ويتبادر إلى ذهن كثير من الناس: هل ابن صياد هو المسيح الدَّجَّال أم لا؟

وإليك أخى الكريم نبذة عن ابن صياد لتعرف من هو.

ابن صياد: اسمه صافى - وقيل: عبد الله - بن صياد أو صائد.

كان من يهود المدينة، وكان صغيرًا عند قدوم النبى ﷺ إلى المدينة.

وذكر الحافظ ابن كثير(١): «أنَّ عبد الله بن صياد أسلم، وكان ابنه عمارة بن عبد الله بن صياد من سادات التابعين، روى عنه الإمام مالك وغيره»، وترجم له الإمام الذهبىُّ فى كتابه «تجريد أسماء الصحابة»، فقال: عبد الله بن صياد، أورده ابن شاهين، وقال: هو ابن صائد، كان أبوه يهوديًا فوُلِد عبد الله أعور مختونًا، وهو الذى قيل: إنَّه الدَّجَّال، ثم أسلم، فهو تابعىٌّ، له رؤيةٌ»(٢).

۞ وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فى كتابه «الإصابة»: «ومن ولده عمارة ابن عبد الله بن صياد، وكان من خيار المسلمين، من أصحاب سعيد بن المسيب، روى عنه مالك وغيره»، ثم ذكر جملة من الأحاديث فى شأن ابن صياد، ثم قال: «وفى الجملة لا معنى لذكر ابن صياد فى الصحابة؛ لأنه إن كان الدَّجَّال فليس بصحابىٍّ قطعًا؛ لأنه يموت كافرًا، وإن كان غيره فهو حالَ لِقَائِهِ بالنَّبىِّ ﷺ لم يكن مسلمًا»(٣).

---

(١) «النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ١٧٣).

(٢) «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٣١٩)، رقم (٣٣٦٦)، نقلًا عن «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (١٢٨).

(٣) «الإصابة» لابن حجر (٦٦٠٩).

۞ قال الإمام النووى: قال العلماء: وقصته مشكلة، وأمره مُشتبه فى أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ولا شك فى أنه دجال من الدجاجلة.

قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبى ﷺ لم يُوحَ إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أُوحى إليه بصفات الدجال، وكان فى ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان النبى ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره (١).

أحوال ابن صياد

كان ابن صياد دجالًا وكان يتكهن أحيانًا فيصدق ويكذب فانتشر خبره بين الناس، وشاع أنه الدجال كما سيأتى فى ذكر امتحان النبى ﷺ له.

النبى ﷺ يبحث عن حقيقة ابن صياد

لما شاع بين الناس أمر ابن صياد، وأنه هو الدجال؛ أراد النبى ﷺ أن يطَّلع على أمره، ويتبين حاله، فكان يذهب إليه مختفيًا حتى لا يشعر به ابن صياد؛ رجاء أن يسمع منه شيئًا، وكان يوجه إليه بعض الأسئلة التى تكشف عن حقيقته.

ففى الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ (٢) بَنِي مَغَالَةَ (٣)، وَقَدْ

---

(١) مسلم بشرح النووى (١٨/ ٦٤).

(٢) (أطم)؛ بضمتين: بناء مرتفع كالحصن، وجمعه آطام. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (١/ ٥٤)، و«فتح البارى» (٣/ ٢٢٠).

(٣) (مغالة): بفتح الميم والمعجمة الخفيفة: بطن من الأنصار. «فتح البارى» (٣/ ٢٢٠).

قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟»، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَرَفَضَهُ وَقَالَ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ» فَقَالَ لَهُ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خُلِّطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ**» ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا**» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ[1]، فَقَالَ: «**اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**» فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**»[2].

أى إن يكن ابن صياد هو المسيح الدجال فإنه لن يقتله إلا عيسى ابن مريم عليه السلام وإن لم يكن ابن صياد هو المسيح الدجال فلا خير لك فى قتله.

۞ وفى رواية: أن النبى ﷺ قال له: «**ما ترى؟**». قال: أرى عرشًا على الماء. فقال رسول الله ﷺ: «**ترى عرش إبليس على البحر، وما ترى؟**». قال: أرى صادقين وكاذبًا، أو كاذبين وصادقًا. فقال رسول الله ﷺ: «**لُبِّس عليه... دعوه**»[3].

۞ **وقال ابن عمر** رضي الله عنهما: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأُبى بن كعب إلى النخل التى فيها ابن صياد، وهو يختِل[4] أن يسمع من ابن صياد شيئًا

---

(١) يريد الدخان لكنه قطمها على طريقة الكهان؛ كما سيأتى بيان ذلك.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٥٥) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٩٣١) كتاب الفتن.

(٣) أخرجه مسلم (١٨/ ٤٩ ـ ٥٠) الفتن.

(٤) قال الإمام النووى: هو بكسر التاء أى يخدع ابن صياد ويستغفله ليسمع من كلامه ويعلم هو والصحابة حاله فى أنه كاهن أم ساحر ونحوهما، وفيه كشف أحوال من تخاف مفسدته، وفيه كشف الإمام الأمور المهمة بنفسه [مسلم بشرح النووى (١٨/ ٧٤)].

قبل أن يراه ابن صياد، فرآه النبى ﷺ وهو مضطجع - يعنى: فى قطيفة له فيها رمزة أو زمرة(١)، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقى بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف - وهو اسم ابن صياد -! هذا محمد ﷺ فثار ابن صياد، فقال النبى ﷺ «**لو تركته بيّن**»(٢) - أى وضح أمره.

۞ وقال أبو ذر رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ بعثنى إلى أمه، قال: «**سلها كم حملت به؟**». فأتيتها، فسألتها، فقالت: حملت به اثنى عشر شهرًا. قال: ثم أرسلنى إليها، فقال: «**سلها عن صيحته حين وقع؟**». قال: فرجعت إليها، فسألتها، فقالت صاح صيحة الصبى ابن شهر. ثم قال له رسول الله ﷺ: «**إنى قد خبأت لك خبئًا**». قال: خبأت لى خطم شاة عفراء(٣) والدخان. قال: فأراد أن يقول الدخان، فلم يستطع، فقال: الدُّخ، الدُّخ(٤).

ولماذا اختبره النبى ﷺ بالدخان؟

فامتحان النبى ﷺ له بـ (الدخان)؛ ليتعرف على حقيقة أمره.

والمراد بالدخان هنا قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ

---

(١) (رمزة أو زمرة) على الشك فى تقديم الراء على الزاى أو تأخيرها. ومعنى (رمزة): فعلة من الرمز، وهو الإشارة. وأما (زمرة): من الزمر، والمراد حكاية صوته. انظر: «فتح البارى» (٣/ ٢٢٠ـ٢٢١).

(٢) أخرجه البخارى (٣/ ٣١٨) الجنائز.

(٣) (خطم شاة) أصل الخطم فى السباع مقاديم أنوفها وأفواهها. انظر «النهاية فى غريب الحديث» (٢/ ٥٠). و(العفراء): هى التى لونها غير ناصع كلون عفر الأرض؛ أى: وجهها. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٣/ ٢٦١).

(٤) «مسند أحمد» (٥/ ١٤٨ ـ بهامشه منتخب الكنز). قال ابن حجر فى سنده: «صحيح». «فتح البارى» (١٣/ ٣٢٥).

مُّبِينٍ ﴾[١]، فقد وقع فى رواية ابن عمر عند الإمام أحمد: «إنى قد خبأت لك خبيئًا... وخبأ له: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[٢]».

قال ابن كثير: «إن ابن صياد كاشف على طريقة الكهان، بلسان الجان، وهم يقرطون - أى: يقطعون - العبارة، ولهذا قال: هو الدُّخ، يعنى: الدخان، فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته، وأنها شيطانية، فقال له: «**اخسأ؛ فلن تعدو قدرك**»[٣].

هل ابن صياد هو المسيح الدجال؟

لقد علمنا أن النبى ﷺ كان يبحث عن حقيقة ابن صياد، ولذلك كان ﷺ متوقفًا فى أمره؛ لأن الله لم يُوحِ إليه شيئًا فى شأنه.

وكان عمر رضي الله عنه يحلف عند النبى ﷺ أن ابن صياد هو الدجال، ولم ينكر عليه ذلك رسول الله ﷺ.

وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم يرى رأى عمر، ويحلف أن ابن صياد هو الدجال؛ كما ثبت ذلك عن جابر، وابن عمر، وأبى ذر.

وكان ابن صياد يسمع ما يقوله الناس فيه، فيتأذى من ذلك كثيرًا، ويدافع عن نفسه بأنه ليس الدجال، ويحتج على ذلك بأن ما أخبر به النبى ﷺ من صفات الدجال لا تنطبق عليه.

۞ ولقد اختلف العلماء اختلافًا كبيرًا فى شأن ابن صياد؛ فذهب الإمام الشوكانى وابن حجر والقرطبى والنووى أن ابن صياد هو الدجال، وذهب

---

(١) سورة الدخان: الآية: (١٠).

(٢) رواه أحمد (٦٣٦٠) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٤).

الإمام ابن تيمية وابن كثير والبيهقى إلى أن ابن صياد ليس هو الدجال.

ولذا قال الإمام ابن تيمية: «إن أمر ابن صياد قد أشكل على بعض الصحابة، فظنوه الدجال، وتوقف فيه النبى ﷺ حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، وإنما هو من جنس الكُهان أصحاب الأحوال الشيطانية، ولذلك كان يذهب ليختبره»[(١)].

وقال ابن كثير: «والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذى يخرج فى آخر الزمان قطعًا،... لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية، وهو فيصل فى هذا المقام»[(٢)].

- يقصد حديث تميم الدارى وقصة الجساسة وذلك عندما رأوا المسيح الدجال.

ابن صياد ينتفخ حتى يملأ السكة

عن نافع، قال: لقى ابن عمر ابن صائد فى بعض طرق المدينة. فقال له قولًا أغضبه. فانتفخ حتى ملأ السكة. فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها. فقالت له: رحمك الله! ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما يخرج من غضبة يغضبها**»[(٣)].

۞ وفى رواية أن ابن عمر (رضي الله عنهما) لقى ابن صياد وقد نفرت عينه وأصبحت بارزة وناتئة فقال له: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدرى. قال قلت: لا تدرى وهى فى رأسك؟ قال: إن شاء الله خلقها فى عصاك هذه

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٧٧).

(٢) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٢) الفتن.

قال فنخر كأشد نخير حمار سمعت. قال فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعصًا كانت معى حتى تكسرت. وأما أنا، فوالله! ما شعرت... وجاء (ابن عمر) حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت: ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال: «**إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه**»(١).

- وكأنها كانت تحذره من أن يُغضبه لئلا يكون هو الدجال فيخرج من تلك الغضبة فيُفسد فى الأرض.

قصة ابن صياد مع أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا، أَوْ عُمَّارًا، وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ، فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَحْشَةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَرُفِعَتْ لَنَا غَنَمٌ، فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ، فَقَالَ: اشْرَبْ، أَبَا سَعِيدٍ فَقُلْتُ إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ، مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ - أَوْ قَالَ آخُذَ عَنْ يَدِهِ - فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبْلًا فَأُعَلِّقَهُ بِشَجَرَةٍ، ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِي النَّاسُ، يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُوَ كَافِرٌ**» وَأَنَا مُسْلِمٌ، أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُوَ عَقِيمٌ لَا يُولَدُ لَهُ**»، وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ**» وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٢) (٩٩) الفتن.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا، وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ مَوْلِدَهُ وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبًّا لَكَ، سَائِرَ الْيَوْمِ (١).

۞ وفى رواية: قَالَ: فَمَا زَالَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَأْخُذَ فِيَّ قَوْلُهُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: أَمَا، وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ الْآنَ حَيْثُ هُوَ، وَأَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: وَقِيلَ لَهُ: أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ ذَاكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ فَقَالَ: لَوْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ (٢).

وفاة ابن صياد

وقد مكث ابن صائد بعد الرسول مدة من الزمن، وادَّعى أنه أسلم، ولكن الناس لم يثقوا بإسلامه، وبقوا يتشككون فى أمره.

۞ وفى معركة (الحَرة) التى كانت بين (الحَجَّاج) وبين أهل المدينة فقدوا ابن صياد فلم يجدوه فى القتلى أو الأسرى .... أى أنه اختفى منذ تلك اللحظة ولم يره أحدٌ بعدها.

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «فقدنا ابن صياد يوم الحَرَّة» (٣).

وقد صحح ابن حجر هذه الرواية، وضعَّف قول من ذهب إلى أنه مات فى المدينة، وأنهم كشفوا عن وجهه، وصلوا عليه (٤).

كيف ننجو من فتنة الدَّجَّال؟

إنه ما من نبى إلا وأنذر أمته فتنة الدجال.

وها هو الحبيب ﷺ يحذر أمته من تلك الفتنة الشديدة، وذلك لأن

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٧) (٩١) الفتن.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٧) (٩٠) الفتن.

(٣) «سنن أبى داود» (١١/ ٤٧٦ ـ مع عون المعبود).

(٤) انظر: «فتح البارى» (١٣/ ٣٢٨).

الدجال خارج فى تلك الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ورسولنا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

وإليكم جميعًا الوسائل التى تجعلنا ننجو بإذن الله من فتنة الدجال:

أولاً: الاعتصام بالله (جل وعلا) والتمسك بالإيمان والتعرف على أسماء الله وصفاته الحسنى،... فنعلم أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] أما الدجال فهو أعور والله ليس بأعور، وأننا لن نرى ربنا حتى نموت، أما الدجال فيراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

ثانيًا: التعوذ من فتنة المسيح الدجال:

وخاصة فى الصلاة بعد التشهد وقبل التسليم.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهَّد أحدكم؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[2].

وروى البخارى عن مصعب[3]؛ قال: كان سعد يأمر بخمسٍ ويذكرهن عن النبى ﷺ أنه كان يأمر بهن... (منها:) «**وأعوذ بك من فتنة الدنيا (يعنى: فتنة الدجال)**»[4].

«وفى إطلاق الدنيا على الدجال إشارة إلى أن فتنة الدجال أعظم الفتن الواقعة فى الدنيا»[5].

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).

(٢) أخرجه مسلم (٥/ ٨٧) المساجد.

(٣) هو مصعب بن سعد بن أبى وقاص - انظر فتح البارى (١١/ ١٧٥).

(٤) أخرجه البخارى (١١/ ١٧٤) الدعوات.

(٥) فتح البارى (١١/ ١٧٩).

قال السفارينى: «مما ينبغى لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال... وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر»(١).

ثالثًا: حفظ آيات من سورة الكهف:

فقد أمر النبى ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفى بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها.

ومن الأحاديث الواردة فى ذلك ما رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل... (وفيه قوله ﷺ:) «**من أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»(٢).

وروى مسلم أيضًا عن أبى الدرداء رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عُصم من الدجال**»؛ أى: من فتنته.

قال مسلم: «قال شعبة: من آخر الكهف، وقال همام: من أول الكهف»(٣).

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا

---

(١) ورد فى ذلك حديث صححه الهيثمى فى «مجمع الزوائد» عن الصعب بن جثامة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر**». انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨/ ٦٥) الفتن.

(٣) أخرجه مسلم (٦/ ٩٢) صلاة المسافرين.

ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[1].

۞ وقفة لطيفة:

وقد يقال: لِمَ كانت قراءة فواتح سورة الكهف، وخواتمها أمانًا من الدجال؟

قال بعضهم: لأن الله أخبر فى طليعة هذه السورة أن الله أمَّن أولئك الفتية من الجبار الطاغية الذى يريد إهلاكهم، فناسب أن من قرأ هذه الآيات وحاله كحالهم أن ينجيه كما أنجاهم.

وقيل: لأن فى أولها من العجائب والآيات التى تُثبِّت قلب مَن قرأها بحيث لا يُفتن بالدجال، ولا يستغرب ما جاء به الدجال، ولم يُلهه ذلك، ولم يؤثر فيه[2].

رابعًا: الفرار من الدجال، والابتعاد عنه:

والأفضل سُكنى مكة والمدينة، فقد سبق أن الدجال لا يدخل الحرمين، فينبغى للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد عنه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التى يجريها الله على يديه فتنة للناس؛ فإنه يأتيه الرجل وهو يظن فى نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال.

قال ﷺ: «**من سمع بالدجال؛ فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب**

(١) سورة الكهف: الآيات: (١-١٠).

(٢) القيامة الصغرى (ص: ٢٤٧).

أنه مؤمن، فيتبعه مما يُبعث به من الشبهات، أو لما يُبعث به من الشبهات»(١).

۞ فأسأل الله (جل وعلا) أن يحفظنا جميعًا من فتنة الدجال وأن يثبت قلوبنا على الإيمان والتوحيد حتى نلقاه.

خامسًا: معرفة أسماء الله وصفاته:

لأنَّ الدَّجَّال أعور، والله ﷻ ليس بأعور، بل هو ﷻ جميل مُنَزَّه عن العيوب والنقائص، قُدوس متنزه عن العيوب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢).

سادسًا: حرزٌ خاص من الدَّجَّال:

عَنْ أَبِى قِلَابَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ طَافَ النَّاسُ بِهِ وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَإِذَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: **«إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمُ الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ، وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ بَعْدِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ حُبُكٌ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ: لَسْتَ رَبَّنَا، لَكِنَّ رَبَّنَا اللهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ أَنَبْنَا، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ»(٣).**

من هم أشد الناس على الدَّجَّال؟

أخبر النبى ﷺ أن أشد الناس على الدجال هم (بنو تميم).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لاَ أَزَالُ أُحِبُّ بَنِى تَمِيمٍ(٤) بعد ثَلاَثٍ، سَمِعْتُهَا

---

(١) رواه أحمد وأبو داود عن عمران بن حصين ـ صحيح الجامع (٦٣٠١).

(٢) سورة الشورى: الآية: (١١).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبى، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٨٠٨).

(٤) بنو تميم، قبيلة مشهورة من قبائل العرب.

مِن النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُهَا فِيهِمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي، عَلَى الدَّجَّالِ**»، قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا**»، وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعْتِقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**»(١).

وَعَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ تَمِيمًا ذُكِرُوا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَبْطَأَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ. فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مُزَيْنَةَ، فَقَالَ: «**مَا أَبْطَأَ قَوْمٌ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ**».

وَقَالَ رَجُلٌ يَوْمًا: أَبْطَأَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ مِنْ تَمِيمٍ بِصَدَقَاتِهِمْ، فَأَقْبَلَتْ نَعَمٌ حُمْرٌ وَسُودٌ لِبَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذِهِ نَعَمُ قَوْمِي**».

وَنَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**لَا تَقُلْ لِبَنِي تَمِيمٍ إِلَّا خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَطْوَلُ النَّاسِ رِمَاحًا عَلَى الدَّجَّالِ**»(٢).

وأختم الكلام عن الدَّجَّال بذكر خمس مسائل

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟! الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»(٣).

فالرياء أمره خطير، وهو أن يعمل الإنسان العمل الصالح يقصد به نظر الناس وثناءهم، وهو شركٌ خفي مُحبط للعمل، ويقال لأهل الرياء يوم

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٤٣) كتاب العتق، ومسلم (٢٥٢٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) رواه أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وضعفه الألبانى فى الضعيفة (٦٤٩٨).

(٣) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٠٧).

القيامة: «**اذهبوا إلى الذين كنتم تُراءون بأعمالكم فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟**»[١].

(٢) عن أبى ذر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**غيرُ الدَّجَّال أخوفُ على أُمَّتِى من الدَّجَّال: الأئمة المُضلُّون**»[٢].

وأئمة الضلال وقادته خطرهم على الأمة عظيم، فإذا كان رأس الناس المؤثر فيهم ضالًّا ضلَّ مَن تحته، وأئمة الضلال قد يكونون أئمة فى الدنيا كالملوك والأُمراء والوزراء، وقد يكونون فى الدين كالعلماء والدُّعاة، فإذا تصدَّر على الناس القادة الضَّالون فسد أمرهم جميعًا.

(٣) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ**»[٣].

فظهر أن حركة الجهاد فى هذه الأمة حركة متتابعة، وأن أولها وآخرها بعضها مع بعضها، ولا ينقطع الجهاد حتى يقاتل آخر الأمة الدجال.

(٤) الثبات فى الفتن أصل من أصول الشريعة؛ ولذلك قال ﷺ لما ذكر فتنة الدَّجَّال: «**يا عباد الله فاثبتوا**»[٤].

وألا نشعر بالتشاؤم وفقدان الثقة من أحاديث الفتن، بل نحرص على الازدياد من الإيمان والثبات.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٥٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤١٦٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٣) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن.

(٥) نلحظ من حديث الدَّجَّال وغيره أن قتال آخر الزمان يكون بالسلاح الأبيض، وهو السيوف والرماح والخيول[١].

كيف يكون هلاك الدَّجَّال؟ ومن الذي سيقتله؟

يكون هلاك الدَّجَّال في بلاد الشام على يد نبي الله عيسى عليه السلام .. ولكن كيف ستكون قصة هلاكه؟ هذا ما سنعرفه عندما نتعرّف على قصة نبي الله عيسى عليه السلام وقصة نزوله في آخر الزمان ليحكم بشريعة الحبيب محمد ﷺ وليقتل الدَّجَّال (بإذن الله).

---

(١) نهاية العالم (ص ٢٧١-٢٧٢).

قصة نبي الله عيسى عليه السلام

۞ كان هناك رجل عالم جليل يصلى بالناس اسمه عمران.. وكان يعيش فى فلسطين فى زمان سيدنا زكريا (عليه السلام).

وكانت زوجة عمران لا تلد وكانت تشتهى أن يرزقها الله الولد.

وفى يوم من الأيام وجدت طائرًا يُطعم ابنه الصغير فى فمه فأحسَّت بالحنين الشديد إلى الولد فتوجهت إلى الله (جل وعلا) بالدعاء بأن يرزقها الله ولدًا ليخدم بيت المقدس فاستجاب الله لها وحملت وامتلأ قلبها بالسعادة والفرح والسرور .. ونذرت ما فى بطنها مُحرَّرًا لخدمة بيت المقدس.

۞ وتمر الأيام ويموت زوجها عمران ذلكم العالم الجليل ويترك زوجته وهى حامل.

۞ وجاء موعد الولادة .. ووضعت امرأة عمران ما فى بطنها وكانت أُنثى فحزنت لأنها كانت تتمنى أن يكون المولود ذكرًا ليخدم بيت المقدس ولكنها قررت أن تفى بنذرها لله.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ (١).

- كانت المولودة هى مريم أم عيسى (عليهما السلام).

۞ خافت امرأة عمران على ابنتها مريم فتوجهت إلى الله أن يحفظها هى وذريتها من الشيطان الرجيم.

ولذلك جاء فى الحديث: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما

(١) سورة آل عمران: الآية: (٣٧).

من مولودٍ يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه»، ثم قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1] [2].

۞ وجعل الله كفالة مريم ورعايتها إلى سيدنا زكريا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو نبى ذلك الزمان وهو زوج خالة مريم..وكان هذا من سعادتها لتقتبس منه العلم النافع والعمل الصالح.

كرامة ثابتة لمريم (عليها السلام)

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[3].

اتخذ لها زكريا مكانًا شريفًا من المسجد لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من خدمة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يُضرَب بها المثل بعبادتها فى بنى إسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة، حتى إنه كان نبى الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقًا غريبًا فى غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف فيسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ فتقول: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ أى: رزق رزقنيه الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾.

(١) سورة مريم: الآية: (٦٣).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦).
(٣) سورة آل عمران: الآية: (٣٧).

ميلاد عيسى ابن مريم (عليه السلام)

وها هى قصة ميلاد سيدنا عيسى ابن مريم (عليه السلام).

۞ قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾(١).

لقد قامت مريم واعتزلت أهلها وأقاربها فى مكان شرقى بيت المقدس من أجل أن تتفرغ لعبادة الله (جل وعلا) فقد كانت كثيرة العبادة.

۞ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾(٢) لما أرادت أن تتفرغ للعبادة جعلت بينها وبين قومها سترًا وحاجزًا فأرسل الله إليها جبريل (عليه السلام) وهى فى المحراب وحدها فجاءها فى صورة شاب أبيض الوجه فى غاية الحسن والجمال فخافت منه مريم، وقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾(٣).

لقد فزعت مريم منه وقالت: إنى أحتمى وألتجئ إلى الله منك فإن كنت تقيًا فاتركنى فى حالى ولا تقترب منى، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾(٤). أراد جبريل (عليه السلام) أن يُطمئن قلبها فأخبرها أنه مَلَكٌ أرسله الله إليها ليهب لها غلامًا زكيًّا طاهرًا من الذنوب.

۞ فاطمأنت مريم لكنها فجأة تذكَّرت ما قاله: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾!! كيف سيحدث ذلك وهى الطاهرة التى لم تتزوج بعد ولم يمسسها بشر.

---

(١) سورة مريم: الآية: (١٦).

(٢) سورة مريم: الآية: (١٧).

(٣) سورة مريم: الآية: (١٨).

(٤) سورة مريم: الآية: (١٩).

كيف تنجب بغير زواج؟!

قالت لجبريل عليه السلام: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾(١).

فأراد جبريل (عليه السلام) أن يُطمئن قلبها فقال لها: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾(٢).

إنه أمر سهل ميسور على الخالق (جل وعلا) فالله هو الذى أمر بأن يُخلق عيسى من أم بلا أب ليكون معجزة ورحمة من الله لبنى إسرائيل.

ثم إن الأمر انتهى، فما دام الله أمر بذلك فليس هناك أى مجال للمناقشة.... إن الله إذا أمر بشىء فلا بد من تنفيذه على الوجه الذى أراده الله.

۞ ولماذا تعجبين.. فلقد خلق الله آدم عليه السلام من غير أب ولا أم وخلق حواء من آدم فهى قد خُلقت من ذكر بغير أنثى،وسيخلق ابنك من أم بلا أب وخلق الناس جميعًا من أب وأم حتى يعلم الناس قدرة الخالق (جل وعلا) وعظيم سلطانه.

وهكذا اطمأن قلب مريم (عليها السلام)

لقد استقبلت مريم كلمات جبريل عليه السلام بكل رضا واستسلام لأمر الله (جل وعلا).

۞ وعاد جبريل (عليه السلام) يتحدث مرة أخرى ليخبرها بتفاصيل ميلاد المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) فقال لها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ

---

(١) سورة مريم: الآية: (٢٠).

(٢) سورة مريم: الآية: (٢١).

ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1].

سبحان الله!!... لقد عرفت اسم ابنها قبل أن تحمله فى بطنها.. بل وعرفت أنه سيكون وجيهًا فى الدنيا والآخرة، وسيكون من المقربين إلى الله بل وإلى الناس من حوله.. وعرفت أيضًا أنه سيكلم الناس وهو طفل صغير وسيتكلم وهو رجل كبير.

وحملت مريم بعيسى (عليهما السلام)

وهنا .. انتهى الحوار بين جبريل (عليه السلام) وبين مريم العذراء وقبل أن تنطق مريم كلمة أخرى نفخ جبريل (عليه السلام) فى جيب مريم[2] فدخلت النفخة فى جوفها فحملت فورًا بعيسى (عليه السلام).

۞ ومرت الأيام ثقيلة على مريم .. فهى تفكر ماذا ستقول للناس وهى التى حملت بغير زواج.

۞ كان حملها يختلف تمامًا عن حمل سائر النساء .. فهى لم تشعر بثقل ولا بمرض ولم ترتفع بطنها كسائر النساء بل كان حملها به نعمة طيبة.

وحان وقت الولادة

ومرت الأيام مسرعة وهى تعانى من الآلام النفسية الشديدة فهى تفكر فيما تُخبئه لها الأيام وماذا سيقول الناس عنها.

اقتربت ساعة الولادة وأحست مريم بألم الولادة فخرجت من القرية

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (٤٥، ٤٦).

(٢) الجيب: هو شق الثوب الذى يكون فى الصدر.

وذهبت إلى مكان بعيد يمتلئ بالشجر والنخل .. إنه مكان لا يعرفه أحدٌ غيرها.

ولم يكن أحد يعرف أن مريم حامل وأنها ستلد فقد أغلقت المحراب عليها طوال هذه الشهور والناس يعرفون أنها فرَّغت نفسها للعبادة فلا يقترب منها أحد حتى لا يسبب لها إزعاجًا.

۞ وجلست مريم تستريح قليلًا تحت جذع نخلة وتفكر فيما سيحدث لها فى الأيام القادمة .. وفجأة زادت عليها آلام الولادة.

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[1].

وبدأت لحظات ميلاد المسيح عيسى ابن مريم (عليهما السلام) والأم فى غاية الحزن والاكتئاب .. ماذا سيقول الناس؟ هل يصدق الناس أنى ولدت هذا الطفل دون أن يمسسنى بشر؟ .. ظلت تفكر حتى وصل بها الأمر إلى أنها تمنَّت أن تموت قبل أن يتهمها أحد فى طهارتها وعفافها.

۞ ولدت مريم سيدنا عيسى (عليه السلام) .. وفجأة حدث شىء لا يخطر على قلب بشر!! .. يا ترى ما الذى حدث؟

---

(١) سورة مريم: الآية: (٢٣).

عيسى (عليه السلام) يتكلم وهو طفل رضيع

فى هذه اللحظة جاء التثبيت من عند الله وجاءت المعجزة التى لا تخطر على قلب بشر .. لقد أنطق الله عيسى (عليه السلام) فنادى أمه وتكلم معها: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [1].

۞ لم تصدق مريم ما تراه وما تسمعه .. هل هذا معقول ؟ .. طفلى الصغير الذى وُلد منذ دقائق معدودات ينطق ويتكلم!!

لقد أنطق الله (عز وجل) طفلها عيسى (عليه السلام) ليكلمها ويطلب منها أن تكُفَّ عن حزنها وأن تهز جذع النخلة ليتساقط عليها التمر والرُّطَب فتأكل وتشبع فإذا أرادت الماء فقد جعل الله تحتها عينًا تجرى فيها المياه الصافية النقية.

ثم قال لها عيسى (عليه السلام): فإذا رآك أحد من البشر فقولى له: إنى نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسانًا.

۞ فرحت مريم فرحًا شديدًا وأحسَّت لأول مرة بالسعادة تملأ قلبها منذ أن حملت بعيسى (عليه السلام).. قامت فى سعادة غامرة تهز جذع النخلة وما إن لمست الجذع حتى وجدت التمر والرُّطَب يتساقط أمامها فأكلت وشربت ووضعت طفلها فى ملابسها وألصقته بقلبها خوفًا عليه من نسيم الهواء ثم نامت من شدة التعب والإعياء.

---

(١) سورة مريم: الآيات: (٢٤ - ٢٦).

اللحظة الحاسمة

وجاءت اللحظة الحاسمة التى ستعود فيها مريم إلى قومها.

يا ترى ماذا ستصنع؟ ماذا سيقولون لها؟ وهل يصدقون بأن الله هو الذى رزقها بهذا الطفل أم أنهم سيوجهون إليها أبشع التُّهَم ويرمونها بأقبح الكلمات؟!

۞ عادت مريم قُرب العصر وكان السوق الكبير الذى يقع فى طريقها إلى المسجد قد امتلأ بالناس الذين فرغوا فى هذه الساعة من البيع والشراء وجلسوا يتكلمون.

۞ وما إن وصلت مريم إلى السوق حتى نظر الناس إليها ولاحظوا أنها تحمل طفلًا وتضمه لصدرها.

فقال أحدهم: أليست هذه مريم العذراء؟ فما هذا الطفل الذى تحمله؟ فجاء إليها أحد الكهنة وسألها: من هذا الطفل الذى تحملينه يا مريم؟

هل هو ابنك؟ وكيف يكون ابنك وأنت لم تتزوجى؟

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ (١).

وبدأت الاتهامات تسقط عليها من الناس حولها ومع ذلك فهى تقف مرفوعة الرأس واثقة فى ربها (جل وعلا) أنه سوف يُبرؤها من كل هذه الاتهامات.

فلما ضاق الحال اشتد توكلها على الله (جل وعلا) فأشارت بيدها إلى عيسى (عليه السلام).

---

(١) سورة مريم: الآية: (٢٨).

فتعجب الناس واندهشوا ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[(١)].

وإذا بعيسى عليه السلام ينطق وهو طفل رضيع، ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[(٢)].

۞ ما هذا الذى يحدث؟ .. طفل رضيع يتكلم!!

لقد رأى الناس أمام أعينهم معجزة حقيقية .. طفل جاء بغير أب ثم إنه يتكلم وهو ما زال يرضع .. طفل يقول: إن الله قد آتاه الكتاب وجعله نبيًّا .. معنى هذا الكلام أن مُلكهم سيزول ولن يكون لهم أى قدر ولا مكانة عندما يكبر هذا الطفل.

لن يستطيع وقتها أحد منهم أن يبيع الغفران للناس.

۞ وأحسَّ كهنة اليهود بأن ميلاد هذا الطفل الصغير سيكون مأساة بالنسبة لهم لأن حياتهم قائمة على الغش والخداع والسرقة.

وإن مجىء عيسى (عليه السلام) سيكون سببًا فى عودة الناس إلى دين الله (جل وعلا) .. وهذا معناه إعدام كهنة اليهود الموجودين فى هذا الوقت.

---

(١) سورة مريم: الآية: (٢٩).

(٢) سورة مريم: الآيات: (٣٠-٣٣).

رفع عيسى (عليه السلام) إلى السماء

قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1].

وقال تعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[2].

وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه، أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات، التى كان يُبرئ بها الأكمه والأبرص ويُحيى الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يشهد طيرانه بإذن الله ﷻ إلى غير ذلك من المعجزات التى أكرمه الله بها، وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا فى أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبى الله عيسى لا يُساكنهم فى بلدة، بل يُكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام، ثم لم يُقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق فى ذلك الزمان،

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (٥٤ ، ٥٥).

(٢) سورة النساء: الآيات: (١٥٦ - ١٥٩).

وكان رجلًا مشركًا من عَبَدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته اليونان وأنهوا إليه أن في بيت المقدس رجلًا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك من هذا وكتب لنائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويَكُفّ أذاه عن الناس، فلما وصل الكتاب امتثل والى بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذى فيه عيسى عليه السلام، وهو فى جماعة من أصحابه اثنى عشر أو ثلاثة عشر، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت فحصروه هنالك، فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم، قال لأصحابه: أيكم يُلقَى عليه شبهى وهو رفيقى فى الجنة؟ فانتُدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا يُنتدب إلا ذلك الشاب، فقال: أنت هو، وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو، وفُتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سِنة من النوم فرُفع إلى السماء، وهو كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ [1] وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [2] ... فلما رُفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه فى الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنهم سعوا فى صلبه وتبجحوا بذلك، وسلَّم لهم طوائف من النصارى فى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [4]

---

(١) الوفاة هنا: بمعنى النوم - بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ سورة الأنعام: الآية: (٦٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٥٥).

(٣، ٤) سورة النساء: الآية : (١٥٧).

أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [(١)] [(٢)].

۞ ظل الحواريون يدعون بالسر إلى الله، ويُعلمون الناس الدين في السر، وظل النصارى على التوحيد أكثر من مائتي سنة، ثم آمن أحد ملوك الروم واسمه قسطنطين، وأدخل الشركيات في دين النصارى.

۞ يقول ابن عباس: افترق النصارى ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، وقالت طائفة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وقالت طائفة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام مطموسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ فذلك قول الله ﷻ: ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [(٣)] [(٤)].

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٥٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٣، ٥٧٤) باختصار.

(٣) سورة الصف: الآية: (١٤).

(٤) ابن الإسلام (ص: ٢٩٠).

رقمه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

العلامة الثانية: نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان

بعد خروج الدَّجَّال، وإفساده فى الأرض، يبعث الله عيسى عليه السلام، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقى دمشق الشام، وعليه مهرودتان[1]، واضعًا كفَّيْهِ على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، ولا يَحِلُّ لكافرٍ يجِدُ ريح نَفَسه إلا مات، ونَفَسهُ ينتهى حيث ينتهى طرفه.

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التى تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدَّجَّال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلى خلف أمير تلك الطائفة.

قال ابن كثير: هذا هو الأشهر فى موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق.

وذكر ابن كثير أنه فى زمنه سنة إحدى وأربعين وسبعمائة جدَّد المسلمون منارة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التى كانت مكانها، ولعلَّ هذا يكون من دلائل النبوَّة الظاهرة،حيث قيَّض الله بناء هذه المنارة من أموال النصارى، لينزل عيسى ابن مريم عليها، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية،

---

(١) مهرودتان: روى بالدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والمعنى: لابس مهرودتين؛ أي ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران. انظر: «شرح النووى لمسلم» (٨١/ ٧٦).

ولكن من أسلم وإلا قُتِل، وكذلك غيرهم من الكفار(١).

ففى حديث النواس بن سمعان الطويل فى ذكر خروج الدَّجَّال ثم نـزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال ﷺ: «**إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفَّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّرَ منه جُمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحلُّ لكافرٍ يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبه** -أى: يطلب الدَّجَّال- **حتى يدركه بباب لُد، فيقتله، ثم يأتى عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويُحدِّثُهم بدرجاتهم فى الجنة**»(٢).

صفة عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

ولقد وصفه النبى ﷺ وصفا دقيقًا حتى إذا رأيناه عرفناه.

۞ وصفة عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) التى جاءت فى تلك الروايات تفيد أنه رجلٌ، مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعدٌ، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديماس - أى: حمَّام - له لمة(٣) قد رجَّلها تملأ ما بين منكبيه.

۞ الأحاديث الواردة فى ذلك:

منها ما رواه الشيخان عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلة أُسرى بى لقيت موسى.. (فنعتَهُ إلى أن قال:) ولقيتُ عيسى.. (فنعته**

---

(١) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ١٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨/ ٦٧، ٦٨) الفتن وأشراط الساعة.

(٣) (اللمة)؛ بكسر اللام: شعر الرأس. يقال له إذا جاوز شحمة الأذنين: لمة وإذا زاد عن ذلك فهو: جمة. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (٤/ ٢٧٣).

فقال:) ربعةٌ، أحمرُ، كأنما خرج من ديماس (يعنى: الحمَّام))[١].

وروى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى؛ فأحمر جعدٌ عريضُ الصَّدر**»[٢].

وروى مسلمٌ عن أبى هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيتنى فى الحجر وقريشٌ تسألنى**..(فذكر الحديث، وفيه:) **وإذا عيسى ابن مريم** عليه السلام **قائمٌ يصلى، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفى**»[٣].

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أرانى ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلًا آدم[٤] كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال**».

۞ والجمع بين هذه الروايات من كونه فى بعضها أحمر، وبعضها آدم، وما جاء أنه سبط الشعر، وفى بعضها بأنه جعد:

إنه لا منافاة بين الحُمرة والأُدْمَة؛ لجواز أن تكون أُدمته صافية[٥].

وأما كونه فى رواية سبط الشعر، وفى أخرى أنه جعدٌ، والجعد ضد السبط، فيمكن أن يجمع بينهما بأنه سبط الشعر، وأما وصفه بأنه جعدٌ؛ فالمراد بذلك جعودةٌ فى جسمه لا شعره، وهو اجتماع اللحم واكتنازه[٦].

---

(١) أخرجه البخارى (٦/ ٤٧٦) أحاديث الأنبياء ـ ومسلم (٢/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه البخارى (٦/ ٤٧٧) أحاديث الأنبياء.

(٣) هو الصحابى الجليل عروة بن مسعود الثقفى.

(٤) (آدم): الآدم هو الأسمر الشديد السمرة، وقيل: هو من أدمة الأرض؛ أى: لونها، وبه سُمى آدم عليه السلام. انظر: «النهاية فى غريب الحديث» (١/ ٣٢).

(٥) «الإشاعة» (ص١٤٣).

(٦) انظر: «فتح البارى» (٦/ ٤٨٦).

وقت نزوله

ويكون نزوله فى وقتٍ اصطفَّ فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر، وتقدم إمامهم للصلاة، فيرجع ذلك الإمام طالبًا من عيسى أن يتقدم فيؤمهم، فيأبى...، ففى الحديث: «**وإمامهم** (أى إمام الجيش الإسلامى) **رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص، يمشى القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلِّ، فإنها لك أُقيمت، فيصلى بهم إمامهم**»[(١)] .

ويكون هذا فى حال إعداد المسلمين لحرب الدجال، ... ففى حديث أبى هريرة عند مسلم: «**فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم، فأمَّهم**»، ولفظه فى كتاب الإيمان: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأَمَّكم**»[(٢)] . وليس المراد هنا فى هذا الحديث أن عيسى أَمَّهم فى الصلاة، فالحديث الأول يدل على رفض عيسى للتقدم، وأنه قدَّم الإمام الذى أُقيمت له الصلاة، ومثله حديث أبى هريرة عند البخارى ومسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**»[(٣)] وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى**

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٧) كتاب الفتن، ورواه أيضًا (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أُمراء، تكرمة الله هذه الأمة»[(١)(٢)].

وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[(٣)].

عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال: قبل موت عيسى عليه السلام. وقال أبو مالك: ذلك عند نزول عيسى وقبل موته عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به وهذا القول هو الحق، وقيلت تفاسير شتَّى فى تفسير هذه الآية ولكن أولى الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. وهذا هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية فى تقرير بُطلان ما ادّعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم مَن سلَّم لهم من النصارى فى ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنّما شُبِّه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باقٍ حَيٌّ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلّت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعنى لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف. والمراد بهذا الذى ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٦) كتاب الإيمان.

(٢) القيامة الصغرى (ص ٢٧٠-٢٧١).

(٣) سورة النساء: الآية: (١٥٩).

فى السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، ليُكذِّب هؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه، وتصادمت وتعاكست، وتناقضت، وخَلَتْ من الحق، ففرط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصارى، تَنَقَّصه اليهود بما رموه به وأُمه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادّعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوه فى مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء عُلوًّا كبيرًا، وتَنزّه وتَقدَّس لا إله الا هو[1].

أدلة نزوله (عليه السلام) من القرآن الكريم

نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ثابتٌ فى الكتاب والسُنَّة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[2].

أى: نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامةٌ على قرب الساعة ويدلُّ على ذلك القراءة الأخرى: (وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ)؛ بفتح العين واللام؛ «أى: علامة وأمارة على قيام الساعة، وهذه القراءة مرويَّة عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أئمة التفسير»[3].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما فى تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ قال: «هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»[4].

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٢، ٤٦٣) بتصرف.

(٢) سورة الزخرف: الآيات: (٥٧-٦١).

(٣) تفسير القرطبى (١٦/ ١٠٥) تفسير الطبرى (٢٥/ ٩٠-٩١).

(٤) رواه أحمد (٤/ ٣٢٩) (ح ٢٩٢١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وقال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[١].

فهذه الآيات؛ كما أنها تدلُّ على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[٢].

فإنها تدلُّ على أنَّ من أهل الكتاب مَن سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان، وذلك عند نزوله[٣] وقبل موته؛ كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة.

أدلة نزوله من السنة المطهرة

إن الأدلة على نزوله فى آخر الزمان كثيرة ومتواترة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**».

ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[٤].

---

(١) سورة النساء: الآيات: (١٥٧-١٥٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٥٥).

(٣) نزولًا حقيقيًّا بروحه وجسده.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا تزال طائفة من أُمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة؛ قال: فينزل عيسى بن مريم** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، **فيقول أميرُهم: صلِّ لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة**»(١).

وعن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الأنبياء إخوة لعلَّات، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازلٌ، فإذا رأيتموه؛ فاعرفوه**»(٢).

الحكمة في نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دون غيره

تلمَّس بعض العلماء الحكمة في نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ولهم في ذلك عدة أقوال:

(١) الردُّ على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فبيَّن الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدَّجَّال.

ورجَّح الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره.

(٢) أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وجد في الإنجيل فضل أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾(٣)، فدعا الله أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٩٣-١٩٤) مع شرح النووي - باب نزول عيسى ابن مريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاكمًا.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٠٦) والحاكم (٢/ ٥٩٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خيرٌ من الحواريين فيما بلغنا»(١).

وقال ابن كثير: «وصدقوا فى ذلك؛ فإن هذه الأمة مُعظَّمة فى الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة»(٢).

وقد ترجم الإمام الذهبى لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى كتابه «تجريد أسماء الصحابة»، فقال: «عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صحابىٌّ؛ ونبىٌّ؛ فإنه رأى النبىَّ ﷺ ليلة الإسراء، وسلَّم عليه، فهو آخر الصحابة موتًا»(٣).

(٣) إن نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من السماء؛ لِدُنُوِّ أجله، ليُدفَن فى الأرض، إذ ليس لمخلوقٍ من التراب أن يموت فى غيرها، فيوافق نزوله خروج الدجال، فيقتله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(٤) إنه ينزل مكذبًا للنصارى، فيُظهر زيفهم فى دعواهم الأباطيل، ويُهلك الله المللَ كلها فى زمنه إلا الإسلام؛ فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

(٥) إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبى ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، ليس بينى وبينه نبىٌّ**»(٤).

فرسول الله ﷺ أخص الناس به، وأقربهم إليه؛ فإن عيسى بشَّر بأن رسول الله ﷺ يأتى من بعده، ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٣).

(٣) تجريد أسماء الصحابة (١/ ٤٣٢).

(٤) أخرجه البخارى (٦/ ٤٧٧-٤٧٨) مع الفتح - ومسلم (١٥/ ١١٩) مع شرح النووى.

(٥) المنهاج فى شُعب الإيمان (١/ ٤٢٤، ٤٢٥) للحليمى - وفتح البارى (٦/ ٤٩٣).

كما في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[١].

وفي الحديث: «قالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم؛ أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى»[٢].

هلاك الدجال على يديه

يكون هلاك الدَّجَّال على يدي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؛ كما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وذلك أنَّ الدجال يظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة، ويكثر أتباعه، وتعمُّ فتنته، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين، وعند ذلك ينزل عيسى بن مريم عليه السلام على المنارة الشرقية بدمشق، ويلتف حوله عبادُ الله المؤمنون، فيسير بهم قاصدًا المسيح الدجال، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهًا نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عند باب (لُد)[٣]، فإذا رآه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى عليه السلام: «**إن لي فيك ضربة لن تفوتني**»، فيتداركه عيسى، فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهوديٌّ خلفي، تعالَ فاقتله؛ إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود[٤].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يخرج الدجال**

---

(١) سورة الصف: الآية: (٦).

(٢) قال ابن كثير في إسناده: «هذا إسناد جيد»، وروى له شواهد من وجوه أخر، رواها الإمام أحمد في «المسند». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٣٦)، و«مسند الإمام أحمد» (٤/ ١٢٧ و٥/ ٢٦٢ - بهامشه منتخب الكنز).

(٣) (لُد): بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس. انظر: «معجم البلدان» (٥/ ١٥).

(٤) انظر: «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ١٢٨-١٢٩)، تحقيق د. طه زيني.

فى خفقة من الدين وإدبار من العلم.. (فذكر الحديث، وفيه:) ثم ينزل عيسى ابن مريم، فينادى من السَّحَر، فيقول: أيها الناس! ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذَّاب الخبيث.

فيقولون: هذا رجلٌ جنىٌّ. فينطلقون، فإذا هم بعيسى بن مريم ﷺ، فتقام الصلاة، فيُقال له: تقدَّم يا روح الله! فيقول: ليتقدَّم إمامُكُم، فليُصلِّ بكم، فإذا صلَّى صلاة الصبح؛ خرجوا إليه. قال: فحين يرى الكذاب ينماث[1] كما ينماث الملح فى الما، فيمشى إليه فيقتله، حتى إنَّ الشجر والحجر ينادى: يا روح الله! هذا يهودىٌّ، فلا يَتْرُك ممَّن كان يتبعه أحدًا إلا قتله»[2].

وبقتله - لعنه الله - تنتهى فتنته العظيمة، وينجى الله الذى آمنوا من شره وشر أتباعه على يدى روح الله وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه المؤمنين.

بماذا يحكم عيسى (عليه السلام)؟

يحكم بالشريعة المحمدية، ويكون من أتباع محمد ﷺ، فإنه لا ينزل بشرع جديد؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباقٍ إلى قيام الساعة، لا يُنسخ، فيكون عيسى عليه السلام حاكمًا من حكام هذه الأمة، ومجددًا لأمر الإسلام، إذ لا نبى بعد محمد ﷺ.

فمرحى بأمة رسول الله ﷺ نبيها أعظم الأنبياء، وآخر مجدديها نبى على

(١) (ماث الشىء ميثًا) أى: مرسه. وماث الملح فى الماء؛ أى: أذابه. انظر: «لسان العرب» (٢/ ١٩٢).

(٢) «الفتح الربانى ترتيب مسند أحمد» (٢٤/ ٨٥-٨٦) قال الهيثمى: «رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح». انظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٤).

ملة رسول الله وشريعته، بل آخر صحابى نبى.

عيسى (عليه السلام) يحج إلى بيت الله الحرام

عن حنظلة الأسلمى قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدِّث عن النبى ﷺ أنه قال: «**والذى نفسى بيده ليُهلَّن ابن مريم بفجِّ الروحاء**[١] **حاجًّا أو معتمرًا أو ليثنِّينَّهما**»[٢]. أى يجمع بين الحج والعمرة.

وضعه للجزية ليس نسخًا لحكم الجزية

أما وضع عيسى عليه السلام الجزية عن الكفار - مع أنها مشروعة فى الإسلام قبل نزوله عليه السلام -؛ فليس هذا نسخًا لحكم الجزية جاء به عيسى شرعًا جديدًا؛ فإن مشروعية أخذ الجزية مقيَّد بنزول عيسى عليه السلام بإخبار نبينا محمد ﷺ، فهو المبيِّن للنَّسخ[٣] بقوله لنا: «**والله لينزلَنَّ ابنُ مريم حكمًا عدلًا، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليضعنَّ الجزية**»[٤].

***

(١) فج الروحاء: موضع بين مكة والمدينة.

(٢) مسلم بشرح النووى (٨/ ٢٣٤) كتاب الحج - باب جواز التمتع فى الحج والقران.

(٣) انظر «فتح البارى» (٦/ ٤٩٢).

(٤) «صحيح مسلم»، باب نزول عيسى عليه السلام حاكمًا، (٢/ ٢٩٢ - مع شرح النووى).

انتشار الأمن وظهور البركات في عهده عليه السلام

ولأن الكون كله قد أسلم واستسلم لله (جلَّ وعلا) فإنَّ الإنسان كلما ازداد طاعة لله كلما سخَّر الله له الكون كله.

ولذلك فعند نزول عيسى عليه السلام يعلم الناس أن نزوله علامة على قُرب القيامة فينشغل الناس جميعًا بالعبادات والطاعات فيأمر الله الأرض أن تُخرج بركتها ويأمر السماء أن تُنزل بركتها فيفيض المال ولا يجد من يأخذه وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد.

فقد جاء في حديث النَّواس بن سمعان الطويل في ذكر الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عليه السلام ودعائه عليهم وهلاكهم،... وفيه قوله ﷺ: **«ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لا يُكَنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ** -المرآة-، **ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ** -اللبن-، **حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ»**(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، ... فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الأَمَنَةُ عَلَى الأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الأُسُودُ مَعَ الإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لا تَضُرُّهُمْ»**(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وابن حبان وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (٤٤).

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ، لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، .... وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»[1].

قال النووى فى قوله: « وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ »: «وَمَعْنَاهُ أَنْ يزهَدَ النَّاس فِيهَا -أى: الإبل- وَلَا يُرْغَبُ فِى اقْتِنَائِهَا؛ لِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ، وَقِلَّةِ الْآمَالِ، وَعَدَمِ الْحَاجَةِ، وَالْعِلْمِ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ.

وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ الْقِلَاصُ؛ لِكَوْنِهَا أَشْرَفَ الْإِبِلِ، الَّتِى هِىَ أَنْفَسُ الْأَمْوَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِمَعْنَى قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[2] وَمَعْنَى: «لَا يُسْعَى عَلَيْهَا» لَا يُعْتَنَى بِهَا[3].

طوبى لعيش بعد المسيح

❁ قال ﷺ: «طوبى لعيشٍ بعد المسيح، يؤذَن للسماء فى القطر، ويُؤذَن للأرض فى النبات، حتى لو بذرت حَبَّك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره... ولا تشاحَّ، ولا تحاسُد ولا تباغض»[4].

فضل الذين يصحبون عيسى (عليه السلام)

❁ قال النبى ﷺ: «عصابتان من أمتى أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو

(١) صحيح :رواه مسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٢)سورة التكوير: الآية: (٤).

(٣)مسلم بشرح النووى (٢/ ١٩٢).

(٤)رواه أبو سعيد النقاش فى فوائد العراقيين والديلمى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩١٩).

الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم»[١].

كم يمكث عيسى (عليه السلام) فى الأرض

وأما مدة بقاء عيسى عليه السلام فى الأرض بعد نزوله؛ فقد جاء فى بعض الروايات أنه يمكث سبع سنين، وفى بعضها أربعين سنة.

ففى رواية الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: **«فيبعث الله عيسى ابن مريم... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردةً من قِبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته»**[٢].

وفى رواية الإمام أحمد وأبى داود: **«فيمكث فى الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلى عليه المسلمون»**[٣].

وكلا هاتين الروايتين صحيحة، وهذا مشكل؛ إلا أن تُحمل رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافًا إلى مُكثه فى الأرض قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور[٤]. [٥]. والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠١٢).

(٢) «صحيح مسلم»، باب ذكر الدجال، (١٨/ ٧٥ ـ ٧٦ مع شرح النووى).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٢/ ٤٠٦ ـ بهامشه منتخب الكنز). قال ابن حجر: «صحيح» (٦/ ٤٩٣).

(٤) انظر: «النهاية/ الفتن والملاحم» (١/ ١٤٦)، تحقيق د. طه الزينى.

(٥) أشراط الساعة/ يوسف الوابل (ص:٣٦٤).

العلامة الثالثة: خروج يأجوج ومأجوج

۞ إن يأجوج ومأجوج أمتان من البشر من ذرية آدم عليه السلام كثيرتا العدد... يتصفون بالإفساد والتخريب والتدمير فى الأرض.

وهم من بنى آدم وعلى طبيعة بنى آدم، لكنهم فى وقت ذى القرنين كانوا قومًا مفسدين فى الأرض، فطلب جيرانهم من ذى القرنين أن يجعل بينهم وبينهم سدًّا؛ حتى يمنعهم من الوصول إليهم وإفسادهم فى أرضهم؛ وفعل ذلك.

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه فى آخر الزمان، بعد نزول عيسى عليه السلام يخرجون على الناس وينتشرون فى الأرض ويحصُرون عيسى ابن مريم والمؤمنين معه فى جبل بيت المقدس، ويشتد الأمر على المؤمنين.

فيُلقى الله عز وجل على يأجوج ومأجوج دودةً تأكل رقابهم، فيصبحون فَرْسَى - يعنى موتى- كلهم ميتة رجلٍ واحد، ويقى الله عز وجل عيسى وأصحابه شرهم، وفيما يلى تفصيل هذه الأحداث[1].

يأجوج ومأجوج

ويأجوج ومأجوج من ذرية يافث أبى الترك، ويافث من ولد نوح عليه السلام[2].

والذى يدل على أنهم من ذرية آدم عليه السلام ما رواه البخارى عن أبى سعيد

---

(١) نهاية العالم (ص ٣١١).

(٢) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ١٥٣).

الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول لبيك وسعديك، والخير فى يديك. فيقول: أَخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حملٍ حملها، وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد». قالوا: وأيُّنا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا؛ فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألف»[(١)].

صفة يأجوج ومأجوج

أما صفتهم التى جاءت بها الأحاديث؛ فهى أنهم يُشبهون أبناء جنسهم من الترك الغتم المغول، صغار العيون، ذلف الأنوف، صهب الشعور، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجانُّ المطرقة، على أشكال الترك وألوانهم[(٢)].

الأدلة على خروج يأجوج ومأجوج

والأدلة على خروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان ثابتة فى القرآن والسُّنة المطهرة.

۞ أما عن أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[(٣)].

وقال تعالى فى سياقه لقصة ذى القرنين: ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ

(١) أخرجه البخارى (٦/ ٣٨٢) باب قصة يأجوج ومأجوج.

(٢) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ١٥٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان: (٩٦-٩٧).

ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾[1].

فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى سخَّر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين فى الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة؛ اندكَّ ذلك السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا فى الناس، وعاثوا فى الأرض فسادًا.

وهذا علامة على قرب النفخ فى الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة[2].

۞ أما عن أدلة السنة المطهرة:

إن الأحاديث التى تخبر عن ظهور يأجوج ومأجوج بلغت حدَّ التواتر المعنوى وسأكتفى بذكر حديث واحد.

فعن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلَّق بأصبعيه الإبهام والتى تليها)**». قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم؛ إذا كثُر الخبث**»[3].

---

(١) سورة الكهف: الآيات: (٩٢-٩٩).

(٢) تفسير القرطبى (١١/ ٣٤١-٣٤٢) وابن كثير (٥/ ١٩١-١٩٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٣٥) كتاب الفتن، ومسلم (٢٨٨٠) كتاب الفتن.

قصة ذي القرنين وبناء السد

❁ وفي هذه العلامة (خروج يأجوج ومأجوج) فسوف أذكرها من خلال قصة سأحكيها لكم لتعرفوا من هو ذو القرنين وما هي حكايته ورحلاته وكيف كانت قصة بناء السد الذي كان سببًا في نجاة هؤلاء المساكين الذين كانوا مجاورين ليأجوج ومأجوج.

❁ قال ابن كثير في «البداية والنهاية»:

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى ذَا الْقَرْنَيْنِ هَذَا وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالْعَدْلِ، وَأَنَّهُ بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَمَلَكَ الْأَقَالِيمَ وَقَهَرَ أَهْلَهَا، وَسَارَ فِيهِمْ بِالْمَعْدَلَةِ التَّامَّةِ وَالسُّلْطَانِ الْمُؤَيَّدِ الْمُظَفَّرِ الْمَنْصُورِ الْقَاهِرِ الْمُقْسِطِ... وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ كَانَ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ الْعَادِلِينَ وقيل: كان نبيًّا. وقيل: رَسُولًا. وَأَغْرَبَ مَنْ قَالَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وقَدْ حكِيَ هَذَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: فَإِنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِآخَرَ يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ فَقَالَ: مَهْ مَا كَفَاكُمْ أَنْ تَتَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَسَمَّيْتُمْ بِأَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ ...ذَكَرَهُ السُّهَيْلِيُّ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ نَبِيًّا[(١)].

قال الرازي: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ مَنْ هُوَ وَذَكَرُوا فِيهِ أَقْوَالًا: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ هُوَ الْإِسْكَنْدَرُ بْنُ فِيلِبُوسَ الْيُونَانِيُّ، قَالُوا: وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الْقُرْآنَ دَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الْمُسَمَّى بِذِي الْقَرْنَيْنِ بَلَغَ مُلْكُهُ إِلَى أَقْصَى الْمَغْرِبِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾[(٢)]

(١) البداية والنهاية (٢/ ٩٥).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٨٦).

وَأَيْضًا بَلَغَ مُلْكُهُ أَقْصَى الْمَشْرِقِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ ﴾(١).

وَأَيْضًا بَلَغَ مُلْكُهُ أَقْصَى الشَّمَالِ بِدَلِيلِ أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ قَوْمٌ مِنَ التُّرْكِ يَسْكُنُونَ فِي أَقْصَى الشَّمَالِ -إلى أن قال:- فَلَمَّا ثَبَتَ بِالْقُرْآنِ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ رَجُلًا مَلَكَ الْأَرْضَ بِالْكُلِّيَّةِ، أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهَا، وَثَبَتَ بِعِلْمِ التَّوَارِيخِ أَنَّ الَّذِي هَذَا شَأْنُهُ مَا كَانَ إِلَّا الإِسْكَنْدَرَ وَجَبَ الْقَطْعُ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِذِي الْقَرْنَيْنِ هُوَ الإِسْكَنْدَرُ بْنُ فِيلِبُوسَ الْيُونَانِيُّ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: قَالَ أَبُو الرَّيْحَانِ الْهَرَوِيُّ الْمُنَجِّمُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالْآثَارِ الْبَاقِيَةِ عَنِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، قِيلَ: إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ هُوَ أَبُو كَرْبٍ شِمْرُ بْنُ عُبَيْرِ بْنِ أَفْرِيقِشَ الْحِمْيَرِيُّ فَإِنَّهُ بَلَغَ مُلْكُهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَهُوَ الَّذِي افْتَخَرَ بِهِ أَحَدُ الشُّعَرَاءِ مِنْ حِمْيَرَ حَيْثُ قَالَ:

قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ قَبْلِي مُسْلِمًا ... مَلِكًا عَلَا فِي الْأَرْضِ غَيْرَ مُفْنِدِي
بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِي ... أَسْبَابَ مُلْكٍ مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدِ

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا مَلَّكَهُ اللهُ الْأَرْضَ وَأَعْطَاهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَأَلْبَسَهُ الْهَيْبَةَ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَعْرِفُ أَنَّهُ مَنْ هُوَ.

وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ: أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ فقال: اللهم اغفر. أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ تُسَمُّوا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تُسَمُّوا بِأَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ(٢)!

قُلْتُ: وَالرَّاجِحُ في تلك المسألة أنه كان عبدًا صالحًا ملَّكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة - والله أعلم.

(١) سورة الكهف: الآية: (٩٠).

(٢) التفسير الكبير (١١/ ٢١/ ١٤٩-١٥٠) بتصرف شديد.

سبب تسميته ذي القرنين

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي سُمِّيَ بِهِ ذَا الْقَرْنَيْنِ فَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ فِي رَأْسِهِ شِبْهُ الْقَرْنَيْنِ. قال وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: كَانَ لَهُ قَرْنَانِ مِنْ نُحَاسٍ فِي رَأْسِهِ وَهَذَا ضَعِيفٌ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ مَلَكَ فَارِسَ وَالرُّومَ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنَيِ الشَّمْسِ غَرْبًا وَشَرْقًا. وَمَلَكَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَرْضِ وَهَذَا أَشْبَهُ مِنْ غَيْرِهِ وَهُوَ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كانت له غديرتان[1] من شعر يُطَافيهِمَا فَسُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ ... وَعن عمرو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ قَالَ: دَعَا مَلِكًا جَبَّارًا إِلَى اللهِ فَضَرَبَهُ عَلَى قَرْنِهِ فَكَسَرَهُ وَرَضَّهُ. ثُمَّ دَعَاهُ فَدَقَّ قَرْنَهُ الثَّانِيَ فَكَسَرَهُ فَسُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ... وَرَوَى الثَّورِيّ عَنْ حَبِيبِ ابْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ فَقَالَ: كَانَ عَبْدًا نَاصَحَ اللهَ فَنَاصَحَهُ، دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللهِ فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ فَمَاتَ، فَأَحْيَاهُ اللهُ فَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللهِ فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ الْآخَرِ فَمَاتَ فَسُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ[2].

وقيل: سُمِّي بذى القرنين لأنه انقرض فى وقته قرنان من الناس.

وقيل: إن الله تعالى سخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتمده الظلمة من ورائه. ويجوز أن يُلقَّب بذلك لشجاعته كما يُسمَّى الشجاع كبشًا كأنه ينطح أقرانه. وقيل: رأى فى المنام كأنه صعد الفلك فتعلق بطرفى الشمس وقرنيها وجانبيها فسُمِّي لهذا السبب بذى القرنين.

---

(١) الغديرة: خُصلة الشعر.

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٩٥-٩٦) بتصرف.

وقيل: سُمى بذلك لأنه دخل النور والظلمة.

وكل هذه الأقوال ليس فيها نَصٌّ ثابت عن رسول الله ﷺ ولذلك نقول: إن الاسم الذى سمَّاه به الحق (جل جلاله) فى كتابه هو (ذو القرنين) فلا داعى أن نُتعب أنفسنا فى البحث عن شىء سكت الحق (جلَّ وعلا) عنه ولم يذكره ... بل علينا أن نأخذ العظة والعبرة من قصته.

الله يُمكِّن له في الأرض

عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: بَلَغَنِى أَنَّهُ مَلَكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا أَرْبَعَةٌ: رَجُلَان مُؤْمِنَانِ وَهُمَا سُلَيْمَانُ النَّبِىُّ وَذُو الْقَرْنَيْنِ وَرَجُلَان كَافِرَانِ وَهُمَا نُمْرُودُ وَبُخْتُ نَصَّرَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مَلَكَ بَعْدَ النَّمْرُودِ وَكَانَ مِنْ قِصَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مُسْلِمًا صَالِحًا أَتَى الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ مدَّ اللهُ لَهُ فِى الْأَجَلِ وَنَصَرَهُ حَتَّى قَهَرَ الْبِلَادَ، وَاحْتَوَى عَلَى الْأَمْوَالِ، وَفَتَحَ الْمَدَائِنَ، وَقَتَلَ الرِّجَالَ، وَجَالَ فِى الْبِلَادِ وَالْقِلَاعِ فَسَارَ حَتَّى أَتَى الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ.

وعن حبيب بن حماد قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ كَيْفَ بَلَغَ المشرق والمغرب فقال له: سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبُسط له فى النور وَقَالَ أَزِيدُكَ فَسَكَتَ الرَّجُلُ وَسَكَتَ عَلِيٌّ رضي الله عنه[1].

❁ قال ابن كثير رحمه الله:

وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَىْ: أَعْطَيْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا مُتَمَكِّنًا، فِيهِ لَهُ مِنْ جَمِيعِ مَا يُؤْتَى الْمُلُوكُ، مِنَ التَّمْكِينِ وَالْجُنُودِ، وَآلَاتِ الْحَرْبِ

(١) البداية والنهاية (٢/ ٩٧).

وَالْحِضَارَاتِ؛ وَلِهَذَا مَلَكَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ مِنَ الْأَرْضِ، وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ، وَخَضَعَتْ لَهُ مُلُوكُ الْعِبَادِ، وَخَدَمَتْهُ الْأُمَمُ، مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ؛ وَلِهَذَا ذكر بَعْضُهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنَيِ الشَّمْسِ مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ كَقَوْلِهِ تعالَى فِي حَقِّ بِلْقِيسَ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] أَيْ: مِمَّا يُؤْتَى مِثْلُهَا مِنَ الْمُلُوكِ، وَهَكَذَا ذُو الْقَرْنَيْنِ يَسَّرَ اللهُ لَهُ الْأَسْبَابَ، أَيْ: الطُّرُقَ وَالْوَسَائِلَ إِلَى فَتْحِ الْأَقَالِيمِ وَالْبِلَادِ وَالْأَرَاضِي وَكَسْرِ الْأَعْدَاءِ، وَكَبْتِ مُلُوكِ الْأَرْضِ، وَإِذْلَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ....قد أُوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببًا والله تعالى أعلم[2].

لقد مكَّن الله له في الأرض، فأعطاه سلطانًا وطيد الدعائم ويسَّر له أسباب الحكم والفتح. وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع.. وسائر ما هو من شأن البشر أن يُمكَّنوا فيه في هذه الحياة[3][4].

---

(١) سورة النمل: الآية: (٢٣).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٩٠).

(٣) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٩٠).

(٤) قصص القرآن/ للمصنف (ص ٢٣٩-٢٤٣).

رحلة ذي القرنين إلى مغرب الشمس

كان ذو القرنين يعيش فى زمن نبى الله إبراهيم (عليه السلام) وقد آمن ذو القرنين مع إبراهيم (عليه السلام) وطاف معه حول الكعبة حين بناها .. وقد تعلم الخير الكثير والعلم الوفير من إبراهيم (عليه السلام).

وكان ذو القرنين يتمنى أن يصبح العالَم كله على الإيمان والتوحيد ومن أجل ذلك جهَّز جيشًا كبيرًا ليخرج به ليدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده.. فأكرمه الله (عز وجل) وهيأ له كل الأسباب التى تعينه على تبليغ هذه الدعوة المباركة.

فطاف ذو القرنين مشارق الأرض ومغاربها وهزم كل الجيوش التى قابلته وحكم الناس بالعدل والرحمة ولم يظلم أحدًا أبدًا حتى مَلَكَ الأرض كلها بفضل الله (سبحانه وتعالى) الذى آتاه كل ما يحتاج إليه من التمكين والجنود والآلات الحربية وآلات الحصار وهيأ له كل أسباب النصر والتمكين.

ونحن نعلم أنه مَلَكَ الأرض كلها أربعة: رجلان مؤمنان وهما: نبى الله سليمان (عليه السلام) وذو القرنين رحمه الله.

ورجلان كافران وهما: النمرود وبُختنصر.

وكان من رحمة الله (جل وعلا) بأهل الأرض أن ذا القرنين مَلَكَ الأرض بعد النمرود الذى أفسد فى الأرض كثيرًا .. فجاء ذو القرنين فملأ الأرض رحمة وعدلًا وطاف مشارق الأرض ومغاربها ليدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده.

۞ واستمر ذو القرنين فى رحلته المباركة لينشر العدل والرحمة بين الناس ويعلمهم الإيمان والتوحيد.

ومن أجل ذلك تعلم كل لغات العالم حتى يستطيع أن يدعو كل شعب بلغته التى يعرفها .. وقد يسَّر الله له أسباب كل شىء: من معرفة اللغات إلى معرفة الطرق والبلاد .. إلى غير ذلك.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ (١).

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ أى وصل المغرب ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أى: وجد الشمس تغرب فى ماءٍ وطين - حسب ما شاهد لا حسب الحقيقة - فإنَّ الشمس أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض.

قال الرازى: إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ لَمَّا بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ شَىْءٌ مِنَ الْعِمَارَاتِ وَجَدَ الشَّمْسَ كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ وَهْدَةٍ مُظْلِمَةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فِى الْحَقِيقَةِ كَمَا أَنَّ رَاكِبَ الْبَحْرِ يَرَى الشَّمْسَ كَأَنَّهَا تَغِيبُ فِى الْبَحْرِ إِذَا لَمْ يَرَ الشَّطَّ وَهِىَ فِى الْحَقِيقَةِ تَغِيبُ وَرَاءَ الْبَحْرِ (٢)، ﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ﴾ أى: وجد عند تلك العين الحارة ذات الطين قومًا من الأقوام ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ أى: قلنا له بطريق الإلهام: إما أن تقتلهم أو تدعوهم بالحسنى إلى الهداية والإيمان ... قال المفسرون: كانوا كُفَّارًا فخيَّره الله بين

---

(١) سورة الكهف: الآيات: (٨٦-٨٨).

(٢) التفسير الكبير (٢١/ ١٦٦).

أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإسلام فيُحسن إليهم ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ﴾ أى: من أصر على الكفر فسوف نقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أى: ثم يرجع إلى ربه فيعذبه عذابًا مُنكرًا فظيعًا فى نار جهنم ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أى: وأما من آمن بالله وأحسن العلم فى الدنيا وقدَّم الصالحات فجزاؤه الجنة يتنعم فيها ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أى: نيسر عليه فى الدنيا فلا نُكلفه بما هو شاق بل بالسهل المُيسَّر .... اختار الملك العادل دعوتهم بالحسنى فمن آمن فله الجنة، والمعاملة الطيبة، والمعونة والتيسير، ومن بقى على الكفر فله العذاب والنكال فى الدنيا والآخرة(١).

هذا هو دستور الحكم الصالح

۞ **قال صاحب الظلال مُعلقًا على الآيات السابقة:**

وهذا هو دستور الحكم الصالح. فالمؤمن الصالح ينبغى أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم. والمعتدى الظالم يجب أن يَلقى العذاب والإيذاء.. وحين يجد المحسن فى الجماعة جزاء إحسانه جزاءً حسنًا، ومكانًا كريمًا وعونًا وتيسيرًا ويجد المعتدى جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة.. عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج. أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مُقدَّمون فى الدولة وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو مُحارَبون. فعندئذ تتحول السلطة فى يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد. ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد(٢).

---

(١) صفوة التفاسير (٢/ ٢٠٤-٢٠٥) بتصرف.

(٢) فى ظلال القرآن (٤/ ٢٢٩١).

وقد يسألنى أحد أحبائى: هل كان ذو القرنين نبيًّا أم عبدًا صالحًا؟

والجواب: أنه كان عبدًا صالحًا وكان الله (ﷻ) يُلهمه بما يفعل ويوفقه ويمكنه وييسر له أسباب النصر والتمكين.

۞ لقد سار ذو القرنين فى مشارق الأرض ومغاربها وشاهد عجائب خلق الله (جل وعلا) فى هذا الكون الفسيح.

فلقد كان يسير فى الأرض ويفتح البلاد وينشر الإيمان والتوحيد وكان فى طريقه يرى البحار الواسعة والجبال الشاهقة والصحراء الفسيحة والمخلوقات العجيبة والمزارع الخضراء والطيور النادرة واللغات المتنوعة.

كان يرى كل ذلك خلال رحلته الطويلة التى استمرت سنوات وسنوات.

۞ وبعدما وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس بدأ رحلته الثانية الطويلة إلى مشرق الشمس .. وكان فى طريقه الطويل لا يمر بقوم إلا نصره الله عليهم وأخذ يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد فمن أطاعه أكرمه ومن أصر على الكفر أذله واستخدمه فى خدمة جيش المؤمنين.

۞ وظل هكذا حتى وصل إلى المكان الذى تُشرق منه الشمس فرأى أُمة عجيبة .. ما رأى فى حياته كلها أُمة أعجب منهم.

لقد رأى قومًا حُفاة عُراة ليس لهم بناء ولا بيوت يستظلون فيها من حر الشمس وبرد الريح .. وليس عندهم أشجار ولا جدران وكانوا قد حفروا لأنفسهم سراديب تحت الأرض ليدخلوا فيها حتى تحميهم من حر الشمس .. وأحيانًا يغوصون فى الماء ولا يعملون أى شىء ولا يشتغلون بتحصيل أرزاقهم حتى تغرب الشمس فيخرجون ويبدأون فى العمل.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾(١).

❁ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَقُولُ تعالى: ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا فَسَارَ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى مَطْلَعِهَا، وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ بِأُمَّةٍ قَهَرَهُمْ وَغَلَبَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أَطَاعُوهُ وَإِلَّا أَذَلَّهُمْ وَأَرْغَمَ آنَافَهُمْ، وَاسْتَبَاحَ أَمْوَالَهُمْ، وَأَمْتِعَتَهُمْ وَاسْتَخْدَمَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ مَعَ جُيُوشِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِقْلِيمِ الْمُتَاخِمِ لَهُمْ. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ أَيْ: أُمَّةٍ ﴿ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يُكِنُّهُمْ، وَلَا أَشْجَارٌ تُظِلُّهُمْ وَتَسْتُرُهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: كَانُوا حُمْرًا قِصَارًا، مَسَاكِنُهُمُ الْغِيرَانُ، أَكْثَرُ مَعِيشَتِهِمْ مِنَ السَّمَكِ.

❁ وقال الرازى فى قوله تعالى: ﴿ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾.

فِيهِ قَوْلَانِ. الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ شَجَرٌ وَلَا جَبَلٌ وَلَا أَبْنِيَةٌ تَمْنَعُ مِنْ وُقُوعِ شُعَاعِ الشَّمْسِ عَلَيْهِمْ فَلِهَذَا السَّبَبِ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَخَلُوا فِى أَسْرَابٍ وَاغِلَةٍ فِى الْأَرْضِ أَوْ غَاصُوا فِى الْمَاءِ فَيَكُونُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِمُ التَّصَرُّفُ فِى الْمَعَاشِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا يَشْتَغِلُونَ بِتَحْصِيلِ مُهِمَّاتِ الْمَعَاشِ حَالُهُمْ بِالضِّدِّ مِنْ أَحْوَالِ سَائِرِ الْخَلْقِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِى: أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا ثِيَابَ لَهُمْ وَيَكُونُونَ كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ عُرَاةً أَبَدًا وَيُقَالُ فِى كُتُبِ الْهَيْئَةِ إِنَّ حَالَ أَكْثَرِ الزِّنْجِ كَذَلِكَ وَحَالَ كُلِّ مَنْ يَسْكُنُ الْبِلَادَ الْقَرِيبَةَ مِنْ خَطِّ الِاسْتِوَاءِ كَذَلِكَ(٢).

(١) سورة الكهف: الآيات: (٨٩-٩١).

(٢) التفسير الكبير (١١/ ٢١/ ١٤٣).

۞ فلما جاءهم ذو القرنين أخذ يُعلمهم كيف يبنون بيوتًا تحميهم من حر الشمس وتقيهم من برد الريح .. ودعاهم إلى الله (جل وعلا) فآمنوا وامتلأت قلوبهم بلذة الإيمان ونور التوحيد.

۞ ثم ودَّعهم ذو القرنين وانطلق فى رحلته الثالثة..

قصة بناء السد

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾[١].

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أى: سلك طريقًا ثالثًا بين المشرق والمغرب يوصله إلى جهة الشمال حيث الجبال الشاهقة. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ أى: حتى إذا وصل إلى منطقة بين حاجزين عظيمين، بمنقطع أرض بلاد الترك مما يلى أرمينية وأذربيجان.

فوجد هناك قومًا متخلفين لا يكادون يعرفون لغةً غير لغتهم... وكانت لغتهم غريبة وصعبة حتى أن ذا القرنين لم يستطع أن يفهمهم إلا بواسطة تُرجمان.

وبعدما تكلم معهم ذو القرنين علم أنهم يعيشون مأساة حقيقية وذلك لأنهم يعيشون بالقرب من جبلين متجاورين .. ومن وراء الجبلين تعيش أمة متوحشة وهم قوم يأجوج ومأجوج .. وهم من ذرية يافث بن نوح عليه السلام .. وكان لهم أشكال وأحجام عجيبة .. وكانوا كفارًا لا يؤمنون بالله (جل وعلا).. بل كانوا لصوصًا يعيشون على السلب والنهب والسرقة.

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٩٢، ٩٣).

وكان هؤلاء القوم المساكين الذين لقيهم ذو القرنين يعيشون مأساة حقيقية وذلك لأن قوم يأجوج ومأجوج كانوا إذا دخل الليل خرجوا من وراء الجبلين إلى هؤلاء القوم فأكلوا زروعهم وثمارهم وسرقوا مواشيهم وأغنامهم حتى أصبح هؤلاء الناس جوعى لا يجدون طعامًا ولا شرابًا بسبب ما يفعله يأجوج ومأجوج.

۞ فلما علم ذو القرنين من الترجمان قصة هؤلاء القوم قرر أن يقف بجانبهم وأن يساعدهم بشرط أن يؤمنوا بالله (جل وعلا).

فآمنوا بالله ووحدوه وبدأوا يعرضون على ذى القرنين عرضًا مُغريًا.

﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[1]

إنهم عندما وجدوه فاتحًا قويًا، وتوسموا فيه القدرة والصلاح .. عرضوا عليه أن يقيم لهم سدًا فى وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين، ويغيرون عليهم من ذلك الممر، فيعيثون فى أرضهم فسادًا؛ ولا يقدرون هم على دفعهم وصدِّهم .. وذلك فى مقابل قدر من المال يجمعونه له من بينهم.

﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أى قال القوم لذى القرنين: إن يأجوج ومأجوج - قبيلتان من بنى آدم فى خلقهم تشويهٌ، منهم مفرطٌ فى الطول، ومنهم مفرطٌ فى القِصر[2] - قوم مفسدون بالقتل والسلب والنهب وسائر وجوه الشر ... قال المفسرون: كانوا من أكلة لحوم البشر،

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٩٤-٩٥).

(٢) رُوى ذلك عن عليٍّ وابن عباس رضي الله عنهما .

يخرجون فى الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه، ولا يابسًا إلا احتملوه ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أى: هل نفرض لك جزءًا من أموالنا كضريبة وخَراج ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ أى: لتجعل سدًّا يحمينا من شر يأجوج ومأجوج قال فى البحر: هذا استدعاءٌ منهم لقبول ما يبذلونه على جهة حسن الأدب[1] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ أى: ما بسطه الله علىَّ من القُدرة والمُلك خيرٌ مما تبذلونه لى من المال ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ أى: لا حاجة لى إلى المال فأعينونى بالأيدى والرجال ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أى: أجعل بينكم وبينهم سدًّا منيعًا، وحاجزًا حصينًا،... وهذه شهامة منه حيث رفض قبول المال وتطوَّع ببناء السد واكتفى بعون الرجال.

زهد ذى القرنين فى المال

ردَّ ذو القرنين على عرضهم المادى بعفة وزهد فى الأجرة والمال. وقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ لا حاجة لى فى مالكم، فقد آتانى الله خيرًا مما عندكم، ومنحنى من مظاهر التمكين والقوة، ما جعلنى زاهدًا فى مالكم مستعليًا عليه ... إن زهد ذى القرنين فى المال واستعلاءه عليه، يقدِّم لنا صفة من صفات الحاكم الصالح العادل الزاهد، وهو يدعو حكام المسلمين ليقتدوا به فى هذه الصفة.

فأعينونى بقوة

لما عفَّ ذو القرنين عن أموالهم وزهد فيها، أراد أن يتركوا العجز والكسل والإتكالية، وأن يُعلمهم النشاط والعمل والكسب والسعى، فقال

(١) البحر (٦/ ١٦٤).

لهم: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

وكأنه يقول: علىَّ القوة المالية الفكرية، وعليكم أنتم القوة المادية العملية، فيجتمع ما عندى مع ما عندكم، وبذلك يتم إنجاز العمل.

۞ وهنا بدأ ذو القرنين يفكر فى أفضل طريقة يستطيع من خلالها أن يسد الطريق على يأجوج ومأجوج فلا يستطيعون بعد ذلك أن يخرجوا على هؤلاء القوم المساكين.

وبعد تفكير عميق رأى ذو القرنين أن أفضل وسيلة هى أن يردم الحاجز الذى بين الجبلين.

وبالفعل أصدر ذو القرنين أمره لهؤلاء القوم بأن يحفروا الأرض التى بين الجبلين حتى يُلقى فيها أساسًا متينًا ليبنى عليه ذلك السد، فحفروا معه حتى وصلوا إلى مكانٍ عميق ثم بدأ ذو القرنين فى وضع الأساس فى تلك الحفرة فوضع فيها صخورًا ورمالًا ثم طلب من القوم أن يأتوا إليه بقطع النحاس الكبيرة.. وكانت هذه المنطقة غنية بالحديد والنحاس كما أنها غنية بأشجارها وغاباتها ودوابها المختلفة التى تنقل كل هذا من الأماكن البعيدة.

ثم أمرهم بأن يوقدوا نارًا تحت النحاس فلما ذاب النحاس صَبَّه فوق الصخور التى فى هذه الحفرة وبذلك أصبح الأساس قويًّا متينًا.

۞ ثم طلب منهم بعد ذلك أن يأتوا إليه بقطع الحديد الكبيرة فلما جاءوا بها أخذها ذو القرنين وبدأ يضعها فوق بعضها البعض .. وما زال يضعها فوق بعضها البعض حتى وصل إلى حافة الجبلين ثم أمرهم بإيقاد النار تحت ذلك الحديد ثم أمر مجموعة أخرى بأن يأتوا إليه بالنحاس .. فجاءوا بالنحاس فأمرهم بأن يُشعلوا تحته نارًا.

فلما تمَّ صهر الحديد فى الممر، وتم صهر النحاس فى القدور، جاءت المرحلة الأخيرة، من مراحل بناء السد.

فأمرهم بصبِّ النحاس المصهور المُذاب على الحديد المصهور المذاب، فتخلل النحاس وسط الحديد، واختلطا. وصارا معدنًا واحدًا قويًا متينًا. فالحديد أساسًا قوى متين، والنحاس كذلك قوى متين، فكيف إذا صُهرا وجُمع بينهما، وخُلطا معًا؟ إنها تجمع قوة ومتانة كل واحد مع الآخر، فتكون القمة فى المتانة والقوة والجودة.

وترك الحديد مع النحاس حتى جمدا، فصارا سدًّا منيعًا عجيبًا مدهشًا.

۞ **قال الرازى:** لما أتوه بقطع الحديد وضع بعضها على بعض حتى صارت بحيث تسدُّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ عليها حتى إذا صارت كالنار صَبَّ النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلًا صلدًا[1] ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أى: فما استطاع المفسدون أن يعلوه ويتسوروه لِعُلوِّه وملاسته ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ أى: وما استطاعوا نقبه من أسفل لصلابته وثخانته.

وبهذا السد المنيع أغلق ذو القرنين الطريق على يأجوج ومأجوج ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ أى: قال ذو القرنين: هذا السدُّ نعمةٌ من الله ورحمة على عباده ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ أى: فإذا جاء وعد الله بخروج يأجوج ومأجوج وذلك قرب قيام الساعة ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أى: جعله الله مستويًا بالأرض وعاد متهدمًا كأن لم يكن بالأمس ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ أى: كان وعده تعالى بخراب السدِّ وقيام الساعة كائنًا لا محالة[2].

(١) التفسير الكبير (٢١/ ١٧٢).

(٢) صفوة التفاسير (٢/ ٢٠٦، ٢٠٧).

عجز يأجوج ومأجوج أمام السد

لما أتمَّ ذو القرنين بناء السد، جاء يأجوج ومأجوج على عادتهم ليعبروا المضيق ويمارسوا الإفساد، ولكنهم فوجئوا بالسد المنيع المرتفع أمامهم. حاولوا أن يظهروا ويتسلقوا عليه، فلم يستطيعوا، لأنه مبنى من الحديد، والحديد أملس، وإذا لم يكن به مقابض ليمسك بها الشخص، فلا يستطيع أحد أن يتسلقه، وحاولوا أن يهدموه وينقضوه فلم يستطيعوا، لأنه مبنىّ من مادة قوية منيعة، الحديد والنحاس.

قال تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَنَّهُمْ مَا قَدَرُوا عَلَى أَنَّ يَصْعَدُوا مِنْ فَوْقِ هَذَا السَّدِّ وَلَا قَدَرُوا عَلَى نَقْبِهِ مِنْ أَسْفَلِهِ.

وَلَمَّا كَانَ الظُّهُورُ عَلَيْهِ أَسْهَلَ مِنْ نَقْبِهِ قَابَلَ كُلًّا بِمَا يُنَاسِبُهُ فَقَالَ: ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى نَقْبِهِ، وَلَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ[2].

قمة فى التواضع

وهنا نظر ذو القرنين إلى هذا العمل الضخم الذى قام به فلم يشعر بأى شيء من الكبر أو الغرور بل إنه شَكَر الله على أنه وفقه فى هذا العمل ونسب الفضل كله لله .. وأخبر القوم بأن هذا السد رغم قوته ومتانته فإنه سوف

---

(١)سورة الكهف: الآية: (٩٧).

(٢)مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٩٣).

يُدك ويُهدم فى يوم من الأيام بتقدير من الله (ﷻ).

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(١).

وبذلك تنتهى هذه الحلقة من سيرة ذى القرنين. النموذج الطيب للحاكم الصالح،... يُمكنه الله فى الأرض، وييسر له الأسباب؛ فيجتاح الأرض شرقًا وغربًا؛ ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للمكاسب المادية، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولا يُسخِّر أهلها فى أغراضه وأطماعه .. إنما ينشر العدل فى كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل، ويستخدم القوة التى يسرها الله له فى التعمير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق. ثم يُرجع كل خير يحققه اللهُ على يديه إلى رحمة الله وفضل الله.

أين سد يأجوج ومأجوج؟

۞ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ ذكرنا فى التفسير فى قصة ذى القرنين وخبر بِنَائِهِ لِلسَّدِّ مِنْ حَدِيدٍ وَنُحَاسٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَصَارَ رَدْمًا وَاحِدًا، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أن يَحْجِزُ بِهِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ وَبَيْنَ النَّاسِ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أَيِ: الْوَقْتُ الَّذِى قَدَّرَ انْهِدَامَهُ فِيهِ ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أَىْ: مُسَاوِيًا لِلْأَرْضِ ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أى: وهذا شىء لا بد من كونه، ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، يعنى بذلك يوم انهدامه، يخرجون على الناس فيمرحون فِيهِمْ وَيَنْسِلُونَ، أَىْ يُسْرِعُونَ الْمَشْىَ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ ثم يَكُونُ النَّفْخُ فِى الصُّورِ

(١) سورة الكهف: الآية: (٩٨).

لِلْفَزَعِ قريبًا من ذلك الوقت كما قال فى الآية الأخرى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ ﴾[1][2].

والسؤال هنا: أين مكان هذا السد؟

والجواب: إنه فى جهة المشرق ولكن لا أحد يعرف مكانه بالتحديد وقد حاول بعض الملوك والمؤرخين أن يتعرَّفوا على مكانه، ومن ذلك «أنَّ الخليفة الواثق»[3] بعث بعض أمرائه يتَّجه مَعَهُ جَيْشًا سِرِّيَّةً، لِيَنْظُرُوا إِلَى السَّدِّ وَيُعَايِنُوهُ وَيَنْعِتُوهُ لَهُ إِذَا رَجَعُوا. فَتَوَصَّلُوا مِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ، وَمِنْ مُلْكٍ إِلَى مُلْكٍ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِ، وَرَأَوْا بِنَاءَهُ مِنَ الْحَدِيدِ وَمِنَ النُّحَاسِ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا فِيهِ بَابًا عَظِيمًا، وَعَلَيْهِ أَقْفَالٌ عَظِيمَةٌ، وَرَأَوْا بَقِيَّةَ اللَّبِنِ وَالْعَمَلِ فِي بُرْجٍ هُنَاكَ. وَأَنَّ عِنْدَهُ حَرَسًا مِنَ الْمُلُوكِ الْمُتَاخِمَةِ لَهُ، وَأَنَّهُ مُنِيفٌ شَاهِقٌ، لَا يُسْتَطَاعُ وَلَا مَا حَوْلَهُ مِنَ الْجِبَالِ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وَشَاهَدُوا أَهْوَالًا وَعَجَائِبَ»[4].

وهذه القصة ذكرها ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فى التفسير، ولم يذكر لها سندًا، فالله أعلم بصحة ذلك.

والذى تدلُّ عليه الآيات السابقة أن هذا السد بُنى بين جبلين؛ لقوله

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٩٦-٩٧).

(٢) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ١٦٥).

(٣) هو الخليفة العباسى هارون بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافة سنة سِتٍّ وعشرين، وتوفى سنة (٢٣٢ هـ) بطريق مكة وهو ابن ست وثلاثين سنة - انظر البداية والنهاية (١٠/ ٣٠٨).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٩٣).

تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾، والسدَّان: هما جبلان متقابلان. ثم قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾؛ أى: حاذى به رؤوس الجبلين[1]، وذلك بقطع الحديد، ثم أفرغ عليه نحاسًا مُذابًا، فكان سدًّا محكمًا.

قال الإمام البُخارى: قال رجلٌ للنبى ﷺ: رأيتُ السَّدَّ من البرد المحبر. قال: «قد رأيته»[2].

والخلاصة: فإنه لا يعنينا فى هذا البحث تحديد مكان السد، بل نقف عند ما أخبرنا الله تعالى به، وما جاء فى الأحاديث الصحيحة، وهو أن سدَّ يأجوج ومأجوج موجود إلى أن يأتى الوقت المحدَّد لدَكِّ هذا السَّدّ، وخروج يأجوج ومأجوج، وذلك عند دُنو الساعة؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾.

هل لسدِّ ذي القرنين علاقة بسور الصين العظيم؟[3]

هناك فرق بين سد ذى القرنين وسور الصين من عدة أوجه:

١- أنَّ السدَّ بناه ذو القرنين لصد هجوم يأجوج ومأجوج، والسور بناه

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٩١-١٩٢).

(٢) رواه البخارى معلقًا فى «صحيحه» فى باب قصة يأجوج ومأجوج، (٦/ ٣٨١- مع الفتح).

(٣) سور الصين العظيم: أطول بناء فى التاريخ يبلغ طوله ٦٤٠٠ كم. بُنى يدويًّا بدأ بناؤه القرن ٤ ق.م واستمرَّ حتى بداية القرن ١٧ م وقد بنى الصينيون السور لحماية حدودهم الشمالية من الغزاة، ويمتد السور شمال الصين بين الساحل الشرقى وشمال وسط الصين انهدمت أجزاء منه عبر السنين وأُصلحت والجزء الرئيسى من السور طوله ٣,٤٦٠ كم، وارتفاع السور ٥,٧ متر وعرضه من ٧٥ م فى القاعدة ويضيق حتى ٦,٤ م فى القمة، وفيه أبراج مراقبة على مسافات ١٨٠ م على طول السور، وقد تدمرت أجزاء كبيرة من السور عبر القرون وأعاد الشيوعيون بناء ثلاثة أجزاء منه منذ سنة ١٩٤٩ م عندما حكموا البلاد ولم يعد الصينيون يستخدمون السور للدفاع.

أباطرة الصينيين لحماية مملكاتهم.

٢- أنَّ مواد السد المذكورة فى الآية الحديد والنحاس، وأما مادة سور الصين الحجارة والآجر.

٣- سد يأجوج ومأجوج مبنى بين جبلين يسد الفتحة بينهما، وهو الممر الوحيد، أما سور الصين فهو سد على قمم الجبال والممرات وممتد من شرق الصين إلى غربها آلاف الأميال.

٤- سد يأجوج ومأجوج لا يُمكن اختراقه إلا إذا شاء الله فى آخر الزمان، أما سور الصين فقد تهاوى منه مواقع، والناس يدخلون منه ويخرجون، بل نقض الناس أجزاءً منه[١].

لم يطّلع الناس على هذا السد ... رغم التطور

وقد يسأل سائل ويقول: كيف لم يعرف الناس مكان هذا السد بالتحديد ويطلعوا عليه رغم ما وصلوا إليه من التطور والتقدم العلمى واختراع الأقمار الصناعية؟!!

والجواب: إن الله ﷻ إذا أراد شيئًا فإنه يقول له: كُن فيكون ... وكان من تقدير الله (جلَّ وعلا) أنه لا يطلع أحدٌ عليهم حتى يأذن الله بخروجهم فى آخر الزمان.

❁ قال الإمام الشنقيطي رحمه الله:

وَالْعُمْدَةُ فِى الْحَقِيقَةِ لِمَنِ ادَّعَى أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ هُمْ رُوسِيَّةٌ، وَمَنِ ادَّعَى مِنَ الْمُلْحِدِينَ أَنَّهُمْ لَا وُجُودَ لَهُمْ أَصْلًا هِىَ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ فِى زَعْمِ

(١) نهاية العالم (ص ٣٣١).

صَاحِبِهَا، ... وَصُورَةُ نَظْمِهِ أَنْ يَقُولَ: لَوْ كَانَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَرَاءَ السَّدِّ إِلَى الْآنِ، لَاطَّلَعَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ لِتَطَوُّرِ طُرُقِ الْمُوَاصَلَاتِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ ... يُنْتِجُ فَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا وَرَاءَ السَّدِّ إِلَى الْآنِ ... فَيَقُولُ لِلْمُعْتَرِضِ: الرَّبْطُ فِيهِ بَيْنَ الْمُقَدَّمِ وَالتَّالِي غَيْرُ صَحِيحٍ، لِإِمْكَانِ أَنْ يَكُونُوا مَوْجُودِينَ وَاللهُ يُخْفِي مَكَانَهُمْ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَ الْوَقْتُ الْمُحَدَّدُ لِإِخْرَاجِهِمْ عَلَى النَّاسِ.

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ إِمْكَانَ هَذَا مَا ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ «الْمَائِدَةِ» مِنْ أَنَّهُ جَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1] الْآيَةَ، وَهُمْ فِي فَرَاسِخَ قَلِيلَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَمْشُونَ لَيْلَهُمْ وَنَهَارَهُمْ وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِمُ النَّاسُ حَتَّى انْتَهَى أَمَدُ التِّيهِ، لِأَنَّهُمْ لَوِ اجْتَمَعُوا بِالنَّاسِ لَبَيَّنُوا لَهُمُ الطَّرِيقَ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَرَبُّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ[2].

۞ وختامًا .. قال القاضي عياض: «الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج؛ هذه الأخبار على حقيقتها يجب الإيمان بها؛ لأنَّ خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، وقد ورد في خبرهم أنَّه لا قدرة لأحدٍ على قتالهم من كثرتهم، وأنهم يحصُرون نبيَّ الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين الذين نجوا من الدَّجَّال، يدعو عليهم فيهلكهم الله عز وجل أجمعين بالنَّغف - وهو دود في رقابهم- فيؤذون الأرض والمؤمنين بنَتَنِهم، فيدعو عيسى وأصحابه ربهم فيرسل الله طيرًا فتحملهم حيث شاء الله»[3].

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٢٦).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٤٤-٣٤٦) بتصرف شديد.

(٣) نقله عنه القاري في مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح (١٦/ ٢).

كيف كانت نهاية يأجوج ومأجوج

۞ إن الله (جل وعلا) جعل قبل يوم القيامة علامات تدل على قُرب يوم القيامة .. فكان من بين تلك العلامات: خروج يأجوج ومأجوج .. فهم سيخرجون فى آخر الزمان ولكن متى ذلك؟

لا يعلم هذا إلا الله (جل وعلا).

تكون الساعة عند خروجهم كالحامل المُتم

وفى حديث مدبر بن عبادة عن ابن مسعود فى اجتماع الأنبياء يعنى محمد وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام: وتذاكرهم أمر الساعة وردِّهم أمرهم إلى عيسى وقوله:

«أَما خَارِج فَلَا يَعْلَمُ بِهِ إِلَّا اللهُ، ذَلِكَ وَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّى ﷻ أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، قَالَ: وَمَعِى قَضِيبَانِ، فَإِذَا رَآنِى، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُ اللهُ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ، وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ، إِنَّ تَحْتِى كَافِرًا، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُمُ اللهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ، وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَئُونَ بِلَادَهُمْ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللهَ عَلَيْهِمْ، فَيُهْلِكُهُمُ اللهُ وَيُمِيتُهُمْ، حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ، قَالَ: فَيُنْزِلُ اللهُ ﷻ الْمَطَرَ، فَتَجْرُفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِى الْبَحْرِ، فَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّى ﷻ: أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ، الَّتِى لَا يَدْرِى أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادَتِهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا»[١].

(١) رواه أحمد (٤/ ١٨٩-١٩٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

كيف يخرجون؟

تَقدَّم أن يأجوج ومأجوج قبيلتان كان لهم أنواع من الإفساد، حتى بنى ذو القرنين السد، فصار السدُّ حائلًا بينهم وبين الوصول إلى الناس، وهم داخل سدِّهم بلا شك عندهم طعامهم وشرابهم، ولهم حياتهم ومعيشتهم الخاصة، ولا يزال يأجوج ومأجوج يجتهدون فى سبيل هدم هذا السد، فهم يحفرون وينقبون ويجتهدون.

۞ ولقد أخبرنا النبى ﷺ عن كيفية خروجهم.

وذلك أنهم يحاولون فى كل يوم أن يهدموا هذا السد.. فيحفرون فى السد كل يوم حتى إذا رأوا شعاع الشمس قال زعيمهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا.

فيعودون فى اليوم التالى فيجدوه قد عاد كما كان قبل أن يحفروه ولا يزالون على تلك الحالة حتى يأتى الموعد الذى حدده الله لخروجهم فيذهبون إلى السد ويحفرونه حتى إذا رأوا شعاع الشمس قال زعيمهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله.

وكأن كلمة «إن شاء الله» هى كلمة السر.. فإذا بهم يعودون فى اليوم التالى فيجدون السد على هيئته كما تركوه بالأمس فيحفرونه ويخرجون على الناس ويعيثون فى الأرض فسادًا.

فلا يتركوا شيئًا من الزروع والحبوب والثمار والماشية والأغنام إلا أكلوه.. بل ويشربون الماء كله فلا يتركون للناس نقطة ماءٍ واحدة.

ويصبح الناس فى همٍّ وغمٍّ لا يعلمه إلا الله.

ويكون فى هذا الوقت قد نزل نبى الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَام وقتل المسيح الدجال وأصبح كل الناس مؤمنين.

قَالَ ﷺ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِى عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِى عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْتَثْنِى، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِى حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا(١) فِى أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا،... وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكُرُ شُكْرًا(٢) مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ»(٣).

---

(١) هو: دود يكون فى أنوف الإبل والغنم.

(٢) أى: تسمن وتمتلئ شحمًا.

(٣) رواه أحمد والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٧٦).

السُّنة لا تعرف المحاباة

هكذا عندما قال أحدهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله ..... كان خروجهم بسبب تلك الكلمة «إن شاء الله» مع أنها خرجت على لسان كافرٍ ولكنها نفعته وأعانته على تحصيل مقصوده.

فالسُّنَّة لا تعرف المحاباة بحالٍ من الأحوال ... فقد ينسى المسلم أن يقول: «إن شاء الله» فلا يتم مقصوده بل وتفوته مصالحه.

ولقد أخبر الحبيب ﷺ أنَّ هذا الأمر حدث لنبى الله سليمان عليه السلام.

قال ﷺ: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليه السلام: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ كُلُّهُنَّ تَأْتي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِى سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَطَافَ عليهنَّ فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ إِنْسَانٍ وَالَّذِى نَفْسِ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ**»[١].

۞ وهنا يأمر الله عيسى عليه السلام بأن يأخذ مَن معه من المؤمنين ويتحصنوا فى جبل الطور حتى لا يصل إليهم يأجوج ومأجوج.

ويدخل عيسى عليه السلام ومَن معه من المؤمنين جبل الطور ويُخلصون فى الدعاء واللجوء إلى الله من أجل أن يُخلِّص الأرض من يأجوج ومأجوج.

۞ وفى تلك اللحظة كانت قبائل يأجوج ومأجوج تدمر كل خيرات الأرض من طعام وشراب وزروع وثمار.

فإذا نظروا حولهم فلم يجدوا أحدًا قالوا: لقد قهرنا أهل الأرض وبقى أهل السماء... فيأخذ كل واحدٍ منهم حربته فيرميها إلى السماء فترجع إليه

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٢٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٥٤) كتاب الأيمان.

وفيها آثار الدماء - وهم لم يقتلوا أحدًا من أهل السماء ولكنه فتنة لهم - فيقولون: لقد قهرنا أهل السماء.

وبينما هم على تلك الحالة من الفساد والإفساد والغرور إذ بعث الله عليهم حشرات أو ديدان اسمها (النغف) فتقتلهم جميعًا ولا تترك منهم أحدًا.

وكان من الممكن أن يخسف الله بهم الأرض أو يُسقط عليهم السماء أو يرسل لهم جبريل عليه السلام فيدمرهم... لكنه أرسل عليهم حشرة حقيرة مثلهم لتقضى عليهم.

۞ وفى تلك الأثناء يقول عيسى عليه السلام أريد رجلًا يحتسب نفسه فى سبيل الله فيخرج ليعرف لنا ماذا حدث ليأجوج ومأجوج.

فيخرج رجل مؤمن وينظر فيجدهم جميعًا موتى وقد أنتنت الأرض من ريحهم فيرجع الرجل ويبشر عيسى عليه السلام وإخوانه المؤمنين فيسجدون شكرًا لله جل وعلا.

ثم يدعو عيسى عليه السلام أن يُخلِّص الله الأرض من جثث هؤلاء المفسدين فيرسل الله طيرًا من السماء في حجم الإبل فتأخذ جثثهم ثم يرسل الله المطر من السماء فيغسل الأرض ويجعلها فى غاية الحسن والجمال.

۞ ثم يعيش المسلمون مع عيسى عليه السلام أجمل حياة فيأمر الله الأرض أن تُخرج بركتها ويأمر السماء أن تُنزل بركتها.

فتجتمع الجماعة من الرجال على الرمانة الواحدة فلا يكملوها وتجتمع الجماعة من الرجال على حليب بقرة واحدة فلا يكملوه... ويكون الأمان قد انتشر فى الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم.. وحتى يلعب الصبيان بالحيات والثعابين فلا تضرهم.

وها هي نهاية يأجوج ومأجوج

۞وها هى نهاية يأجوج ومأجوج كما جاءت فى سنة الحبيب المصطفى ﷺ

۞عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ[1]، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ»[2][3].

ثم قال ﷺ: « ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ (الخَمَر: بالفتح الشجر الملتف)، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ (أى: فلسطين)، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِى السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ[4] إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا وَيُحْصَرُ[5] نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ[6]، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ[7]، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ

(١) ينسلون: أى: يمشون مسرعين.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن.

(٣) وبحيرة طبرية: تسمى أحيانًا بحر الجليل، أو بحيرة الجليل - بحيرة صغيرة. تقع: فى شمالى فلسطين المحتلة، يصب فيها نهر الأردن، ويخرج منها مستمرًّا فى جريانه وسط غور الأردن. حجمها: يبلغ طول بحيرة طبرية ٢٣ كم، وأوسع عرض فيها ١٣ كم، ولا يزيد عمقها على ٤٤م، وتنخفض عن مستوى سطح البحر بـ٢١٠ م.

(٤) نشابهم: سهامهم.

(٥) يحصر: يكون محاصرًا مع أصحابه.

(٦) أى: يصيبهم شدة وحاجة وجوع شديد، حتى لو وجد أحدهم رأس ثور لكان فرحه به كفرح أحد الصحابة بمائة دينار.

(٧) أى: يرغبون إلى الله ويدعونه ليخلصهم.

النَّغَفَة [١] فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى [٢] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ [٣]، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ [٤]، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ [٥] فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لا يُكَنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ [٦]، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ» [٧].

۞ وفي رواية: «فَيَرْغَبُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ بِالْمَهْبِلِ [٨] وَيَسْتَوْقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِمْ [٩] وَنُشَّابِهِمْ وَجِعَابِهِمْ [١٠] سَبْعَ سِنِينَ» [١١].

۞ وفي رواية: عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، كَمَا

---

(١) النغفة: فى الأصل دود يكون فى أنوف الإبل والغنم فيقتلها، وسوف يرسله الله على رقاب يأجوج ومأجوج.

(٢) فَرْسَى: أى: قَتلى.

(٣) أى: يموتون فى لحظة واحدة.

(٤) زهمهم ونتنهم: دسمهم ورائحتهم الكريهة.

(٥) البُخت: الإبل العظيمة ذات السنامين.

(٦) أى: يرسل الله مطرًا يخترق البيوت المبنية من الطين الصلب والحجارة، والمبنية من الصوف والشعر.

(٧) الزلفة: أى: كالمرآة شبَّهها بها فى صفائها ونظافتها.

(٨) المَهبل: الحفرة العميقة.

(٩) قِسيهم: جمع قوس، والمراد به هنا: القوس الذى يُستخدم فى رمى السهام.

(١٠) جعبة السهام: هى الشىء الذى يوضع فيه السهام.

(١١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤٨١).

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[١]، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيهِمْ، فيضربون وَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّى يَتْرُكُوهُ يَبَسًا، حَتَّى إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهرِ فَيَقُولُ: قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ، قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ»، قَالَ: «ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخَضَّبَةً دَمًا، لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ، كَنَغَفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ». قَالَ: «فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ قَدْ أَوطَنَهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَفَاكُم عَدُوَّكُمْ. فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ، وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ، فَتَشْكَرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكَرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ؟»[٢].

۞ وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى فَتَذَاكَرُوا السَّاعَةَ، إلى أن قال: «فَرَدُّوا

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٧٧)، وابن ماجه (٢/ ٤٠٧٩)، وقال البوصيري في زوائده: رجاله ثقات.
وعزاه لأبي يعلى والحاكم أيضًا .. وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد.
(فيفش الناس): ينطلقون خائفين.
(يشرى لنا نفسه): يبيعها أي في سبيل الله .... (فينجرد رجل منهم): أي: يبرز.

الْحَدِيثُ إِلَى عِيسَى ، فذكر قتل الدجال ثم قال: يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ[١] فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ، وَمَأْجُوجُ وَهُمْ ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾، فَلَا يَمُرُّونَ بِمَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، وَلَا بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدُوهُ، فَيَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ[٢]، فَأَدْعُو اللهَ فَيُمِيتَهُمْ، فَتَنْتُنُ الْأَرْضُ مِنْ رِيحِهِمْ، فَيَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ، فَأَدْعُو اللهَ، فَيُرْسِلُ السَّمَاءَ بِالْمَاءِ، فَيَحْمِلُهُمْ فَيَقْذِفُ بِأَجْسَامِهِمْ فِي الْبَحْرِ»[٣].

ظهور الأمن والبركات بعد موتهم

۞ وبعد موتهم يظهر الأمن وتكثر البركات بإذن رب الأرض والسموات.

فقد جاء فى حديث النواس بن سمعان الطويل فى ذكر الدَّجّال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج فى زمن عيسى عليه السلام ودعائه عليهم وهلاكهم، وفيه قوله ﷺ:

«أَنْبِتِى ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّى بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ[٤] مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا[٥]، وَيُبَارَكُ فِى الرِّسْلِ[٦]، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِى

(١) أى: بعد هربهم من الدَّجّال فى الجبال وغيرها، يقتل عيسى عليه السلام الدَّجّال، ويرجع الناس إلى بلادهم وبيوتهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج.

(٢) يعنى: يجأر الناس إلى عيسى عليه السلام ويطلبون منه أن يدعو الله لهم.

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٤٨٨-٤٨٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى فى تلخيصه، وأخرجه الإمام أحمد فى المسند (٤/ ١٨٩-١٩٠) تحقيق أحمد شاكر، وقال: إسناده صحيح.

(٤) العصابة: الجماعة.

(٥) قحف الرمانة: هو مقعر قشرها تشبيهًا بقحف الرأس وهو الذى فوق الدماغ.

(٦) الرسل: اللبن.

الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ[١]، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لتكْفِى الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لتكْفِى الْفَخِذَ[٢] مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ[٣] فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[٤].

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِى وَبَيْنَهُ نَبِىٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، ... فَيُهْلِكُ اللهُ فِى زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِى زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الأَمَنَةُ عَلَى الأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الأُسُودُ مَعَ الإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ»[٥].

عودة إلى ذى القرنين

۞ ونعود مرة أخرى إلى ذى القرنين.

فإنه لما بلغ مشارق الأرض ومغاربها ونشر التوحيد بين أهل الأرض وساعد هؤلاء القوم على بناء السد... أحسَّ بأن مهمته قد انتهت وأن أجله قد اقترب فقد مرض مرضًا شديدًا عندما بلغ أرض بابل.

---

(١) الفئام: أى الجماعة الكثيرة من الناس.

(٢) أى: أن لبن الغنم يكفى الجماعة من الأقارب.

(٣) يتهارجون: أى: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن.

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألبانى فى قصة المسيح الدجال (٤٤).

فلما أشفق أن يموت أرسل رسالة إلى أمه وكتب فيها: يا أُماه اصنعى طعامًا واجمعى مَن قدرت عليه ولكن لا يأكل طعامك من أُصيب بمصيبة.. واعلمى أن الذى أذهب إليه خير من كل ما أنا فيه.. والسلام.

فلما وصل كتابه صنعت طعامًا، وجمعت الناس، وقالت: لا يأكل هذا مَن أُصيب بمصيبة؛ فلم يأكلوا، فعلمت ما أراد، فقالت: مَن يُبلغك عنى أنك وعظتنى فاتعظتُ، وعزيتنى فتعزيت، فعليك السلام حيًّا وميتًا.

وهكذا رحل ذو القرنين بعدما ملأ الأرض رحمة وعدلًا ونشر التوحيد والإيمان بين أهل الأرض - رحمه الله رحمة واسعة -.

العلامة الرابعة والخامسة والسادسة:

الخسوفات الثلاثة

۞ ولقد أخبر النبى ﷺ أن من علامات الساعة الكُبرى:

الخسوفات الثلاثة: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب.

۞ فتعالوا بنا لنتعرف على تلك الخسوفات الثلاث.

معنى الخسف

يقال: خسف المكان يخسف خسوفًا إذا ذهب فى الأرض، وغاب فيها[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾[2].

والخسوفات الثلاثة التى هى من أشراط الساعة جاء ذكرها فى الأحاديث ضمن العلامات الكبرى.

۞ وتلك الخسوفات تقع على شرار الخلق .. وذلك لأنها ستقع فى آخر الزمان حيث لا يوجد على وجه الأرض مؤمن أبدًا .. فقد أرسل الله ﷻ إلى المؤمنين تلك الريح الطيبة فقبضت أرواحهم.

۞ **الأدلّة من السُّنة المطهرة على ظهور الخسوفات:**

١ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ السَّاعَةَ لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: ...** (فذكر منها:) **وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ،**

(١) انظر: «ترتيب القاموس المحيط» (٢/ ٥٥)، و«لسان العرب» (٩/ ٦٧).

(٢) سورة القصص: الآية: (٨١).

وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِى جَزِيرَةِ العَرَبِ»(١).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ بَعْدِى خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُخْسَفُ بِالْأَرْضِ وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ؟ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ إِذَا أَكْثَر أَهْلِهَا الْخَبَثِ»(٢).

هل وقعت هذه الخسوفات؟

وهذه الخسوفات الثلاثة لم تقع بعد؛ كغيرها من الأشراط الكبرى التى لم يظهر شيءٌ منها، وإن كان بعض العلماء يرى أنها قد وقعت كما ذهب إلى ذلك الشريف البرزنجى(٣)، ولكنَّ الصحيح أنه لم يحدث شىء منها إلى الآن، وإنما وقع بعض الخسوفات فى أماكن متفرِّقة، وفى أزمان متباعدة، وذلك من أشراط الساعة الصُّغرى.

أما هذه الخسوفات الثلاثة؛ فتكون عظيمة وعامة لأماكن كثيرة من الأرض فى مشارقها ومغاربها وفى جزيرة العرب.

قال ابن حجر: «وقد وُجد الخسف فى مواضع، ولكن يُحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرًا زائدًا على ما وُجِدَ، كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرًا»(٤).

ويؤيد هذا ما جاء فى الحديث أنها إنما تقع إذا كَثُر الخبث فى الناس،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن.

(٣) انظر: «الإشاعة» (٤٩).

(٤) «فتح البارى» (١٣/ ٨٤).

وفشت فيهم المعاصى ... والله أعلم[١].

۞ وقد وردت أحاديث كثيرة فى الخسف ولكن لا يُقصد بها تلك الخسوفات الثلاثة.

۞ مثل الخسف الذى حدث لقارون.

قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[٢].

ومثل قول النبى ﷺ: « **بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَسْخٌ، وَخَسْفٌ، وَقَذْفٌ** »[٣].

ولقد جاء الوعيد الشديد لأهل المعازف والخمور بتلك العقوبات.

قال ﷺ: « **فِى هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ** »، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: « **إِذَا ظَهَرَتْ الْقِيَانُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ** »[٤].

۞ ومثل الخسف بذلك الجيش الذى يقصد المهدى.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «عَبِثَ[٥] رسول الله ﷺ فى منامه، فقلنا: يَا رَسُولَ الله، صنعت شيئًا فى منامك لم تكن تفعله»، فقال: « **العجبُ أن ناسًا من أمتى يَؤُمون[٦] البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا**

(١) «أشراط الساعة» (ص/ ٣٨١-٣٨٢).

(٢) سورة القصص: الآية: (٨١).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٥٦).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٧٣).

(٥) عبث: بكسر الباء، أى تحرك جسمه الشريف، أو بعضه ﷺ، وقيل: حرك أطرافه كمن يأخذ شيئًا، أو يدفعه، انظر «شرح النووى»، (١٨/ ٦، ٧).

(٦) يؤم البيت: يقصده.

كانوا بالبيداء[١] خُسف بهم»، فقلنا: «يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس»، قال: «نعم، فيهم المستبصر[٢]، والمجبور[٣]، وابن السبيل، يهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتَّى[٤]، يبعثهم الله على نياتهم»[٥].

۞ وعن عبد الله بن صفوان عن أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**سيعوذ بهذا البيت** - يعنى الكعبة - **قوم، ليست لهم مَنَعة[٦]، ولا عدد، ولا عُدة، يبعث إليهم جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم**»[٧].

وفى رواية عنه عن أم المؤمنين حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبى ﷺ قال: «**ليؤمَّنَّ هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأوسطهم، وينادى أولهم آخرهم، ثم يُخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر**

(١) البيداء: المفازة، وهى الأرض الواسعة القفر، وفى رواية: «ببيداء المدينة»، وفى رواية أبى يعلى عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «بالبيداء من ذى الحليفة»، والبيداء أرض واسعة ملساء بين مكة والمدينة، وهى معروفة بالقرب من ذى الحليفة.

(٢) المستبصر: المستبين للأمر، القاصد له.

(٣) المجبور: المكره المقهور.

(٤) «المصادر: المراجع، ورد ثم صدر؛ أى: جاء ثم رجع، شتى: متفرقة، والمقصود أن مهلك هذا الجيش مهلك واحد يخسف بهم جميعًا، إلا أنهم يصدرون عن الهلكة مصادر متفرقة، فواحد إلى الجنة، وآخر إلى النار، على قدر أعمالهم ونياتهم». اهـ.

(٥) رواه البخارى: (٤/ ٣٣٨ ـ فتح) فى البيوت: باب ما ذُكر فى الأسواق، ومسلم، واللفظ له (٤/ ٢٢١٠).

(٦) منعة: فلان فى عز ومنعة: أى قوة تمنع من يريدهم بسوء، وقد تفتح النون، وقيل: هى بالفتح جمع مانع؛ مثل كافر وكفرة، انظر: «النهاية» (٤/ ٣٦٥).

(٧) رواه مسلم برقم (٢٨٨٣)، فى الفتن: باب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت، وفى رواية أن عبد الله بن صفوان قال: «أما والله ما هو بهذا الجيش»، يعنى الآتى من الشام إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال فى «التاج»: «حقًا ليس هو هذا الجيش؛ لأنه لم يُخسف به، وما سمعنا بجيش خُسف به للآن، ولو وقع لاشتهر أمره كأصحاب الفيل». اهـ.

عنهم»[١]، فقال رجل: أشهد عليك أنك لم تكذب على حفصة، وأشهد على حفصة أنها لم تكذب على النبى ﷺ.

❁ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ، مِنَ الْخُيَلَاءِ، خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[٢].

❁ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهُ: «**يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ - أَوِ الْبُصَيْرَةُ - فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أَوْ دَخَلْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا، وَكِلَاءَهَا، وَسُوقَهَا، وَبَابَ أُمَرَائِهَا، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ، وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ**»[٣].

❁ وَعَنْ نَافِعٍ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، قَالَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ -يعنى: ابتدع بدعة-، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَحْدَثَ فَلَا تُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يَكُونُ فِي أُمَّتِي أَوْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَسْخٌ، وَخَسْفٌ، وَقَذْفٌ**»، وَذَلِكَ فِي أَهْلِ الْقَدَرِ[٤].

❁ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**يَبِيتُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلَهْوٍ، فَيُصْبِحُونَ قَدْ مُسِخُوا خَنَازِيرَ، وَلَيُخْسَفَنَّ بِقَبَائِلَ فِيهَا وَفِي دُورٍ فِيهَا، حَتَّى يُصْبِحُوا فَيَقُولُوا خُسِفَ اللَّيْلَةَ بِبَنِي فُلَانٍ خُسِفَ اللَّيْلَةَ بِدَارِ بَنِي فُلَانٍ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ حَصْبَاءُ حِجَارَةٌ كَمَا أُرْسِلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ،**

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٨٦)؛ ومسلم (١٨/ ٥- نووى) والنسائى (٥/ ٢٠٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٨٥)، ومسلم (٢٠٨٨).

التَّجَلْجُلُ: حركة مع صوت.

(٣) رواه أبو داود، وحسنه الألبانى فى المشكاة (١٠٦)، وفى الصحيحة (١٧٨٧).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٥٥).

وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَقِيمُ فَتَنْسِفُهُمْ كَمَا نَسَفَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِشُرْبِهِمُ الْخَمْرَ، وَأَكْلِهِمُ الرِّبَا، وَلُبْسِهِمُ الْحَرِيرَ، وَاتِّخَاذِهِمُ الْقَيْنَاتِ[1]، وَقَطِيعَتِهِمُ الرَّحِمَ» قَالَ: «وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى فَنَسِيتُهَا»[2].

۞ وكما قلت: فكل تلك الخسوفات ليس لها أى علاقة بالخسوفات الثلاث.

---

(١) القينات: جمع قينة وهى المرأة المغنية.

(٢) أخرجه الحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم لجعفر فأما فرقد فإنهما لم يخرجاه.

العلامة السابعة: **الدخان**

ومن علامات الساعة الكبرى التي أخبر عنها النبي ﷺ: الدخان.

۞ ومن المعلوم أن الدُّخان هو العلامة الأخيرة التي يشهدها المؤمنون.. فالمؤمنون لا يشهدون الخسوفات الثلاثة ولا يشهدون النار التي تخرج لتطرد الناس إلى محشرهم؛ لأن عند ظهور الخسوفات الثلاثة ثم النار فإنه لا يكون على وجه الأرض إلَّا شرار الخلق.. أما المؤمنون فقد أرسل الله إليهم الريح الطيبة فقبضت أرواحهم.

۞ وهناك أدلة من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة على ظهور الدخان.

۞ أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[1].

والمعنى: انتظر يا محمد بهؤلاء الكُفَّار يوم تأتي السماء بدخان مُبين واضح يغشى الناس ويعمُّهم، وعند ذلك يُقال لهم: هذا عذابٌ أليمٌ؛ تقريعًا لهم وتوبيخًا، أو يقول بعضهم لبعض ذلك[2].

(١) سورة الدخان: الآيات: (١٠-١٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ١٣٠)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٥-٢٣٦).

۞ اختلاف العلماء في المراد بالدخان الوارد في الآية على قولين:

الأول: أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشًا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبى ﷺ حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون فى السماء كهيئة الدُّخان.

وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وتبعه جماعة من السلف(١).

قال رضي الله عنه: «خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: اللِّزَامُ(٢)، وَالرُّومُ، وَالبَطْشَةُ، وَالقَمَرُ، وَالدُّخَانُ»(٣).

واللِّزَامُ: يقصد به قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامَا﴾(٤).

والرُّومُ: يقصد به قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٥).

---

(١) انظر: «تفسير الطبرى» (١٥/ ١١١-١١٣)، و«تفسير القرطبى» (١٦/ ١٣١)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٣٣).

(٢) (اللزام): هو ما جاء فى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامَا﴾ [الفرقان: ٧٧]، أى: يكون عذابًا لازمًا يهلكهم نتيجة تكذيبهم، وهو ما وقع لكفار قريش فى بدر من القتل والأسر. انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٤٣ و٣٠٥)، و«شرح النووى لمسلم» (١٧/ ١٤٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٦٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٩٨) كتاب صفة القيامة.

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٧٧).

(٥) سورة الروم: الآيات: (١-٥).

وَالبَطْشَةُ: فسَّرها ابن مسعود رضي الله عنه نفسه فى الحديث، قال: «فالبطشة يوم بدر»، وذلك فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[١].

وأمَّا القَمَرُ: وهو قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[٢].

وَالدُّخَانُ: يقصد به قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

وفى «الصحيحين» - واللفظ لمسلم- قَالَ مَسْرُوقٌ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ جُلُوسًا، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقُصُّ وَيَزْعُمُ، أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِىءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهيْئَةِ الزُّكَام؟ فَقَالَ ابنُ مسْعُودٍ وَجَلَسَ وَهُوَ غَضْبَانُ: يَا أَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ، مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ،... فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ: لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ عز وجل قَالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٤] وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنِ الإِسْلاَمِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ**» فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا المَيْتَةَ وَالعِظَامَ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ[٥].

وهذا القول رجَّحه ابن جرير الطبرى، ثم قال: «لأن الله جلّ ثناؤه توعّد

---

(١) سورة الدخان: الآية: (١٦).

(٢) سورة القمر: الآية: (١).

(٣) سورة الدخان: الآيتان: (١٠-١١).

(٤) سورة ص: الآية: (٨٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٠٧) كتاب التفسير، ومسلم (٢٧٩٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

بالدخان مشركى قريش وأن قوله لنبيه ﷺ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾[(١)] فى سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ﴾[(٢)] ثم أتبع ذلك قوله لنبيه ﷺ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ أمرًا منه له بالصبر... إلى أن يأتيهم بأسه وتهديدًا للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيدًا لهم قد أحلَّهُ بهم أشبه من أن يكون أخَّره عنهم لغيرهم»[(٣)].

الثانى: أنَّ هذا الدُّخان من الآيات المنتظرة، التى لم تجئ بعد، وسيقع قرب قيام الساعة.

وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين.

فقد روى ابن جرير الطبرى وابن أبى حاتم عن عبد الله بن أبى مُليكة[(٤)]؛ قال: غَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «مَا نِمْتُ الْبَارِحَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ»، قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: «قَالُوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنَبِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدّخَانُ قَدْ طَرَقَ، فَمَا نِمْتُ حَتَّى أَصْبَحت»[(٥)].

قال ابن كثير: «وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ حَبْرِ الْأُمَّةِ وَتُرْجُمَانِ

---

(١) سورة الدخان: الآية: (١٠).

(٢) سورة الدخان: الآيتان: (٨، ٩).

(٣) «تفسير الطبرى» (٢٥/ ١١٤).

(٤) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمى المكى، كان قاضيًا ومؤذنًا لابن الزبير، وروى عن العبادلة الأربعة، وكان ثقة كثير الحديث، توفى سنة (١١٧ هـ) رحمه الله. انظر: «تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٥) «تفسير الطبرى» (٢٥/ ١١٣)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٣٥).

الْقُرْآنِ. وَهَكَذَا قَوْلُ مَنْ وَافَقَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَجْمَعِينَ، مَعَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ مِنَ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ وَغَيْرِهِمَا ... مِمَّا فِيهِ مَقْنَعٌ وَدَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى أَنَّ الدُّخَانَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُنْتَظَرَةِ، مَعَ أَنَّهُ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أَيْ: بَيِّنٍ وَاضِح يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ. وَعَلَى مَا فَسَّرَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّمَا هُوَ خَيَالٌ رَأَوْهُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ شَدَّةِ الْجُوعِ وَالْجَهْدِ.

وَهَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أَيْ: يَتَغَشَّاهُمْ وَيَعُمَّهُم، وَلَوْ كَانَ أَمْرًا خَيَالِيًّا يَخُصُّ أَهْلَ مكة المشركين لما قِيلَ فِيهِ: ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾[(١)].

وثبت فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِابْنِ الصَّيَّادِ: «إِنِّي خَبَّأْتُ لَكَ خَبْئًا» قَالَ: هُوَ الدُّخ. فَقَالَ لَهُ: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ» قَالَ: وخبَّأَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[(٢)].

وفى هذا دليلٌ على أن الدُّخان من المنتظر المرتقب، فإنَّ ابن صياد كان من يهود المدينة، ولم تقع هذه القصة إلا بعد الهجرة النبويَّة إلى المدينة المنوَّرة.

وأيضًا؛ فإنَّ الأحاديث الصحيحة ذكرت أن الدُّخان من أشراط الساعة الكبرى كما سيأتى.

وأما ما فسَّر به ابن مسعود رضي الله عنه؛ فإن ذلك من كلامه، والمرفوع مُقدَّم على كل موقوف[(٣)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٣٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٥٥) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٩٣١) كتاب الفتن.

(٣) انظر: «النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ١٧٢) تحقيق. د. طه زينى.

ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا: ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾[١]، فيكشف عنهم، ثم يعودون، وهذا قرب القيامة.

على أن بعض العلماء ذهب إلى الجمع بين هذه الآثار[٢] بأنهما دخانان ظهرت إحداهما وبقيت الأخرى، وهى التى ستقع فى آخر الزمان، فأما التى ظهرت؛ فهى ما كانت تراه قريشٌ كهيئة الدُّخان، وهذا الدُّخان غير الدُّخان الحقيقى، الذى يكون عند ظهور الآيات التى هى من أشراط الساعة.

قال القرطبى: «قال مجاهدٌ: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذى بقى يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر؛ فتثقب مسامعه»[٣].

۞ ثانيًا: الأدلَّة من السنة المطهرة:

مضى ذكر بعض الأحاديث الدَّالَّة على ظهور الدُّخان فى آخر الزمان، وسأذكر هنا مزيدًا من الأحاديث الدَّالَّة على ذلك:

(١) روى مسلم عن أبى هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ والدُّخَانَ**»[٤].

(٢) وجاء فى حديث حذيفة فى ذكر أشراط الساعة الكبرى: «**الدُّخَان**»[٥].

(٣) وروى ابن جرير والطبرانى عن أبى مالك الأشعرى رَضِوَاللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلَاثًا: الدُّخَانَ، يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ مِنْهُ**

---

(١) سورة الدخان: الآية: (١٢).

(٢) انظر: «التذكرة» (ص ٦٥٥)، و«شرح النووى لمسلم» (١٨/ ٢٧).

(٣) «التذكرة» (ص ٦٥٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧) كتاب الفتن.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن.

كَالزَّكْمَةِ، وَيَأْخُذُ الْكَافِرَ فَيَنْتَفِخُ وَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ»(١)(٢).

وماذا بعد الدخان؟

فإذا انتهت علامة الدخان يرسل الله ﷻ الريح الطيبة (اللينة) فتقبض أرواح المؤمنين من على وجه الأرض ولا يبقى فى الأرض بعد ذلك إلا شرار الخلق.

كما قال ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: الله الله**»(٣).

قال ﷺ عن تلك الريح:

عن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدَّجَّال...** (فذكر الحديث، وفيه:) **فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه، فيُهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة مِن قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل فى كبدِ جبل لدخلتهُ عليه حتى تقبضه**»(٤).

فلا يبقى على الأرض إلا شرار الناس... كما فى الحديث الآخر: «إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارُج الحُمُر فعليهم تقوم الساعة»(٥).

---

(١) «تفسير الطبرى» (٢٠/ ١١٤)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٣٥)، وقال ابن كثير: «إسناده جيد».

(٢) بتصرف من أشراط الساعة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٤٨) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

۞ وليس هناك أى تعارض بين هذا وبين قول النبى ﷺ:

«**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**».[(١)]

فلا تعارض بين هذا وبين ذاك، فستظل هذه الطائفة المنصورة المؤمنة تنصر دين الله، وتعمل لدين الله حتى يأتى أمر الله، والمراد بأمر الله: الريح الطيبة التى تقبض أرواح المؤمنين من أبناء الطائفة المنصورة وغيرهم[(٢)].

۞ فإذا أصبحت الأرض مملوءة بشرار الخلق ليس بينهم رجل مؤمن موحد فإنه فى ذلك الوقت يُرفع القرآن وتُهدم الكعبة؛ لأنه ليس على الأرض من يعرف القرآن وليس هناك من يطوف حول الكعبة ... لأن الساعة قد اقتربت ولن تقوم إلا على شرار الخلق.

قال رسول الله ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْىُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ فِى لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِى الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ ...**»[(٣)].

۞ وإن لم يكن عندنا دليلٌ قاطعٌ على أنَّ الريح الطيبة لابُدَّ أن تقبض أرواح المؤمنين بعد ظهور علامة الدخان مباشرة وأنه سوف يُرفع القرآن وتُهدم الكعبة بعد الريح الطيبة إلا أننا على يقين من أنه بعد ظهور المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام لقتله .. ثم هلاك يأجوج ومأجوج وانقضاء السنوات الطيبة التى يعيشها المؤمنون فى الأرض مع عيسى عليه السلام وكثرة

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٢) انظر: «شرح مسلم» للنووى (١/ ٤٠٩).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٧٧).

الخيرات وظهور البركات .. فإنه بعد موت عيسى عليه السلام والمهدى رضي الله عنه فإنَّ الشرك يبدأ فى العودة مرة أخرى .. ويُنسى القرآن فلا يذكره أحد وتُهجر الكعبة فلا يطوف بها أحد. ففى ذلك الوقت يُرفع القرآن، وتُهدم الكعبة .. لكننا لا نعرف التوقيت الدقيق لذلك؛ إلا أنه غالبًا ما يكون بعد ظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها، والدخان ... والله أعلم.

۞ وأما عن هدم الكعبة فإن الكعبة ستبقى حتى نزول عيسى عليه السلام وسيذهب عيسى عليه السلام ليحج البيت كما حج النبى ﷺ.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا، أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيُثْنِينهمَا**»[١].

۞ ثم إذا ظهرت الدابة والدخان وقبضت الريح الطيبة أرواح المؤمنين وأصبحت الأرض مملوءة بشرار الخلق ... وإذا برجل كافر اسمه (ذو السويقتين) يأتى ليهدم الكعبة وينقضها حَجرًا حَجرًا.

۞ عن عبد الله بن عمر؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين[٢] من الحبشة، ويسلبها حِليتها، ويجردها من كسوتها، ولكأنى أنظر إليه: أُصيلع[٣]، أُفيدع[٤]، يضرب عليها بمسحاته ومعوله**».

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢٥٢) كتاب الحج.

(٢) (السويقتين): السويقة: تصغير الساق، وهى مؤنثة، فلذلك ظهرت التاء فى تصغيرها، وإنما صغر الساق؛ لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والحموشة. «النهاية فى غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤٢٣).

(٣) (أصيلع): تصغير أصلع، وهو الذى انحسر الشعر عن رأسه. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٧).

(٤) (أفيدع): تصغير أفدع، والفدع بالتحريك زيغ بين القدم وبين عظم الساق، وكذلك يكون فى =

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كأني أنظر إليه: أسود، أفحج[1]، ينقضها حجرًا حجرًا (يعني: الكعبة)»[2].

= اليد، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٢٠).

(١) (أفحج): في «القاموس»: «فحج في مشيته؛ أي: تداني صدور قدميه، وتباعد عقباه». وقال ابن الأثير: «الفحج: تباعد ما بين الفخذين». انظر: «ترتيب القاموس» (٣/ ٤٥١)، و«النهاية» (٣/ ٤٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٤٦٠) الحج - وأحمد (٢٠١٠).

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها

نحن نعلم أن الشمس منذ أن خلقها الله ﷻ وهي تُشرق من المشرق وتغرب من المغرب بصورة منتظمة لم تتغير ولو مرة واحدة ... فقد جعل الله لها نظامًا ومدارًا لا تحيد عنه أبدًا.

قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾(١).

۞ ولذلك حينما ناظر خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام هذا الكافر المتمرد (النمرود بن كنعان) حدث بينهما ذلك الحوار.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢).

۞ ومع ذلك فإنه في آخر الزمان يصبح الناس كعادتهم ينتظرون طلوع الشمس من المشرق - كما هو حالها منذ خلقها الله - فإذا بالشمس تطلع من المغرب ... وعندها يُغلق باب التوبة.

---

(١) سورة يس: الآية: (٣٨).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٨).

الأدلة على طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

يقول تعالى: هل ينظر هؤلاء الذين استمر ظلمهم وعنادهم. ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ مقدمات العذاب، ومقدمات الآخرة، بأن تأتيهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم. فإنهم إذا وصلوا إلى تلك الحال، لم ينفعهم الإيمان، ولا صالح الأعمال. ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ لفصل القضاء بين العباد، ومجازاة المحسنين والمسيئين. ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الدالة على قرب الساعة.

﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الخارقة للعادة، التى يعلم بها أن الساعة قد دنت، وأن القيامة قد اقتربت.

﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ أى: إذا وُجد بعض آيات الله، لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن، ولا المؤمن المقصر أن يزداد خيره بعد ذلك. بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك. وما كان له من الخير الموجود، قبل أن يأتى بعض الآيات.

والحكمة فى هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع، إذا كان إيمانًا بالغيب، وكان اختيارًا من العبد. فأما إذا وُجدت الآيات، صار الأمر شهادة، ولم يبقَ للإيمان فائدة، لأنه يشبه الإيمان الضرورى، كإيمان الغريق، والحريق، ونحوهما، ممن إذا رأى الموت، أقلع عمّا هو فيه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ﴾.

وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة، عن النبى ﷺ، أن المراد ببعض آيات الله، طلوع الشمس من مغربها، وأن الناس إذا رأوها، آمنوا، فلم ينفعهم إيمانهم، ويُغلَق حينئذ، باب التوبة.

ولما كان هذا وعيدًا للمكذبين بالرسول ﷺ، منتظرًا وهم ينتظرون بالنبى ﷺ، وأتباعه قوارع الدهر ومصائب الأمور قال: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ فستعلمون أينا أحق بالأمن.

وفى هذه الآية دليل لمذهب أهل السُنّة والجماعة فى إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى، كالاستواء، والنزول، والإتيان لله تبارك وتعالى من غير تشبيه له بصفات المخلوقين.

وفى الكتاب والسُنّة، من هذا، شىء كثير. وفيه أن من جملة أشراط الساعة، طلوع الشمس من مغربها. وأن الله تعالى حكيم، قد جرت عادته وسُنّته، أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختياريًّا لا اضطراريًّا، كما تقدم.

وأن الإنسان يكتسب الخير بإيمانه. فالطاعة والبر والتقوى إنما تنفع وتنمو، إذا كان مع العبد إيمان. فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شىء من ذلك[(١)].

قال الطبرى – بعد ذكره لأقوال المفسرين فى هذه الآية–: «وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ذلك حين تطلع الشمس من مغربها»[(٢)].

---

(١) تفسير السعدى (١/ ٤٥٢-٤٥٣) ط. مكتبة أبى بكر.

(٢) «تفسير الطبرى» (٨/ ١٠٣).

۞ ثانيًا: الأدلة من السنة المُطهرة:

الأحاديث الدَّالَّة على طلوع الشمس من مغربها كثيرة، وإليك جملة منها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»(٢).

۞ ومن هنا يتضح لنا أنه **لا تُقبل توبة العبد فى حالتين:**

(١) عند الغرغرة .. أي: عندما تبلغ الروح الحلقوم:

قال ﷺ: « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ »(٣).

(٢) إذا طلعت الشمس من مغربها .. كما جاء في الحديث:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٤).

وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ لَبَابًا مَسِيرَةُ عَرْضِهِ سَبْعُونَ، أَوْ أَرْبَعُونَ، عَامًا، فَتَحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلتَّوْبَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلا يُغْلِقُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٣٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٨) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

(٥) حسن: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٢٩).

۞ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: « فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ مَعَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَحْدَثَ إِيمَانًا أَوْ تَوْبَةً بعد طلوع الشمس من مغربها لا يُقبل مِنْهُ، وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلَامَاتِهَا الدَّالَّةِ عَلَى اقْتِرَابِهَا وَدُنُوِّهَا، فَعُومِلَ ذَلِكَ الْوَقْتُ مُعَامَلَةَ يوم القيامة »[1].

فجعل ﷺ غاية قبول التوبة هو طلوع الشمس من مغربها.

۞ وقد ذكر ابن حجر أحاديث وآثارًا كثيرة تدلُّ على استمرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة، ثم قال: «فهذه آثار يشدُّ بعضها بعضًا متَّفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب؛ أُغلق باب التوبة، ولم يُفتح بعد ذلك وأن ذلك لا يختصُّ بيوم الطلوع، بل يمتدُّ إلى يوم القيامة»[2].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ...** (فذكر الحديث، وفيه:) **وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا »**[3].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»**[4].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: **«أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ**

---

(١) «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ٢١٩-٢٢٢).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٥٤-٣٥٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧١٢١) كتاب الفتن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧) كتاب الفتن.

الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِى حَتَّى تَنْتَهِىَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِى، ارْجِعِى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِى حَتَّى تَنْتَهِىَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِى، ارْجِعِى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِى لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِىَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِى أَصْبِحِى طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾(١)»(٢).

وقال ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ. وَكُفِىَ النَّاسُ الْعَمَلَ»(٣).

۞ قال القرطبى: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَإِنَّمَا لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، لِأَنَّهُ خَلَصَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الْفَزَعِ مَا تَخْمَدُ مَعَهُ كُلُّ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، وَتَفْتُرُ كُلُّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى الْبَدَنِ، فَيَصِيرُ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِإِيقَانِهِمْ بِدُنُوِّ الْقِيَامَةِ فِى حَالِ مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ فِى انْقِطَاعِ الدَّوَاعِى إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعَاصِى عَنْهُمْ، وَبُطْلَانِهَا مِنْ أَبْدَانِهِمْ، فَمَنْ تَابَ فِى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ، كَمَا لَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ»(٤).

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٩).

(٣) رواه أحمد (٣/ ١٣٣-١٣٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(٤) «التذكرة» (ص ٧٠٦)، و«تفسير القرطبى» (٧/ ١٤٦).

وقفة مع النفس

لقد آن الأوان لأن نُعد العُدة لتلك المواقف والمشاهد ... آن لنا أن نُخلص العبادة لله وحده ونجرد المتابعة لرسول الله ﷺ. آن لنا أن نحذر من كل ناعق مُلبِّسٍ خائن يمكر فى الليل والنهار قبل أن تقول نفسٌ يا حسرتى ولات حين مناص ... آن الأوان للضعفة الأتباع أن يتبرأوا من متبوعيهم الضالين المفسدين فلا يكونوا أداةً لهم فى ظلم فى دماءٍ أو أعراض طمعًا فى دارٍ أو حُطام.

آن الأوان للإنابة والبراءة من الظَّالمين قبل أن يتبرأوا من تابعيهم بين يدى الله يوم ينقلبون عليهم فيلعن بعضهم بعضًا حيث لا ينفع لعن ولا ندم،..... آن الأوان للمرأة المسكينة فى زماننا أن تنتبه لهذه المواقف، فتتبرأ اليوم من كل ناعقٍ لها باسم الحرية والتمدن ومتابعة الأزياء والموضات حتى لا تجنى مرارة الحسرة الكبرى عندما يتبرأ منها شياطين الإنس والجن الذين أضلوها، ثم لا يُغنون عنها من عذاب الله من شىء إلا الخصام والتلاعن اللذين أخبر الله عنهما فى كتابه: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[1].

آن الأوان لأتباع الطوائف الضالة المبتدعة أن يفيقوا ويدركوا خطر هذه المتابعة التى ستنقلب حسرة كبرى وعداوة ولعنات بينهم يوم القيامة: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾[2].

(١) سورة الأحزاب: الآيتان: (٦٧، ٦٨).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٢٥).

وآن الأوان لقطع العلائق بأصدقاء السوء، وإن لم يقطعوها في الدنيا فهي لا شك منقطعة يوم القيامة، وستنقلب عداوة وخصام وحسرة: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

آن الأوان للمجاهرين بالمعاصي أن يعلنوها توبة نصوحًا قبل يوم الحسرات، فالحقائق ساطعات غير مستورات وإن تعامتها نفوس أهل الشهوات.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وكل أمة محمد ﷺ كما أخبر معافى إلا المجاهرين.

وما من راعٍ استرعاه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لها إلا حرم الله عليه الجنة، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[2].

آن الأوان لمضيع وقته أمام ما تبثُّه هذه القنوات من المحرمات أن يتوب. آن الأوان لمن عقله في أذنيه ولُبُّه في عينيه أن يتوب قبل أن يُقبل على الله فتشهد عليه الجوارح والأعضاء فيُختم على فمه وتتكلم يده وتنطق رجله ويشهد سمعه وبصره بما كان يعمل ثم لا يكون إلا الحسرات.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

(٢) سورة النساء: الآية: (٢٧).

لَهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾[١].

ولا تنسَ يا أخى أنك طالب جنة فلا ترضَ بديلًا عنها ولا ترضَ نعيمًا سواها، فكل ما سوى الجنة فهو لا يساوى عند الله جناح بعوضة، فأسرع بالتوبة والعودة إلى الله، فهو القائل:

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[٢].

وقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على وجوب التوبة، ... قال القرطبى رحمه الله: «واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين»[٣].

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «الإجماع منعقد على وجوب التوبة؛ لأن الذنوب مُهلكات مُبعدات عن الله تعالى فيجب الهروب منها على الفور»[٤].

وهذا لأن كل إنسان - بلا استثناء- مُعرَّض للخطأ والزلل.

قال ﷺ: «**كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[٥][٦].

---

(١) سورة فصلت: الآيات: (٢٢-٢٤).

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣-١٣٦).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٩٠).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٥١).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥١٥).

(٦) وأنذرهم يوم الحسرة/ للمصنف (ص ١٩٦-١٩٨).

أسألك بعزك وذُلي إلا رحمتني

فهيا أخي الحبيب ارفع يديك إلى من يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء، واطلب منه أن يعينك على التوبة وأن يغفر ذنوبك.

❁ **قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:**

فلله ما أحلى قوله في هذه الحال: «أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال مَن خضعت لك رقبته، ورَغِم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذَلَّ لك قلبه».

يا من ألوذُ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذرهُ
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره[1]

(١) مدارج السالكين: (١/ ١٨٧).

العلامة التاسعة: خروج الدابة

ومن علامات الساعة التى أخبر عنها النبى ﷺ: خروج الدابة.

۞ وهى آية من آيات الله تخرج فى آخر الزمان عندما يكثر الشرّ ويعم الفساد وتظهر المنكرات ويعتاد الناس عليها ويختلط الحابل بالنابل، والمؤمن بالمنافق، بل ويختلط المسلم بالكافر ... فعند ذلك يُخرج الله لهم تلك الدابة تسم الناس فيتميز المؤمن عن الكافر، ويظهر كل إنسان على حقيقته التى كان يخفيها عن الناس ... وهى فتنة كبيرة لأهل ذلك الزمان.

۞ وتلك العلامة هى قرينة طلوع الشمس من مغربها.

كما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»(١).

الأدلة على ظهور تلك الدابة

۞ **أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:**

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾(٢).

أى: إذا وقع على الناس القول الذى حتَّمه الله، وفرض وقته ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً﴾ خارجة ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أو دابّة من دواب الأرض، ليست من

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤١) كتاب الفتن.

(٢) سورة النمل: الآية (٨٢).

السماء، وهذه الدابة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أى: تكلم العباد أنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أى: لأجل أن الناس ضَعُف علمهم ويقينهم بآيات الله، فأظهر الله هذه الدابة، من آيات الله العجيبة، ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون.

وهذه الدابة هى الدابة المشهورة التى تخرج فى آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، [ولم يأتِ دليل يدل على كيفيتها، ولا من أى نوع هى، وإنَّما دلَّت الآية الكريمة على أنَّ الله يُخرجها للناس، وأنَّ هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به فى كتابه، والله أعلم] [(١)].

۞ قال العلماء: فى معنى قوله تعالى: ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أى: وجب الوعيد عليهم؛ لتماديهم فى العصيان والعقوق والطغيان، وإعراضهم عن آيات الله، وتركهم تدبُّرها، والنزول على حكمها، وانتهابهم فى المعاصى إلى ما لا ينجع معه فيهم موعظةٌ، ولا يصرفهم عن غِيِّهم تذكرةٌ.

يقول عزَّ من قائل: فإذا صاروا كذلك؛ ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أى: دابة تعقل وتنطلق والدواب فى العادة لا كلام لها ولا عقل؛ ليعلم الناس أن ذلك آية من عند الله تعالى [(٢)].

۞ فتلك الدابة دابة حقيقية يُخرجها الله ﷻ للناس فتكلمهم ثم تأتى إلى المؤمن فتَسِمُه على وجهه فيُضىء وتأتى إلى الكافر فتَسِمُه على وجهه فيُصبح أسودًا. ولكن كيف عرفت تلك الدابة الكافر من المسلم؟!

نقول: هذا كله يحدث بتقدير الخالق (جلَّ وعلا) الذى إذا أراد شيئًا

---

(١) تفسير السعدى (٢/ ٤٣١-٤٣٢).

(٢) «التذكرة» (ص ٦٩٧) بتصرف يسير.

فإنما يقول له: كُن فيكون.

ثانيًا: الأدلة من السنة المُطهرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»[١].

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أَنْسَهُ بعد، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على أثرها قريبًا**»[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى** عليه السلام، **وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ** عليه السلام، **فَتَخْطِمُ**[٣] **الْكَافِرَ** - قَالَ عَفَّانُ: (أحد رواة الحديث) أَنْفَ الْكَافِرِ - **بِالْخَاتَمِ، وَتَجْلُو وَجْهَ**[٤] **الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ**[٥] **لَيَجْتَمِعُونَ عَلَى خِوَانِهِمْ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ**»[٦].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٨) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤١) كتاب الفتن.

(٣) (تخطم الكافر): أي: تسمه، من: خطمتُ البعير إذا كويته خطمًا من الأنف إلى أحد خديه، وتُسمى تلك السمة الخطام، ومعناه: أن تؤثر في أنفه سمة يُعرف بها.
انظر: «لسان العرب» (١٢/ ١٨٨)، و«ترتيب القاموس» (٢/ ٧٩-٨٠).

(٤) (تجلو وجه المؤمن): الجلى - مقصورة -: انحسار مقدم الشعر، والمعنى تصقله وتبيضه.
انظر: «ترتيب القاموس» (١/ ٥٢٣)، و«تحفة الأحوذي» (٩/ ٤٤).

(٥) (الخوان): هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.
انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٨٩-٩٠).

(٦) رواه أحمد (١٥/ ٧٩-٨٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

۞ عَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ[(١)]، ثُمَّ يَغْمُرُونَ[(٢)] فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِىَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ»[(٣)].

۞ وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: (وذكر منها:) دَابَّة الأَرض»[(٤)].

من أين تخرج الدابة

اختلف العلماء فى تعيين المكان الذى تخرج منه الدابة (على أقوال):

فمنهم من قال: إنها تخرج من مكة من أعظم المساجد .. ومنهم من قال: إن لها ثلاث خَرَجات، فمرة تخرج فى بعض البوادى ثم تختفى، ثم تخرج فى بعض القرى، ثم تظهر فى المسجد الحرام.

ولم يثبت فى موضع خروجها حديث صحيح.

فنقول: نؤمن بأنها ستخرج كما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن لا نعلم من أين ستخرج.

ماذا تفعل الدابة إذا خرجت

قال ﷺ: «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يُعَمِّرُن فيكم حتى يشترى الرجل الدابة فيقال: ممن اشتريت؟ فيقول: من الرجل المخطَّم»[(٥)].

فالدابة إذا خرجت فإنها تسم المؤمن والكافر؛ فأما المؤمن؛ فإنها تجلو

---

(١) (الخرطوم): الأنف. وقيل: مقدم الأنف. انظر: «لسان العرب» (١٢/ ١٧٣).

(٢) (يغمرون)؛ أى: يكثرون. و(الغمرة): الزحمة من الناس والماء.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٢٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧) كتاب الفتن.

(٥) صحيح: رواه أحمد عن أبى أمامة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٢٧).

وجهه حتى يشرق، ويكون ذلك علامة على إيمانه.

وأما الكافر؛ فإنها تخطمه على أنفه، علامة على كفره والعياذ بالله.

وجاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[1].

ما المراد بتكليم الدابة للناس؟!!!

وفي معنى هذا التكليم اختلفت أقوال المفسرين:

١ - أن المراد: تُكلمهم كلامًا؛ أي: تخاطبهم مخاطبة، ويدل على هذا قراءة أُبيّ بن كعب رضي الله عنه: (تنبئهم).

٢- تجرحهم، ويؤيد ذلك قراءة (تَكْلَمُهم)؛ بفتح التاء وسكون الكاف، من الكَلْم، وهو الجَرْح، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما، أي: تسمهم وسمًا[2]. وهذا القول يشهد له حديث أبي أُمامة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم**»[3].

وروى عن ابن عباس أنه قال: «كُلًّا تفعل»؛ أى: المخاطبة والوسم.

قال ابن كثير: «وهو قولٌ حسن، ولا منافاة، والله أعلم»[4].

وأما الكلام الذى تخاطبهم به فهو قولها: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[5]

من أي الدواب دابة الأرض؟

واختلف العلماء أيضًا فى تعيين دابة الأرض ... وها هى بعض أقوالهم:

---

(١) سورة النمل: الآية: (٨٢).

(٢) تفسير الشوكاني (٤/ ١٥٢)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٣٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد عن أبي أمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٢٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٠).

(٥) سورة النمل: الآية: (٨٢).

الأول: قال القرطبى: «أول الأقوال: أنها فصيل ناقة صالح، وهو أصحُّها، والله أعلم»[١].

الثَّانى: أنها الجسَّاسة المذكورة فى حديث تميم الدارى رضي الله عنه فى قصة الدَّجَّال. وهذا القول منسوب إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[٢].

وليس في حديث تميم ما يدل على أن الجسَّاسة هى الدابة التى تخرج آخر الزمان.

الثالث: أنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التى اقتلعتها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة.

وهذا القول نسبه القرطبى[٣] إلى ابن عباس رضي الله عنهما ولم يذكر له مستندًا من ذلك، وذكره الشوكانى فى «تفسيره»[٤].

الرَّابع: أن الدَّابَّة إنسانٌ متكلِّمٌ يناظر أهل البدع والكفر، ويجادلهم؛ لينقطعوا، فيهلك مَن هلك عن بيِّنة، ويحيا مَن حىَّ عن بينة.

وهذا القول ذكره القرطبى، وردَّه بأن الدَّابَّة لو كانت إنسانًا يناظر المبتدعة؛ لم تكن الدَّابَّة آية خارقة وعلامة من علامات الساعة العشر.

الخامس: أنَّ الدَّابَّة اسم جنس[٥] لكلِّ ما يدبُّ، وليست حيوانًا مشخَّصًا

---

(١) تفسير القرطبى (١٣/ ٢٣٥).

(٢) شرح النووى لمسلم (١٨/ ٢٨).

(٣) تفسير القرطبى (١٣/ ٢٣٦).

(٤) تفسير الشوكانى / فتح القدير (٤/ ١٥١).

(٥) فى كون الدابة اسم جنس لدواب كثيرة ذكر هذا القول البزنجى فى «الإشاعة» (ص ١٧٧)، ونسبه لتفسير ابن علان «ضياء السبيل»، وهذا القول لم يذكر له دليلًا صحيحًا يعتمد عليه.

معيَّنًا يحوى العجائب والغرائب، ولعل المراد بها تلك الجراثيم الخطيرة التى تفتك بالإنسان وجسمه وصحته، فهى تجرح وتقتل ... وهو رأى بعيد عن الصواب، وذلك لأمور:

(أ) أن الجراثيم موجودة من قديم الزمان.

(ب) أن الجراثيم غالبًا لا تُرى بالعين المجرَّدة، وأما الدَّابَّة؛ فلم يقل أحدٌ: أنها لا تُرى، بل إن النبى ﷺ ذكر من أحوالها ما يدلُّ على رؤية الناس لها.

(ج) أن هذه الدَّابَّة تَسِم الناس على وجوههم بالكفر والإيمان، فتجلو وجه المؤمن، وتخطم أنف الكافر، وأما الجراثيم؛ فلا تفعل شيئًا من ذلك(١).

۞ وللأمانة العلمية فإنه لم يصح أى حديث يرجح أى قول من تلك الأقوال الخمسة.

والذى يجب الإيمان به هو أن الله تعالى سيُخرج للناس فى آخر الزمان دابة من الأرض تكلمهم، فيكون تكليمها آية لهم دالَّة على أنهم مُستحقون للوعيد بتكذيبهم آيات الله، فإذا خرجت الدَّابَّة؛ فَهِم الناس، وعلموا أنها الخارقة المُنبئة باقتراب الساعة، وقد كانوا قبل ذلك لا يؤمنون بآيات الله، ولا يصدِّقون باليوم الموعود.

والذى يؤيِّد أنَّ هذه الدابَّة تنطق وتخاطب الناس بكلام يسمعونه ويفهمونه هو أنه جاء ذكرها فى سورة النمل، وهذه السورة فيها

(١) بتصرف من أشراط الساعة.

مشاهد وأحاديث بين طائفة من الحشرات والطير والجن وسليمان عليه السلام، فجاء ذكر الدَّابَّة وتكليمها الناس متناسقًا مع مشاهدة السورة وجوِّها العام[1].

(١) انظر: «في ظلال القرآن» (٥/ ٢٦٦٧).

العلامة العاشرة: النار التي تحشر الناس

وهى آخر علامة من علامات الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة.

من أين تخرج تلك النار؟

جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعرة عدن، وتخرج من بحر حضرموت؛ كما جاء فى روايات أخرى.

وإليك طائفة من الأحاديث التى تبيِّن مكان خروج هذه النار، وهى من الأدلَّة على ظهورها.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبى ﷺ عن مسائل، ومنها: ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبى ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة؛ فنارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»(١).

وجاء فى حديث حذيفة بن أسيد فى ذكر أشراط الساعة الكبرى قوله ﷺ: «**وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»(٢).

۞ وقال رسول الله ﷺ: «**ستخرج نارٌ من حضرموت أو من بحر حضرموت، قبل يوم القيامة، تحشر الناس**»(٣).

۞ والجمع بين ما جاء أن هذه النار هى آخر أشراط الساعة الكبرى وما

(١) أخرجه البخارى (٦/ ٣٦٢) (ح ٣٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨/ ٢٧-٢٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣)رواه الترمذى وأحمد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٩).

جاء أنها أول أشراط الساعة: أن آخريتها باعتبار ما ذُكِر معها من الآيات الواردة فى حديث حذيفة، وأوليتها باعتبار أنها أوَّل الآيات التى لا شىء بعدها من أمور الدنيا أصلًا، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ فى الصور؛ بخلاف ما ذُكِرَ معها من الآيات الواردة فى حديث حذيفة؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا»(١).

وأما ما جاء فى بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن، وفى بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ فيُجاب عن ذلك بأجوبة:

(١) أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافى حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت فى الأرض كلها، والمراد بقوله: «تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»؛ إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب(٢).

(٢) أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولًا، ويؤيد ذلك ان ابتداء الفتن دائمًا من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب؛ فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب.

(٣) يُحتمل أن تكون النار المذكورة فى حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التى أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار، وكان ابتداؤها من قِبَلِ المشرق، حتى خرب معظمه، وانحشر الناس من جهة المشرق إلى

---

(١) فتح البارى (١٣/ ٨٢).

(٢) فتح البارى (١٣/ ٨٢).

الشام ومصر، وهما من جهة المغرب؛ كما شوهد ذلك مرارًا من عهد جنكيز خان ومَن بعده.

وأما النار التى فى حديثى حذيفة بن أسيد وابن عمر، فهى نار حقيقية، والله أعلم(١).

كيف تحشر النار الناس إلى أرض المحشر؟

عند ظهور هذه النار العظيمة من اليمن؛ تنتشر فى الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر،... والذين يُحشرون على ثلاثة أفواج:

الأول: فوجٌ راغبون طاعِمون كاسون راكبون.

والثانى: وفوجٌ يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبون على البعير الواحد.

والفوج الثالث: تحشرهم النار، فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومَن تَخلَّف أكلته النار(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يُحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين، وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا»(٣).

---

(١) فتح البارى (١١/ ٣٧٨-٣٧٩) بتصرف.

(٢) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ٢٣٠-٢٣١).

(٣) أخرجه البخارى (١١/ ٣٧٧) ومسلم (١٧/ ١٩٤-١٩٥).

هل هذا الحشر فى الدنيا أو الآخرة؟

وقد يتساءل البعض: هل النار التى تحشر الناس إلى أرض المحشر تكون فى الدنيا أم فى الآخرة؟!

والحق أن هذا الحشر فى الدنيا وليس فى الآخرة.

ذكر القرطبى أن الحشر معناه الجمع، وهو على أربعة أوجه: حشران فى الدنيا، وحشران فى الآخرة:

۞ أما حشرا الدنيا:

فالأول: إجلاء بنى النضير إلى الشام.

والثانى: حشر الناس قبل القيامة إلى الشام، وهى النار المذكورة هنا فى الأحاديث»[1].

وذهب بعض العلماء كالغزالى والحليمى إلى أن هذا الحشر ليس فى الدنيا وإنما هو فى الآخرة.

وهذا مخالف لما جاءت به النصوص.

قال النووى: قال العلماء: وهذا الحشر فى آخر الدنيا قبيل القيامة، وقبيل النفخ فى الصور، بدليل قوله ﷺ: «**تحشر بقيتهم النار؛ تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسى**»[2].

وإلى هذا الرأى ذهب ابن كثير وابن حجر.

وأما حشر الآخرة؛ فإنه قد جاء فى الأحاديث أن الناس مؤمنهم

---

(١) التذكرة (ص ١٩٨-١٩٩) - تفسير القرطبى (١٨/ ٢ - ٣).

(٢) مسلم بشرح النووى (١٧/ ١٩٥).

وكافرهم يُحشرون حُفاة عُراة غُرلًا بُهمًا.

ففى الصحيح عن ابن عباس؛ قال: قام فينا النبى ﷺ، فقال: «إنكم محشورون حُفاة عُراة غُرلًا؛ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[1]، وإن أول الخلق يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل»[2].

فدلَّ هذا على أن هذا الحشر يكون فى الدنيا قبل يوم القيامة[3].

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٤).

(٢) أخرجه البخارى (١١/ ٣٧٧) كتاب الرقاق - باب الحشر.

(٣) أشراط الساعة (ص ٤٢٩، ٤٣٠).

وهكذا تنتهي الدنيا

وبعد هذه العلامة الأخيرة من علامات الساعة الكبرى تنتهى الدنيا بحلوها ومُرِّها .. بأفراحها وأحزانها .. بخيرها وشرها.

ثم يكون بعد ذلك حشر الآخرة الذى يكون بعد نفخة البعث .. وهو الذى قال فيه النبى ﷺ:

«**يُحشر النَّاسُ يومَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرلًا**»(١).

۞ انتهت الدنيا ... وهنا تنتظر الأرض أمر ربها ﷻ لإسرافيل لينفخ فى الصور نفخ الفزع أو الصعق ليموت شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة.. ثم يأمر الله ﷻ إسرافيل بعد مدة لا يعلمها إلا فاطر السماوات والأرض أن ينفخ نفخة البعث ليخرج من تلك الأرض المؤمنون والكافرون من لَدُن آدم عليه السلام إلى آخر رجل قامت عليه الساعة ليقفوا جميعًا بين يدى الله ﷻ.

النفخ فى الصور

وهنا يأمر الله إسرافيل (عليه السلام) أن ينفخ فى الصور نفخة الفزع.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾(٢).

وقال ﷺ: «**... ثم يُنفخ فى الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى لِيتًا ورفع ليتًا...**»(٣) أى رفع وأمال صفحة العُنق.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٢٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٩) كتاب صفة القيامة.

(٢) سورة النمل: الآية: (٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (١١٦) (٢٩٤٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

وتمتلئ القلوب رعبًا وفزعًا من هول تلك النفخة وشدتها.. ثم يأمر الحق (جل جلاله) إسرافيل (عليه السلام) بنفخة الصعق ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1].

وهى نفخة هائلة مدمرة يسمعها الإنسان فلا يستطيع أن يوصى بشىء ولا يقدر على العودة إلى أهله وأحبابه ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

اليوم الذى يكون فيه النفخة

وأخبرنا الحبيب ﷺ أن الساعة تقوم فى يوم الجمعة وفيها يُبعث العباد.

قال ﷺ: «إنَّ من أفضل أيامِكمْ يومَ الجُمعةِ، فيهِ خُلقَ آدمُ، وفيهِ قُبضَ وفيهِ النَّفخةُ، وفيهِ الصَّعقةُ، فأكثروا علىَّ منَ الصلاةِ فيهِ، فإنَّ صلاتَكم مَعروضةٌ علىَّ، قالوا: كَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ قال: إن الله حرمَ على الأرضِ أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ»[3].

وقال ﷺ: «عُرضتْ علىَّ الأيَّامُ، فعُرضَ علىَّ فيها يوْم الجمعةِ، فإذا هىَ كمرآةٍ بيضاءَ وإذا فى وسطها نُكتةٌ سوداءُ، فقُلتُ: ما هذه؟ قيلَ: السَّاعةُ»[4].

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٨).

(٢) سورة يس: الآيات: (٤٨-٥٠).

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائى عن أوس بن أوس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٠٠).

ما بين النفختين أربعون

أما عن المدة التى تكون بين نفخة الصعق ونفخة البعث فلقد أخبر عنها الحبيب ﷺ.

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ما بين النفختين أربعون**». قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أَبَيتُ. قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت»(١).

وأخرج البيهقى بسند قوىّ عن ابن مسعود موقوفًا: «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى خلقٌ فى السموات ولا فى الأرض إلا مات إلا من شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون»(٢).

كل شىء هالكٌ إلا وجهه

وبعد نفخة الصعق تموت الخلائق كلها.. يموت كل حى ويبقى الحى الذى لا يموت (جل وعلا) فيصبح الكون كله فى سكونٍ رهيب موحش فيطوى الله السماوات بيمينه ويطوى الأرض بشماله ويقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟.

قال ﷺ: «يطوى الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا المِلكُ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين، ثم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨١٤) كتاب التفسير، ومسلم (٢٩٥٥) كتاب الفتن.

(٢) فتح البارى (١١/ ٣٧٠).

يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملكُ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»(١).

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(٤).

فلا أحد يسأل ولا أحد يجيب إلا الله ﷻ.

ثم يُحيي اللهُ إسرافيل مرة أخرى ويأمره بأن ينفخ في الصور نفخة البعث لتقوم الخلائق كلها من القبور إلى أرض المحشر للفصل والحساب بين يدي الكريم التواب (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾(٥).

وبعد مضي أربعين لا ندري هل أيامها وشهورها مُقدَّرة بأيام حياتنا هذه أو بأيام وشهور أخرى لا تخضع للنظام الشمسي الذي كانت به أيامنا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٨٨).

(٢) سورة الرحمن: الآيتان: (٢٦، ٢٧).

(٣) سورة القصص: الآية: (٨٨).

(٤) سورة غافر: الآيتان: (١٥، ١٦).

(٥) سورة غافر: الآيات: (١٧-١٩).

وأعوامنا هذه؟؟ بعد مضى هذا الزمن ينزل من السماء ماء، فتنبت الأجسام تحت الأرض كما ينبت البقل، وذلك بواسطة تفاعل الماء مع بذرة الحياة التى هى عبارة عن عُظيمٍ صغير يوجد فى آخر فقرات الظهر من كل إنسان وجد فى هذه الحياة الدنيا، يُسمَّى عَجب الذَّنَبِ. فإذا تم الخلق، واكتمل النمو، وأصبحت الأجسام هياكل تامة التكوين تحت الأرض لا ينقصها إلا أن تحلها الأرواح فتدب فيها الحياة وتتحرك وتقوم... أرسل الله الخالق سبحانه وتعالى الأرواح التى قبضها ملك الموت يوم وفاة كل إنسان فى هذه الحياة، وأُودعت فى مستودعات بعضها فى العالم العلوى وهى الأرواح الطاهرة الطيبة نتيجة إيمان صاحبها، وعمله الصالح، وتَرْكِه الشرك والمعاصى. وبعضها فى العالم السفلى وهى الأرواح الخبيثة نتيجة كفر صاحبها، وارتكاب الجرائم والآثام. فتدخل تلك الأرواح الآتية من مستودعاتها الأجسام التى هُيئت لها فتحيا: ثم ينادى مُناد الله تبارك وتعالى: أن قوموا لربكم، فتسمع وتجيب، وتنشق الأرض عنهم بسرعة ويقومون من قبورهم أحياءً للحشر بعد أن تم النشر[1].

كيف تنبت الأجساد

۞ قال ﷺ: «... **ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عَجْب الذَّنبِ، ومنهُ يُركَّب الخلق يوم القيامة**»[2].

وإنبات الأجساد من التراب بعد إنزال الله ذلك الماء الذى ينبتها يماثل

---

(١) عقيدة المؤمن (ص: ٣٤٩، ٣٥٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٣٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٩٥٥) كتاب الفتن.

إنبات النبات من الأرض إذا نزل عليها الماء من السماء فى الدنيا، ولذا فإن الله قد أكثر فى كتابه من ضرب المثل للبعث والنشور بإحياء الأرض بالنبات عقب نزول الغيث،... قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١).

وقال فى موضع آخر: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٧).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٩).

(٣) سورة الحاقة: الآيات: (١٣-١٨).

(٤) سورة ق: الآيات: (٤١-٤٤).

(٥) سورة القمر: الآيات: (٦-٨).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(٣).

تخيل معى هذا المشهد المهيب

۞ تخيل معى هذا المشهد المهيب... ها هى القبور تتشقق فى كل أنحاء الأرض والناس يخرجون بعد رُقادٍ طويل فى تلك القبور الموحشة على العصاة والكافرين المنيرة للطائعين والموحدين.

الكل يخرج من القبر ينفض التراب من على جسده وهو يشخص ببصره فى اتجاهٍ واحد إلى هذا الداعى (الملك الكريم) الذى يقود الناس إلى أرض المحشر للحساب والوقوف بين يدى الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا

(١) سورة المعارج: الآيتان: (٤٣-٤٤).

(٢) سورة يس: الآيات: (٥١-٥٣).

(٣) سورة الزلزلة.

﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾(١).

۞ أيتها العظام البالية... أيتها الأجساد العارية... أيها الناس لقد حان وقت القيام للوقوف بين يدى الله ﷻ.

۞ فها هو الكون كله يتجه إلى أرض المحشر للوقوف فى تلك الأرض لانتظار بدء الحساب.

صفة حشر العباد

يُحشر العباد حُفاة عُراة غُرلًا أى غير مختونين... ففى صحيح البخارى ومسلم عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**إنكم محشورون عُراة غُرلًا**» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾(٢).

أرض المحشر

وها هى أرض المحشر التى يُحشر عليها الناس جميعًا يوم القيامة ليس فيها شجر ولا حجر ولا بنيان فليس فيها مكان يختبى وراءه الخلائق بل هى أرض مستوية كما أخبر النبى ﷺ بذلك فقال: «**يُحشر الناس يوم القيامة على أرضٍ بيضاء عفراء كقرصة النَّقى ليس فيها مَعلمٌ لأحدٍ**»(٣).

قال الخطابى: العفر: بياض ليس بناصع. وقال عياض: العفر بياض

(١) سورة طه: الآيات: (١٠٨-١١٢).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٥٦)، ومسلم (٢٧٩٠).

يضرب إلى حمُرة قليلًا. وقال ابن فارس: معنى عفراء خالصة البياض.

والنَّقى: بفتح النون وكسر القاف، أى الدقيق النَقىّ من الغش والنخال.

والمَعْلم: العلامة التى يهتدى بها إلى الطريق، كالجبل والصخرة، أو ما يضعه الناس دالًّا على الطرقات، أو على قسمة الأراضى.

وقد جاءت نصوص كثيرة عن عدة من الصحابة تفيد معنى الحديث الذى سُقناه هنا ورواه صاحبا الصحيح..فقد أخرج عبد بن حُميد والطبرى فى تفاسيرهم والبيهقى فى شعب الإيمان من طريق عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾[1] الآية. قال: تبدل الأرض أرضًا كأنها الفضة لم يُسفَك عليها دمٌ حرام، ولم يُعمل عليها خطيئة،... ورجاله رجال الصحيح، وهو موقوف، وأخرجه البيهقى من وجه آخر مرفوع. وقال: الموقوف أصح[2].

وقال ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خُبزةً واحدة يتكفَّأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نُزلًا لأهل الجنة**»[3].

أين أرض المحشر

جاءت الأحاديث الصحيحة لتخبر أن أرض المحشر هى أرض الشام وسأكتفى بذكر بعضها للاستدلال بها.

روى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية البهزى عن أبيه... (فذكر الحديث، وفيه قوله ﷺ:) «**ها هُنا تُحشرون، ها هُنا تُحشرون، ها هُنا**

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٤٨).

(٢) فتح البارى (١١/ ٣٧٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

تُحشرون (ثلاثًا)؛ رُكبانًا، ومُشاة، وعلى وجوهكم».

قال ابن أبي بكير: فأشار بيده إلى الشام، فقال: «إلى ها هُنا تُحشرون».

وفي رواية الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده؛ قال: قلت: يا رسول الله! أين تأمرني؟ قال: «هاهنا (ونحا بيده نحو الشام)»(١).

ما السبب في كون أرض الشام هي أرض المحشر

وقد يسأل سائل ويقول: فما هو السبب في كون أرض الشام هي أرض المحشر؟

وتأتي الإجابة على لسان الإمام المحدِّث الجليل ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال ابن حجر: «وفي تفسير ابن عيينة عن ابن عباس: من شك أن المحشر هاهنا - يعني: الشام - فليقرأ أول سورة الحشر، قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ: اخرجوا. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر»(٢).

والسبب في كون أرض الشام هي أرض المحشر أن الأمن والإيمان حين تقع الفتن في آخر الزمان يكون بالشام.

* وقد جاء في فضله والترغيب في سُكناه أحاديث صحيحة:

عن عبد الله بن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتُ ليلة أُسري بي عمودًا أبيض كأنه لواءٌ تحمله الملائكة، فقلتُ: ما تحملون؟ قالوا: عمود الكتاب؛ أُمرنا أن نضعه بالشام»(٣).

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال ابن حجر في الروايتين: «أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي». [فتح الباري (١١/ ٣٨٠)].

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٤ـ٨٥) ـ فتح الباري (١١/ ٣٨٠).

(٣) رواه أحمد وقال ابن حجر: سنده صحيح [فتح الباري (١٢/ ٤٠٢ـ٤٠٣)].

وقال ﷺ: «عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله يُسكنها خيرته من خلقه فمن أبىَ فليلحق بيمنه وليُسقَ من غُدُره فإن الله ﷻ تكفَّل لى بالشام وأهله»(١).

وقد دعا رسول الله ﷺ للشام بالبركة؛ كما ثبت فى «الصحيح» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «اللهم بارك لنا فى شامنا، اللهم بارك لنا فى يمننا»(٢).

وقد تقدم أن نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان يكون بالشام وبه يكون اجتماع المؤمنين لقتال الدجال.

يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حَبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، وذكر الحديث وفيه: فقال اليهودى أين يكون الناس ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾(٣)؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم فى الظُّلمة دون الجسر»(٤).

وعن عائشة قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط»(٥).

۞ وقال ابن عباس وابن مسعود: تُبدل الأرض أرضًا بيضاء كالفضة لم

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن واثلة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٧٠).

(٢) أخرجه البخارى (١٣/ ٤٥) كتاب الفتن.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (٣١٥) والبيهقى (١/ ١٦٩) وأبو عوانة (١/ ٢٩٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٩١) والترمذى (٣١٢١) وابن ماجه (٤٢٧٩).

يُسفك عليها دمٌ حرام ولم يُعمل عليها خطيئة قط... قال ابن مسعود وأيضًا تُبدَّل الأرض نارًا والجنة من ورائها يُرى أكوابها وكواعبها[1].

۞ وبذلك نعرف أن النبى ﷺ قد أخبر أن الوقت الذى يتم فيه هذا التبديل هو وقت مرور الناس على الصراط أو قبل ذلك بقليل.

۞ ثم تبدأ بعد ذلك مشاهد وأهوال وأفراح يوم القيامة وهذا ما كتبته فى كتابى (رحلة إلى الدار الآخرة).

۞ أسأل الله (جلَّ وعلا) أن يحفظنى وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يستعملنى وإياكم لنُصرة دينه وأن يرزقنى وإياكم حُسن الخاتمة وأن يجمعنا جميعًا فى الفردوس الأعلى مع الحبيب المصطفى ﷺ ... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



(١) خبر صحيح: أخرجه ابن المبارك (٣٨٨) كما فى زوائد الزهد.

دعوة مستجابة

۞ **أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:**

أضع بين أيديكم هذا الكتاب المتواضع سائلًا ربى ﷻ أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أُذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل على بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

۞ روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله**»(١).

۞ جزى الله خيرًا كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

۞ كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

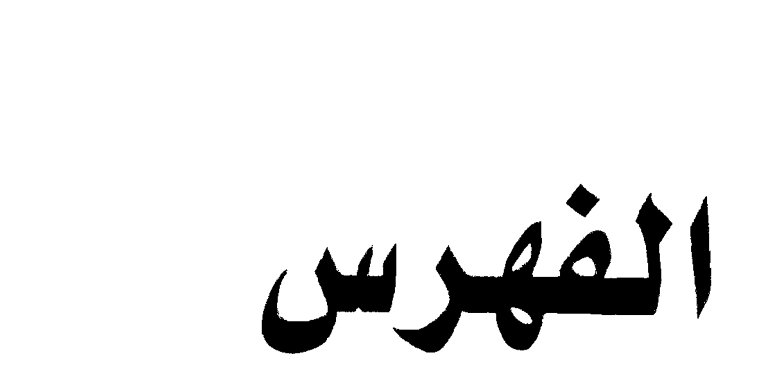
۞ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك....

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

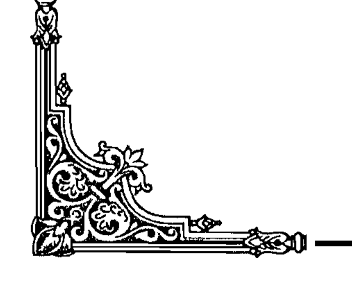
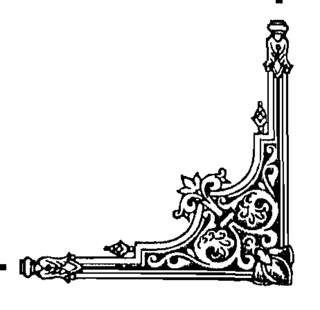
وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الفهرس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

أشراط الساعة الصغرى

ظهور المهدي عليه السلام

علامات وأشراط الساعة الكبرى


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



من إصداراتنا
أسباب النزول
قصص
مفاتيح الفرج
وتفريج الهموم
قصص
الزاهدين
و
الزاهدات
قصص
التائبين
من قصص
نهاية
الظالمين
قصص
الصالحين
و
الصالحات



يوم
في
الجنة
لا تحزن
وابتسم للحياة
ساعة
و
ساعة
نوادر و عجائب
ليلة في
بيت النبي
عالم الجن
والشياطين
تحذير الساجد
من أخطاء
العبادات والعقائد



مواقف إيمانية
للمرأة
المسلمة
رحلة إلى
الدار الآخرة
السحر الحلال
يوسف
الأحلام
الزواج
الإسلامي
السعيد
مسك
الختام



الحقوق
الإسلامية
فتاوى
الحج
أخلاق
الرسول
منهاج
المسلم
الفقه الميسر
عقيدة
المسلم



حكايات
عمو محمود
للأطفال
حكايات
عمو محمود
أذكار
المسلم
قصص
القرآن
الآداب
الإسلامية
تفسير
جزء عم



سيرة
الرسول
قصص
الأنبياء
قصص
الرسول
أصحاب
الرسول
أمهات
المؤمنين
زوجات الرسول
معجزات الأنبياء
وكرامات الصحابة
أصحاب الرسول
صحابيات
حول الرسول
سيرة
الرسول
فقه
المسلم
فقه
المسلم
فقه
المسلم